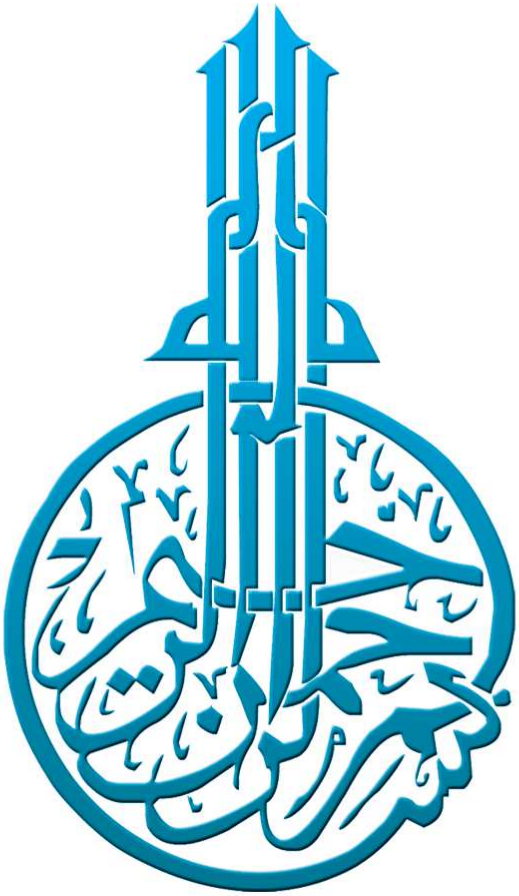

دورية علمية محكمة
تصدر عن جامعة الملك سعود

المجلد التاسع والعشرون ، العدد (٣)
ذو الحجة ١٤٣٨هـ / سبتمبر ٢٠١٧م

http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts
arts-mag@ksu.edu.sa

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

## الهيئة الاستشارية

أ.د. بسيوني حمادة
جامعة القاهرة

أ.د. حسين عبد العزيز الواد
جامعة تونس

أ.د. سليمان بن صالح العقلا
جامعة الملك سعود سابقاً

عبد الله العوينة
جامعة محمد الخامس

فوزية بنت عبد الله أبو خالد
جامعة الملك سعود

أ.د. ماري ليون
جامعة وسكنسون

### رئيس التحرير

**أ.د. عبد الله بن أحمد الطاهر**

### مدير التحرير

أ.د. خالد عبد الكريم بسندي

### هيئة التحرير

أ.د. عبدالله بن سعد الجاسر

أ.د. عبدالوهاب محمد أبا الخيل

أ.د. مها بنت صالح الميمان

أ.د. نايف بن ثنيان آل سعود

أ.د. عبدالله بن محمد المطوع

### سكرتير المجلة

أ. حمود السحيمي

أ. حبيب حسين الصالح

أ. مختار جواد الصالح

### المراجعة والإخراج

د. ماجد محمد البحر

أ. عبد الله كامل الربابعة


**تعتذر دار جامعة الملك سعود للنشر عن عدم وضوح بعض الصور والأشكال لعدم وضوحها من المصدر**


© ٢٠١٧ (١٤٣٨هـ) جامعة الملك سعود

جميع حقوق النشر محفوظة. لا يسمح بإعادة نشر أي جزء من المجلة أو نسخه بأي شكل وبأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو آلية بما في ذلك التصوير والتسجيل أو الإدخال في أي نظام حفظ معلومات أو استعادتها بدون الحصول على موافقة كتابية من دار جامعة الملك سعود للنشر.



دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

# مجلة الآداب

دورية علمية محكمة، تصدر ثلاث مرات في السنة في (يناير - مايو- سبتمبر) عن كلية الآداب، بجامعة الملك سعود. تنشر المواد العلمية التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، وتشمل: البحوث، والمراجعات، وتقارير المؤتمرات والندوات العلمية، وملخصات الرسائل الجامعية، في حقول: الإعلام، والتاريخ، والجغرافيا، والدراسات الاجتماعية، واللغتين العربية والإنجليزية وآدابهما، وعلوم المكتبات والمعلومات.

صدر المجلد الأول من المجلة بعنوان «مجلة كلية الآداب» في العام ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، واستمرت سنوية إلى أن تحولت إلى نصف سنوية منذ المجلد الحادي عشر عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. وفي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م صدرت بعنوان: «مجلة جامعة الملك سعود: الآداب». وفي العام ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م صارت مجلة الآداب، وأصبحت تصدر ثلاث مرات في السنة.

## الرؤية

تسعى المجلة أن تكون رائدة ومميزة في مجال النشر العلمي في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وتصنَّف ضمن أشهر أوعية النشر العربية والعالمية، وضمن قواعد المعلومات العالمية.

## الرسالة

الإسهام العلمي من خلال نشر البحوث والدراسات المحكمة في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وفق معايير مهنية عالمية متميزة.

## الأهداف

١- أن تكون المجلة مرجعاً علمياً للباحثين في الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية.

٢- تلبية حاجة الباحثين في حقول الآدب والعلوم الاجتماعية والإنسانية للنشر.

٣- تطوير المعرفة الأدبية والاجتماعية والإنسانية والإسهام في تقدم المجتمع.

## للمراسلـــة

«مجلة الآداب» ص. ب . ٢٤٥٦ – الرياض ١١٤٥١

كلية الآداب- جامعة الملك سعود- الرياض- المملكة العربية السعودية

هاتف ٠١١- ٤٦٧٥٤٠٨ فاكس ٠١١-٤٦٧٥٤٠٢

**البريد الإلكتروني** arts-mag@ksu.edu.sa

**الموقع الإلكتروني** http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts



## الاشتراك والتبادل

دار جامعة الملك سعود للنشر، جامعة الملك سعود، ص. ب. ٦٨٩٥٣، الرياض ١١٥٣٧، المملكة العربية السعودية.

سعر النسخة الواحدة: ١٥ ريالاً سعودياً، أو ما يعادله بالعملة الأجنبية، يضاف إليها أجور البريد.

# قـواعـد الـنـشـر

تنشر المجلة البحوث التي لم يسبق نشرها، بالعربية أو بالإنجليزية، في حقل الآداب والعلوم الإنسانية، وتشمل بالتحديد: الإعلام، والتاريخ، والجغرافيا، والدراسات الاجتماعية، واللغتين العربية والإنجليزية وآدابهما، وعلوم المكتبات والمعلومات.

و تُصَنَّف المواد التي تقبلها المجلة للنشر إلى الأنواع التالية:

- **بـحـث:** ويشتمل على عمل المؤلف في مجال تخصصه، ويجب أن يحتوي على إضافة للمعرفة.
- **مداخلة:** وهي مقالة علمية موجزة يشارك بها كاتبها في الموضوعات الخاصة التي تعلن المجلة عنها في حينها وتنشرها ضمن «ملف العدد».
- **مراجعة نقدية:** وهي القراءة التي تتوجه بالتقويم لكتاب أو بحث أو مقال علمي، أو بالعرض له والتعليق عليه.
- **تـقـريـر:** وهي تقارير المؤتمرات والندوات العلمية وما يشبهها من أحداث علمية.
- **ملخص رسالة جامعية:** وتستقبل المجلة ملخصات الماجستير والدكتورة في حقول اختصاصها وتنشر منها ما يمتاز بقيمة لافتة في منهجيته ونتائجه.

## تعليمات للباحثين:

١- لا يتجاوز عدد صفحات البحث متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع ( ١٠,٠٠٠ كلمة ).

٢- أما المراجعات والتقارير وملخصات الرسائل فلا تجاوز (١٥ صفحة ).

٣- يرفق مع كل مادة مقدمة للنشر ملخصان أحدهما بالعربية والآخر بالإنجليزية، على ألا تجاوز كلمات كل منهما (٢٠٠ كلمة).

٤- تكتب بيانات الباحث (الاسم، الرتبة العلمية، التخصص، المؤسسة التعليمية: «القسم، الكلية، الجامعة، وعنوان المراسلة») باللغتين العربية والإنجليزية، في صفحة مستقلة في أول البحث ثم تتبع بصفحات البحث مفتتحة بعنوان البحث.

٥- لا يرد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث أو هوامشه أو قائمة مراجعه، صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وتستخدم بدلاً من ذلك كلمة «الباحث» أو «الباحثين».

٦- يضع الباحث كلمات مفتاحية Keywords تعبِّر عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، وذلك بعد بيانات الباحث وقبل الملخص في نسختيه العربية والإنجليزية، ولا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

٧- تُستَخدَم اختصارات عناوين الدوريات العلمية كما هو وارد في The World List of Scientific Periodicals وتستخدم الاختصارات المقننة دولياً، مثل: سم، مم، م، كم، سم٢، مل، مجم، كجم، ق، ٪ ...الخ.

٨- يتم الإشارة إلى المراجع بنظام الاسم والتاريخ (name, date) داخل المتن ولا يقبل نظام ترقيم المراجع داخل المتن. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً بقائمة مستقلة والمراجع الأجنبية بقائمة مستقلة أخرى أسفل منها ولا ترقم المراجع في قائمة المراجع نهائياً. ويكون ترتيب البيانات الببليوجرافية على النحو التالي:

أ) يشار إلى الكتب في المتن داخل قوسين بالاسم والتاريخ ورقم الصفحة. أما في قائمة المراجع، فيكتب الاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة) ثم الاسم الأول ثم الأسماء الأخرى أو اختصاراتها بالخط الأسود. فعنوان الكتاب ببنط مائل ثم بيان الطبعة. فمدينة النشر: ثم الناشر، ثم سنة النشر.

**مثال:** المصري، وحيد عطية. مقدمة في هندسة العمليات الحيوية. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ.

ب) يشار إلى الدوريات في المتن بنظام الاسم والتاريخ بين قوسين على مستوى السطر. أما في قائمة المراجع فيبدأ بذكر الاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة) ثم الاسم الأول ثم الأسماء الأخرى أو اختصاراتها بالخط الأسود. فعنوان البحث كاملاً بين شولتين « ». فاسم الدورية مختصراً ببنط مائل، فرقم المجلد، ثم رقم العدد بين قوسين، ثم سنة النشر بين قوسين.

**مثال:** فقيها، أنيس بن حمزة. «نمذجة تقطير خليط ذي نسبة تطاير عالية». مجلة جامعة الملك سعود (العلوم الهندسية)، مجلد١٥، العدد (١)، (٢٠٠٣م)، ١٣-٢٧.

ج) إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع): فترتب في قائمة المراجع بذكر الاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى: فعنوان الرسالة، فدرجة الرسالة (رسالة ماجستير/دكتوراه)، فمكانها: البلد، القسم، الكلية، الجامعة، فالسنة).

**مثال:** الكناني، ظافر مشبب: الذات في النقد العربي القديم، رسالة دكتوراة، السعودية، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٤٣٠هـ.

د) تستخدم الحواشي لتزويد القارئ بمعلومات توضيحية، ويشار إليها في المتن بأرقام مرتفعة عن السطر. وترقم التعليقات متسلسلة داخل المتن. وعند الحاجة، يمكن الإشارة إلى مرجع داخل الحاشية عن طريق استخدام كتابة الاسم والتاريخ بين قوسين وبالطريقة نفسها المستخدمه في المتن، وتوضع الحواشي أسفل الصفحة التي تخصها والتي ذكرت بها وتفصل بخط عن (المتن).

٩- يتأكد الباحث من سلامة لغة بحثه، وخلوه من الأخطاء المطبعية واللغوية وكذلك خضوعها لإجراءات النشر وضوابطه المشار إليها أعلاه قبل إرساله، وأي إخلال بهذه الشروط، يترتب عليه إرجاع البحث لصاحبه دون النظر فيه من هيئة التحرير.

١٠- المواد المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي جامعة الملك سعود.

١١- يمنح المؤلف ( ١ ) نسخة من المجلة إضافة إلى (٢٥) خمساً وعشرين مستلة مجانية من بحثه.

- يرسل الباحث بحثه إلى موقع المجلة، وذلك بالضغط على «طلب نشر بحث» من القائمة، ثم تعبئة النماذج واتباع الإجراءات المطلوبة، ولا تقبل المجلة البحوث المطلوب نشرها عبر إيميل المجلة ولا بالبريد الورقي.
- يُعد إرسال الباحث بحثه إلى موقع المجلة الإلكتروني تعهداً من الباحث/الباحثين بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.
- لهيئة تحرير المجلة حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
- تخضع جميع البحوث، بعد إجازتها من هيئة التحرير، للتحكيم العلمي على نحو سري.
- يرسل البحث إلى اثنين من المحكمين المختصين في موضوعه فإن اختلف رأيهما، أرسل إلى ثالث ويكون رأيه حاسماً.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد لأصحابها لإجراء التعديلات.
- عند قبول البحث للنشر، لا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقي أو إليكتروني، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- يبلغ أصحاب البحوث المرفوض نشرها دون إبداء الأسباب.

مجلة الآداب

# كلمة رئيس التحرير

تسعد هيئة تحرير مجلة الآداب أن تقدم لقرائها العدد الثالث من المجلد التاسع والعشرين في حقل الآداب والعلوم الإنسانية الذي جاء غنيًّا وثريًّا بما ضَمّه من أبحاث متخصصة، أسهم فيها الباحثون في إثراء مجالات المعرفة، فجاء هذا العدد متنوعًا في قسميه العربي والإنجليزي، فقد احتوى على عشرة بحوث في حقل التخصص.

ففي حقل اللغة العربية تضمن العدد ستة بحوث، هي:

١- أبعاد الدلالة عند الغزالي من خلال كتابه «معيار العلم».

٢- أي دور للسؤال في تنمية مهارة الكتابة عند طلاب المراحل العليا؟

٣- - دراسة نقدية لمؤلفات مختارة في الصرف.

٤- شعرية تائية ابن الفارض.

٥- العنف في الخطاب عبر الفيسبوك: مقاربة تواصلية سيميولسانية.

٦- النقد الثقافي العربي: قراءة في المنجز الموريتاني.

وفي حقل الدراسات الاجتماعية تضمن العدد ثلاثة بحوث تعالج قضايا اجتماعية تمس حياة الفرد مباشرة، هي:

١- ظروف السكن والمواصلات وأثرها في وقوع طلبة جامعة السلطان قابوس تحت الملاحظة الأكاديمية: دراسة ميدانية.

٢- العوامل المحددة للوعي الاجتماعي الأمني ودوره في وقاية المراهقات من الجريمة.

٣- المشكلات التي تواجه المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية.

وفي حقل اللغة الإنجليزية احتوى العدد على بحثٍ واحد هو «السعي من أجل الحرية في مسرحية توفيق الحكيم ( السلطان الحائر)، ومسرحية هنري هواتق ( طفل ذهبي)».

وجاءت هذه الأبحاث بصورتها الحالية بعد قراءة واعية ومتأنية من المحكمين والباحثين، الذين حرصوا على أن تكون فيها الإضافة العلمية المنشودة.

ولا يسعني هنا إلا أن أقدم شكري خالصًا لجميع الباحثين الذين وثقوا بالمجلة والمحكمين الذين أثروا هذه الأبحاث العلمية بملحوظاتهم النيرة والدقيقة، وأحكامهم السديدة، وأشكر زملائي في هيئة التحرير، كما أشكر أبنائي الموظفين والعاملين وجميع القائمين على أعمال المجلة، وأشكر إدارة الجامعة على دعمها المستمر للمجلات العلمية، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والبركة.

رئيس هيئة تحرير مجلة الآداب

أ. د. عبدالله بن أحمد الطاهر

مجلة الآداب

# المحتويات

## أبحاث العدد

### القسم العربي


- أبعاد الدلالة عند الغزالي من خلال كتابه «معيار العلم»

كامل أنور سعيد ..... ٣-١٨

- أيّ دور للسؤال في تنمية مهارة الكتابة عند طلاب المراحل العليا؟

حاتم عبيد ..... ١٩-٥١

- دراسة نقدية لمؤلفات مختارة في الصرف

فاتن خليل محجازي ..... ٥٣-٧٣

- شعرية تائية ابن الفارض

فضل بن عمّار العمّاري ..... ٧٥-١٠٥

- العنف في الخطاب عبر الفيسبوك: مقاربة تواصلية سيميو لسانية

عايدة حوشي ..... ١٠٧-١٣٨

- النقد الثقافي العربي: قراءة في المنجز الموريتاني

ولد متالي لمرابط أحمد محمدو ..... ١٣٩-١٥٥

- ظروف السكن والمواصلات وأثرها في وقوع طلبة جامعة السلطان قابوس تحت الملاحظة الأكاديمية: «دراسة ميدانية»

رحمة المحروقية ؛ منير كرادشة ..... ١٥٧-١٨٤

- العوامل المحددة للوعي الاجتماعي الأمني ودوره في وقاية المراهقات من الجريمة

سراء محمد حسن الشهري ..... ١٨٥-٢١٣

- **المشكلات التي تواجه المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية**

علي أحمد السالم ..... ٢١٥-٢٥٠


## القسم الإنجليزي


- **السعي من أجل الحرية في مسرحية توفيق الحكيم (السلطان الحائر) ومسرحية هنري هوانق (طفل ذهبي)**

مها صديق عقيل موسى ..... ١-١٣

# أبحاث العدد

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص ٣-١٨، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# أبعاد الدلالة عند الغزالي من خلال كتابه "معيار العلم"

**كامل أنور سعيد**

*الأستاذ المساعد في اللغة والنحو، بقسم مهارات تطوير الذات، السنة التحضيرية، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية*

(قدم للنشر في ١٤/ ٨/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١/ ١/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية** : الدال والمدلول، الصورة الذهنية، الإدراك، علم الدلالة، أبعاد الدلالة.

**ملخص البحث**: يتناول هذا البحث قضية أبعاد العملية الدلالية عند أبي حامد الغزالي في كتابه "معيار العلم في المنطق"، فيبحث فيه عن آرائه في:

• أوجه دلالة الألفاظ على المعاني: إذ تدلُّ الألفاظ على المعاني من ثلاثة أوجه متباينة؛ دلالة المطابقة، كالاسم الموضوع بإزاء الشيء، ودلالة التضمُّن، كدلالة لفظ "البيت على الحائط، ودلالة الاستلزام (الاستتباع)، "كدلالة لفظ "السقف" على الحائط.

• رتبة الألفاظ من مراتب المعاني: حيث توجد الأشياء في أربعة أنواع؛ الوجود العيني: أي: الوجود الخارجي للشيء في عالم الحس والمادة حولنا. والوجود الذهني: أي وجود صورة في الذهن للشيء المتحدَّث عنه. والوجود اللفظي: أي وجود أصوات منطوقة للكلمة التي تدل على صورة شيء ما في الذهن، ويستدعيها في دماغه، ويشار بها إلى كل أفراد ذلك الشيء في العالم الخارجي. والوجود الكتابي، أي: وجود حروف هجائية مخطوطة تدل على كلمة معينة. وهذا الترتيب للموجودات ينال فيه الوجود العيني المرتبة الأولى، يليه الوجود الذهني ثم اللفظي وأخيرًا الكتابة.

• الأبعاد الدلالية عند اللغويين المحدثين تكتمل بدراسة بُعدين فقط، هما: الدال والمدلول، ورائدهم في ذلك "دي سوسير" الذي درس جانبين فقط من جوانب الدلالة، هما: الرمز والمعنى، واستبعد دراسة الموضوعات التي تتناولها اللغة.

• ربط المعنى بالإدراك الذهني، فاللفظ يُدل به على الصور الذهنية التي تصل إلى الذهن، وذلك عن طريق التقاط الحواس لها، ثم يدركها الذهن بعد ذلك، فمتى حدث ارتسام للشيء في النفس حدث العلم به والإدراك له، فعملية الإدراك ما هي إلَّا انطباع صورة الشيء الخارجي في النفس عن طريق إحدى الحواس، فيصبح هذا الشيء معلومًا ومدركًا لدى الذهن.

مصدر الصورة الذهنية: إذ تُستمد الصورة الذهنية من الشيء الخارجي، وسبيل الشيء الخارجي إلى الذهن هو الإحساس المناسب لتصور ذلك الشيء؛ رؤية أو سمعًا، لمسًا أو شمًّا أو ذوقًا.

# Semantics dimensions at al-Ghazali, Through the book "standard science"

**Kamel Anwer Said Mohamed**
*Assistant Professor, Arabic Language, Self Development Skills, Preparatory Year, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia*

(Received 14/8/1437H; Accepted for publication 1/1/1438H)

**Keywords:** Denotation and connotation, Mental image, Perception, Semantics, Semantics dimensions

**Abstract:** This research deals with the issue of the process Remember dimensions when Abu Hamid al-Ghazali in his book "The standard in the logic of science", which examines his opinions in:

• aspects of significant terms have the meanings: the words indicate the meanings of the three aspects of mixed; a sign of conformity, as the name Thread confronted with the thing, and the significance of the inclusion, as a sign of the word "home on the wall, and the significance of Alastelzam (Alasttba)," as a sign of the word "ceiling" on the wall

• rank words of mattresses meanings: where there are things in four types; presence in kind: any external presence of something in the world of sense and material around us. And mental existence: the existence of any image in the mind of the speaker something about it. The presence of verbal: the existence of any sounds pronunciations of the word which shows the image of something in the mind, and necessitated in his brain, and is referred to by all members of that thing in the outside world. Written and existence: the existence of any satirical manuscript letters indicate a specific word. This arrangement of the assets in which the presence Aini ranked first, followed by the presence of mental and verbal and finally writing.

• Dimensions Remember when modern linguists study completed only two dimensions, namely: the signifier and the signified, and Raidhm the "de Saussure," which only examined two aspects of the significance of the two symbol and meaning, and ruled out a study of the subjects addressed in the language.

• Linking sense perception mental, Vallfez evidenced by the mental images that link to mind and that by picking up her senses, then perceived by the mind then, when Aartsam happened to something in the soul of science it happened and perception to him, The process of perception is only impression image external thing in psychology through greet the senses, this thing becomes aware of the information and the mind.

• source of mental image: it draws a mental picture of the external thing, and for the external thing to mind is the sense to visualize that thing; seeing or heard, or to Massa tattooed or taste.

**المقدمة**

الحمد لله منزل الكتاب، الهادي إلى الصواب، والصلاة والسلام على خير مَنْ أوتي الحكمة وفصل الخطاب، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه البررة الأنجاب.

في سنة ٤٤٨ هـ. كان الناس حزبيْن؛ أحدهما ينكر على الفلاسفة جميع علومهم حتى ما كان منها بديهي الصحة جلي البرهان، والآخر يقبل كل ما يسمعه عنهم بمجرد التقليد وحسن الظن لا غير، فنهض أبو حامد الغزالي[١] لمحاربة تلك التطرفات، فأنكر عليهم = المؤدية إلى العلم الصحيح، ويتطلب المعرفة الحقيقية ويتحسس نور الحق الصريح، وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبه وديدنه من أول أمره وريعان عمره، فلم يزل منذ المراهقة يفحص مباني العقائد ويستكشف أسرار المذاهب، وهي بين عقيدة سنّية أشعرية، ونحلة عقلية اعتزالية، وبين آراء ظاهرية فقهية، وطريقة باطنية روحية.

ثم نظر حوله فرأى اختلاف الخلق في الأديان والملل، وتفرق الأمم في المذاهب والنحل على كثرة الفرق وتعدد الطرق وكل فريق يزعم أنه الناجي، ( وكل حزب بما لديهم فرحون) وليس لدى أيِّ فرقة ما يدعو إلى شدة التمسك والمحافظة على التعصب والتمذهب إلا النشأة والوراثة والتقليد، أمعن النظر في ذلك طويلًا، وتأمله إجمالًا وتفصيلًا، ثم رجع إلى نفسه فرأى أنَّ إيثار تقليد على تقليد وهمٌ وحمقٌ، وضلال وخرق، ولَّما عاود النظر مرة أخرى وجد أنَّ أعظم العقبات التي كانت في طريق الأنبياء والمرسلين هي تقليد الوالدين والأستاذين، والجمود على تراث الغابرين، ومازال يكرر الفكر في هذا الأمر حتى انحلت عن قلبه عقدة التقليد، وانكسرت عنه وراثات التقييد، ورجع إلى حقيقة الفطرة الأصلية.

تلقى أبو حامد على يد أستاذه إمام الحرمين جميع الفنون الدينية فأتقنها وبرز فيها على أقرانه حتى صار من الأعيان المشار إليهم في زمن أستاذه، وظل أبو حامد ملازمًا له إلى أنَّ توفي الأستاذ سنة ٤٧٧ هـ، فخرج من نيسابور إلى العسكر (ببغداد) ولقي الوزير العباسي "نظام الملك" فأكرمه وبالغ في الإقبال عليه، وفي سنة ٤٤٨ هـ. فوّض إليه الوزير تدريس المدرسة النظامية فاشتغل بالتدريس والتأليف وصنّف ما شاء من التصانيف.

=

١- الإمام أبو حامد الغزالي هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، الإمام الهمام بركة الأنام زين الدين وحجة الإسلام الهادي إلى دار السلام، أبو حامد الطوسي الغزالي صاحب الهمة العالية والفطرة الفائقة والفكر الدقيق والغور العميق، وُلِد بطوس من خرسان سنة (٤٥٠/ ١٠٥٨)، فما كان يبلغ أشده حتى تعلم القراءة والكتابة، وأخذ يدرس العلوم الدينية، فقرأ في صباه طرفًا من الفقه ببلده على أحمد بن محمد الراذكاني، ثم سافر إلى جرجان واختلف على أبي نصر الإسماعيلي حتى علّق عنه التعليقة في الأصول ثم رجع إلى طوس.

لُقّب بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجّة الإسلام"، وله أيضًا ألقاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الأمّة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة.

أزمع الرحلة في طلب العلم فرحل إلى نيسابور، ولازم إمام الحرمين أبا المعالي الجويني، فأخذ ذهنه يلتمس السبيل =

تطرفهم بقوله: إنَّ الدين إذا كان ينبغي أنْ ينصر بإنكار كل علم منسوب إلى الحكماء وادعاء غلطهم في جميع أقوالهم، وزعم أنَّ ما قالوه على خلاف الشرع، كان الدين مبنيًّا على الجهل وإنكار البرهان القاطع، وهو ممَّا لا يشتبه في فساده، وكم رأيت ممَّن ضل عن الحق بهذا القدر ولا مستند له سواه.

ولبيان أنَّ تقليد الفلاسفة في دعاويهم قابل للتزعزع لعواصف الاعتراض والرد، ألّف كتابه **"تهافت الفلاسفة"** المسمَّى ( معيار العلم)؛ ليعلم أمثال هؤلاء المتهاونين بالشرائع وفساد التسرع إلى قبول كل ما يروى ويسمع دون إجراء مناقشة فيه وتحريك للذهن في مجاريه، ولَّما ألف أبو حامد هذا الكتاب أصبح إمام المتكلمين وأضحى شيخ المناضلين عن الإسلام، بل عن عموم الأديان.

وسوف أقف في هذا البحث مع أحد مؤلفاته الفلسفية وأهمها، وهو كتاب "منطق تهافت الفلاسفة المُسمَّى معيار العلم في المنطق"، فأبحث فيه عن آرائه في قضية أبعاد العملية الدلالية.

**أوجه دلالة الألفاظ على المعاني**

تدل الألفاظ على المعاني عند الغزالي من ثلاثة أوجه متباينة:

الوجه الأول: دلالة المطابقة، "كالاسم الموضوع بإزاء الشيء (منطق تهافت الفلاسفة المسمَّى معيار العلم، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م. ص ٧٢)، وأراد بها الغزالي مطابقة اللفظ للمعنى الذي وضع له، فالمطابقة من طابق اللفظ المعنى؛ أي ساواه من غير زيادة أو نقصان، مثل: دلالة لفظ "الحائط" على الحائط، ودلالة لفظ "الإنسان على الحيوان الناطق.

الوجه الثاني: دلالة التضمُّن، "وذلك كدلالة لفظ "البيت" على الحائط، ودلالة لفظ "الإنسان" على الحيوان، وكذلك دلالة كل وصف أخص على الوصف الأعم الجوهري" (معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا، ٧٢).

---

= ألّف الغزالي مؤلفات كثيرة بلغت في العد مبلغًا عظيمًا، منها: إحياء علوم الدين، المشكاة، بداية الهداية، سر العالمين، التبر المسبوك، رسالة في الوعظ والاعتقاد، المنقذ من الضلال، الأجوبة الغزالية والمسائل الأخروية، المضنون به على غير أهله، الدرة الفاخرة في كشف علوم الأخرة، منهاج العابدين، المقصد الأسنى، الحكمة في مخلوقات الله، مكاشفة القلوب، القسطاس، الاقتصاد، إلجام العوام، تهافت الفلاسفة، محك النظر، المستصفى ، الوجيز، مختصر الإحياء، آداب الصوفية، الكشف والتبيين، تنزيه القرآن عن المطاعن، كتاب الأربعين، الميزان، الرسالة اللدنية، أيها الولد، الأدب في الدين ، القواعد العشرة، الكيمياء، رسالة الطير، فيصل التفرقة، جواهر القرآن، مقاصد الفلاسفة، معارج القدس في مدارج معرفة النفس.

انظر: معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محيي الدين صبري الكردي، المطبعة العربية بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٤٦هـ- ١٩٢٧م، مقدمة المحقِّق، ص٢-١٠.

إذن فالتضمن إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه لمعناه، وهذا التفسير للتضمن يعطي البعد اللغوي المطلوب، والذي على ضوئه شاهد المسلمون الدلالة والعلاقة المنطقية، وخصوصًا أنَّهم اعتنوا كثيرًا بأبحاث اللغة وحدودها؛ تفسيرًا للقرآن الكريم، مثلما نظروا للعلاقات المنطقية من خلال خلفيات تصورية ( انظر: رفيق العجم، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م. ص ٧٠).

الوجه الثالث: دلالة الاستلزام (الاستتباع)، "كدلالة لفظ "السقف" على الحائط؛ فإنَّه مستتبع له استتباع الرفيق اللازم الخارج عن ذاته، ودلالة "الإنسان" على قابل صنعة الخياطة وتعلمها".

ويفاضل الغزالي بين الدلالات الثلاث، ويرى أنَّ المعترف به والمعتبر في التعريفات هو دلالة المطابقة والتضمن، أمَّا دلالة الالتزام فلا؛ "لأنَّها ما وضعها واضع اللغة بخلافهما، لأنَّ المدلول فيها غير محدد ولا محصور؛ إذ لوازم الأشياء ولوازم لوازمها لا تنضبط ولا تنحصر، فيؤدِّي إلى أنْ يكون اللفظ دليلًا على ما لا يتناهى من المعاني، وهو محال" (أبو حامد، الغزالي، ١٩٢٧م. ٧٢).

**رتبة الألفاظ من مراتب المعاني:**

يرى الغزالي أنَّ وجود الأشياء يتمثل في أربعة أنواع، فيقول:

"أعلم أنَّ المراتب فيما نقصده أربع، واللفظ في الرتبة الثالثة، فإنَّ للشيء وجودًا في الأعيان، ثم في الأذهان، ثم في الألفاظ، ثم في الكتابة، فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان" (أبو حامد، الغزالي،١٩٢٧م. ٧٢).

فالأشياء تُوجد في أربعة مراتب:

١- الوجود العيني: أي الوجود الخارجي للشيء في عالم الحس والمادة حولنا، مثل: وجود أفراد البشر بكل أجناسهم وألوانهم وأشكالهم في الواقع الخارجي، ووجود الشجر والحجر كذلك بتلك الهيئة لكل منهما وذلك الكيفية، فوجود الشيء في العالم الخارجي وجود حسي مرئي وملموس وله حيز.

٢- الوجود الذهني: أيْ وجود صورة في الذهن للشيء المتحدَّث عنه، ويظهر ذلك حين يستدعي ذكر كلمة "إنسان" –مثلًا–صورة مجردة تلخص أشكال كل الناس الذين رآهم شخص ما طوال حياته.

٣- الوجود اللفظي: أي وجود أصوات منطوقة للكلمة التي تدل على صورة شيء ما في الذهن، ويستدعيها في دماغه، ويشار بها إلى كل أفراد ذلك الشيء في العالم الخارجي، وذلك مثل لفظة "إنسان" عندما تنطق بهذه الأصوات الدالة عليها.

٤- الوجود الكتابي: أيْ وجود حروف هجائية مخطوطة تدل على كلمة معينة، كحروف لفظة "

إنسان" عندما تكتب بكيفية معينة متعارف عليها في لغة ما.

وهذا الترتيب للموجودات ينال فيه الوجود العيني المرتبة الأولى، يليه الوجود الذهني، ثم اللفظي، وأخيرًا الكتابة.

فالشيء في الوجود له أربع مراتب؛ أولها حقيقة وجوده في نفسه، ووجود الشيء في نفسه هذا هو وجوده حقيقة في العالم الخارجي، ثانيها: رسوخ صورة هذا الشيء في الذهن بعد إدراكه لها وانطباعها فيه، وهو الذي يعبر بالوجود الذهني، ثالثها: التعبير عن هذا الشيء برموز أو حروف منطوقة دالة على هذا الشيء الراسخ في النفس، وتختلف فيما بينها بحسب الناطقين لها والتعارف عليها فيما بينهم، وهو ما يُعرف بالوجود اللفظي، رابعها: تدوين هذه الرموز أو الحروف المنطوقة بطريقة اصطلاحية متعارف عليها، فيما بين المدونين لها تدرك بحاسة البصر وبحاسة اللمس لفاقدي حاسة البصر، وتختلف حروف هذا التدوين من مجتمع لآخر؛ الأمر الذي نتج عنه نشوء اللغات واختلاف لغة عن أخرى، وهذا هو الوجود الكتابي.

فالكتابة تتبع اللفظ، إذْ تدل عليه، واللفظ يتبع الوجود الذهني، والأخير يتبع وجود الشيء في عالم الحس الخارجي، والوجود الخارجي والذهني لا يختلفان بالأمم والأعصار، بل يظلان ثابتين عند كل الأمم وفي كل العصور، أمَّا الألفاظ والكتابة فيختلفان من أمة لأخرى ومن وقت لآخر؛ لأنَّهما موضوعان بالاختيار، ولأنَّ الأوضاع وإن اختلفت صورها فهي متفقة في أنَّها قُصِد بها مطابقة الحقيقة، فيتضح أنَّنا أمام عالم مادي موحد، يعكس عالم المعاني موجوداته في صورة ذهنية موحدة، كذلك تعتبر الألفاظ علامات لها". (انظر: محمد غاليم، ١٩٩٩م. ص٣٠).

يتضح من هذا أنَّ الغزالي جعل مراتب الدلالة أربعًا، هي الوجود الحسي الخارجي، والوجود الذهني، والوجود اللفظي، والوجود الكتابي، لكنَّه جعل الكتابة لا بدَّ أنْ تدل على الألفاظ أولًا، ولا يمكن للكتابة أنْ تتخطى الألفاظ إلى الأثر النفسي مباشرة، ويؤكِّد ذلك بقوله: "إنَّ الألفاظ لها دلالات على ما في النفس، وما في النفس مثال لما في الأعيان (أبو حامد الغزالي، ١٩٢٧م. ٧٥).

ويرى الغزالي أنَّ الوجود العيني هو أصل الصورة النفسية التي اخترع لها اللفظ، فيقول: "فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان"

فكل عنصر من العناصر الأربعة يدل على العنصر الذي يليه؛ فالكتابة تدل على اللفظ، واللفظ يدل على المعنى الموجود في الذهن، والمعني الموجود في الذهن يدل على الشيء الخارجي أو المرجع المشار إليه، وهنا نلمح أنَّ الغزالي قد أشار إلى أنَّ الشيء الحسي أسبق في

الوجود من الشيء المعنوي ومن ثَمَّ فهو أصل له، وقد أكَّد الغزالي هذا بصراحة بقوله: "فتأمل أنَّ المدركات الأُولَى للإنسانِ في مبدأ فطرته حواسُهُ، فكانت مسؤولية عليه" (أبو حامد الغزالي، ١٩٢٧م. ٩٠). وهذه سابقة للإمام الغزالي سبق بها اللغويين المحدثين بعدة قرون.

فالكتابة لا بدَّ أَنَّ تدل على الألفاظ أوَّلاً، ولا يمكن أَنْ تتخطى الألفاظ إلى الأثر النفسي مباشرة، لأنَّ ذلك يستلزم تعلُّم كل لغة من أولها، وهذا أمر شاق، لهذا فإنَّ الكتابة عند الغزالي ليس لها دور أساسي في العملية الدلالية؛ إذْ إنَّ دورها مقصور على ارتباطها بالألفاظ من حيث دلالتها عليها، ولا يمكن أنْ تتخطى إلى الأثر النفسي بدون الألفاظ.

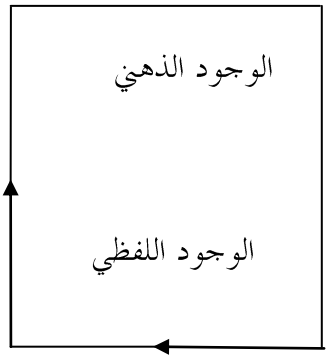


إذًا فالوجود الخطي ثانوي بالنسبة إلى الوجود اللفظي، كما أنَّه ليس معقولًا أنْ يكون الخط إشارة إلى الألفاظ كما تكون الألفاظ إشارة إلى المعاني، فرتبة اللفظ في دلالته على المعنى تختلف كليًّا عن رتبة الخط والكتابة في دلالتها على الألفاظ، فنحن حينما نسمع للمتحدث أو نقرأ كتابًا نكون في كلتا الحالتين نركز على ما يشيران إليه، والمشار إليه واحد وهو المعنى.

من هذا يتضح أَنَّ تناول الدلالة عند الغزالي يرتبط بعناصر أربعة، هي الكتابة واللفظ والصورة الذهنية والأمر الخارجي، فالكتابة تدل على الألفاظ، والألفاظ تدل على الصورة الذهنية، وهذه تدل على الأمر الخارجي، إلَّا أنَّ المعوَّل عليه يرتبط خاصة بالعلاقة بين اللفظ والصورة الذهنية؛ وذلك لأنَّ دور الكتابة إنَّما هو لإفادة الغائبين خاصة، أمَّا الأمر الخارجي فإنَّ علاقته لا تحصل إلَّا بواسطة الصورة الذهنية، وهذا دليل واضح على أَنَّ الألفاظ عند ابن سينا موضوعة للصورة الذهنية وليس الموجودات (انظر: بحثنا "البحث الدلالي عند الفلاسفة العرب"، رسالة دكتوراه، مخطوطة بمكتبة كلية دار العلوم جامعة القاهرة، ٢٠١٢م. ص٢٢٥).

**الأبعاد الدلالية عند المحدثين:**

وإذا كانت الأبعاد الدلالية عند الغزالي أربعة أبعاد فإنَّها عند **اللغويين المحدثين** لا تتطلب ما أورده الغزالي من الأبعاد الأربعة أو حتى الثلاثة (بإخراج الكتابة منها)، فقد تكتمل الدلالة عند المحدثين بدراسة بُعدين فقط، هما: الرمز (الدال)، والمعنى (المدلول)، ورائدهم في ذلك "دي سوسير" الذي درس جانبين فقط من جوانب الدلالة هما: الرمز

والمعنى، واستبعد دراسة الأشياء أو الموضوعات التي تتناولها اللغة.

فدو سوسير يرى أنَّ "الإشارة اللغوية تتكون من (مشير) و(مشار إليه) وهما الصورة السمعية والتصور اللذان بينهما رابط نفسي، أي أنَّ الأصوات التي ننطقها أو الأشياء الواقعية التي نتكلم عنها، يُشار إليها برموز مصطلح عليها"(فرانك بالمر، ١٩٩٧م. ص٦٤).

١- "وقد أكَّد دي سوسير الطبيعة المزدوجة للرمز عن طريق مثاله القياسي الذي قدَّمه؛ حيث شبهه بقطعة من الورق ذات وجهين، فكما لا يمكنك أنْ تقطع أحد الوجهين دون الآخر، فكذلك لا يمكنك أنْ تفصل جانبي الرمز أحدهما عن الآخر؛ لأنَّهما مرتبطان ارتباط جانبي الورقة" (أحمد مختار عمر، ٢٠٠٦م. ص٥٥).

يتضح من هذا أَنَّ دو سوسير يرى أنَّ معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء غير نفسها، هو ما تشير إليه، وعلى هذا الرأي فدراسة المعنى تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين فقط من أبعاد العملية الدلالية، هما: الرمز(الدال) والمشار إليه(المدلول).

إذن: فالعلامة اللغوية هي كيان نفسي ذو وجهين يمكن تمثيله بالشكل التالي:

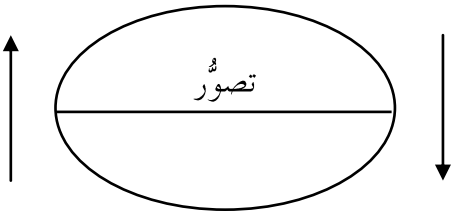


وهذان العنصران يرتبطان فيما بينهما ارتباطًا وثيقًا قويًّا، كما يدعو الواحد منهما الآخر، فإذا ما بحثنا معنى كلمة "arbor" اللاتينية، أو تلك التي تشير إليها اللاتينية عبر تصور"شجرة"، فمن الواضح أنَّ التقارب الوحيد الذي تكرّسه اللغة إنَّما يبدو لنا مطابقًا للواقع، ونستبعد أيَّ تقارب آخر قد نتخيله. (محاضرات في الألسنية العامة، دو سوسير، ٨٨، ٨٩).

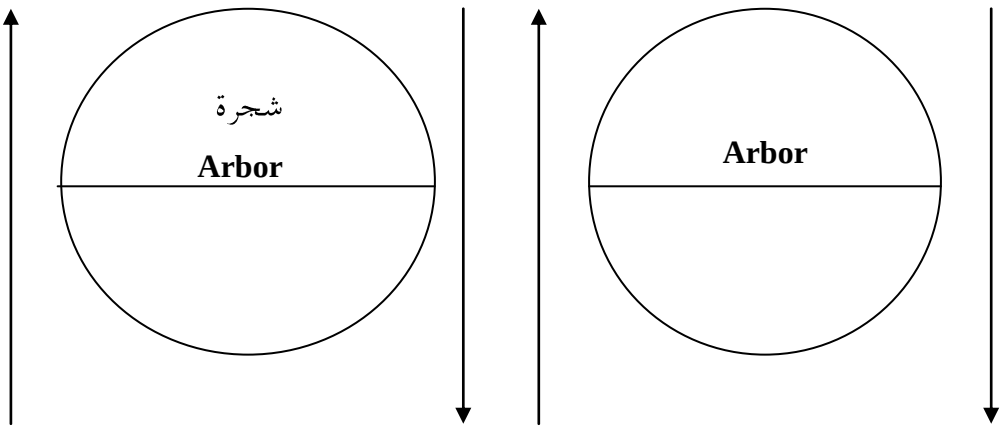

إنَّ رؤية الشجرة أو ذكرها يثيران في ذهن المتكلم صورة مرئية أو مفهومًا "شجرة ١"، ويثير المفهوم باستخدامه المشترك صورة سمعية لكلمة شجرة، وكذلك الأصوات (شجرة) محمولة عبر الهواء على شكل موجات صوتية فإنَّها تقرع في أذن السامع وتثير في ذهنه الصورة السمعية (شجرة)، الشيء الذي يستدعي الصورة المفهومية "شجرة ٢"، إذن هناك مشترك نفسي مكون من قطبين ويقوم على مصطلحين؛ الشكل الدال، والمفهوم المدلول، وهو يحتاج إلى جملتين؛ استدعاء الكلمة عن طريق الشيء، واستدعاء الشيء عن طريق الكلمة، وتحصل سيرورة هذه القضية بالتبادل، ويحدث الإيصال الفعلي إذا التقت الصورتان "شجرة ١" و"شجرة ٢".

ويمكن القول: إنَّ العلاقة التي تربط بين الكلمات والأشياء مرجعها ومشاراتها هي علاقة مرجع أو إشارة، أيْ أنَّ الكلمات ترجع وتشير إلى الأشياء بدلًا من القول، إنَّها ترمز إلى الأشياء أو تسميها، وبتحديد الفرق بين البنية والمعنى المشار إليه نستطيع أنْ نعطيَ الصورة التوضيحية المألوفة والمعروفة للنظرة التقليدية للعلاقة بينهما بواسطة مثلث المرجع والإشارة، ويطلق عليه أحيانًا: مثلث الدلالة أو المثلث الدلالي semantic The triangle (جون لاينز، ١٩٨٠م. ص ٣٨).

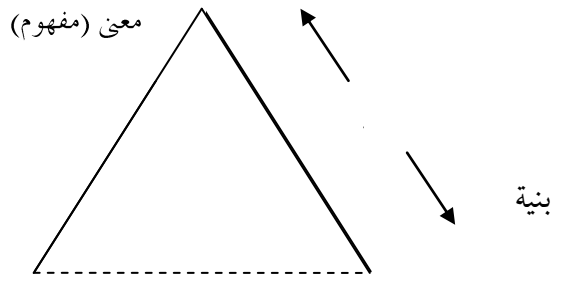


إنَّ الخط المتقطع بين البنية والمرجع يعنى أنَّ العلاقة بينهما غير مباشرة؛ "أيْ أنَّ البنية ترتبط بمرجعها ومشارها عن طريق المعنى (المفهوم) الوسيط المصاحب أو المتعلق بكليهما لصور مستقلة، ويوضح هذا الشكل نقطة مهمة، وهي أنَّ الكلمة في النحو التقليدي القديم تتحقق وتنتج من ارتباط بنية معينة بمعنى معين" (جون ليونز،١٩٨٠م. ٣٨).

هذا النوع من الدرس هو درس نفسي، ومنطقي، ولساني بالمعنى الدقيق؛ "إنَّه نفسي؛ لأنَّ الدال والمدلول صورتان عقليتان مشتركتان، وهو منطقي لأنَّ من وظيفة الدال أنْ يتحرى هوية المفهوم وأنْ يستدعيه، ثم ينقله بعد ذلك دون تشويه له أو خلط، وأخيرًا هو لساني لأنَّ الإشارات المكونة لنظام الرموز ذات طبيعة خاصة وهي اللغة" (بيير غيرو، ١٩٩٢م. ص٣٩).

وقد طوَّر هذه النظرية الإشارية Beference Thing العالمان "أوجدن" و"ريتشاردز"؛ حيث عَدَّ هذان العالمان قصورًا في دراسة دو سوسير، ووجها إليه نقدًا لاذعًا؛ لأنَّه أهمل الأشياء التي تتناولها اللغة وجعلت رموزًا لها، ومن ثَمَّ جعل (أوجدن وريتشاردز) الأشياء غير اللغوية تمثل الركن الثالث من مثلثهما ذي الأبعاد الثلاثية.

يرى الأستاذان أنَّ هناك ثلاثة عوامل تتضمنها أية علامة رمزية، "العامل الأول: الرمز نفسه The symbal وهو في حالتنا هذه عبارة عن الكلمة المنطوقة المكونة من سلسلة من الأصوات المرتبة ترتيبًا معينًا، ككلمة "منضدة" مثلاً. والعامل الثاني: المحتوى العقلي الذي يحضر في ذهن السامع حينما يسمع كلمة "منضدة"، وهذا المحتوى العقلي قد يكون صورة بصرية أو صورة مهزوزة أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهني طبقًا للحالة المعينة، وهذا ما سمَّاه هذان العالمان "بالفكرة Thougt" أو"الربط الذهني reference"، وهناك أخيرًا الشيء نفسه الذي ارتبط ذهنيًّا بشيء آخر، وهذا الشيء قد سمياه "المرتبط ذهنيًّا referent"، وقد وضحت العلاقة الحاصلة بين هذه المصطلحات الثلاثة بصورة مثلث هكذا" (ستيفن أولمان، ١٩٩٢م. ص٧٠).

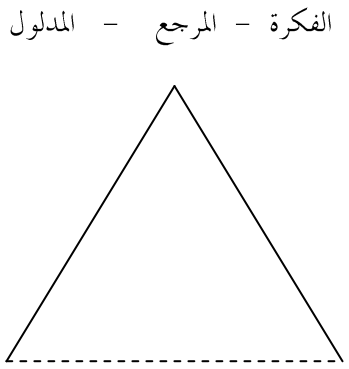

والنقطة الجوهرية في هذا الرسم هي أنَّه ليست هناك علاقة مباشرة بين الكلمات والأشياء، ومن ثَمَّ وُضِعت النقط لتدل على علاقة مفترضة؛ إذْ لا يوجد طريق مباشر قصير بين الكلمات وبين الأشياء التي تدل عليها هذه الكلمات، فالدورة يجب أنْ تبدأ عن طريق الفكرة أو الربط الذهني، أيْ عن طريق المحتوى العقلي الذي تستدعيه الكلمة والذي يرتبط بالشيء.

وفي هذا الصدد يقول جون ليونز: "العلاقة بين الرمز (البنية) والفكرة (المعنى والمحتوى) علاقة عرضية، أمَّا العلاقة بين الفكرة والشيء الخارجي قد تكون مباشرة حين نفكر في الأشياء المادية الملموسة حين نراها، مثل: الأشياء الملونة، أو غير مباشرة في الأشياء غير الحاضرة؛ أي الغائبة التي يستحضرها الذهن عند الحديث عنها أو التفكير فيها، كالتفكير في أحداث أو رموز مضت سابقًا، مثلما نفكر في معركة حربية سابقة، أو مثلما نفكر في شخصية تاريخية، مثل: نابليون مثلاً" (جون ليونز، ١٩٨٠م. ٣٨).

ويرى أصحاب هذه النظرية "أنَّ المشار إليه لا يجب أنْ يكون شيئًا محسوسًا قابلًا للملاحظة object (المنضدة)، فقد يكون كذلك كما قد يكون كيفية quality (أزرق)، أو حدثًا action (القتل)، أو فكرة تجريدية abstract (الشجاعة)، ولكن في كل حالة يمكن أنْ نلاحظ ما يشير إليه اللفظ؛ لأنَّ كل الكلمات تحمل معاني لأنَّها رموز تمثل أشياء غير نفسها" (جون ليونز،١٩٨٠م. ٣٨).

**اللفظ للصورة الذهنية أم للمرجع الخارجي؟**

**١- اللفظ للصورة أم للمرجع؟**

سؤال كثير ما يلح على أذهاننا، مفاده: لأيِّ شيء وُضِع اللفظ أصلًا، أَوُضِعَ من أجل الشيء الخارجي، أمْ وُضِع من أجل الصورة الذهنية لذلك الشيء؟ وهناك سؤال آخر يرتبط به: ماذا رُوعي ونظر إليه عند اختيار الاسم للمُسمَّى، أهو الشيء نفسه أم صورته في الذهن؟

الذي يمكن الاهتداء إليه في هذا الموضوع أنَّ اللفظ وُضِع أصلًا من أجل الشيء الخارجي ليسميه، فيميزه ويعينه من بين سائر الأشياء التي حوله، وبتلك التسمية والتمييز يمكن التعامل باللفظ (الذي هو اسم الشيء)، بين المتكلمين باللغة قاصدين الشيء نفسه، دون أَنْ يضطروا إلى استحضار الشيء نفسه أمامهم؛ فالقطار أو الشجرة أو البقرة يمكن التحدث عنها، أو عن أمور تتعلق بكل منها( هيئة القطار أو كثرة عرباته، أو أنَّ فلانًا ركبه، أو أنَّه توقف، أو سقوط الشجرة، أو ذبْح البقرة...إلخ)، دون وجود أيٍّ منها بذاته في ساحة الكلام، فالاسم هو المتعامل به بين الناس، والمسمَّى هو المقصود، وهم يعقلون ذلك دون احتياج إلى استحضار ذلك المسمَّى أو الإشارة إليه وهو حاضر؛ ومن هنا فاللفظ موضوع من أجل الشيء الخارجي.

والذي رُوعي ونظر إليه عند اختيار الاسم المعبر عن الشيء الخارجي هو الصورة الذهنية لذلك الشيء؛

لأنَّ الصورة الذهنية تتكون ممَّا لفت نظر الإنسان في الشيء: (هيئته أو عمله أو وصف فيه)، والذهن يسجل هذا اللافت على أنَّه هو الصورة الذهنية للشيء وعلى أنَّه علامة على الشيء يتعرف بها عليه وهذا طبيعي؛ لأنَّ الأصل أنَّ الإنسان إنَّما يتكلم ليعبر عمَّا في نفسه هو إزاء الأشياء مادية أو معنوية، فالتسمية تعبير عمَّا في نفس المسمَّي عن الشيء. (انظر: محمد حسن جبل، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ص٩٠).

١- فاللفظ يقصد به عند وضعه أَنْ يميزَّ الشيء الخارجي باسم يشار به إليه، فاللفظ موضوع للشيء الخارجي من هذه الحيثية قطعًا، كما أنَّ اللفظ – من حيث معناه اللغوي الاشتقاقي الدقيق – إنَّما هو في الأصل تعبير الإنسان عن الصورة الذهنية التي انطبعت في ذهنه للشيء الخارجي؛ أَيْ أنَّه يصف الصورة الذهنية المكونة من علامة يعلم بها ذلك الشيء، وهذا أيضًا أمر تقضي به المعاني الاشتقاقية لأسماء الأشياء، فما وضع له اللفظ أي ما وضع من أجله، هو الشيء الخارجي المسمَّى، ومناط اختيار لفظ أيِّ اسم بعينه لذلك الشيء هو الصورة الذهنية، التي هي في الحقيقة ملحظ في الشيء، لفت انتباه الواضع؛ فعدَّه علامة عليه، واختار له اسم يعبر عن ذلك الملحظ – أَيْ يصف تلك العلامة- وهذا هو ما نقصده بالمعنى اللغوي الاشتقاقي للفظ الذي جُعِل اسمًا، ثم تحوَّل ذلك الوصف المعبر عن العلامة أساسًا إلى اسم الشيء الخارجي. ( انظر: إبراهيم أنيس، ٢٠٠٤م. ص٨٠. محمد حسن جبل،٢٠٠٥م. ٩٢).

أمَّا رأي **الغزالي** في الإجابة عن السؤال السابق؛ هل اللفظ للصورة الذهنية أم للمرجع الخارجي فيكمن في ربطه موضوع المعنى بالإدراك الذهني، فيقول: "فإنَّ لم يكن للشيء ثبوت في نفسه لم يرتسم في النفس مثاله، ومهما ارتسم في النفس مثاله فهو العلم به؛ إذْ لا معنى للعلم إلَّا مثال يحصل في النفس مطابق لما هو مثال له في الحس وهو المعلوم، وما لم يظهر هذا الأثر في النفس لا ينتظم لفظ يدل به على ذلك الأثر، وما لم ينتظم اللفظ الذي ترتب في الأصوات والحروف لا ترتسم كتابة للدلالة عليه" (أبو حامد الغزالي ،١٩٢٧م. هامش ٧٦).

هنا نجد أَنَّ الغزالي قد ربط المعنى بالإدراك الذهني، فاللفظ يُدل به على الصور الذهنية التي تصل إلى الذهن (النفس) وذلك عن طريق التقاط الحواس لها، ثم يدركها الذهن بعد ذلك، فمتي حدث ارتسام للشيء في النفس حدث العلم به والإدراك له، فعملية الإدراك ما هي إلَّا انطباع صورة الشيء الخارجي في النفس عن طريق إحدى الحواس، فيصبح هذا الشيء معلومًا ومدركًا لدى الذهن.

ويعلق الدكتور/ سليمان دنيا على نص الغزالي هذا بقوله: " معنى العلم في نظر الغزالي أنَّه مثال يحصل في النفس مطابق لما هو مثال له في الحس، ولكن التقييد

بقوله "في الحس" يجعل التعريف قاصرًا على العلم بالمحسوسات، ولو قال له: " لما هو مثال له في الواقع" كان التعريف شاملًا لجميع أفراد المعرَّف، ومعنى المعلوم أنَّه المحسوس الذي ينطبع في النفس مثال له، والتقييد بقوله: "ينطبع في النفس مثال له" ضروري؛ لأَنَّ الشي ما لم ينطبع في النفس مثال له لم يكن معلومًا، وإنْ كان قابلًا لأنْ يعلم، ويَرِدُ على تعريف "المعلوم" ما ورد على تعريف "العلم"؛ فإنْ قصره على المحسوس يخرج ما ليس بمحسوس مع أنَّه داخل في نطاق المعلوم، والغزالي يعترف في كثير من الأحيان بأنَّ مِنَ المعلوم ما ليس بمحسوس" (أبو حامد الغزالي،١٩٦١م. ٧٦).

١- ويبدو اهتمام الغزالي بطبيعة العلاقة بين الصورة الذهنية أو ما في النفس وهي المعاني؛ إذ المعاني هي الصورة الذهنية من حيث إنَّها وُضِع بإزائها الألفاظ، وبين الأمور الخارجية أو ما في الأعيان، فهي علاقة قوامها أنَّ الصورة الذهنية مثال للأشياء الخارجية، فإذا كانت الألفاظ تدل أولًا على ما عليه الأمور في العقل من حيث هي معقولة، ومتى حدث للعقل فيها فعل خاص فإنَّ ما في العقل أو ما في النفس مثالات ومحاكات للتي هي خارج النفس، ثم إنَّ هذه العلاقة بين المعاني والأشياء الخارجية تُشَبَّهُ أحيانًا بالعلاقة بين الشيء وصورته في المرآه؛ فليس معنى تصورنا للإنسان إلَّا أنْ ترتسم منه صورة في العقل بها ينماز عن غيره عند العقل، كما تثبت صورة الشيء في المرآة، إلَّا أنَّ المرآة لا يثبت فيها إلَّا مثال المحسوسات، بل إنَّ المعاني – بتعبير ابن حيدر البغدادي- توجد في مرتبة أولى؛ في أعيان الأمور وذوات الأشياء، ثم بعد هذه المرتبة المعقولة التي تقوم معاني الموجودات في تصورها، ومثل هذا يصدق في الأشياء المرئية ويصدق أيضًا في المسموعات وكذلك باقي المدركات، فالألفاظ تجري من السمع مجرى الشخاص من البصر (انظر: محمد غاليم، ١٩٩٩م. ص٢٩).

ويرى الغزالي أنَّ اللغة اصطلاحية، فالألفاظ وُضِعَت بالاتفاق بين جماعة ما وكذلك الكتابة، فيقول: "والوجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالبلاد والأمم، بخلاف الألفاظ والكتابة فإنَّهما والتان بالوضع والاصطلاح" (أبو حامد الغزالي، ١٩٦١م.٧٦).

ويواصل الغزالي حديثه حول اصطلاحية اللغة، فيقول: "مَنْ زعم أَنَّ الاسم المفرد لا يقتضي الاستغراق، ظنَّ أنَّه موضوع بإزاء الموجود في الأعيان، فإنَّها أشخاص معينة؛ إذ الدينار الموجود شخص معين، فإنَّ جُمِعَت أشخاص سميت دنانير، ولم يُعرف أنَّ الدينار الشخصي المعين يرتسم منه أثر، هو مثاله وعلم به وتصور له، وذلك المثال يطابق ذلك الشخص وسائر أشخاص الدنانير الموجودة والممكن وجودها، فتكون الصورة الثابتة في النفس، من حيث مطابقتها

لكل دينار يفرض، صورة كلية لا شخصية، فإن اعتقد أنَّ اسم الدينار دليل على الأثر لا على المؤثر وذلك الأثر كلي، كان الاسم كليًا لا محالة، وما قدمناه من الترتيب يعرفك أنَّ الألفاظ لها دلالات على ما في النفوس، وما في النفوس مثال لما في الأعيان" (أبو حامد الغزالي، ١٩٦١م. ٧٦، ٧٧).

نخلص من هذا إلى إقرار الغزالي ببعض الأمور المتعلقة بأبعاد العملية الدلالية (الشيء الخارجي والصورة الذهنية والألفاظ) أهمها:

- أنَّ الوجود العيني يكون للأشياء، والوجود الذهني يكون لآثارها أو صورها.
- أنَّ الوجود العيني للأشياء هو أصل الصورة الذهنية التي اخترع اللفظ من أجلها.
- أنَّ الغزالي ربط موضوع المعنى بالإدراك، وهذا واضح في كون اللفظ يدل على الصورة الذهنية التي تصل إلى النفس (الذهن) عن طريق التقاط الحواس لها، ثم إدراك النفس لها بعد ذلك، وترتيب اللفظ على الصورة المأخوذة عن طريق الحواس.
- أنَّ الشي الخارجي وصورته المنطبعة في الذهن لا يختلفان باختلاف الأمم والأعصار، عكس اللفظ والخط فإنَّهما يختلفان من أمة لأخرى ومن وقت لآخر، وفي هذا دليل واضح على اصطلاحية اللغة عند الغزالي.
- أنَّ اللفظ موضوع للصورة الذهنية وليس للشيء الخارجي.

**ما مصدر الصورة الذهنية؟ أو من أين تُستمد الصورة الذهنية؟**

تستمد الصورة الذهنية من الشيء الخارجي، وواضح أنَّ سبيل الشيء الخارجي إلى الذهن هو الإحساس المناسب لتصور ذلك الشيء؛ رؤية أو سمعًا، لمسًا أو شمًّا أو ذوقًا، ويؤكِّد صحة هذه النسبة ما قرره الغزالي في هذا المجال من أنَّ للشيء وجودًا في الأعيان – أيْ في عالم الحس والمادة من حولنا– ووجودًا في الأذهان – والمقصود به الصور التي في ذهن تلك الأشياء التي في الأعيان– ووجودًا في الألفاظ، هو أسماء تلك الأشياء التي صورها في الأذهان، ووجودًا في الخط، هو رسم تلك الأسماء خطًّا.

ثم ما قرره صراحة من أنَّ الصور الذهنية مستمدة من الأعيان الخارجية، وأنَّ وجود تلك الصورة متوقف على وجود تلك الأعيان، فالصورة الذهنية أصلها الشيء الخارجي، إمَّا مباشرة كما هي في حالة الإحساس المباشر، وأوضح تلك الإحساسات هو اللمس والرؤية البصرية لما من شأنه أنْ يُرَى، وإمَّا بطريقة غير مباشرة كما في الوصف والأصل الحسي.

ويمكن تصور ما من شأنه أنْ يرى أو يحس دون رؤيته فعلًا، وذلك من خلال وصف له، قال الراغب: "وأفهمته: إذا قلت له حتى تصوره" وقال الفخر الرازي: "الفهم هو تصور الشيء من لفظ المخاطب"

وعبارة الشريف الجرجاني: "الفهم تصور المعنى من لفظ المخاطب" وفي تاج العروس: "وقيل الفهم تصور المعنى من اللفظ "، والعبارات الأربع صريحة في أنَّ التصور (أي رسم صورة ذهنية)، يمكن أنْ يستمد من الألفاظ، والمقصود الوصف المفصل كما يفهم من الغائية في عبارة الراغب، وقد قال أبو هلال: إنَّ "أجود الوصف ما يستوعب أكثر معاني الموصوف، حتى كأنَّه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينيك" ويتوقف وضوح الصورة حينئذ على قدرة المتلقي على التصور، وهذه القدرة تعتمد على استعداده الذهني، وقدرته على التخيل وعلى خبراته. (انظر: محمد حسن جبل، ٢٠٠٥ م. ٨٥)

هذا وتصور الحسيات المادية تلقيًا بالإحساس المباشر أو بالوصف، متاح له الوضوح دائمًا؛ لأنَّه يرجع إلى ملامح ومعالم ثابتة في الأشياء مهما تعددت أفرادها، كتصور حيوان ما أو نبات ما، أو أي شئ آخر.

لكن هناك من المعاني ما يصعب على التصور؛ لكونه مجردًا ليست له صورة حسية، ولأنَّه ليست لممارسته اليومية صورة مادية واحدة وثابتة؛ بلْ له في وقوعه صور كثيرة ربما لا تتشابه عناصرها المادية، وذلك كـ "العدل" في الحكم بين اثنين مثلًا، وكـ "الشرف"، و"النزاهة"، و"الجمال"، "والكرامة"، و"العزة"، و"الهدى" و"الخير"، و"الحب"، وغيرها. (انظر: محمد حسن جبل، ٢٠٠٥م.٨٦، ٨٧).

من هذه الأمثلة يتضح أنَّ الصور الذهنية للأشياء المجردة أو المعنوية تستمد ممَّا يعد أصولًا حسية لها

يتضح من هذا أنَّ أركان النظرية الدلالية هي الشيء الخارجي، وهو الأصل المباشر أو البعيد للمعنى، وذلك بالإضافة إلى الصورة الذهنية التي هي صورة لذلك الشيء انطبعت في الذهن أو مستمدة منه، إلى جانب اللفظ (المنطوق أو المكتوب) الذي هو تعبير عن تلك الصورة أو عن الشيء الخارجي.

## المصادر والمراجع


**سعيد، كامل أنور**، *البحث الدلالي عند الفلاسفة العرب*، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م.

**حمودة، طاهر سليمان**، *دراسة المعنى عند الأصوليين*، دار الجميل، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

**أنيس، إبراهيم**، *دلالة الألفاظ*، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤م.

**أولمان، ستيفن**، *دور الكلمة في اللغة*، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٩٢م.

**زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس**، *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*، تحقيق: السيد أحمد صقر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

**عمر، أحمد مختار**، *علم الدلالة*، عالم الكتب، القاهرة، ط٦، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

**غيرو ، بيير**، *علم الدلالة* ، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس، دمشق، سوريا، ١٩٩٢م.

**جون لاينز**، *علم الدلالة*، ترجمة: مجيد الماشطة، وحليم حسين، وكاظم حسن، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٠م.

**بالمر، فرانك**، *علم الدلالة إطار جديد*، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

**ليونز، جون**، *علم الدلالة*، الفصل التاسع والعاشر من كتاب مقدمة في اللغة النظري، ترجمة: أحمد محمد سلامة، المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

**السيوطي، عبدالرحمن جلال**، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان.

**مجمع اللغة العربية**، *المعجم الفلسفي*، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

**صلبيا، جميل**، *المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية*، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٨م.

**جبل، محمد حسن**، *المعنى اللغوي دراسة عربية مؤصلة نظريًّا وتطبيقيًّا*، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

**غاليم، محمد**، *المعنى والتوافق مبادئ لتأصيل علم الدلالة العربي*، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، المغرب، ١٩٩٩م.

**النشار، علي سامي**، *مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي*، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٧٨م.

**الغزالي، أبو حامد**، *منطق تهافت الفلاسفة المسمى معيار العلم*، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م.

**الغزالي، أبو حامد** *منطق تهافت الفلاسفة المسمَّى معيار العلم في فن المنطق*، تحقيق: محيي الدين صبري الكردي، المطبعة العربية بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٤٦ه-١٩٢٧م.

**العجم، رفيق**، *المنطق عند الغزالي في أبعاده الأسطورية وخصوصياته الإسلامية*، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص ١٩-٥١، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# أيّ دور للسؤال في تنمية مهارة الكتابة عند طلاب المراحل العليا؟

**حاتم عبيد**

*أستاذ اللسانيات بقسم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب، جامعة الملك سعود*

*الرياض، المملكة العربية السعودية*

(قدم للنشر في ٨/ ٥/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١٩/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية** : جماعة خطابيّة، كتابة جامعيّة، تفاعليّة، مشاركة، ضمائر التفاعل، سؤال بلاغيّ.

**ملخص البحث:** ينطلق المؤلّف في هذه الدراسة من اعتبار الكتابة الجامعيّة نشاطًا لا يمكن للباحث المبتدئ أن يتمهّر فيه ويمتلك ناصيته ويُنجزه بنجاح واقتدار، إلاّ إذا استطاع أن يُذلّل جملة من المصاعب تتّصل ببعد لطيف في الكتابة، إن لم نكن على وعي به وسعي دائم إلى فتح بصائر الطلبة عليه، سيظلّ جزء مهمّ من المشكلات التي تتخلّل إنتاجاتهم الكتابيّة في مختلف المراحل لا نعرف سبيلًا إلى حلّه. ويرى المؤلّف أنّ الوصول إلى هذا البعد اللّطيف لا يكون، إلاّ باستحضار ثلاثة مستويات من الكتابة هي: فكرة يعبّر عنها الطالب، وقارئ يتّجه إليه ويتفاعل معه، ونصّ يُنشئه ويبنيه.

ويكشف المؤلّف في القسم الموالي من هذه الدراسة عن المنظور السائد الذي يفصح عنه عدد هائل من كتب مناهج البحث العلميّ عالجت الكتابة الجامعيّة من زاوية ما ينبغي أنْ تكون عليه، وخاطبت الطلاّب بلسان الناصح والآمر، ونظرت إلى رسائل البحث على أنّها مجرّد قنوات لإبلاغ ما يتوصّل إليه من نتائج وحقائق، وإلى اللّغة والأسلوب على كونهما وعاء للأفكار والمعلومات.

ويقترح المؤلّف في القسم المهمّ من هذه الدراسة منظورًا جديدًا يُلقي الضوء على ما في الكتابة الجامعيّة من بُعد تفاعليّ تشفّ عنه ظواهر لغويّة وبلاغيّة مختلفة، رأى المؤلّف من المفيد أن يكتفي منها بالسؤال، ليبيّن دوره في تنمية مهارة الكتابة عند طلاب المراحل العليا، حتّى يعرف الطلاب كيف يتفاعلون معه عندما يستخدمونه، وكيف يوظّفونه لغاياتهم التواصليّة، وكيف يستثمرونه ويتفنّون في إلقائه، لإنتاج خطابات يسهم استخدام الطالب السؤال في ثناياها في جعلها متماسكة وذات طابع حواريّ، على غرار الخطابات التي أنجزها أساتذة باحثون خبروا الكتابة الجامعيّة وتمرّسوا بها، ورأى المؤلّف فائدة في التوقّف عندها بالتحليل والتعليق.

# What is the Role of the Question in Developing the Writing Skills of Students in the Higher Stages?
# Academic Discourse from a New Perspective

**Htem Abid**
*Full Professorm, Discourse Analysis, Arabic and its Literature*
*The Department of College of Arts, King Saud University,*
*Riyadh, Saudi Arabia*

(Received 8/5/1437H; Accepted for publication 19/5/1438H)

**Keywords:** : discourse community, academic writing, Interpersonality, engagement, interactant pronouns, rhetorical question**.**

**Abstract:** The author regards university writing as an activity that cannot be accomplished successfully and effectively by researcher students, unless they overcome number of difficulties related to a subtle dimension in writing, we mean the interactional dimension. Many problems will remain in students' writing, if teachers do not know a way to sensitize their students to this dimension. The author believes that It would help to highlight this dimension in writing by drawing students' attention to three levels in writing: expressing an idea , interacting with readers, building a coherent text.

The next section deals with the prevailing perspective disclosed by the huge number of textbooks about methods research. These textbooks conceive university writing from the perspective of what it should be, use advice and commands in addressing students, and look at thesis as mere channels for reporting findings results as well as language and style as a container of ideas.

The author suggests in the important section of this study a new perspective to sheds light on the interactive dimension in university writing. Question is one important rhetoric mean which can reveal interaction in the writing, and therefore can contribute to develop skill writing. It is very useful to teach graduate students how using questions to interact with ideas they express, build good relationship with readers, and produce harmonic and coordinated texts.

**تمهيد**

لاشكّ في أنَّ الباحث المبتدئ تواجهه صعوبات جمَّة حين يهُمُّ بكتابة بحث جامعيّ يريد أنْ يبرهنَ من خلاله للجان الامتحان والمناقشة أنَّه قادر على أنْ ينتج خطابًا يستجيب لمتطلّبات الكتابة العلميّة، ويراعي قواعد البحث وأصول المنهج، ويؤهّل صاحبه لأنْ ينضمَّ إلى الجماعة الخطابيّة (discourse community) ويصبح من أهل الاختصاص الذين يسهمون في إنتاج المعارف داخل حقل معرفيّ معيّن. فالانتماء إلى الجماعة الخطابيّة-أيَّة جماعة كانت-دونه شروط لا بدّ من توافرها، واختبارات لا بدّ من النَّجاح فيها. ومن أهمّ ذلك إظهار القدرة على الإسهام في تبادل المعارف وإغنائها داخل الاختصاص، وإنجاز بحوث وكتابات يكون نسبها إلى ذلك الاختصاص وإلى ما ينتجه المنتمون إليه من خطابات واضحًا ومتينًا. وهو أمر لا يكلّل بالنجاح إلَّا إذا تمكّن الراغب في الانتماء إلى تلك الجماعة الخطابيّة من الخطابات التي ينتجها المنضوون تحتها، ومن القواعد التي تحكم إنتاج تلك الخطابات والمناويل التي تأتي عليها.

**١- الكتابة الجامعيّة في كتب مناهج البحث العلميّ: لماذا غابت المهارة وحضرت القواعد؟**

لم يفت أهل الاختصاص أنْ يحصّنوا قلاعهم، حتّى لا يدخل عليهم إلَّا من حذق أصول المهنة وتمكّن من قواعد البحث. وما تلك الكتب التي توجَّه إلى طلاب المراحل العليا تحت عناوين متشابهة من نحو (دليل الطالب لإعداد الرسائل الجامعيّة)، و(مناهج البحث العلميّ)، و(كيف تكتب بحثا جامعيًّا)، إلَّا محاولات يبذلها بين الحين والحين مَن رسَّختْ أقدامهم في الاختصاص لرسم معالم الطريق المؤدّية إلى امتلاك أدوات الكتابة العلميّة، والأخذ بأيدي الطلاب في رحلة البحث الشاقّة، وتأمين عمليّة الانضمام إلى الجماعة الخطابيّة.

فالخوف من ألَّا يحتكم الطلاب أثناء إعداد رسائلهم الجامعيّة إلى ما استقرّ في أوساط البحث من قواعد وأعراف، كان من أبرز الدوافع التي حملت أحمد شلبي في منتصف القرن الماضي على أنْ يؤلّف كتابًا يُعدُّ من أوّل الكتب العربيّة الحديثة في مناهج البحث وإعداد الرسائل. يقول المؤلّف في مقدّمة الكتاب: "ولم يرقني أنْ يسير طلابنا معتمدين غالبًا على اجتهادهم الخاصّ في الوقت الذي وصل فيه الباحثون إلى قواعد وقوانين فيما يختصّ بإعداد البحوث والرسائل" (شلبي، ١٩٩٢م: ٤).

وغير بعيد عن هذا ما عبّر عنه محمّد منير حجاب بعد نصف قرن تقريبًا، فقد اعتبر في مقدّمة كتابه (الأسس العلميّة لكتابة الرسائل الجامعيّة") أنَّ تقريب أصول المنهج الصحيح إلى طلاب الماجستير والدكتوراه هو الحلّ الذي يضع حدًّا للحيرة التي تنتابهم عندما يُقدمون على إنجاز رسائلهم الجامعيّة.

يقول المؤلف: "وخلال هذه المعاناة لمستُ عن قرب ما يعانيه هؤلاء الطلاب عند تكليفهم بعمل بحوث أو عند إعداد رسائلهم للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه. كما عايشتُ لحظات الضياع والحيرة التي يعانيها هؤلاء، ومدى إحساسهم بالإحباط والتردّد وعدم الثقة بقدراتهم. ولهذا رأيتُ الحاجة ملحّة إلى وضع كتاب مبسّط يأخذ بأيدي أبناء جامعاتنا إلى سلوك المنهج الصحيح للإعداد والتحضير لبحوثهم وكتابتها وفقًا للأسس العلميّة الصحيحة" (حجاب، ٢٠٠٠م: ٥).

والحقّ أنَّ هذه المؤلّفات التي تزخر بها المكتبة العربيّة والتي صارت تُعدُّ بالعشرات تعكس في تقديرنا تصوّرًا للخطاب الجامعيّ لا نظنّه يعبّر حقًّا وصدقًا عن حقيقة هذا الخطاب أو يستحضر السياق الذي يكتنفه والأطراف الفاعلة فيه والمؤسّسة التي تحتضنه. وفي عدد من هذه المؤلّفات استسهال للكتابة الجامعيّة واختصار لها في عدد من القواعد و(النصائح الذهبيّة)، التي تُقدّم إلى الطلاب على أنَّها عصًا سحريّة تحوّل شعورهم باليأس والإحباط قبل معرفتهم تلك القواعد إلى شعور بالسعادة يغمرهم بعد إتقانها. وهذا ما يعبّر عنه بوضوح قول مؤلّف كتاب (البحث العلميّ، أسسه وطريقة كتابته): "ولكلّ بحث الطرق الفنيّة الخاصّة به التي يستخدمها الباحث للوصول إلى نتائج، وعلى الباحث أنْ يعرفها جيّدًا، ورغم ذلك، فليس من المتوقّع من طالب المنحة أو الدراسات العليا أنْ يأتي للدراسة، وهو ملمّ بأسس البحث العلمي وطريقة كتابته، ولكنَّه إذا ما تعلّم هذه الأسس، فإنَّه سيحسُّ بسعادة بالغة، وبمدى ما وفّر من وقت وجهد، عندما يكتب رسالته العلميّة" (مبارك، ١٩٩٢م، ص: ز).

وهذه المؤلّفات أيضًا تنظر إلى الكتابة الجامعيّة من زاوية ما ينبغي أنْ تكون عليه، وكأنَّها تصدر عن تصوّر متعال ينظر إلى أعمال الطلاب وبحوثهم من شاهق، ويسعى من بعيد إلى توجيهها بدل النفاذ إليها من الداخل ومحاولة تفهّمها، وهذا ما يجعل تلك المصنّفات أشبه بكتب التعليمات والتراتيب، ويجعل الكتابة أشبه بالآلة التي إذا ما ضغط المشغّل على زرّ من أزرارها وَفْقَ ما تشير إليه التعليمات تحرّكت، واضطلاع الأساتذة المؤلّفين بدور الناصح والموجّه يترجم عنه بوضوح مواظبتهم على استعمال الأفعال والتعابير الدالّة على معاني التكليف والوجوب ومعاني النهي والتحذير.

على هذا النحو جاءت إشارة أحمد شلبي إلى خصلة تميّز الباحث من غيره، ألا وهي النظر إلى ما يكتب بعين ناقدة تلتقط الضعف وتسعى إلى تداركه، يقول المؤلّف: "**وعلى الطالب أنْ ينتقد** عمله بلا هوادة كلّما سار فيه، **وأنْ يدرك** أنَّ خبرته بموضوعه واسعة تؤهّله أنْ يتعرّف مواطن الضعف به، **وأنْ يحاول** دائمًا أنْ

يكمّل نفسه. **وينبغي أنْ يدع** جانبًا ما انتهى من كتابته. ثمّ يعود إليه بعد بضعة أيّام، لا بالفكر الذي أملاه، بل بفكر الناقد له، الباحث عن السبيل التي ترفع هذه الرسالة وتجعلها أقرب للكمال، سواءٌ في خطّتها أو في معلوماتها أو أسلوبها" (شلبي ١٩٩٢م: ٩٠ التشديد من عندنا).

ومن موقع الناصح والمرشد تناول محمّد حجاب مسألة العناوين الفرعيّة في الرسائل الجامعيّة قائلًا: "ولذلك **تنبغي** العناية بكتابته [الضمير يعود هنا إلى العنوان] . **فينبغي** أنْ يتناسب ونوع المادّة، **وألّا** يتضمَّن كلمات يمكن الاستغناء عنها أو كلمات زائدة، **وألّا** يكون مختصرًا أكثر من اللاّزم، ممَّا يؤدّي إلى التحريف، **وأيضًا عدم التركيز** في العنوان على وجهة نظر ثانويّة، **وعدم المبالغة، وتجنّب التكرار** في ألفاظه ومعانيه، إضافة إلى **ضرورة** الصحّة اللّغويّة والسهولة، والخلوّ من الكلمات المعقّدة والصعبة (حجاب، ٢٠٠٠م: ٨٦ التشديد من عندنا).

وبصوت الآمر والناهي تكلّم مهدي فضل الله عن آفة الاستطراد التي يمكن أنْ تتخلّل كتابة الباحث المبتدئ جرّاء عدم تمييزه أحيانًا بين ما هو في صلب الموضوع وما هو بعيد عنه لا يستحقّ التوقّف عنده وتفصيل القول فيه. يقول المؤلّف: "لذا **يُنصح** الطالب **بألّا** يزجّ في بحثه معلومات لا تمتّ بصلة مباشرة إليه، **وأنْ يعلم** ابتداء بأنَّ التخلّي عن بعض ما يجمعه من مادّة حاصل حكمًا وحتمًا (...) **وأنَّ عليه أنْ يتجنّب** الاستطراد ما وسعه ذلك. كإضافة فصل أو مبحث لا لزوم له أو مناقشة لا ضرورة لها" (فضل الله، ١٩٩٨م: ٧٦ التشديد من عندنا).

وحديث هذه المؤلّفات عن كتابة الرسائل الجامعيّة منصبٌّ في جزء كبير منه على الجوانب الشكليّة والتقنيّة المتعلّقة باختيار الموضوع والبحث عن المصادر والمراجع، وإعداد البطاقات، وكيفيّة جمع المادّة وتوزيعها، وطريقة تدوين الاقتباسات وإخراج صفحة العنوان، وطرائق إعداد الفهارس وقائمة المصادر والمراجع، وطباعة الرسالة ومناقشتها ونشرها. أمَّا الحديث عن كتابة الرسالة وتحريرها فمعدوم في بعض تلك المؤلّفات (انظر على سبيل المثال: البداينة، ١٩٩٩م. وابن عيّاد، ٢٠٠٧م.) وإذا حضر، فهو مجرّد ملاحظات عامّة لا تغني ولا تسمن من جوع، تذكّر الطالب بقواعد عامّة في اللّغة وجمال الأسلوب ووضوح العبارة ودقّة الأداء واختيار الكلمات وبناء الجمل واستعمال الضمائر، وتدعوه في المقابل إلى تجنّب المبالغة والتهكّم وكثرة الجدال (شلبي،١٩٩٢م: ٨٥-١٣٨).

فماذا يفيد الباحث المبتدئ حين تقول له: "ومن مظاهر الأسلوب الجميل الارتباط بين الجمل، بأنْ تأخذ كلّ منها بعجز سابقاتها، ومن مظاهر الأسلوب الجميل كذلك البساطة، فالتعقيد يقلّل من قيمة

الرسالة، ثم الإيجاز بحيث يحسّ القارئ أنَّه يجد جديدًا كلّما قرأ، فإذا اتّضحت الفكرة التي يشرحها الطالب فليتوقّف عن أنْ يضيف سطرًا واحدًا إليها، ولينتقل بالقارئ إلى فكرة أخرى" (شلبي،١٩٩٢م: ٩٤)؟ وما الفرق بين حديث القدامى عن السجع المستحبّ الذي يأتي من غير تكلّف والسجع المستكره الذي لا تشعر فيه بالتصنّع والافتعال، ما الفرق بين هذا الحديث وما ينصح به أحمد شلبي طلاب المراحل العليا قائلًا في مفتتح فقرة عنوانها الأسلوب: "السجع جميل إذا حدث من حين لآخر إذا جاء عفوًا، والتزاوج بين الجمل محبوب" (المرجع نفسه: ٩٣)؟ وهل ينفع المقدم على تحرير رسالة جامعيّة أنَّ تذكّره بما قاله القدامى في مسألة اللّفظ والمعنى وتقول له: "وخلاصة القول إنَّ اللّفظ جسم روحه المعنى، وارتباط اللّفظ بالمعنى كارتباط الجسم بالروح، "يضعف بضعفه ويقوى بقوّته" على حدّ قول ابن رشيق، وللدقّة في اختيار الألفاظ إضافة إلى التناسق فيما بينها بالغ الشأن في التأثير على القارئين والسامعين" (فضل اللهّ، ١٩٩٨م: ٧٩).

وما عساه يفعل الباحث المبتدئ، ومَنْ تراه يصدّق حين يجد نفسه أمام نصائح متضاربة حول استخدام الضمير في الرسائل الجامعيّة؟ فهل يأخذ برأي أحمد شلبي القائل بعد أن قرأ ما كتبه الإنجليز في هذه المسألة، وبعد أنَّ حرّر أطروحة بالإنجليزيّة، ثمَّ نقلها إلى العربيّة: "وعلى هذا يُنصح الذين يكتبون رسائلهم باللّغة العربيّة ألَّا يكثروا من استعمال ضمير المتكلّم والمخاطب، وأنْ يلاحظوا-إذا استعملوا ضمير المتكلّم-التواضع والأدب الجمّ، فالحديث عن النفس غير محبوب غالبًا للقارئ والسامع، ويتحاشى الطالب عبارات مثل: إنَّ الأبحاث التي قمتُ بها تجعلني أعتقدُ، ولا أوافقُ هذا الكاتب على.. لأنّي استطعتُ الحصول على مادّة، وغير ذلك من الأساليب التي فيها مظاهر الإعجاب، وعلى الطالب أنْ يكون ماهرًا في إبراز ما يريد بأسلوب سمح هادئ وأنْ يستعمل الأساليب التي سبقت الإشارة إليها، مثل: ويبدو أنَّه... ويتّضح ممَّا تجمّع من مادّة..." (شلبي،١٩٩٢م: ٩٧-٩٨)؟ هل يأخذ بهذه النصيحة، أم يسمع كلام مهدي فضل اللهّ الداعي إلى "تجنّب استعمال الضمائر بنوعيها، والاستعاضة عنها بأساليب علميّة مجرّدة من كلّ مظاهر الغرور والاعتداد وأكثر قبولًا من العقل وأحسن وقعا على النفس، مثل: يمكن القول، يبدو أنَّ، يظهر أنَّ، لعلّ الرأي الأقرب إلى الصواب، يتّضح ممّا سبق ذكره" (فضل اللهّ، ١٩٩٨م: ٨١)؟ أم يشعر بحيرة باهظة ويرفع صوته قائلًا: يا ليت شعري ما الصحيح، حين يلحظ تناقضًا صريحًا يقع فيه مهدي فضل اللهّ، وهو يضرب أمثلة من كتاب أحمد شلبي نفسه، يبيّن فيها عدم التزامه بضمير بعينه في مؤلّفه الذي يعلّم فيه الطلاب من جملة ما يعلّمهم كيف

يستعملون الضمير في بحوثهم، مُبديًا امتعاضه من ذلك قائلًا: "والأمر الذي يدعو إلى الملاحظة والاستهجان، هو أنْ نرى بعض الباحثين المعروفين، حتّى الذين ألّفوا منهم في منهجيّة البحث العلميّ يتحدّثون تارة بصيغة الأنا (المتكلّم المفرد)، وتارة بصيغة الـ(نحن) (المتكلّم الجمع)، حتّى في الصفحة الواحدة وتحت العنوان الواحد" (المرجع نفسه: ٨١)

والذي حال دون خوض هذه المصنّفات الدائرة على منهجيّة البحث العلميّ في صلب الكتابة الجامعيّة التي اختُصرت في مسائل تقنيّة إنْ كنّا لا ننكر قيمتها ونفعها للباحث المبتدئ، فإنّنا نحسب أنَّ التوقّف عندها والاكتفاء بها لا يمكّنان الطلاب من تذليل عدد كبير من المصاعب التي تواجههم أثناء تحرير رسائلهم الجامعيّة، نعم، إنَّ الذي حال دون ذلك، صدورُ تلك المصنّفات عن تصوّر للخطاب الجامعيّ لا يرى فيه إلَّا أفكارًا يعبّر عنها الباحثون، وأطروحات يبسطونها، وواقعًا يصفونه، وظواهر يتناولونها، ولا يرى في اللّغة إلَّا وعاء توضع فيه تلك الأفكار، ولا يرى في الأسلوب إلَّا أداة تساعد على وضوح الفكرة، حتّى لا يلفَّها الغموض ولا يفسدها التعقيد.

إلى هذا التصوّر استند فضل اللهَّ في حديثه عن الأسلوب قائلًا: "فبواسطته [الضمير يعود ههنا على الأسلوب] يتمّ عرض الأفكار والآراء والمعلومات (...). وحتّى يكون الأسلوب موفّقًا وناجحًا، يجب أنْ يكون سلسًا مفهومًا لا تكلّف فيه ولا زخرفة، ولكي يكون مفهومًا لا بدّ وأنْ يتوفّر فيه شرطان: الوضوح أوّلًا والبساطة ثانيًا" (المرجع نفسه: ٧٩). وتحت هيمنة هذا الاتّجاه الذي يغلّب البعد المعرفيّ والفكريّ في الكتابة الجامعيّة، وقع منير حجاب عندما تطرّق إلى قواعد الصياغة الأسلوبيّة، واعتبر أنَّ نجاح الباحث يرتهن بمدى قدرته على أنْ يجعل لغته تطابق فكرته، يقول المؤلّف: إنَّ التفكير أوّلًا، ثمَّ اختيار الكلمات المناسبة للمعاني هي أوّل ما ينصح به الباحث، إذا أراد أنْ يسير في الطريق السليم. وإذا نجح الباحث في الوصول إلى درجة المطابقة بين أقواله وبين ما يفكّر فيه، يكون قد وصل إلى مرحلة الكتابة المثاليّة، فالمعنى هو الذي يختار الكلمة وليس العكس (حجاب، ٢٠٠٠م: ٨٣).

وحصر الكتابة الجامعيّة في بعدها الفكريّ والمعرفيّ وتناولها بمعزل عن السياقات الاجتماعيّة التي تنشأ فيها والأطراف التي تنتجها وتتلقّاها والجماعات الخطابيَّة التي تؤثّر فيها وتتأثّر بدورها بها، يفسّر في تقديرنا عدم احتفاء مَن صنّف في منهجيّة البحث العلميّ بالجانب الإقناعيّ وكيفيّة تحقّقه في الرسائل الجامعيّة، وهذا ما جعل الصورة الغالبة للباحث في هذه المصنّفات صورة مَنْ يعرض أفكارًا ويسعى إلى التعبير عنها بوضوح ما دام "هدف الباحث هو مساعدة القراء على التعرّف على الأفكار الرئيسيّة

وفهمها" (المرجع نفسه: ٨٣).

وحتّى إذا ما ظهر الباحث في بعض الإشارات الخاطفة مجادلًا يحمل فكرة ويحاول أنْ يستدلّ عليها ويُقنع الآخرين بها، فالعدّة الحجاجيّة التي يُمدّه بها المؤلّفون ضعيفة تنمُّ عن تصوّر بسيط للحجاج في الخطاب الجامعيّ يهيمن عليه البعد المنطقيّ-الدلاليّ. فحسبُ الباحث أنْ "يعرض الأفكار في عبارات بسيطة، ويرتّبها في جمل متماسكة، ويرتّبها في تسلسل منطقيّ، وينسجها في فقرات ترتبط بدورها ارتباطًا منطقيًّا" (المرجع نفسه: ٨٥) حتّى تتّصف أفكاره بالوضوح و"يستطيع القارئ تتبّع المناقشة في سهولة ويسر".

ومن الطبيعيّ أنْ يترتّب على ذلك تنفير من ممارسة الجدل ومناقشة آراء أهل الاختصاص، وعدم السماح للباحثين بالانخراط في الحجاج والتعبير عن وجهات نظر مختلفة لما هو سائد في دوائر الاختصاص، إلَّا في الحالات التي يُضطرّون فيها إلى ذلك اضطرارًا، والتي لا تسعفهم فيها سوى بعض النصائح العامّة من نحو دعوتهم إلى التحلّي بآداب النقاش والمناظرة، بهذا نصح فضل اللهّ الباحثين المبتدئين قائلًا: " على الطالب (...) ألَّا يُقحم نفسه في مسائل أو مشاكل يمكن أنْ تفتح عليه بابًا واسعًا من النقاش والجدال، في حين أنَّه يمكن أنْ يفلت منها ولا يزجّ نفسه فيها. أمَّا في حال الضرورة للمناقشة والجدال، فعليه القيام بذلك خير قيام، ولكن ضمن آداب البحث والمناظرة التي تحتّم عليه التواضع العلميّ، واحترام آراء الغير، وعدم الاستخفاف بها، لاسيّما إذا كانتْ صادرة عن باحثين معروفين" (فضل اللهّ، ١٩٩٨م: ٨١ انظر أيضًا شلبي، ١٩٩٢م: ٩٦).

على هذا النحو جاءتْ كتب منهجيّة البحث العلميّ تعلّم الطلاب كيفيّة إعداد الرسائل الجامعيّة وتحريرها، مُكتفيةً في ذلك بجملة من القواعد العامّة، مُنصرفةً في الغالب إلى المسائل الشكليّة والتقنيّة، مُتكلّمةً بلسان الناصح والآمر، ناظرةً إلى رسائل البحث على أنَّها مجرّد قنوات لإبلاغ ما يتوصّل إليه من نتائج وحقائق، وإلى اللّغة والأسلوب على كونهما وعاء للأفكار والمعلومات. ومن الطبيعيّ ألَّا تُلقي هذه المصنّفات بالطلاب في قلب الكتابة، وألَّا تعمّق فهمهم ووعيهم بطبيعة النشاط اللّغويّ الذي يمارسونه ونوع الخطاب الذي ينتجونه، وألَّا تقدّم إليهم أدوات ناجعة تنمّي مهارة التحرير عندهم، فإنْ فعلت ذلك، ففي شكل وعود تُقطع ولا تُنجز، واستنادًا إلى فهم لمهارة التحرير، فضفاض لا يسهم في تقريب فعل الكتابة إلى الطلاب؛ بل يجعلها كالغاية بعيدة المنال، تُطلب فلا تُدرك.

فكم سرَّنا استعمال محمَّد حجاب عبارة مهارة الكتابة، وما أبداه من استعداد لمساعدة الطلاب على اكتساب هذه المهارة قائلًا: "إنَّ إتقان كتابة التقرير من الأمور المهمّة للباحث، ومساعدة الباحث على

اكتساب هذه المهارة هي ما يدفعنا هنا لتحليل مادّة التقرير إلى عناصرها الأوّلية، وتحديد الضوابط الخاصّة بكلّ عنصر، حتّى نصل إلى المهارات المطلوبة في الكتابة البحثيّة" (حجاب، ٢٠٠٠م: ٨١). وكم كانتْ خيبتُنا كبيرة، حين وجدناه عل امتداد الصفحات الموالية (ص: ٨٢-١٠٤) يتحدّث عن قواعد عامّة ذات طابع شكليّ ليستْ في تقديرنا ممَّا يسهم بالفعل في اكتساب مهارة الكتابة، فما جدوى أنْ ندعو طلاب المراحل العليا إلى التزام القواعد النَّحويّة والإملائيّة؟ وهل استخدام الاختصارات الشائعة، وتوظيف الإحصاء، والدقّة في الأرقام، ومراعاة علامات الترقيم، والاهتمام بالعناوين الفرعيَّة، من المسائل التي تلبّي حاجات الطلاب وانتظاراتهم لتقحُّم نشاط التحرير؟

نعم، على هذا النحو نظرت هذه المصنّفات في منهجيّة البحث العلميّ إلى مهارة الكتابة، وعند تلك الحدود البعيدة عن فعل الكتابة وقفت لتُراوح في مكان واحد، ولتردّدَ حول اللغة والأسلوب كلاما عامًّا لا يكاد يتغيّر، ولتُفردَ لهما صفحات متشابهة من جهة محتواها، وحتّى من حيث العناوين الواردة فيها (قارن على سبيل المثال ما ورد في الصفحات المذكورة أعلاه من كتاب حجاب بالصفحات ٧٦-١٢٠ من كتاب فضل اللهّ والصفحات ٨٥-١٣٨ من كتاب شلبي). ولا سبيل في تقديرنا إلى الخروج من ضيق هذا التصوّر الذي حنَّط كتابة الرسائل الجامعيّة في قواعد جاهزة، إلَّا إذا أعدنا النظر في الخطاب الجامعيّ نفسه، وفتحنا أعين الطلاب على أبعاد أخرى في الكتابة مهمّة، وجعلنا ذلك الخطاب بسبب من الذات الكاتبة التي تنتجه، والجمهور الذي يتلقّاه ويتفاعل معه، والاختصاص الذي ينضوي تحته، والمؤسّسات التي ترعاه وتشكّل ملامحه، من هذا المنظور نتناول الكتابة الجامعيّة، وببعد من أبعادها نكتفي، نعني بذلك البعد التفاعليّ الذي يتجلّى في ظواهر لغويّة وبلاغيّة مختلفة نتوقّف عند واحد منها، ألا وهو السؤال لنكشف عن دوره في تنمية مهارة الكتابة عند طلاب المراحل العليا.

**٢- الكتابة الجامعيّة مهارةُ تفاعل مع القارئ**

ننطلق في هذا التصوّر من القول بأنَّ الكتابة-أيًّا كان نوعها-عمل اجتماعيّ يقتضي بالضرورة وجود تفاعل بين مَنْ يقدّم الخبر ومَن يتلقّاه، وأنَّها "حوار مؤجّل بين الكاتب والقارئ" (Thompson, 2001: 58)، وضرب من "المشاركة الاجتماعيّة" التي يُظهر الكاتب من خلالها حرصًا على أنْ يمدَّ جسور التواصل بينه وبين قارئه في سبيل إنشاء نصّ يحظى بالقبول والتصديق (Hyland, 2005). والحقّ أنَّ القول بأهمّية البعد التفاعليّ في الكتابة الجامعيّة بدأ يجد له منذ نهاية القرن الماضي أنصارًا، فقد أمست علاقة الباحثين بجمهورهم من أبرز القضايا المثارة في الخطاب الجامعيّ، وصار عدد من المتخصّصين في الخطاب الجامعيّ على اقتناع بأنَّ من أبرز ما يساعد على تنمية

مهارة الكتابة عند الطلاّب، تطوير وعيهم بجمهور القرّاء الذين يستقبلون نصوصهم ويتفاعلون معها، وتنمية قدرتهم على استثمار ذلك الوعي في الطريقة التي يكتبون بها تلك النصوص، حتّى تعكس بدورها حرصهم على استحضار القارئ ومدى وعيهم به (Lafuente-Millan,2010: 15-16).

واعتبار الكتابة الجامعيّة حوارًا مؤجّلًا، يُحمّل الكاتب مسؤوليّة إدارة هذا الحوار باعتباره الطرف الحاضر فيه، ويدعوه بالاستتباع إلى أنْ يستحضر خلفيّة القارئ المعرفيّة، ويستبق ردود أفعاله المرتقبة تجاه ما يقرأ. وهو ما يجعل مهارة الكتابة عند الطلاب تقاس بمدى قدرتهم على التنبّؤ بنوع المعلومات التي يرغب القارئ في الحصول عليها، أو ينتظر ورودها في موطن من مواطن النصّ، فشرط النجاح في الكتابة–وفق هذا التصوّر– وعيٌ بالقارئ يعكسه نظام النصّ والطريقة التي يُكتب بها، واستحضارٌ دائم لرغباته وتطلّعاته، وتفهّمٌ لقدراته وحدوده. وأوضح مثال على تجلّي هذا الوعي، توقّف الكاتب أحيانًا عند بعض التعابير والمصطلحات بالشرح والتفسير، شعورًا منه بحاجة القارئ إلى مثل تلك المعلومات التي بدونها يمكن أنْ يتعطّل الفهم، وتضعف الرغبة في القراءة ومتابعة حبل الأفكار، أو يُستبعد مسلك من مسالك التأويل. ومن أمثلة ذلك قول أحد الباحثين: "وبناء على ذلك تبدو عبارة "الترسّل" التي وردت في الديباجة في حاجة إلى وقفة خاصّة، إذ تبدو حاملة للدلالة على وجه آخر من أوجه التفاعل بين الحكاية المثليّة والرسالة في كتاب النمر والثعلب" (ابن رمضان، ٢٠٠١م: ١٣٢ ).

والربط بين نجاح الكتابة ونجاعتها والتوجّه إلى قارئ بعينه، فكرة قديمة تضرب في تاريخ الخطابة بجذور، ويفصح عنها بوضوح قول أفلاطون ناصحًا تلميذه فيدرس (Phaedrus): "لَمَّا كانت وظيفة الخطابة إحداث الأثر في نفوس الرجال، توجَّب على الخطيب أنْ يعرف أنواع النفوس الموجودة" (نقلا عن Intaraprawat, 1995 : 253). وهذا الربط تواصل في العصر الحديث، وقال به من جملة من قال عدد ممَّن اهتمّ بكتابة الطلاب وتحاريرهم من منظور تفاعليّ، فالرأي عند انترابراوت (Intaraprawat) أنَّ مهمّة الكتابة تهون وتغدو أيسر وأوضح، وجملة من الصعاب الحائلة دون نجاحها تزول، حين يحمل الكاتب في ذهنه معنى واضحًا بشأن قارئه، فصرْف الكتّاب العناية إلى جمهور بعينه، يُكسبهم معرفة جيّدة بالمفاهيم التي تُمثّل خلفيّة مشتركة بينهم وبين قرّائهم، وبتلك التي تستدعي منهم أنْ يتوقّفوا عندها بالتفسير والتأييد، حتّى تجد طريقها إلى القارئ، فعلى قدر ما تتّضح صورة القارئ في ذهن الكاتب، تسهل مهمّة البحث والاهتداء إلى الصوت المناسب الذي يحسن تبنّيه وكتابة النصّ به، وإلى الطرائق التي يتوخّاها الكاتب في بسط أفكاره وتشييد صورة لنفسه تحظى بالاحترام

والتصديق، وفي بناء نصّه وتطويره على نحو يكون فيه ناجعًا ومفيدًا للقارئ (المرجع السابق: ٢٥٣).

وإذا كان القول بأنَّ الكتابة الجامعيّة تجري إلى تحقيق الإقناع ليس أمرًا حادثًا ولا يُوجد من يعترض عليه، فإنَّ ما تضيفه المقاربة التفاعليّة في هذا الباب جعل الإقناع بسبب من القارئ، والقول بأنَّ التعويل على الحقائق الموجودة والأدلَّة الجاهزة لا يكفي وحده لتحقيق التصديق، فمخطئ مَن يظنّ أنَّ الحقيقة تجد طريقها إلى عقول الناس لمجرّد أنَّها حقيقة. ولو كان الأمر على تلك الشاكلة، لما وجد العلماء على مرّ التاريخ عناء لإقناع الناس بما خطر لهم من أفكار كانوا على يقين أنَّها حقائق، ولكنّ الناس عارضوها ورفضوها ساعة ظهورها، ولم تصبحْ في حكم القواعد والقوانين التي لا يرقى إليها شكّ إلَّا بعد أجيال وأجيال. وفي ذلك آية على أنَّ الأفكار التي يتمّ التعبير عنها، والحجج التي تسخّر لتدعيمها، والتأويلات التي يقدّمها الباحث في قراءة الموادّ والمعطيات، والنتائج التي يخلص إليها، لا بدَّ أنْ تُبسط على نحو تبدو فيه للقارئ صادقة ومقنعة. وهذا ما يدعو الباحث إلى أنْ يكون عارفًا بالطرائق التي يستخدمها أهل الاختصاص في عرض الأفكار والاحتجاج لها، وأنْ يُظهر قدرًا من المعارف المشتركة بين أفراد الجماعة الخطابيّة التي ينتمي إليها، وأنْ يجد قدرًا من التوازن بين ما يقدَّمه من مزاعم، وما يحمله القارئ من تصوّرات ربّما تتعارض وتلك المزاعم.

ولا شكَّ في أنَّ هذه النظرة التفاعليّة للإقناع في الخطاب الجامعيّ تصدر عن تصوّر جديد للمعرفة حلَّ محلّ التصوّر التقليديّ الذي كان يراها مجرّد تمثيل للعالم وحديث عنه، واعتبرها في المقابل خلقًا اجتماعيًّا يتمّ داخل الاختصاص الذي يُعدّ بدوره ضربًا من التبرير الاجتماعيّ للمعتقدات والوالدة التي تتخلّق داخلها المعارف والأفكار، فلم يعد من الممكن فصل كتابات الجامعيّين عن الجماعات الخطابيّة التي ينتمون إليها والاختصاصات المعرفيّة التي ينضوون تحتها، إذ هي تمثّل المناخ الفكريّ الذي يعمل الباحثون في إطاره والذي يضطلع بدور مهمّ في تحديد نوع القضايا الي يثيرونها، والمناهج التي يستخدمونها، والنتائج التي يخلصون إليها، والخيارات البلاغيّة التي تتوفّر لهم لتقديم ذلك كلّه إلى القارئ (Hyland, 2000 : 5-8).

ولا شكَّ أيضًا في أنَّ تعليق جزء مهم من نجاح الكتابة بمدى قدرة الطالب على إخراج نصّه في هيأة تعكس درجةً من الوعي عالية بأهمّية القارئ ودوره في كتابة ذلك النصّ، لا شكّ في أنَّ ذلك يستوجب توقّفًا عند هذا القارئ، حتّى يتبيّن الطالب ملامحه، ويعرف في أيِّ مستوى يقع، وأيّ دور يمكن أنْ يضطلع به في الكتابة، وعلى أيِّ نحو يتمّ استحضاره في النصّ، والحقّ أنَّ التصدّي لمسألة القارئ لا يخلو من مصاعب، والدليل على ذلك أنَّ الدارسين على خلاف حول هذا المفهوم الذي يحيل عند بعضهم على كائن حقيقيّ

يعيش خارج النصّ، وعند آخرين على كائن متخيّل، ومن الصعب في كلّ الحالات أنْ نتحدّث عن جماعة منسجمة تمثّل القارئ، مثلما يعسر الحديث عن جمهور القرّاء باعتبارهم واقعًا مجسّدًا.

ومسألة القارئ في تقدير هايلاند لا يتمّ الخوض فيها بإلقاء مثل هذه الأسئلة: هل ينبغي على الطالب أنْ يوجّه كتابته إلى أساتذته أو إلى زملائه، أو إلى مَنْ يصلح كتاباته ويقوّمها؟ وما الذي يعرفه هؤلاء القرّاء وما لا يعرفونه ويودّون معرفته؟ وهل يتعيّن على الطالب أنْ يضعهم عند التوجّه إليهم بالخطاب في منزلة مساوية له، أم ينظر إليهم على أنّهم من الخبراء والراسخين في العلم وفي الاختصاص؟ فمثل هذه الأسئلة إذا وجّهت كتابة الطالب، كانت الحصيلة نصًّا ربّما يخلو من اللّباقة، أو يغلب عليه التردّد و"الخجل"، أو الإفراط في الجزم والقطع في المواقف.

والرأي الأقرب إلى الصواب عند (هايلاند) أنَّ الأمر لا يتعلّق بجمهور فعليّ من القرّاء، بقدر ما يتعلّق بوعي الطالب/ الكاتب بالسياق البلاغيّ للنصّ الذي ينتجه، وبالطرائق الشائعة التي يتوخّاها الكتّاب داخل الاختصاص في صياغة نصوصهم وتنظيمها. وهذا الوعي في الغالب معدوم عند الطلاب، إذ ليس لهم تجربة تمكّنهم من اكتسابه، وهو إنْ توفّر، ألفينا أنفسنا أمام كاتب يستند إلى المعارف المشتركة بين أفراد الاختصاص الذي يكتب فيه، على نحو يجعله قادرًا على أنْ يتنبّأ بالكيفيّة التي من المرجّح أنْ يتفاعل بها القارئ مع أفكاره وحججه، ومن ثمّ أنْ يعرف كيف يصوغ أفكاره صياغة تجعلها مفهومة، ويبني حججه بناء يُضفي عليها قدرًا من المعقوليّة والمقبوليّة، فعلى قدر ما يستحضر الطالب في ذهنه وجود قارئ يمكن أنْ يعترض على حججه ويرفض مزاعمه، يزداد شعوره بضرورة الاستناد إلى ما يوجد داخل الاختصاص من مواضعات وطرائق يستخدمها الباحثون في استقدام القرّاء إلى نصوصهم وإشراكهم فيها، حتّى إذا ما قدّموا أفكارهم، قدّموها في هيأة تبدو لذلك القارئ مستحوذة على نصيب كاف من الإقناع والتصديق (Hyland, 2005a : 364-365).

من هذا المنطلق يرى هايلاند أنَّ الباحثين مدعوّون إلى أنْ يقدّموا أنفسهم في صورة المقتدر على الكتابة، المتكلّم في النصّ بصوت مقبول عند أفراد الجماعة الخطابيّة، المفصح عن شخصيّة معروفة عند أهل الاختصاص، والمستحضر قارئه وفق طرائق محبّذة ومألوفة. ومن هذا المنطلق أيضًا يستعمل هايلاند مصطلح المشاركة (engagement) للدلالة على عدد من الإستراتيجيّات البلاغيّة التي يستخدمها الكتّاب لاستحضار قرّاءهم واستقدامهم إلى نصوصهم على نحو صريح، وللإشارة إلى ما يبذله الكاتب من جهد كي يستدرج القارئ إلى حلبة النصّ، حتّى يكون متابعًا للموضوع المطروق فيه من أوّل النصّ إلى آخره، وهي

غاية دونها جملة من الأعمال المناطة بعهدة الكاتب، من أهمّها أنْ يلفت انتباه القارئ، ويستبق ما يمكن أنْ يبديه من اعتراضات وشكوك، ويستحضر وجهة نظره، ويُدرجه في النصّ طرفًا مشاركًا فيه، ويقوده إلى مسالك تأويله. وهذه الأعمال تتحقّق من خلال عدد من الطرائق والاستعمالات اللّغويّة التي يعتبرها هايلاند مؤشّرًا على درجة وعي الكاتب بقارئه، إذ هي تحيل بوضوح على هذا القارئ، مثل السؤال وضمائر القارئ والطلبيّات (ibid : 365).

وليس من الممكن – ونحن نتحدّث عن تصوّر هايلاند لمفهوم القارئ وما ينهض به السؤال من دور في استقدامه إلى النصّ وتشريكه فيه–ألَّا نعود إلى أحد المراجع المهمّة التي تأثّر بها هايلاند نفسه وانطلق منها وأضاف إليها، نعني بذلك طومسون في مقاله الشهير "التفاعل في الكتابة الجامعيّة: تعلّمْ أنْ تُجادل رفقة القارئ" (Thompson, 2001). نعم، لقد كان طومسون واحدًا من أبرز الذين تبنّوا التصوّر القائل بأنَّ النصوص المكتوبة بما في ذلك نصوص الجامعيّين، تجسّد صورًا متنوّعة من التفاعل الحاصل بين الكاتب والقارئ، وتتضمّن مظاهر شتّى من ذلك التفاعل يمكن استثمارها في تعليم الكتابة الجامعيّة. والتفاعل عند طومسون يجري في مستويين: مستوى أوّل غير صريح يتعلّق بإدارة المعلومة، ويظهر فيه الكاتب، مرشدًا للقارئ آخذًا بيده في أرجاء النصّ، مستخدمًا في ذلك طرائق شتّى، منها الروابط التي تهدي القارئ إلى نوع العلاقة التي يُقيمها الكاتب بين مكوّنات نصّه، ومستوى ثان صريح تقوى فيه درجة التفاعل؛ لأنَّ الكاتب اختار أنْ يُشرك القارئ –في إطار التعاون معه–في بناء النصّ وتطويره، وأحسن ما يمثّل ذلك في تقدير طومسون السؤال.

وليس القارئ الذي يتحدّث عنه طومسون بكائن واقعيّ يقطن خارج النصّ، ولا هو بالقارئ المثاليّ الذي تحدّث عنه بعض الدارسين، بل هو قارئ في ثنايا النصّ (reader-in-the-text) يفترضه الكاتب افتراضًا، ويتّخذ شكل الصوت الذي يضمّنه في نصّه، ويسنده إلى القارئ، ويطلع بين الحين والحين من ثنايا النصّ وجنباته، ليفصح عن وجهة نظر غير وجهة نظر الكاتب (ibid : 60). ولهذا القارئ في ثنايا النصّ أدوار كلاميّة يسندها الكاتب إليه عندما يريد أنْ يكون تفاعله معه صريحًا، وهو ما يجعل الأمر شبيهًا بالحوار يكون فيه لكلّ من الكاتب والقارئ أدوار يكمّل بعضها بعضًا، وهو ما يظهر بوضوح في السؤال يُلقيه الكاتب على لسان القارئ، ويُسند إلى نفسه دورًا مكمّلًا، ألا وهو دور المجيب على ذلك السؤال، أو يُجريه على لسانه، ليكون القارئ الجهة التي يصدر منها الجواب، والرأي عند طومسون أنَّ السؤال لا يكون ناجحًا من وجهة نظر تواصليّة وتفاعليّة، إذا لم يحمل في طيّاته ما يثير على تقديم الجواب الذي يطلبه،

ويكفي في النصوص المكتوبة أنْ يُبنى النصّ ويتطوّر، وكأنَّه يتّجه نحو الجواب على ذلك السؤال، وأنْ تتشكّل ملامح القارئ على هيأة تُظهره، وكأنَّه هو الطرف الذي يقدّم الجواب (ibid : 60-61).

واضح إذن أنَّ هناك اتّفاقًا حول أهمّية البعد التفاعليّ في الكتابة الجامعيّة، وأنَّ نجاح الكتابة يتوقّف في جزء منه على مدى قدرة الكاتب على أنْ يعقد حوارًا بينه وبين القارئ، وأنَّ السؤال من أبرز الاستعمالات اللّغويّة التي يستعملها الكتّاب لتحقيق البعد التفاعليّ في النصّ، وإقامة ذلك الحوار، واستحضار القارئ في النصّ، وهو أمر يرجع -في تقديرنا-إلى خصائص يتّسم بها السؤال ويصبح بمقتضاها مؤهّلًا أكثر من غيره للاضطلاع بهذا الدور التفاعليّ، وهو ما نحاول أنْ نتوقّف عنده في القسم الموالي من بحثنا، حتّى نكشف لطلاّب المراحل العليا جانبًا من مهارة الكتابة يتمثّل في القدرة على استخدام السؤال والتفنّن في إلقائه.

**٣- الكتابة الجامعيّة مهارة إلقاء السؤال**

يعتبر الدارسون أنَّ البعد التفاعليّ صفة مغروسة في السؤال، وأنَّه إذا حلّ في الخطابات المكتوبة أضاف إليها بُعدًا تحاوريًّا. وقد عزا (بدرناه) ذلك إلى أنَّ بنية الاستفهام التي يتأدّى بها السؤال أكثر ما يتأدّى، تتضمّن بالقوّة وجود مخاطَب، وهو ما يسمح بالحديث عن تحاوريةّ في النصّ، أو عن تحاوريّة تتّسم بالخفاء والتمويه إذا أردنا التدقيق؛ لأنَّ مدار الأمر ههنا على حوار بين شخصين حُذفت منه علامات المخاطَب حذفًا لم تنطمس بموجبه معالم ذلك الحوار ( Badarneh, 2009 : 646). والسؤال عند هايلاند ليس غريبًا عن الخطاب الجامعيّ. بل هو يحكمه ويُوجّه أعمال الباحثين، إنَّ في المرحلة التي تسبق تشكّلها أو ساعة إنتاجها، فالباحثون يكتبون مقالاتهم وفي أذهانهم جملة من الأسئلة والقضايا التي ينشدون حلّها، وتلك الأسئلة تظهر بين الحين والحين في شكل استفهامات صريحة يلقونها في كتاباتهم (Hyland, 2002 : 529).

من هذا المنظور يمكن أنْ نعتبر البحث في نهاية المطاف القدرة إثارة الأسئلة، والتفنّن في توليد السؤال من السؤال، ولهذا اعتُبر الباحث الجيّد هو الذي لا يفتأ يُلقي السؤال تلو السؤال، ولهذا أيضًا أثنى الأستاذ محمّد الخبو على رسالة أحد طلابه، قائلًا في التقديم الذي تصدّرها حين نُشرت في كتاب مطبوع: "بهذا السؤال صدَّر الباحث عبد المجيد البحري عمله المتعلّق بالرواية الواصفة العربيّة المعاصرة من خلال بعض النماذج، وعلى وقع السؤال أنهى بحثه (...). وبين سؤال البداية وسؤال الخاتمة سؤال في سؤال في سؤال. فبمنطق السؤال صاغ عبدالمجيد بحثه الأكاديميّ، ومن بين أضلاعه يتولّد الجواب دقيقًا. ولكن لا يلبث أنْ يدور على نفسه، فيصير إلى جديد السؤال" (البحري، ٢٠٠٧م: ٥).

وقيمة السؤال في البحث تتجلّى أحسن ما تتجلَّى في تلك التعابير التي يردّدها الباحثون، ويشيرون فيها إلى أنَّ مُنتهى غايتهم من البحث إثارة الأسئلة أوّلًا وقبل كلّ شيء. ولا يهمّ بعد ذلك إنْ عثروا على أجوبة على تلك الأسئلة أو لم يعثروا عليها، هذا ما يجسّده أحسن تجسيد قول أحد الباحثين سائلًا ومعقّبًا على سؤاله: "هل اقتصرت نشأة الأجناس القصصيّة في الأدب العربيّ، من هذا المسلك، على الحكاية المثليّة والحكاية الشعبيّة؟ ليس السؤال مرتهنا بجواب قاطع سلبًا أو إيجابًا. وإنَّما أهمّيته القصوى، بناءً على ما تقدّم، في مجرّد طرحه في حدّ ذاته" (ابن رمضان، ٢٠٠١م: ١٥٨). وعن هذا الوعي بقيمة السؤال في البحث، صدر محمّد الخبو وأنهى تقديم كتابه "أقاصيص تجري في غير مجراها" قائلًا: "وحسب هذا العمل أَنْ يثير السؤال في هذا المجال، لأنَّ السؤال في البحث هو لبّ المقال." (الخبو، ٢٠١٢م: ١٦).

ولا شكّ في أنَّ أوّل ما يساعد الطالب على أنْ يحذق فنَّ استعمال السؤال في بحثه، التعرّف إلى أنواعه، وعلى أشكاله والأبنية التي يرد عليها، والمواضع التي يظهر فيها، ودرجات الحواريّة التي يتّصف بها في ضوء وجود جوابه أو عدم وجوده؛ نعم، تبدأ مهارة السؤال أوّل ما تبدأ بأنَّ يعرف الطالب أنَّ الأمر يتعلّق بوظيفة خطابيّة تتحقّق تركيبيًّا بالاستفهام الذي يمثّل التحقّق الأمثل والأكثر شيوعًا للسؤال، فالسؤال وظيفة والاستفهام شكل، ومن الخطأ أنْ نُقيم بينهما علاقة مطابقة، وممّا يحسن بالطلاّب معرفته تذكيرهم بأنَّ ثنائيّة الشكل والوظيفة كانتْ حاضرة في التعريفات التي قدّمها الدارسون للسؤال، فغلبة المقاييس الشكليّة واضحة عند من يحصره في أبنية الاستفهام وجمله، ويضيف إلى ذلك انتهاء تلك الأبنية والجمل في النصوص المكتوبة بالعلامة المميّزة له، ألا وهي نقطة الاستفهام.

وأوسع من هذا التعريف ذاك الذي يجمع أصحابه بين المقياس الوظيفيّ والمقياس التركيبيّ، لتتّسع دائرة السؤال، وتشمل كلّ جملة غير استفهاميّة يستعملها المتكلّم ليحقّق غرضا تداوليًّا يتمثّل في البحث عن المعلومة أو طلبها، والجمع بين هذين المقياسين يُعين الطلاّب على أنْ يفهموا نوعًا من الأسئلة على غاية من الأهمّية، نعني السؤال البلاغيّ (rhetorical question) الذي يقع في منطقة وسطى بين الإنشاء والخبر، ويدلّ أحسن دلالة على بطلان الرأي الشائع الذي يُحدث قطيعة بين ما هو إنشاء وما هو خبر، فالسؤال البلاغيّ يرد في بنية استفهاميّة، ولكنَّه يؤدِّي الوظيفة التي يؤدّيها الخبر والتقرير. وهذا هو الاستفهام بمعنى الخبر كما ورد عند الزركشيّ في "برهانه"، وكان على نوعين هما: استفهام إنكار يُطلب به إنكار المخاطَب، ومن أمثلته **قوله تعالى:** ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ **(الزمر: ١٩)** (أي لستَ تُنقذ من في النار)، واستفهام تقرير

يُراد به حمْل المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده. ومنه **قوله تعالى**: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ **(القيامة: ٤٠)**، (أي هو قادر على أن يُحيي الموتى).

ومن المسائل التي تساعد الطلاب على حسن استعمال السؤال في بحوثهم، تذكيرهم بأنَّ السؤال يرد في مواضع مختلفة من النصّ، وأنَّ له –وهذا هو المهمّ– وظائف تختلف باختلاف الموضع الذي يحلّ فيه، وهذا ما أشارت إليه (وابّر) عندما تناولت السؤال في مجلات جامعيّة طبّية، ووُجدت صلة بين المواطن التي يظهر فيها السؤال والوظائف التي يُنجزها، فالسؤال حين يرد عنوانًا للنصّ، يثير اهتمام القارئ، وإذا جاء في الفقرة الأولى، كان من قبيل الإطار الذي يوضع فيه النصّ، وإذا تصدّر فقرة من الفقرات، كان علامة على تحوّل في الموضوع أو في زاوية النظر التي يتناول الكاتب منها الموضوع، أمَّا إذا حلّ في نهاية النصّ، فدوره فتح السبيل على المستقبل والإيحاء بأعمال قادمة (Webber, 1994).

ومن المفيد أنْ يدرك الطلاب الفرق بين سؤال يجد القارئ له في النصّ جوابًا إنْ على الفور أو بعد أجل، وسؤال يظلّ معلّقًا، وأنْ يعرف أنَّ الحواريّة في النوع الأوّل من الأسئلة أكثر جلاءً ووضوحًا منها في النوع الثاني، وأنَّ درجة التفاعل ترتفع حين يُترك السؤال من غير جواب. وعلّة ذلك أنَّ السؤال الذي يُشفع بجوابه يحوّل إطار النصّ إلى إطار شبيه بالمحادثة الدنيا التي تتكوّن من تدخلين، ومثل ذلك قول طه حسين متسائلًا، ثمّ مجيبًا: "ولكن ما هذا الأدب الذي ندور حوله منذ بدأنا القول دون أنْ نحاول التعمّق فيه؟ أليس من الخير أنْ نعرفه، لنتبيّن أنَّ من الحقّ اتّصاله بكلّ هذه الدراسات، وأنَّ من الحقّ أنَّ تتجدّد به عناية وزارة المعارف على النحو الذي قدّمنا؟ بلى"(طه حسين، ١٩٨٩م: ٢٢). أمَّا السؤال الذي يُترك من غير جواب، فتترتّب عليه درجة من التفاعل والمشاركة عالية؛ لأنَّه يوفّر للقارئ الفرصة للتفكير في ذلك السؤال وإمكان الجواب عنه.

وحتّى في الجواب الفوريّ عن السؤال، هناك تنويعات وضروب من التفنّن، من المفيد أنْ نفتح أعين الطلاب عليها، كي يدركوا أنَّ أمامهم مجالًا من الاختيار واسعًا، وطرقًا في تصريف السؤال والجواب عنه غير محدودة، فمن وجوه التفنّن في ذلك، أنْ يلقي الباحث السؤال، ليجيب عنه جوابًا أوّل يعبّر من خلاله عن وجهة نظر القارئ، فيتكلّم بلسانه، وينفذ إلى ضميره وأغواره، وجوابًا ثانيًا يبثّ الكاتب فيه شكّه، ويفتح السبيل على إمكانات أخرى في الجواب وفي النظر إلى المسألة التي هي محلّ نظر وتفكير، على هذه الشاكلة جاء جواب ابن رمضان عن أسئلة ألقاها قائلًا: "فهل يستقيم القول، وإلى أيّ حدّ، بأنَّ الشعر كان أنسب للإيديولوجيا السائدة في المجتمع العربيّ

القديم، وبأنَّ القصص إذن كان غير مناسب معها إنْ لم يكن مضادًّا لها؟ (...) لاشكّ في أنَّ الجواب بالنفي هو أوّل ما يتبادر إلى الذهن؛ كلا، فتصوّر الأمور على هذا النحو لا يستقيم لسببين على الأقلّ (...) ومع ذلك، أزعم أنَّ الجواب بالإيجاب عن السؤال المطروح ممكن، ولكن بعد تحفّظات واستدراكات لا شكّ أنَّ المقام لا يتّسع لذكرها، ناهيك عن الخوض في تفاصيلها" (ابن رمضان،٢٠٠١م: ٤٨-٤٩).

ومن مظاهر التنويع أيضًا، أنْ يُجيب الكاتب عن السؤال الذي ألقاه بجواب يُبدي تجاهه تحفظًا واحترازًا، ويعتبره خطوة أولى نحو الوصول إلى جواب يشفي الغليل، يقول ابن رمضان في جواب فوريّ مباشر على سؤال ألقاه: "ما من شكّ في أنَّ جوابًا شافيًا ما أمكن يحتاج إلى تفصيل وتحليل لا يتّسع لهما المقام، وإنَّما إجمالًا يمكن القول: نعم، في هذا التشخيص مقدّمات صالحة للانطلاق في طلب الجواب المنشود" (المرجع نفسه: ١٩٨). وقريب من هذه الطريقة في الإجابة الفوريّة عن السؤال، الجواب "بتعذّر الجواب". والمقصود بذلك أنْ يُلقي الباحث سؤالًا أو مجموعة من الأسئلة، ويجيب عنها بكلام يبيّن فيه أنَّ الظفر بالجواب غير ممكن أو غير مهمّ، وممَّا يدخل في هذا النحو من الجواب قول ابن رمضان على إثر مجموعة من الأسئلة ألقاها حول علاقة الحكاية المثليّة بالرسالة في كتاب "النمر والثعلب"، وذلك في إطار بحثه عن جنس هذا الكتاب: "ليس من الممكن في هذا المقام أنْ نفصّل بقول في الجواب على هذه المساءلة، بل كأنَّي بمثل هذا القول غير مهمّ. ولعلّه غير مطلوب أصلًا. فبقاء الأثر في هذا الوضع ممتنعًا عن التصنيف القاطع النهائيّ حقيق بأنَّ يضاعف من قيمته من وجهة نظر الدراسة الأجناسيّة في بُعدها التاريخيّ بالخصوص" (المرجع نفسه: ١٣٧).

ودرجة التفاعل عالية أيضًا في السؤال البلاغيّ الذي يفترض أنْ يكون جوابه واضحًا ومعلومًا من لدن الكاتب والقارئ، وهذا ما يجعله في تقدير بعض الدارسين أداة تساعد الكاتب في بحثه عن قدر من التوافق والتضامن من طرف قارئه (Hinkel , 1997 : 368). وهو أمر يرجع إلى كون السؤال البلاغيّ طريقة في إلقاء السؤال تنهض على التشديد على المحتوى المضمّن فيه، وعلى إحداث أثر بلاغيّ وأسلوبيّ ناجم عن ذلك التعارض بين شكله (تقرير) ووظيفته (سؤال). وهو تعارض لا يُقصد به تضليل المخاطَب، بل الغاية منه حثّ المخاطَب على إزالة ذلك التعارض على أساس السياق المقاميّ (Badraneh, 2009 : 641).

ففي السؤال البلاغيّ سياسةٌ في الاحتجاج للرأي تقوم على بسط وجهة النظر، ثمَّ الاحتجاج لها أو عليها بدفع المخاطَب نحو وجهة دون أخرى، ما دامتْ وجهة نظر الكاتب ورأيه في المسألة يعبّر عنهما الجواب المعلوم الذي لا مفرّ للقارئ من الإقرار به، وما

أحوجنا في مثل هذا السياق أنْ نستحضر تلك الملاحظات الذكيّة التي أبداها ابن جنّي عندما أورد قوله تعالى: "هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَهْرِ"، ليتوقّف عند الأداة "هل" يرى بعضهم أنَّها أُخرجتْ عن بابها وأصلها الذي هو الاستفهام إلى (قد)، أيْ: إلى التقرير، فيكون معنى الآية: قد أتى عليه ذلك، ويقول ابن جنّي بإمكان "أن تكون مُبقّاة في هذا الموضع على بابها في الاستفهام. فكأنَّه قال: -واللهّ أعلم- هل أتى على الإنسان هذا؟ فلا بدّ في جوابه من نعم ملفوظًا بها أو مقدّرة، أيْ: فكما أنَّ ذلك كذلك، فينبغي للإنسان أنْ يحتقر نفسه ولا يبأى بما فتح له، وهذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه: باللهّ هل سألتني فأعطيتُك؟ أيْ: فكما أنَّ ذلك كذلك فيجب أنْ تعرف حقّي عليك وإحساني إليك" (الخصائص: ٢/ ٤٦٢).

وتشديد ابن جنّي على الوظيفة الحجاجيّة والتبكيتيّة لهذا النوع من الاستفهام، يظهر بوضوح في الباب الذي وسمه بـ(باب في التفسير على المعنى دون اللّفظ) والذي عاد فيه من جديد إلى أداة الاستفهام (هل)، واستدلّ عليه من جملة ما استدلّ **بقوله تعالى**: ﴿**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ. وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدْ**﴾ **(سورة ق: ٣٠)**، قالوا معناه: قد (امتلأتِ) وهذا أيضًا تفسير على المعنى دون اللّفظ، وهل مُبقّاة على استفهامها، وذلك كقولك للرجل لا تشكّ في ضعفه عن الأمر: هل ضعفتَ عنه؟ وللإنسان يُحبّ الحياة: هل تحبُّ الحياة؟ أيْ: فكما تحبّها، فليكنْ حفظك نفسك لها، وكما ضعفتَ عن هذا الأمر، فلا تتعرّضْ لمثله ممَّا تضعف عنه، وكأنَّ الاستفهام إنَّما دخل هذا الموضع ليتبع الجواب عنه، بأنَّ يقال: نعم، فإنَّ كان كذلك، فيحتجّ عليه باعترافه به، فيجعل ذلك طريقًا إلى وعظه أو تبكيته" (الخصائص: ٣/ ٢٦٣).

فواضح من خلال هذين المثالين أنَّ ابن جنّي قد تفطّن لقوّة هذا النوع من السؤال وقدرته على أنْ يكون سلاحًا ماضيًا يستعمله المتكلّم في انتزاع الاعترافات من المخاطب، حتّى يكون ذلك طريقًا إلى وعظه وتبكيته، فلو لم يخرج الكلام في شكل سؤال، لما أمكن أنْ يحمل في طيّاته ذلك الاعتراف والإقرار يُستخلصان منه بالضرورة والقوّة، ولا سبيل إلى إنكارهما.

ولا بأس أنْ نذكّر ههنا الطلَّاب بأنَّ هناك طرقًا يمكن أنْ نخفّف بها من حدّة السؤال البلاغيّ، حتّى يكون أداة يعبّر المتكلّم من خلالها عن رأيه، من غير أنْ يشعر المخاطَب بأنَّ هناك قوّة تمارس عليه، ويكون ذلك على سبيل المثال بأنْ نشفع السؤال بتعليق يراد به إشعار القارئ بأنَّ الحوار لم ينته، وأنَّ مجال التفكير والإضافة مفتوح. ولعلّ هذا ما عناه فرانك حين ذكر بأنَّ قيمة الأسئلة البلاغيّة تكمن في قدرتها على الاضطلاع بدور مزدوج: تقوية ما يريد المتكلّم إثباته وتقريره من جهة، والتلطيف من الخطر الذي يمكن أنْ

يهدّد ماء وجه المخاطَب من جهة أخرى، وهذا ما يحقّق للمتكلّم الانتصار لرأيه، من غير أنْ يعرّض علاقته بمخاطَبه للخطر (Frank, 1990 : 738). ومن أمثلة ذلك قول طه حسين متسائلا، ثمّ معقّبًا: "فإذا كان الأمر على هذا النحو، فهل تظنّ أنَّ من الحزم والفطنة أنْ نقبل ما يقول القدماء في غير نقد ولا تحقيق؟ وقد قدّمنا أنَّ هذا الكذب والنحل في الأدب والتاريخ لم يكونا مقصورين على العرب. وإنَّما حظ شائع في الآداب القديمة كلّها، فخير لنا أنْ نجتهد في تعرّف ما يمكن أنْ تصحّ إضافته إلى الجاهليّين من الشعر، وسبيل ذلك أنْ ندرس الشعر في ألفاظه ومعانيه بعد أنْ درسنا ما يحيط به من الظروف" (طه حسين، ١٩٨٩م: ١٧٣).

ومن المفيد أيضًا أنْ يعرف الطالب أنَّ درجة التفاعل تتضاءل حين يتجرّد السؤال ممّا يُعرف بضمائر التفاعل (interactant pronouns) أو ضمائر القارئ (reader pronouns) على حدّ تعبير هايلاند (Hyland, 2005a : 369)، وترتفع عندما يُجري الكاتب سؤاله على لسان المتكلّم (أنا/ نحن) أو المخاطَب (أنتَ/ أنتم)، فلا شكّ في أنَّ استخدام طه حسين ضمير المخاطَب المفرد في سؤال ورد في معرض دعوته إلى ضرورة أنْ يكون مؤرّخ الآداب مُلمًّا "بتاريخ العلوم والفلسفة والفنون الجميلة، وتاريخ الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة أيضًا"، لا شكّ في أنَّ ذلك يقرّب خطابه من الحوار الذي يكون القارئ طرفه الثاني، وهو ما يُضفي على دعوته وأفكاره حيويّة تقرّبها إلى القارئ، ليُحسّ بها أكثر ويتفاعل معها بقلبه ووجدانه، يقول طه حسين متوجّهًا بالسؤال إلى القارئ: "فهل تزعم أنَّك تستطيع أنْ تفهم همزيّة أبي نوّاس: دعْ عنك لومي، فإنَّ اللّومَ إغراءُ، دون أنْ تعرف النظّام خاصّة والمعتزلة عامّة، وما كان لهم من مذهب وقوّة أيّام أبي نوّاس؟ وكيف تستطيع أن تفهم قوله: "فقلْ لمن يدّعي في العلم فلسفةً ***حفظتَ شيئًا وغابتْ عنك أشياءُ"، إذا لم تعرف أنّه يريد النظّام؟" (طه حسين، ١٩٨٩م: ٣٠).

ولا شكّ أيضًا في أنَّ وراء مخاطبة ابن عبدالجليل القارئ في قالب سؤال جاء في معرض حديثه عن الحداثة، وما جاءتْ به هذه الحداثة من تحوّلات سريعة وعميقة غيَّرتْ حياة الإنسان وكادتْ تعصف به وتقتلعه من جذوره، لا شكّ في أنَّ وراء ذلك نيّة في الزجّ بالقارئ في معمعة القضيّة، ورجَّه رجًّا، وإشراكه في الحيرة التي يعيشها الكاتب نفسه، حتّى يعي خطورة المسألة، ويشعر أنَّ سؤال الحداثة يهمّه ويعنيه، مثلما يهمُّ كلَّ إنسان لا يريد أنْ يعيش خارج التاريخ، يقول ابن عبدالجليل: "وخذْ ما انتظم عندك عقيدة أو استقرّ رأيًا أو بان لك مذهبًا، هل ترى لذلك كلّه ثباتًا، والخبر يُلاحقك من كلّ ناحية، والاكتشافات المعرفيّة والعلميّة لا تنفكّ تقرع سمعك، حتّى تبدّل ما

استصلحتَ. فإذا أنتَ على غير ما كنتَ. فبأيّ رأي قلتَ أوّلًا؟ وبأيّ حدّ مِلتَ ثانيًا؟ ألم تكن فردًا هزمت الجماعة حصنه، واستبدّتْ بك حتّى نطقتَ ببعض ما قالتْ على الأقلّ، وأنت في لجاجة من أمرك؟ " (ابن عبد الجليل، ٢٠٠١م: ٥٣-٥٤).

**٤- مِنْ وجوه توظيف السؤال في الكتابة الجامعيّة**

نحاول في هذا القسم أنْ نقترب أكثر إلى نشاط الكتابة، لنكشف عن دور السؤال في تنمية مهارة الكتابة عند طلاب المراحل العليا، وليعرف الطلاب كيف يتفاعلون معه عندما يستخدمونه، وكيف يوظّفونه لغاياتهم التواصليّة وفي التعبير عن أفكارهم، وكيف يستثمرونه ويتفنّنون في إلقائه، لإنتاج خطابات يسهم استخدام السؤال في ثناياها في جعلها متماسكة وذات طابع حواريّ، لما للسؤال من قدرة على الزجّ بالقارئ في معمعة/ قلب الكتابة، ليغدو طرفًا مشاركًا لا يفتأ المؤلّف يستحضر رغباته وتطلّعاته وما يمكن أنْ يصدر عنه أثناء القراءة من ردود فعل مختلفة، من هذا المنطلق أقمنا بقيّة بحثنا على أسئلة ثلاثة حاولنا من خلال الجواب عنها، أنْ نجيب عن السؤال الذي أثرناه في عنوان البحث: أيّ دور للسؤال في تنمية مهارة الكتابة عند طلاب المراحل العليا، مُستندين في ذلك إلى أمثلة عديدة ومتنوّعة استقيناها من بحوث أنجزها أساتذة خبروا الكتابة الجامعيّة وتمرّسوا بها.

**أ- أيّة أفكار يمكن أن يعبّر عنها السؤال ؟**

يحسن ههنا أنْ ننبّه الطالب إلى أنَّ الأفكار التي يعبّر عنها المتكلّم-أيّ متكلّم-ليست من جنس واحد، فقد تكون الفكرة المعبّر عنها نضجتْ وتبلورت في الذهن وغدت واضحة، وربّما كانتْ دون ذلك الوضوح؛ لأنَّها تتعلّق بظاهرة غير مألوفة أو بواقع يكتنفه الغموض، أو لأنَّها لم تكتمل بعد في وعي صاحبها، فهي لا تزال في طور التخلّق والتهيّؤ للوجود. والفكرة أيضًا هي ملك صاحبها عندما يكون أوّل من عبّر عنها وصدع بها، وهي في أغلب الأحيان من الشائع والمشترك الذي لا يحقّ لأحد أنْ ينسبه إلى نفسه، والفكرة من منظور آخر هي حينًا ممَّا يؤمن المتكلّم به ويدافع عنه ويسعى جاهدًا إلى حمل الآخرين على تصديقها، وهي حينًا آخر ممَّا لا يسلّم المتكلّم بصحّته، ومن ثَمّ تجده يحاول دحضها وبيان فسادها، وإذا كانت بعض الأفكار أقرب إلى الحقائق، ومن ثَمَّ أقرب إلى التصديق، فثمَّة أفكار كثيرة هي مجرّد مزاعم وأوهام، وقبل هذا وذاك لا تُوجد الفكرة إلَّا وهناك تفاعل حاصل معها، وتوجيه لها نحو وجهة معيّنة، وحكم فيها وموقف منها يعبّر المتكلّم عنهما تعبيرًا صريحًا أو نستشفّهما من خلال قرائن لغويّة متعدّدة واستنادًا إلى جملة من الظواهر اللّغويّة والبلاغيّة لعلّ من أبرزها السؤال.

فكثيرًا ما يستخدم الباحثون السؤال للإشارة إلى أنَّهم يعيشون لحظة من القلق المعرفيّ لا يمتلكون فيها أجوبة شافية وكافية حول الظاهرة التي هم بصدد معالجتها. فالحسم في مثل هذه الأوضاع المعرفيّة التي ينعدم فيها اليقين صعب، وصياغة الفكرة المعبّر عنها في غياب الأدلّة القاطعة لا يُحبّذ أنْ تجيءَ في صيغة تقريريّة، إلَّا إذا أراد الباحث أنْ يجازف ويعرّض نفسه لنقد منتظر إذا لم تصحّ مزاعمه في مستقبل الأيّام، وأحسن من ذلك تقديم الأطروحة على أنَّها مجرّد افتراض، كذلك فعل طه حسين حين عرض رأيه المتمثّل في أنَّ القصص أصبح أداة سياسيّة كالشعر، واختار صيغة السؤال حتّى لا يخرج رأيه عن حدود الافتراض ولا يكون قوله حاسمًا في المسألة، فبدل أنْ يقول طه حسين في صيغة جازمة: إنَّ هؤلاء القصّاص لم يكونوا...استفهم قائلًا: "أليس من الحقّ لنا أنْ نتصوّر أنّ هؤلاء القصّاص لم يكونوا يتحدّثون إلى الناس فحسب، وإنّما كان كلّ واحد منهم يشرف على طائفة غير قليلة من الرواة والملفّقين ومن النظّام والمنسّقين، حتّى إذا استقام لهم مقدار من تلفيق أولئك وتنسيق هؤلاء طبعوه بطابعهم ونفخوا فيه من روحهم وأذاعوه بين الناس؟" (طه حسين، ١٩٨٩م: ١٥٢).

و السؤال كان أداة استخدمها فرج بن رمضان في شكل سلسلة من الأسئلة الطويلة والمتفرّعة التي امتدّتْ على أكثر من صفحة، وكانتْ حول الأسباب التي يمكن أنْ تفسّر اختلاف نظريّة الأجناس عند العرب عن نظيراتها الغربيّة، وكان القصد من ذلك الإشارة إلى تشعّب المسألة التي هو بصدد بحثها وصعوبة الظفر بأجوبة لها، وهذا ما عبّر عنه في كلامه الذي جاء عقب تلك الأسئلة، وفيه يقول: "ومهما يكن من أمر، فليس المقصود فصل المقال في هذا السؤال، وإنَّما المهمّ أنَّ هذه الأجوبة المفترضة، وما يمكن أنْ يجري مجراها **تدلّ بوضوح على أنَّنا إزاء ظاهرة مركّبة لا يمكن الجواب عنها في سبب واحد مفرد**، ولا يكون الجواب بدوره بالتالي إلَّا مركّبًا. إنَّ مجرّد طرح هذه الافتراضات أهمّ في الحقيقة من الجواب الحاسم الجامع لأنَّه كاف للدلالة على المقصود: مبلغ التداخل ودرجة الاتّصال القصوى بين مبحث الأجناس الأدبيّة وغيره من مباحث المعرفة الأدبيّة وما يتّصل بها من جهات مختلفة من مباحث الفكر والثقافة عامّة" (٢٠٠١م :٣٣، التشديد من عندنا ).

والسؤال وسيلة يُكثر الباحثون من استعمالها عندما تكون الفكرة التي يعبّرون عنها من صنو تلك الأفكار التي تتعلّق بظواهر وموضوعات يعسر تصنيفها أو وضعها في خانات، مِن غير أنْ يثير ذلك اعتراض المعترضين، كذلك شأن علي عبيد، وهو يثير قضيّة الجنس الأدبيّ في كتاب الأيّام، فلا يجد خيرًا من السؤال للتعبير عن صعوبة الحسم في جنس هذا الكتاب، ولا

يجد بُدًّا من إلقاء السؤال تلو السؤال للإيحاء بتعدّد هويّة هذا النصّ، يقول الباحث سائلًا: "فهل الأيّام قول مباشر ليس له في الأجناس الأدبيّة موقع؟ أم هل هو قصّة لا تتمتّع بمقوّمات القصّة الأدبيّة كلّها؟ أم هل هو غير هذا وذاك؟ أم هل هو هذا وذاك وغيرهما؟ أم هل هو حديث بمفهومه العريق عند العرب؟" (٢٠٠٤م: ٢٩ ). بهذه الروح القلقة نظر أحمد السماوي في التصنيفات التي اقترحها عدد من النقّاد في شأن المقال، فلم يجد فيها مكانًا مريحًا يضع فيه مقالات المازني القصصيّة، وكان السؤال طريقة يعبّر بها عن حيرته إزاء هذه النصوص التي تفيض على التصيف. يقول الباحث: "إنَّ استعراض هذه الأصناف من المقال مهمّ من زاوية كونه يشير إلى الرغبة في التحكّم في هذه الظاهرة الأدبيّة وفي إخضاعها لمعايير مضبوطة تصنّف حسبها، وشأن الناقد دومًا التصنيف بعد الدرس، لكن هل يفي هذا التصنيف بحقّ المقال القصصيّ لدى المازني؟" (٢٠٠٩م: ١٢٩).

والسؤال قرين الأفكار التي تتعدّد حولها الآراء، وتختلف فيها وجهات النظر اختلافًا لا يمكن للباحث الذي يريد أنْ يتحلّى بالموضوعيّة العلميّة أنْ يغضّ الطرف عنه، فمسألة مثل مسألة جذور النثر العربيّ وما يترتّب عليها من معرفة بأصول الخبر، لا يمكن لقلّة الأدلّة وتدافعها في حال وجودها إلَّا أنْ تختلف مواقف الدارسين حولها اختلافًا يورث في نفس الباحث حيرة يترجمها السؤال أحسن ترجمة، وهذا ما جاء على لسان محمّد القاضي مستفهمًا في الفقرة التي سبقتْ عرضه مواقف الدارسين من نشأة النثر العربيّ: "وممَّا يبرّر البحث في أصول الخبر أنَّنا نجد في القرن الثالث للهجرة أخبارًا متطوّرة مع الجاحظ مثلًا، كما نجد أخبار الأغاني في القرن الرابع الهجري وقد بلغتْ من النضج مبلغًا عظيمًا (...)، فنحتار في أمر هذه الأخبار، أهي وليدة القرن الثالث أو حتّى القرن الثاني أم إنَّ لها جذورا سابقة؟ (١٩٩٨م: ١٢٤).

**ب- أيَّة علاقة يمكن للسؤال أنْ يُقيمها بين الكاتب والقارئ؟**

لقد آن الأوان لكي يعي طلبتنا، ولا سيَّما طلَّاب الماجستير والدكتوراه بأنَّ دورهم لا يقتصر على مجرّد إنتاج نصوص يتناولون فيها ظواهر في الطبيعة والمجتمع، بل يتعدّى ذلك إلى استعمال اللّغة قصد بناء علاقات اجتماعيّة، أو التفاوض في شأن علاقات أخرى موجودة بهدف تغييرها (Hyland,2005:364). وهذا ما يجعل جزءًا مهمًّا من نجاح كتابات الطلاب وقدرتهم على الإقناع يتوقّف على نوع العلاقة التي ينشئونها مع القارئ، ومدى سيطرتهم على هذا البعد العلائقي في الكتابة الذي يسهم فيه السؤال بدور بارز، وأوّل وظيفة ينهض بها السؤال في هذا المستوى إثارة انتباه القارئ والتلويح بالموضوع الأساسيّ الذي سيدور عليه البحث، ويحدث ذلك أكثر ما يحدث في

العناوين الكبرى للمقالات أو البحوث أو العناوين الفرعيّة للأقسام أو الفقرات.

ومن أمثلة ذلك عنوان هذا المقال: "محلّ الحركات من الحروف معها أم قبلها أم بعدها؟" (المهيري، ٢٠٠١م: ١٣). فلا شكّ في أنَّ هذا العنوان الذي هو في الأصل عنوان باب من أبواب كتاب الخصائص لابن جنّي، من شأنه أنْ يُثير انتباه القارئ المتخصّص ويدفعه إلى إعادة التفكير في مسألة كان يظنّ أنَّها محسومة، فمن المعروف أنَّ الحركة صوت كالحرف، وأنَّ سؤالًا مثل هذا السؤال، إذ يشكّ في إحدى البديهيّات الصوتيّة، فلأنَّ في التراث مواقف كانت تقول بخلاف الرأي السائد، على بيانها سينصبّ جهد الباحث في متن المقال.

وقد يكون السؤال حين يرد عنوانًا للبحث طريقةً يعمد إليها الباحثون لجرّ القارئ جرًّا ليّنًا ولطيفًا من دائرة المعارف والمواقف الجاهزة التي يمتلكها وينظر إليها على أنَّها من الحقائق والبديهيّات، إلى دائرة المعارف الجديدة التي يلوّح بها الباحث في العنوان ويبسطها في متن المقال، على هذا النحو جاء أحد عناوين مقالات عبد المجيد الشرفي نعني بذلك: "الإسلاميّون أعداء التحديث أم ضحاياه؟" (١٩٩٢م.) فواضح من خلال هذا العنوان أنَّ الباحث يريد من قارئه ألَّا يظلّ ينظر إلى علاقة الإسلاميّين بالتحديث بعين واحدة لا ترى من تلك العلاقة إلَّا نصفها، وأنْ يهيّئ نفسه إلى أنْ يجد في متن المقال وجهة نظر جديدة تختلف عمَّا هو شائع وسائد.

والسؤال من أمضى الأدوات التي يستخدمها الباحثون لاستحضار القارئ والزجّ به في صلب القضيّة المثارة، حتّى يشعر بأنَّه طرف فاعل يدخل في حوار مع الكاتب، ويشاركه في إثارة المسائل والبحث لها عن أجوبة (Hyland,2004 : 126). وهو أمر تراه وابر من المواضعات التي ينبغي على كلّ مبتدئ في الكتابة أنْ يتعلّمها والتي تندرج ضمن مواضعة كبرى تتمثّل في ذلك القدر من التواضع الذي يجب على نبرة الباحث أنْ تصطبغ به، لكي يحصل للقارئ انطباع بأنَّه قريب من الكاتب لا تنقصه معرفة ولا تعوزه قدرة على التفكير (Webber,1994 : 264). ومن أوضح الطرائق المعتمدة في ذلك استخدام ما يعرف بضمائر القارئ (reader pronouns) في صلب السؤال، من نحو نحن الجامعة (inclusive we)، التي ينصهر فيها الكاتب والقارئ معًا، ويغدو السؤال بمقتضاها كأنَّه عمل ساهم القارئ في إنجازه، ومثل ذلك قول أحد الباحثين مستفهمًا: "وماذا يفيدنا معرفة أنَّ داروين كان المنظّر الحديث للتطوّريّة (...)؟ ماذا يفيدنا كلّ ذلك في صدد ما يريد البرهنة عليه؟" (العجيمي، ١٩٩٨م: ٥٤٤).

وألطف من هذه الطريقة أنْ يجعل الباحث السؤال يجري على لسان القارئ، ومن أمثلة ذلك أيضًا قول

العجيمي أثناء عرضه مشروع محمّد بنّيس النقدي: "ولا يسع القارئ، وقد انتهى إلى هذا الحدّ من التحليل إلّا أنْ يتساءل عن علاقة ذلك بالمفاهيم التي يريد أنْ يبيّن أسسها الابستيمولوجيّة؟ هل انتهى إلى إقناعنا باستقامة التحليل؟" (نفسه: ٥٤٥). فصياغة السؤال على هذا النحو تُظهر الكاتب قريبًا من قارئه، عليمًا بما يمكن أنْ يختلج في صدره من أسئلة، بل وباللّحظة التي لم يعد هذا القارئ بعدها يصبر على تأجيل السؤال.

والسؤال أداة يستعملها الباحثون لتلطيف ما ينجزونه من أعمال لغويّة يمكن أنْ تشكّل خطرًا على ماء وجه القارئ، شأن الأمر والنصح اللذّين يضعان القارئ في منزلة دون منزلة الكاتب، فضلًا عمّا فيهما من تكليف وحمْل له على القيام ببعض الأعمال التي قد تتعارض ورغباته، بهذا نفسّر ذلك الكمّ الهائل من الأسئلة المتلاحقة التي أثارها علي عبيد على امتداد أكثر من صفحة، والتي إنْ جوّدنا فيها النظر ألفيناها مجموعة من الأوامر تدعو القارئ إلى أنْ يترك ما "قاله الدارسون عن مقوّمات السيرة الذاتيّة في كتاب الأيّام"، وأنْ يعوّل على النصّ ذاته وما جرى فيه من ألفاظ ذات حمل اصطلاحيّ أجناسيّ، يقول الباحث: "لماذا نضيّق أفق القراءة ونتقيّد بما اطّلعنا عليه من الدراسات التنظيريّة التي لم يفكّر أصحابها يومًا في أنْ يقيّدوا القرّاء ويحرموهم من حقّهم في المشاركة الفاعلة في الإبداع؟ ولماذا لا ننطلق من النصّ (...)؟ ولماذا لا نسمع ما قاله طه حسين في التقديم (...)؟ ولماذا لا نستمع في النصّ إلى ما يهمس به مصطلح الأيّام (...)؟ ولماذا لا نسمع ما تهمس به المصطلحات التي حلّت في هذا النصّ محلّ اسم الشخصيّة الرئيسيّة (...)؟ ولماذا لا نقتحم في النصّ خفايا عالم الخطاب البصريّ في الكتابة القصصيّة عند الأعمى؟" (٢٠٠٤: ٢٦-٢٧. وانظر أيضًا الصفحتين: ٤٩-٥٠).

والباحثون مثلما يستخدمون السؤال أداة لتلطيف بعض الأعمال اللّغويّة حتّى لا ينال القارئ بسبب إنجازها سوء، فإنّهم في كثير من الأحيان يلجؤون إلى بعض الطرائق لترويض عمل السؤال نفسه، والحدّ من الخطر الذي يمكن أنْ يترتّب عليه، تجنّبًا لما قد يلحق القارئ من أضرار محتملة، فلا ننسى أنَّ السؤال في الأصل وعندما يجري على الحقيقة من الأعمال التي وضعها سيرل (searle) في خانة الطلبيّات، واقترح جملة من الشروط إذا لم تتوفّر أخفق المتكلّم في إنجاز هذا العمل، والسؤال في تصوّر أوركيوني (Orecchionni) عمل لغويّ ذو خطر مضاعف، فهو يشكّل خطرًا على ماء وجه المخاطَب السلبيّ، لأنَّ فيه انتهاكًا لفضائه الخاصّ وما يملكه من معلومات ربّما لا يريد إفشاءها. وخطر هذا العمل اللّغويّ على ماء وجه المخاطَب السلبيّ منتظر، لأنَّه يضع المتكلّم في مرتبة من يسأل، والمخاطَب في موضع من لا مناص له من الجواب،

وليس المتكلّم في نجوة من خطر السؤال، ففي عمل السؤال الذي يأتيه المتكلّم إقرار ضمنيّ بأنَّه يفتقر إلى المعلومة، وتعويل على المخاطَب كي يسدّ ذلك النقص (٢٠٠٣م: ٨٧-٨٨).

فإذا أضفنا إلى هذا ما يقترن في ثقافتنا بكثرة السؤال من معان سلبيّة كالإعنات وقلّة الأدب، فهمنا ما يستعمله الباحثون من أساليب متعدّدة الجامع بينها التماس مبرّرات لإنجازهم عمل السؤال، ولا سيَّما في الحالات التي يكثر فيها ويتناسل (ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، انظر تحديدًا: "باب ما يُكره من كثرة السؤال وتكلّف ما لا يعنيه، **وقوله تعالى:** ﴿ **لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ** ﴾ (**المائدة:** ١٠١ ) . ويكون التبرير أحيانًا بإضفاء قدر من الشرعيّة على عمل السؤال إذا طال وتشعّب وأوغل في التجريد والافتراض، حتّى يكون حقًّا من حقوق الكاتب لا يلومه القارئ إذا مارسه، ومن أمثلة ذلك قول فرج بن رمضان: "بالنظر إلى الديباجة الرسائليّة التي تتصدّر الكتاب، وإلى ما تقدّم بناء على ذلك من إمكانيّة اعتبار النمر والثعلب رسالة قصصيّة عاديّة، ثمَّ في ضوء ما سبق توّا بصدد الرسائل الثمانية، **يحقّ لنا هاهنا أنْ نتساءل:** هل نحن بإزاء حكاية مثليّة تستخدم الرسالة الديوانيّة لبناء حبكتها، أم نحن إزاء رسالة أدبيّة تبدأ عاديّة على منوال رسائل الجاحظ بديباجتها، ثمَّ لا تلبث ومن حيث تنفتح لتضمّن حكاية مثليّة، أنْ تتخصّص في الأدبيّة لتندرج في خانة الرسالة القصصيّة، إنْ لم تكن النصّ المؤسّس لهذا الجنس حقًّا؟" (٢٠٠١م: ١٣٧).

ومِن لطيف حيل الباحثين في هذا الباب التظاهرُ أمام القارئ بأنَّ الأسئلة الكثيرة التي يثيرونها مفروضة عليهم، وليس لهم من إلقائها بدّ، على هذا النحو برّر أحمد السماوي أسئلته الستّة التي ألقاها دفعة واحدة، وكان مدارها على الفرق بين الاستدلال الجدليّ والاستدلال الخطابيّ، وحظّ المقال القصصي مِن كلّ واحد منهما، يقول الباحث بعد إلقاء ذلك الكمّ من الأسئلة الممتدّة على نصف الصفحة: "إنَّ هذه الأسئلة التي **تعرض لنا** ونحن بصدد النظر في المقال القصصيّ نظريًّا **يفرضها** وجود المقال على مقربة من خطاب الضمير ، أيْ: من الخطاب الذي يستند إلى نوع من القياس (...). **ويفرض هذه الأسئلة** أيضًا وجود المقال في منزلة بين المنزلتين (...) **ويستوجب هذه الأسئلة** كذلك الانتقال من النظر في الخطابة التي تقوم على المشافهة وعلى الاتّصال بالجمهور اتّصالًا مباشرًا، إلى النظر في المقال الذي يقوم على المكتوب" (٢٠٠٩م: ٢٦-٢٧، التشديد من عندنا).

وإظهار السؤال على أنَّه عمل لا يُقدر الكاتب على ردّه والتنصّل منه، آليّة يستخدمها الباحثون في المقامات التي يدخلون فيها في نقاش مع القارئ المتخصّص الذي يُعدُّ من أهل الميدان، حتّى يخفّفوا من

حدّة التوتّر الذي يمكن أنْ ينجم بسبب اختلاف وجهات النظر. بهذه الآليّة توسّل فرج بن رمضان حين اعترض على ربط (طودوروف) حضور أجناس الخطاب وغيابها بالإيديولوجيا السائدة في المجتمع، يقول الباحث: "أمَّا إذا نظرنا إلى قول (طودوروف) من خارج المؤسّسة النقديّة، ودونما حسّ ضدّي وإنَّما بحسّ نقديّ قوامه فكّ الارتباط بين المؤسّسة النقديّة والمجتمع (...)، **فلا مناص عندئذ من مساءلته** على النحو الآتي: أين تتنزّل إذن الأفعال الكلاميّة التي تخرج من دائرة ما يختاره المجتمع ويسنّنه؛ لأنَّها لا تتناسب مع إيديولوجيّته؟هل إنَّ وضعيّة اللاّتمأسس (..)؟ أم تعني مثلا مجرّد ...؟" (٢٠٠١م: ١٤٥، التشديد من عندنا).

وهذا النوع من التفاعل الذي يمكن للسؤال أنْ يُقيمه بين الكاتب والقارئ، ينبغي ألَّا يحجب عنَّا نوعًا آخر من التفاعل يكون للسؤال فيه دور مهمّ في إظهار الخلاف وتعميق التوتّر بين الكاتب وقارئ بعينه، ويحدث ذلك -أكثر ما يحدث- في الخطابات الجامعيّة التي يطغى عليها السجال، فتكون أقرب إلى كتابة الخصومات والردود بهذه الوظيفة نهض السؤال في هذه الجمهرة من الأسئلة التي أثارها طه حسين عقب استشهاده بفقرة من مقال مشترك كتبه عبد العظيم أنيس ومحمود أمين العالم ردًّا على طه حسين، ونُشر آنذاك في صحيفة (المصريّ). يقول طه حسين سائلًا: أعربيّ هذا الكلام أم سريانيّ؟ أيمكن أنْ يقرأه الرجل المثقّف (...)، فيخرج منه بطائل ويحصل منه شيئًا يمكن الاكتفاء به والوقوف عنده للتأمّل والمناقشة؟ وما عسى أنْ يكون هذا العمل الأدبيّ؟ وما عسى أنْ يكون قلبه؟ وما عسى أنْ تكون هذه العمليّات الداخليّة التي تقع في قلب العمل الأدبيّ؟ وما عسى أنْ يكون اشتباك هذه العمليّات وإفضاء بعضها إلى بعض ليكمل بها العمل الأدبيّ ويستقيم كائنًا عضويًّا حيًّا؟" (١٩٨٢م: ٩٣).

فسخرية طه حسين من خصميه واضحة، ودور السؤال في إظهار هذه السخرية غير خاف. بل إنَّ في الإكثار من السؤال والمواظبة عليه على ذلك النحو، وتوليد السؤال من السؤال، محاكاةً ذكيّةً من طه حسين لما جاء عليه أسلوب المردود عليهما من تعقيد يجعل القارئ لا يقدر على فهم تصوّرهما للأدب وللعمل الأدبيّ، ولا يستطيع أنْ يخرج من مقالهما بطائل، ومن ثَمَّ لا يمكن أنْ يكون تفاعله مع هذا المقال إلَّا من صنو ردّ فعل المثقّفين في القرون الوسطى الأوروبيّة، فقد كان هؤلاء "يجهلون اليونانيّة فإذا عثروا على ما هو مكتوب بالحروف اليونانيّة تركوه، وقال بعضهم لبعض: يونانيّ فلا يُقرأ" (نفسه: ٩٣).

### ج- أيّ دور للسؤال في بناء علاقات نصّية مختلفة؟

لا يقف دور السؤال في الكشف عن نوع التفاعل الحاصل بين الباحث والفكرة التي يبسطها ويتناولها

بالدرس من جهة، وبينه وبين القارئ من جهة أخرى. بل يتعدّى ذلك إلى أدوار نصّية تتعلّق ببناء النصّ وتطوّره، وما ينشأ بين عناصره وأقسامه من علاقات شتّى، وأوّل وظيفة ينهض بها السؤال في هذا المستوى مساعدة الباحث على تنظيم أفكاره وإخراجها في النصّ في ترتيب يُعين القارئ على تتبّعها، والتقاط الخيط الذي ينتظمها والمسار الذي توخّاه المؤلّف في سوقها، وتبيّن نوع العلاقات التي تربط بعضها ببعض، فدور السؤال ههنا شبيه بدور الروابط النصّية التي تجعل مكوّنات النصّ بعضها يأخذ برقاب بعض (Webber,1994 : 267). وأحسن مثال على ذلك إلقاء الباحث عددًا من الأسئلة في نهاية الفصل أو الباب ليكون الفصل أو الباب المواليين جوابًا عنها، يقول محمّد القاضي في آخر الباب الأوّل من أطروحته: "ولكنّنا قبل أنْ نباشر العمل على مدوّنة محدّدة، فنتحاور معها، ونحاول استخلاص خصائصها، سنعمل على إثارة جملة من قضايا الخبر، فهل بإمكاننا أنْ نحدّد أصول الخبر وبداياته؟ وما علاقة الخبر بالمشافهة والتدوين؟ وهل أثّر (...)؟ وفي أيّ مستوى؟ وهل اضمحلّت المشافهة (...)؟ وما دور مؤلّفي كتب الأخبار (...)؟ هل هم مجرّد كتبة (...)؟ إنَّ هذه القضايا التي تضعنا في صميم الخبر هي التي عليها سيكون مدار المرحلة التالية من هذا العمل" (١٩٩٨م: ١١٩).

فلا شكّ في أنَّ السؤال – وهو يرد في مثل هذا الموضع مقترنًا بذلك التمهيد ومشفوعًا بذلك التعليق–يلعب دورًا مهمًّا في توثيق عرى الصلة بين أبواب البحث مهما طالتْ، وفي تأمين النقلة من محطّة في البحث إلى أخرى تليها، حتّى لا يكون التحوّل مفاجئًا، وهذا ما يلحظه القارئ بيسر حين يتحوّل إلى قراءة الباب الثاني، ويكتشف أنَّ تلك الأسئلة قد تحوّلت إلى عناوين فصول ثلاثة هي: (أصول الخبر)، و(المشافهة والتدوين)، و(دور المؤلّف).

ومثلما ييسّر السؤال حركة التنقّل بين أقسام البحث الكبرى المتمثّلة في الأبواب والفصول، يكون له دور مهمّ في تنظيم حركة الأفكار ومسارها داخل الفصل الواحد، وهو ما يجعل من السؤال علامة على أنَّ المؤلّف أنهى فكرة، وتهيّأ للتحوّل إلى فكرة أخرى من خلال إثارة سؤال أو عدد من الأسئلة تأتي في نهاية الفقرة، ويتمّ الإجابة عنها في الفقرة التي تليها، وبهذا تغدو المادّة التي يحتوي عليها الفصل مراوحة بين سؤال وجواب، على هذا النحو جرتْ حركة الفقرات في الفصل الأوّل من كتاب (المقال الأدبيّ)، فقد قسَّم أحمد السماوي هذا الفصل الموسوم ب(المقال نظريّا) إلى خمس فقرات كبرى معنونة احتوى عدد منها على فقرات فرعيّة جاءت بدورها معنونة، وقد كان السؤال استعمالًا واظب الباحث عليه في كلّ مرّة ينتقل فيها من فقرة إلى أخرى، فقد ختم الباحث تمهيد الفصل بهذا

السؤال: (فما المقال الأدبيّ؟)، (٢٠٠٩م: ٣٥)، ليجيب على ذلك في الفقرة الأولى المعنونة ب(المقال عصيّ على الحدّ). وهذه الفقرة أنهاها بالسؤال التالي: "فهل هو [المقال الأدبيّ] من قبيل الخطابات الأدبيّة، أم هل هو من قبيل الخطابات التي تُولي الرأي والظنّ الأولويّة؟" (نفسه: ٣٨)، وكان جوابه عن ذلك السؤال في الفقرة الثانية المعنونة ب"المقال خطاب ضمير" (نفسه: ٣٩-٥٣)، والمنتهية بهذا السؤال: "فهل من شأن المعيار الثالث والأخير أنْ يوفّر الصورة المتكاملة لهذا الجنس الأدبيّ المستحدث؟" (نفسه: ٥٣). وقد جاء الجواب في الفقرة الموالية المعنونة ب"المقال مختلفًا عن الخطاب الهجائيّ" (نفسه: ٥٤)، وهو جواب لم يُشف غليل الباحث، لذلك انفتحت هذه الفقرة الثالثة في نهايتها على سؤال آخر صاغه الباحث على النحو التالي: "فكيف السبيل إلى إيجاد موقع قدم للمقال في أحد فرعي هذا الأدب، الأدب التخييليّ والأدب المرجعيّ؟" (نفسه: ٥٧). وقد أجاب الباحث إجابة أولى في الفقرة الرابعة المعنونة ب"المقال خطابًا مبرقشًا" (نفسه: ٥٧-٦١)، وإجابة ثانية في الفقرة الخامسة المعنونة ب"المقال خطابًا غيرَ تخييليّ" (نفسه:٦١-٧١)، بعد أنْ مهَّد لذلك بسؤال أنهى به الفقرة الرابعة وأثاره على النحو التالي: "فكيف أثّرت هذه الأصول جميعها، وتلك الغاية المرتقبة منه لدى المتلقّي في طابعه الأجناسيّ المميّز؟" (نفسه:٦١).

ودور السؤال مهمّ في إنشاء علاقات منطقيّة بين أجزاء النصّ لعلّ من أبرزها علاقة الإجمال-التفصيل. فكأنَّ الباحث يقدّم في مرحلة أولى أفكاره في صيغة مجملة ومكتنزة تتمثّل في السؤال، ثمّ يبسط القول ويفصّله في مرحلة ثانية في شكل جواب عن ذلك السؤال، على هذا النحو جاء الفصل الدائر على الشعوبيّة ونحل الشعر، فقد افتتحه طه حسين بالسؤال التالي: "والشعوبيّة، ما رأيك فيهم، وفيما يمكن أنْ يكون لهم من الأثر القويّ في نحل الشعر والأخبار وإضافتها إلى الجاهليّين؟" (١٩٨٩م: ١٦٠). وكانت بقيّة الفصل تفصيلًا لهذه الفكرة العامّة التي أثارها السؤال على نحو مجمل، وعلى هذا النظام ورد الفصل المتعلّق بشعر اليمن، فكانت البداية فكرة عامّة في قالب سؤال: "وهل لليمن في الجاهليّة شعراء؟" (نفسه: ١٨٠). أمَّا بقيّة الفصل فإجابة ضافية وعرض مفصّل لمختلف الآراء وتتبّع للفكرة في جزئيّاتها وتفاصيلها (نفسه: ١٨٠- ١٩٤).

وللسؤال دور غير مباشر في ضبط محطّات النصّ وتحديد مفاصله الكبرى يظهر من خلال إثارة الباحث عددًا من الأسئلة يشفعها قبل الإجابة عنها بملاحظات هي من قبيل الخطاب على الخطاب الذي يبدو فيه الباحث حريصًا على تصميم نصّه وإخراج إجاباته في شكل منظّم، وهذا ما يجسّده قول أحد الباحثين: "كيف طرحت قضيّة أصل الأجناس الأدبيّة

لدى عامّة الباحثين؟ وإلى أيّ حدّ بلغت عناية دارسي الأدب العربيّ بها؟ وإلى ما أفضت من نتائج؟ ثمَّ إلى أيِّ مدى يمكن اعتمادها والبناء عليها؟ **في محطّتين متتاليتين من هذا الفصل** محاولة في الجواب على هذه التساؤلات وما قد يتفرّع منها" (ابن رمضان، ٢٠٠١م: ٤٢، التشديد من عندنا).

والسؤال في بعض كتابات الباحثين يتحوّل بدوره إلى نصّ مطوّل مكوّناته جمل استفهاميّة، ولا شيء آخر غير الاستفهام، فالسؤال يتولّد منه آخر، لتتتالى الأسئلة وتتناسل في ضرب من التداعي وفي حركة تكاد لا تعرف نهاية، ومن أمثلة استرسال الباحث في السؤال هذه الدفعة من الأسئلة التي أثارها حسن القرواشي، وكانتْ ستّة عشر سؤالًا نكتفي منها بخمسة، يقول الباحث: "إلَّا أنَّ اعتباره [يعني الكتاب المقدّس] يتضمّن إلى جانب يسوع المسيح كمال الوحي كلام اللهّ يثير مجموعة من الصعوبات، كيف تحوّلت العبارة الإلهية إلى عبارة إنسانيّة؟ وما هي الكيفيّة التي بها يمكن أنْ نبرّر هذا التحوّل؟ هل ظلّ كلام اللهّ عندما تحوّل إلى ملفوظ بشريّ على حالته الأصليّة أم تغيّر؟ وفي صورة التغيير وهذا أمر وارد، هل يحتوي الكتاب المقدّس على كلاكم اللهّ أم على كلام بشريّ؟ (...) هل استفادت [السلطة الكنسيّة التعليميّة] أخيرًا من مكتسبات المعرفة الحديثة، وعدّلتْ بالتالي مواقفها أم ظلّتْ تعتبر إرثها ومنهجها في الفهم والتأويل فوق التاريخ ولا يخضع للمتغيّرات"؟ (٢٠٠٥م: ٣٢١).

فواضح أنَّ الباحث ههنا يثير إشكالًا على غاية من الخطورة، وليس له من جواب إلَّا حفنة من الأسئلة ينثرها تباعًا ليكتشف القارئ مع كلّ سؤال قضيّة كبرى تضيف الحيرة إلى الحيرة، وتفتح الكتاب المقدّس على مدارات جديدة من القراءة والتأويل، فكأنَّ الباحث إذ يمضي قدمًا في السؤال ويسترسل فيه، يكتشف نحوًا من القول مختلفًا وبنية نصّية غير مألوفة تتّسع للحيرة التي تعصف به، ولا يقدر على حملها إلَّا السؤال.

## الخاتمة

يزخر تاريخ العلوم بأمثلة كثيرة من الحقائق التي ما إنْ صدع بها أصحابها حتّى لاقوا صدًّا من الناس قويًّا وصل في بعض الأحيان إلى الاتّهام بالزندقة والحكم بالحرق أو الإعدام، وفي ذلك آية على أنَّ الأفكار وإنْ كانتْ من الحقائق لا تُحرز دائمًا على رضا الناس وثقتهم إلَّا بعد أن يدافع عنها أصحابها دفاعًا مستميتًا يحتاجون فيه إلى الاستعانة بقدر من البلاغة يساعد على تزيينها في عيون الآخرين والتمكين لها وإشاعتها في صفوف الأوساط العلميّة وعند عامّة الناس، حتّى تجد طريقها إليهم ويُذعنوا لها إذعانًا.

حقيقة من باب أولى وأحرى أنْ يعيها طلابنا، كي يدركوا أنَّ المقال الجيّد ليس بالضرورة هو الذي يحتوي

على أفكار جيّدة، وأنَّ للبلاغة دورًا في أداء الأفكار، بل هي جزء منها، فالفكرة بدون قدر من البلاغة، تغدو ضعيفة لا حول ولا سلطان لها على القارئ. والسؤال وجه من وجوه هذه البلاغة، إذا عرف الطالب كيف يستخدمه ويطوّعه لأغراضه، وفطن لمختلف وظائفه وأبعاده، وأحسن استثماره في ما ينتجه من خطابات جامعيّة، ملك جزءًا من ناصية بلاغة الخطاب الجامعيّ التي تتجلّى في الكيفيّة التي يعبّر بها الطالب عن أفكاره ومواقفه تجاه تلك الأفكار، وفي نوع العلاقة التي يشيّدها مع قارئه، وفي ما يعقده بين مكوّنات ذلك الخطاب من علاقات مختلفة تضفي عليه قدرًا من الانسجام والتماسك.

أجل، لقد كان منطلقي في هذا البحث الدائر على السؤال الاعتقاد بأنَّ الكتابة الجامعيّة تتطلّب إلى جانب المهارات المعروفة التي فصّل القول فيها المؤلّفون في مناهج البحث العلميّ وتحرير الرسائل الجامعيّة، مهارة أخرى لم أجد في تلك المصنّفات من يتحدّث عنها ويدرك قيمتها ويحاول تعليمها، حتّى يكتسبها الطلاب والباحثون المبتدئون. أعني بذلك وعيٌ بالقارئ ساعة الكتابة، إذا تسلّح به الباحث اتّصف نصّه بدرجة عالية من التفاعل، وكان ذلك من الأسباب التي تيسّر انخراط الباحث في الجماعة الخطابيّة التي يريد أنْ يكون فردًا من أفرادها يقدر على إنتاج خطابات إذا قرأها أهل الاختصاص، وجدوها قريبة منهم، ووجدوا فيها ما يغني معارف اختصاصهم ويضيف إليها.

والتفاعل في بحثي مهارة من ألطف مهارات الكتابة الجامعيّة، والسؤال عندي من أهمّ ما يُعين على اكتساب تلك المهارة وتنميتها عند الباحثين المبتدئين، والرؤية التي صدرتُ عنها في هذا البحث ونظرتُ من خلالها إلى الخطاب الجامعيّ غير تلك التي تُسفر عنها مصنّفات مناهج البحث العلميّ. نعم، لقد كانت الكتابة الجامعيّة في تلك المصنّفات مجرّد قواعد يراد بها ضبط أصول البحث و(تحصين قلاعه). وكانتْ نبرة النصح والتوجيه هي الطاغية أثناء تقديم تلك القواعد، وكانت الأنشطة التي تسبق تحرير الرسالة وتعقبها من نحو جمع المادة وإعداد الجذاذات والفهارس وقائمة المصادر والمراجع وطباعة الرسالة وغير ذلك من المسائل التقنيّة، كان ذلك من أكثر ما يشغل بال مؤلّفي تلك المصنّفات. وكانت الكتابة هي الغائبة، وحتّى إذا جرى الحديث عنها، ففي شكل قواعد عامّة يُكتفى فيها بدعوة الباحث إلى أنْ يتوخّى أسلوبًا واضحًا ودقيقًا، وأنْ يجعل لغته تطابق فكرته، وأنْ يُحكم الربط بين جمله ويُحسن الانتقال من فقرة إلى أخرى، وغير ذلك من القواعد التي لا أراها تزجّ بالطالب في قلب الكتابة، ولا تساعده على تقحم هذا النشاط الذي يمارسه وفهم طبيعة الخطاب الذي ينتجه.

من هذا المنطلق، وتجاوزا لهذه الرؤية التي اختزلت الخطاب الجامعيّ في تلك الأبعاد الشكليّة والقواعد العامّة، ومن ثَمَّ ساهمتْ في تبعيد فعل الكتابة عن الطلاب بدل أنْ تقرّبه إليهم، من ذلك المنطلق وتجاوزًا لتلك الرؤية، تناولتُ السؤال واكتفيتُ به مثالًا على ما أردتُ أنْ أقيم الدليل على صحّته ووجاهته، أعني بذلك التصوّر الذي يجعل الخطاب الجامعيّ بسبب من الذات الكاتبة التي تنتجه، والجمهور الذي يتلقّاه ويتفاعل معه، والاختصاص الذي ينضوي تحته، والمؤسّسات التي ترعاه وتشكّل ملامحه.

نعم، لقد كان السؤال عندي أداة يكتسب الطالب من خلالها مهارة التفاعل مع القارئ. وكانتْ إحدى غاياتي في هذا المقال الانطلاق من السؤال لتنمية مهارة الكتابة من خلال تطوير وعي الطلاب بالجمهور الذي يستقبل كتاباتهم ويتفاعل معها، وتنمية قدرتهم على استثمار ذلك الوعي في تحرير رسائلهم الجامعيّة ومقالاتهم العلميّة، كي تعكس بدورها حرصهم على استحضار القارئ ومدى وعيهم به، وقد ذكرتُ في هذا السياق بالرأي الذي يربط نجاح الكتابة ونجاعتها بالتوجّه إلى قارئ بعينه على قدر ما تتّضح صورته في الذهن، تسهل مهمّة البحث والاهتداء إلى الصوت المناسب الذي يحسن تبنّيه وكتابة النصّ به، وإلى الطرائق التي يتوخّاها الباحث في بسط أفكاره وتشييد صورة لنفسه تحظى بالاحترام والتصديق، وفي بناء نصّه وتطويره على نحو يكون فيه ناجعًا ومفيدًا للقارئ.

وجعلي السؤال بسبب من البعد التفاعليّ في الكتابة، واعتباري إيَّاه من أبرز الاستعمالات اللّغويّة التي تسم الكتابة بقدر من التفاعل وتقيم في ثناياها حوارًا بين الكاتب والقارئ، قاداني إلى القول بأنَّ الكتابة الجامعيّة في وجه من وجوهها تقوم على مهارة إلقاء السؤال، وأنَّ ما يساعد على اكتساب تلك المهارة تعريف الطالب بأنواعه، وبالأشكال والأبنية التي يرد عليها، والمواضع التي يظهر فيها، ودرجات الحواريّة التي يتّصف بها في ضوء وجود جوابه أو عدم وجوده.

وقد بيّنتُ في القسم الأخير من مقالي أنَّ مهارة إلقاء السؤال تُكتسب حين يصير الطالب قادرًا على التفنّن في إلقائه وفي توظيفه في كتاباته الجامعيّة توظيفًا يُضفي على تلك الكتابات بعدًا تفاعليًّا واضحًا يُظهر لنا الباحث كاتبًا يتفاعل من خلال إلقاء السؤال مع الفكرة التي يعبّر عنها من جهة أولى، ومع القارئ الذي يتّجه إليه من جهة ثانية، ومع النصّ الذي هو بصدد بنائه من جهة ثالثة.

**شكر وتقدير:**

**يشكر الباحث مركز بحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود على دعم مشروع هذا البحث.**

## المصادر و المراجع

**١-المصادر (نعني بالمصادر المقالات والكتب التي استقينا منها الشواهد التي مثّلنا بها على السؤال):**

**حسين (طه)**: *خصام ونقد*، دار العلم للملايين، لبنان، ١٩٨٢م.

**حسين (طه)**: *في الأدب الجاهليّ*، ط، ١٦، دار المعارف، مصر، ١٩٨٩م.

**ابن رمضان (فرج)**: *الأدب العربيّ ونظريّة الأجناس*: القصص، دار محمّد علي الحامّي للنشر، تونس، ٢٠٠١م.

**السماوي (أحمد)** : *المقال الأدبيّ*، مسكلياني للنشر، تونس، ٢٠٠٩م.

**الشرفي (عبدالمجيد)**: *الإسلاميّون أعداء التحديث أم ضحاياه؟*، مجلّة الوحدة العربية، العدد ٩٦، أيلول/ سبتمبر ١٩٩٢م.

**ابن عبدالجليل (المنصف)**: *في تجديد الفكر الإسلامي*، حوليّات الجامعة التونسيّة، العدد: ٤٥، ٢٠٠١م.

**عبيد (علي)**: *تأثير العمى في الكتابة القصصيّة*، تونس، ٢٠٠٤م.

**العجيمي (الناصر)**: *النقد العربيّ الحديث ومدارس النقد الغربيّة*، دار محمّد علي الحامّي، تونس، ١٩٩٨م.

**القاضي (محمّد)**: *الخبر في الأدب العربيّ، منشورات كلّية الآداب منّوبة*، تونس، ١٩٩٨م.

**القرواشي (حسن)**: *الفكر المسيحيّ الكاثوليكيّ في مواجهة الحداثة*، كلّية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بتونس، تونس، ٢٠٠٥م.

م.**صلوح (سعد)**: *الأسلوب دراسة لغويّة إحصائية*، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م.

**المهيري (عبد القادر)**: *حوليّات الجامعة التونسيّة*، عدد ٤٥ ، ٢٠٠١م.

**٢- المراجع:**

**أ- المراجع العربيّة:**

**إبراهيم (مروان عبدالمجيد)**،*أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعيّة*، مؤسّسة الورّاق، ٢٠٠٠ م.

البداينة (ذياب): المرشد إلى كتابة الرسائل الجامعيّة، أكاديميّة نايف العربيّة للعلوم الأمنيّة، الرياض، ١٩٩٩م.

**الجطلاوي (الهادي)**: *قضايا اللّغة في كتب التفسير*، دار محمّد علي الحامّي، تونس ١٩٩٨م.

**حجاب (محمّد منير)**: *الأسس العلميّة لكتابة الرسائل الجامعيّة*، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

**الزركشي (بدر الدين)**: *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت).

**شلبي (أحمد)**، *كيف تكتب بحثًا أو رسالة: دراسة منهجيّة لكتابة البحوث و إعداد رسائل الماجستير و الدكتوراه"* ، ط٢١، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة،١٩٩٢م.

**عبيد (حاتم)**: *التشكّل الخطابي لهويّة المؤلّف في الكتابة الجامعيّة من خلال استعمال ضمير المتكلّم*: مُقدّمات رسائل الماجستير أنموذجًا، مجلّة فصول، العدد ٧٧، ٢٠١٠م.

**عبيدات (محمّد)** بالاشتراك: منهجيّة البحث العلمي: *القواعد و المراحل و التطبيقات*، كلّية الاقتصاد و العلوم الإداريّة، الجامعة الأردنيّة، ١٩٩٩م.

**ابن عيّاد (محمّد)**: *في مناهج البحث*، مطبعه التسفير الفنّي بصفاقس، تونس، ٢٠٠٧م.

**فضل اللّه (مهدي)**: *أصول كتابة البحث و قواعد التحقيق*، ط ٢،دار الطليعة، بيروت،١٩٩٨م.

**مبارك (محمّد الصاوي محمّد)**، *البحث العلميّ: أسسه وطريقة كتابته*، المكتبة الأكاديميّة،١٩٩٢م.

**نعمان (منصور) وغسّان ذيب النهري**، *البحث العلميّ* حرفة وفنّ، إربد، ١٩٩٨م.

## ب-المراجع الأجنبيّة:

**Badarneh, M**. (2009) : *Exploring the use of rhetorical questions in editorial discourse*: a case study of Arabic editorials. Text & talk, Vol. 29, No. 6.

**Frank, Jane**.(1990) : *You call that a rhetorical question*? Forms and functions of rhetorical questions in conversation. Journal of Pragmatics. Vol. 15, No. 5..

**Hinkel,** E.(1997) *: Indirectiness in L1 and L2 academic writing*. Journal of Pragmatics. Vol. 27.

**Hyland, K**.(2004) *: Disciplinary Discourses: Social Interactions in Academic Writing*. The University of Michigan Press.

**Hyland, K**.(2005) *: Representing readers in writing*: Student and expert practices. Linguistics and Education, No. 16.

**Intaraprawat, P**. (1995) *: The use of metadiscourse in good and poor ESL. Essays*, Journal of Second Language Writing. Vol.4, No, 3.

**Lafuente-Millan**, E. (2010) : *Interpersonality in Written Academic Discourse*: Three Analytical Perspectives. In Lorés-Sanz R. (Eds), Constructing Interpersonality (pp. 13-40). Cambridge Scholars Publishing.

**Orecchionni, C-K**. (2003*): Les actes de langage dans le discours*: théorie et fonctionnement. Nathan, paris.

**Thompson, G**. (2001*). Interaction in academic writing*: Learning to argue with the reader. Applied Linguistics, 22(1).

**Webber, P.** (1994): *The Function of Questions in Different Medical Journal Genres*. English for Specific Purposes, Vol. 13, No. 3.

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص٥٣-٧٣، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# دراسة نقدية لمؤلفات مختارة في الصرف

**فاتن خليل محجازي**

*أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الأحساء،*

*الأحساء، المملكة العربية السعودية*

(قُدم للنشر في ٢٦/ ٥/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ٢٦/ ١٠/ ١٤٣٧هـ)

**الكلمات المفتاحية** : الصرف التعليمي، بنية الكلمة، اللغة المنطوقة، الخطاب، كلمات غريبة.

**ملخص البحث**: يتطلب الخطاب التعليمي توجيه لغة مناسبة من واقع العصر الذي أُنتج فيه هذا الخطاب، حتى يتمكن من توصيل رسالته إلى المتعلِّم، وهي نقل المعرفة وزيادة رصيده منها، أمَّا استخدام لغة من عصر آخر فيها الكثير من المنقرض ومحدود الاستعمال ومنحط الدلالة إلى مرتبة العامي؛ فهو تغريب يحرف الرسالة عن هدفها؛ بل يؤدِّي إلى عكس النتيجة التي يتوخّاها الخطاب، هذا ما أدركه اللغويون العرب القدماء في القرن الثاني الهجري فعلّموا بلغة حية مسموعة، وأشاروا إلى ما هو غير مستعمل أو محدود الاستعمال، أو لا يرقى إلى الفصيح.

اليوم؛ نجد الخطاب التعليمي النحوي والصرفي بلغة لا يعرفها المتلقّي (نستثني نحو النص) وهو لا يملك الإستراتيجية المناسبة للوصول إلى الهدف؛ لأنَّ إنشاء الخطاب اعتمد على لغة غريبة مأخوذة من الكتب ولا يبين السياق الاستعمالي الذي وردت فيه، كما أنَّ كثيرًا من الاستعمالات لم تعد موجودة، يتضح هذا في دراستنا لموضوع الصرف في بعض الكتب التعليمية، الذي يتناول بنية الكلمة وما يطرأ عليها من تغيير، حيث تكثر الأمثلة الغريبة والميّتة والثقيلة التي لا تناسب ذوق العصر ولا يمكن أنْ يألفها المتعلّم، ولا نستطيع إقناعه بضرورة دراستها، من ثَمّ فقد الخطاب الصرفي قدرته على التأثير، وأصبحت الحاجة ملحّة لتطويره أو إعادة إنشائه ضمن الأوضاع التاريخية والاجتماعية والثقافية وكل ما يدخل مع اللغة بعلاقة، اللغة المنطوقة المستعمل بالفعل.

إنَّ إعادة إنتاج الخطاب التعليمي الصرفي – على الأرجح – هي القادرة على إخراج الصرف التعليمي من أزمته التي يعيشها اليوم، والتي نناقشها في هذا البحث.

# Critical Study For selected Writings In Morphology

**Faten Khalil Mhjazi**
*Assistant Professor, Arabic Linguistics, Saudi Arabia*

(Received 26/5/1437H; Accepted for publication 26/10/1437H)

**Keywords:** morphology, structure of the word ,spken language, morphological discourse, foreign language**.**

**Abstract:** Educational discourse requires the directing of an appropriate language emergent from the time its speech is produced; this ensures that the learner will understand the discourse's required messages in tandem with increasing and transferring his/ her knowledge.

The use of a language related to another era, with a lot of extinct, limited, and common usage of denotations, will result into misrepresenting the message required and ultimately inverting the envisaged goal by the discourse. This fact was well perceived by the ancient Arab Linguists who, in the 2nd century AH, used an audible live language; they alluded to the non-used and limited-used denotations in addition to the ones that do not match the modern standard Arabic.

Today, the educational, grammatical, and morphological discourse is found in a language that is not known to the recipient (with the exception of the grammar of text). This discourse lacks the appropriate strategy to achieve the goal required as it is dependent on a foreign language taken from various books. Also, such a discourse does not show the proper context used as it may sometimes contain words that are no longer existing.

All the above points are evidently shown in our study of the subject of morphology which, in some educational books, deals with the structure of the word and changes it has undergone; so many unfamiliar, dead, and uninteresting examples are there. Such examples, indeed, don't fit the spirit of the modern age and are incapable of convincing the familiar learner to know them. As a result, the morphological discourse has lost its effect on the learner.

Recently, there has been a growing urgent need to develop or re-create the educational discourse according to the historical, social, and cultural circumstances that have relation with the spoken language used.

In these days, the reproduction of educational morphological discourse is probably capable of solving the crisis experienced by morphology; this is what we discuss in this paper.

morphology, structure of the word, morphological discourse, foreign language .

**تمهيد**

يعيش الدرس الصرفي العربي مشكلات حقيقية؛ سببها الاعتماد على لغة مكتوبة في عصر غير عصرنا، في حين يجب فيه التعامل مع لغة منطوقة مكونة من أصوات مستعملة؛ كما فعل أجدادنا في القرن الثاني الهجري، فنحن ندرس أبنية لغة غير التي ننطق بها، وننسى مكونات اللغة الصوتية التي تفسّر ما يطرأ على البنية من تغيّرات.

هذه المشكلات سبّبت إرباكًا للمتعلّم أحسّ به الباحثون، فاستعرضوها وناقشوها واقترحوا حلولًا لها لتيسير تعليم هذا المستوى المهم من مستويات اللغة، ولعل بحث الدكتورة نسرين العلواني "البحث الصرفي في الدراسات اللغوية الحديثة" (العلواني،٢٠٠٣م.) أكثرها اتساعًا، وما وصلت إليه تعرضه بقولها: "فقد توصَّل البحث في هذا الموضوع إلى أنَّ هناك ثلاثة اتجاهات للباحثين المحدثين العرب لدراسة الصرف العربي القديم، وعني الاتجاه الأول في الدراسات الصرفية التيسيرية التعليمية وكان له بُعدان، أحدهما تعليمي والآخر نظري. ولم يُقدِّم هذا الاتجاه جديدًا إلى الصرف العربي، فالقواعد هي هي كما ورثناها، والأمثلة لم يصبها من التجديد إلَّا نصيبٌ ضئيل، إذ اقتصر الباحثون في هذا الاتجاه على اختصار القواعد والشروح والتعليقات وحذفها، واستعمال الأسلوب السهل البسيط، وهذا ليس تيسيرًا بالمعنى العلمي الدقيق، إذ إنَّ التيسير يكون بعرض جديد للموضوعات الصرفية القديمة، كما أنَّ محاولات التيسير تلك تجاوزت وصف اللغة إلى مسّ حقائقها وجوهرها وخصائصها؛ ولذلك أُخرجتْ من بحوث علم اللغة الحديث" (العلواني، ٢٠٠٣م. هـ.).

ومع أنَّ هذا الاتجاه لم يقدم جديدًا للدرس الصرفي العربي، فهو المسيطر على المناهج التعليمية في المشرق العربي، وفي دراستنا هذه محاولة للبحث عن الخلل المنهجي الذي طرأ على هذا الاتجاه، إذْ ننظر إلى الموضوع من منظور آخر نأمل أنْ يكشف الجديد، ونحن نعتقد أنَّ المنظور التداولي البراغماتي سيكون أكثر قدرة على رؤية الخلل؛ لأنَّه يُسلط الضوء على علاقة اللغة بمستعمليها.

لقد انتقل إلينا الصرف في القرن الثاني بإيجابياته وسلبياته فأخذنا الأخطاء وتمسكنا بها وتركنا الركائز السليمة التي يمكن أنْ تؤسس لصرف تعليمي نموذجي، وفي هذه الدراسة سنهتم ببعض الموضوعات الصرفية التي تتمثل فيها مشكلات الصرف العربي التعليمي اليوم، وهي: موضوع الأفعال الجامدة، وموضوع أبنية كلام العرب، وموضوع جموع التكسير، وذلك كما تقدمها كتب تدرس الصرف في بعض الجامعات العربية كـ: كتاب شذا العرف في فن الصرف للأستاذ الشيخ أحمد الحملاوي (الحملاوي،١٩٥٣م.) وكتاب الصرف للأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن (نسخة إلكترونية دون تاريخ) وكتاب (الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم) للدكتور محمود سليمان ياقوت (١٤٢٠هـ.)، والمستقصى في علم التصريف للدكتور عبداللطيف محمد الخطيب(١٤٢٤هـ).

والمستقصى أضخم هذه الكتب، حيث تبلغ عدد صفحاته( ألفًا ومئتين وأربعًا وسبعين صفحة)، لذا كان النموذج الأوضح والأغنى للمؤلّفات الصرفية المعاصرة، كما فيه أيضًا من الأمثلة ما لم يورده الحملاوي، والضامن، وياقوت.

**موضوع الجامد والمتصرف من الأفعال:**

الفعل الجامد: هو ما لازم صورة واحدة، وهو شبيه بالحرف، لا يتحوّل من حال إلى حال، ولا من صيغة إلى أخرى، والعلة في ذلك أنَّه لا يتعلّق بالزمان، ولا يراد به الحدث (الخطيب،٢٠٠٣م. ١٢١)، وعندما صنَّف اللغويون العرب القدماء الأفعال ذكروا الأفعال التي يستخدمونها في حياتهم اليومية، أمَّا كتب الصرف التعليمي اليوم فتذكر ما استعمله القدماء دون تدوين ملاحظة كان يضعها القدماء دائمًا إلى جوار اللفظ عندما يحتاج الأمر إلى ذلك من مثل، نادر، شاذ، ميت، وفي هذا الموضوع يجب على الطالب اليوم أن يدرس: ما جمد على صورة الماضي: (كرب، وحرى، واخلولق، وعلق، ونَكِرَ، وهدّك، وهمّك، وعَمَر، ولهدَّ) وجاء بمعنى صار، وقعد بمعنى صار، ومـمَّا جمد على صورة المضارع:

(يهيط، وأهَلُمُّ، وأهاءُ، ويسوَى)، وهذا ما ورد في المستقصى الذي أوقع نفسه في التناقض عندما وضع (هلمَّ) مع الأفعال الجامدة على صورة الأمر بعد أنْ وضع (أهلُمُّ) مع الجامد على صيغة المضارع (الخطيب، ٢٠٠٣م، ١٢٧ و١٣٠).

**وفي موضوع أبنية المجرد والمزيد تأتي هذه الأفعال:**

من أمثلة الرباعي اللازم:

بَرْهَمَ الرجل إذا أدام النظر وأسكن طَرْفَه، ودَرْبَحَ الرجل: طأطأ رأسه وبسط ظهره (الخطيب ٢٠٠٣م، ٢٨٧).

ومن المنحوت: بأبأْتُ الصبيَّ: إذا قلت له بأبي أنت وأمّي (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٨٨).

ومن المزيد بثلاثة أحرف: افعالَّ: بزيادة الألف في أوّله، والألف بعد عينه، وتكرار الحرف الأخير مدغمًا، ومن أمثلته احمارَّ...(الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٤، والضامن، ٢٠١٠ م، ٥١، وياقوت،١٩٩٩م، ٨٣).

افعوَّل: بزيادة الألف أوّل الفعل والواو المضعّفة بعد عينه نحو: (اجلوَّذ، واعلوَّط) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٥-والضامن٢٠١٠م، ٥١-وياقوت١٩٩٩م، ٨٣).

ومن الرباعي المزيد بحرفين: افْعَنْلَل: وذلك بزيادة الألف في أوّله، والنون بعد العين ومثاله: (احْرَنْجَم، وابرنْشق، وافرنْقَع)، (الخطيب ٢٠٠٣م، ٢٩٥). ومن الملحق بالرباعي: فَوْعَل: ومثّل له بـ: (رَوْدَن، وهَوْجَل، وكَوْدَن) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٧) ، ولفَعْوَل جاء بـ(رَهْوَكَ)، (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٨) ، وفَعْيَل مثّل له بـ(رَهْيَأ)، (الخطيب،٢٠٠٣م، ٢٩٩)، وفَنْعَل مثل له بـ(شَنْبَث)، وفَعْنَل مثّل له بـ( قلْنس، وشرْنَف)، وفَعْلى مثّل له بـ( سلقى، وقَلْسى)، (الخطيب،٣٠٠) ولوزن يَفْعَلَ (يَرْنأَ) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠٠) (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠١).

كما أورد (ياقوت،١٩٩٩م، ٨٠) (يرنأ) ونستطيع أنْ نستخرج من بناء ملحق الرباعي المزيد بحرف أبنية لم ترد لها أمثلة في اللغة الفصحى المستعملة اليوم هي: تفَعْوَل: ومثاله: ترَهْوَك، وتَفَعْلى: ومثاله: تجعبى، وتسلقى،

وتقلسى (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠٢، وياقوت، ١٩٩٩م، ٨٤-٨٥).

أمَّا الملحق بأبنية الرباعي المزيد بحرفين؛ فلا نجد لأيَّ بناء منها مثالًا مستخدمًا، وذلك لثقل البناء وطوله ولغتنا تنزع نحو التطور بالتخلص من الأبنية الثقيلة وفقًا لقانون اختصار الجهد العضلي فلا يناسب العصر: (افعَنلل)، الذي لم يأتِ عليه إلَّا (اسحنكك، واقعنْسس)، ولا (افْعَنْلى) الذي لم يأتِ عليه إلَّا (احرنبى واسنلقى)، (الخطيب،٢٠٠٣م، ٣٠٢، الضامن،٢٠١٠م، ٦٢، ياقوت،١٩٩٩م، ٨٥)، ولا (افعللّ) الذي مثَّل له الخطيب بـ(ابيضّ) فقط (ص: ٣٠٣و٣٠٤)، وإضافة إلى ثقل البناء الأخير لا يتناسب المكوِّن الصوتي مع المكوّن الصوتي لكلمات العربية الفصيحة التي لا يجتمع فيها ثلاثة أصوات مطبقة، أو مع قانون سهولة الاستعمال، الذي اكتشفه لغويو القرن الثاني الهجري. ومن أبنية الأسماء التي لم يذكر الدكتور ياقوت لها أمثلة مستخدمة (فِعْلِل) حيث يمثّل للبناء بزِبْرِج، وزئْبِر ودِعْبِل ومن الصفات: زِهْلِق، وعِنْفِص، وعِرْبِد (ياقوت، ١٩٩٩م.ص: ١٦٣)، ومن أبنية الأسماء الخماسية المجردة المنقرضة في الصرف التعليمي ما جاء في بناء (فَعْلَلِل)، حيث ذكر: صهصلق، كما ذكر من الصفات جَحْمَرِش، وقَهْبَلِس (ياقوت، ١٩٩٩م.ص: ١٦٥).

وبناء فِعْلَلّ: ومثل له بـقِرطعب من الأسماء، وجِرْدَحْل من الصفات (ياقوت، ١٩٩٩م.ص: ١٦٥).

ومن الثلاثي المزيد بحرفين في الصرف التعليمي:

١- أُفاعِلٌ: أُباتِر.

٢- أَفاعل: أجادِل.

٣- أَفنْعَل: أَلَنْجح.

٤- يُفَعّل: يُرَنَّأ.(ياقوت، ١٩٩٩م. ص: ١٧٠):

ومن المزيد على الخماسي جاء في المستقصى " ومن أبنيته ما يأتي:

- فَعْلَليل: الاسم: سلسبيل، خندريس، عندليب، زيادة الياء.

الصفة: دردبيس، علطميس.

- فُعَلّليل: الاسم: خُزَعْبيل.

الصفة: قُذَعْميل.

- فَعْلَلول: ولم يجيء إلَّا اسمًا وأمثلته: "عضرفوط، قَرْطَبوس، يَسْتَعور. زيادة الواو." (الخطيب،٢٠٠٣م، ٦٤١).

كما جاء في المستقصى: " فَعْلَّى: وهو قليل، ولم يجيء إلَّا صفة، ومثاله: قَبَعْثَرى، ضَبَغْطَرى. الألف زائدة لتكثير الكلمة وليست للتأنيث" (الخطيب،٢٠٠٣م. ص٦٤٢).

وكما نلاحظ لا يوجد إلَّا مثالانِ مستعملانِ اليوم هما: سلسبيل وعندليب، فلا جدوى من تعليمها للطالب، ولا نعتقد أنَّ ذاكرة الطالب ستحتفظ بـ (خِدَبّ، وجُرْشَع، وعُنْدَد، وعوطَط، وعَثَوْثَل، وعَقَنْقَل، وحَبَرْبَر، وقَهْبَلِس، ونَخْوَرِش)، (الخطيب، ٢٠٠٣ م. ص ٦٤٤) أو:( إرْدَبّ، وإنْقَحْل، وإدْرَوْن، وحَبَوْكَر، وحَبَوْنَن، وقَرَبوس، وحَلكوك، وقَمَحْدُوة، وتَخْرَبوت)، (الخطيب ٢٠٠٣م. ص ٦٤٥)؛ لأنَّ الألفاظلا تنتمي إلى الحقول المفهومية التي تنظم الذاكرة فتبقى الكلمات بعيدة عن الإدراك.

أمَّا الصفحتان (٦٤٦و ٦٤٧) في المستقصى فلا نجد فيهما من المستعمل إلَّا: قرطاس وعنكبوت، وقد أغرق الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب في إغرابه وتغريبه، فإذا كنَّا نعذر الشيخ أحمد الحملاوي الذي ألَّف كتاب (شذا العرف في فن الصرف)، منذ مئة وخمسة وعشرين عامًا، فنحن لا نستطيع أنْ نبرر للدكتور الخطيب هذه الأمثلة الوحشية اليوم، ومع ذلك فإنَّ ما جاء به الشيخ الحملاوي من الغريب قليل بالنسبة إلى ما جاء به الدكتور الخطيب.

والسؤال هل وردت هذه الاستخدامات في المعاجم التي حرصت على تهذيب اللغة وانتقاء الفصيح كجمهرة اللغة لابن دريد وتهذيب اللغة للأزهري؟ وقبل ذلك هل كانت تعد فصيحة في زمن الاحتجاج؟ ماذا قال فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي؟ هل وردت في قراءة من القراءات القرآنية تسوّغ دراستها؟ متى ظهرت؟ متى اختفت من الاستعمال؟

ونبدأ بما صُنف ضمن ما جُمد على صورة الماضي، يكتفي المستصفى بذكر كرَب بفتح

العين وكسرها مع أفعال المقاربة ولكن (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٢١)، لم يضع (كرب) في سياق استعمالي، وفي تهذيب اللغة: "كرب يكرُب وكل شيء دنا فقد كَرَبَ" (الأزهري٢٠٠١م: ٤/ ٣١١٩).

كما لا يملك شاهدًا على كون (حرىً واخلولق) من أفعال الرجاء (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٢٢). وربما لا تكون (حرى) فعلًا بمعنى الرجاء وإنَّما صفة، فقد "قال الليث: الحرى: الخليق، كقولك: حرى أنْ يكون كذا، وإنَّه لحريٌّ أن يكون ذاك، وأنشد..." (الأزهري٢٠٠١م، ١/ ٧٩٩)، (الفراهيدي: ٣/ ٢٨٦). ونحن لم نعثر على ما يشير إلى كون (اخلولق) من أفعال الرجاء، فلم نجد (اخلولق) إلَّا في عبارة (اخلولق السحاب إذا استوى كأنَّه مُلِّس تمليسًا)، في كتاب العين، وجمهرة اللغة، وتهذيب اللغة (الفراهيدي: ٤/ ١٥١) (الأزهري٢٠٠١م :١/ ١٠٩٤).

وجاء في كتاب العين: " عَلَق فلانٌ يفعل كذا" بمعنى: صار، (الفراهيدي ١٤٠٥هـ: ١/ ١٦٢) جملة مقطوعة عن السياق، وهو ما ورد في تهذيب اللغة (الأزهري:٣/ ٢٥٤٨). ولم يذكر الخليل (هدّ، ولهدّ، وهمّكَ) في حرف الهاء/ الثنائي/ الهاء مع الدال، والهاء مع الميم. (الفراهيدي ١٤٠٥هـ: ٣/ ٣٤٧، ٣٥٧).

كما أنَّه لم يذكر لـ(قعد) معنى ( صار)، (الفراهيدي١٤٠٥ه: ١/ ١٤٢). أمَّا الأزهري فقد ذكر استخدام العرب لـ(قعد) بمعنى(صار): " تقول العرب: قعد فلان يشتمني، وقام يشتمني، بمعنى (طفق) "، واستشهد الأزهري برجز لبعض بني عامر (الأزهري ٢٠٠١م: ٣/ ٣٠٠٤). وهذا استعمال لهجي غير فصيح، وقد بقي في اللهجات الشامية حتى اليوم، فإذا عرفنا أنَّ بني عامر سكنت وفقًا لكحالة في (معجم قبائل العرب) في العراق يعني على أطراف شبه الجزيرة العربية (كحالة، ١٩٩٧م، ٥/ ٨) أدركنا أنَّ هذا الاستخدام ضعيف لا يعتد به.

وذكر المستقصى (عَمَرْتُكَ الله) بمعنى أسأل الله تعميرَك، وقد أورد الأزهري: (عَمْرَكَ اللهَ لا أفعل كذا) نصب على معنى (عَمّرْتُكَ اللهَ) (الأزهري: ٣/ ٢٥٦٥) فلا بدَّ من تشديد عين

الفعل، على كل حال لم تعدُّ العبارة مستعملة اليوم، كما أنَّه يقوي كونها قد انقرضت الجهل بحقيقة معناها في القرن الرابع الهجري إذ يقول الأزهري: "ويُقال بأنَّه يمين بغير الواو" فإذا في القرن الرابع كانت منقرضة مجهولة الاستعمال.

أمَّا في الجامد على صور المضارع فمنه (يهيط) مقرون استعمالها بـــ(يميط) في عبارة قد انقرضت، جاء في العين: "يقال: مازال بينهم الهِياط والمياط، ومازال يهيط مرة ويَميط أخرى حتى فعل كذا وكذا. يريد بالهياط: الدُّنوّ، وبالمياط: التباعد، والهياط أميت تصريفه إلَّا مع المياط في هذه الحال" (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٧٦). ولم يذكر الأزهري (يهيط).

أمَّا (أهاء) فقد أورد الدكتور الخطيب صيغة الأمر منها أيضًا وصنفها جامدة على صيغة الأمر (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٣٢) بعد تصنيفها جامدة على صورة المضارع (الخطيب،٢٠٠٣م، ١٢٧)، وجاء في كتاب العين أنَّ (يسوى) مولّدة (الفراهيدي: ٧/ ٣٢٦). وكون يسوى (مولدة) يفقدها الاحترام. ولم ترد (أهلُمُّ) في كتاب العين (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٥٦).

**في موضوع الأبنية:**

أمَّا في موضوع الأبنية فلم ترد (دربح) في الرباعي مما يعني – على الأغلب-أنـَّها لم تكن موجودة في زمن الاحتجاج، وقد أورد الأزهري في القرن الرابع (دربح، ودلبح، ودربخ)، (الأزهري: ٢/ ١١٦٧). ولا ندري أيُّها الصحيحة، ويمكن أنْ نقول: هي ألفاظ ميتة اليوم. وكذلك (شنبث)، وقد ذكر اليُرَنّاء أيْ: الحنّاء (الفراهيدي١٤٠٥ه: ٨/ ٢٧٨) ولم يذكر الفعل (يَرْنَأَ) وعنده (اليُرَنّاء: الحنّاءُ) أمَّا الفرّاء فروايته (اليُرَنَّأُ) بالقصر (الأزهري ٢٠٠١م:٤/ ٣٩٧٩)، وقد اختار الدكتور الخطيب القصر، وهما لهجتان.

ولم نجد (ألنجح) في كتاب العين ولا (قُنْفَخْر) وضبط كتاب العين (شِمَّخْر) بكسر الشين وضمها (الفراهيدي١٤٠٥ه:٤/ ٣٢٣)، ومن الألفاظ التي لا نجدها في تهذيب اللغة – يعني يمكن أنْ نعدها قد ماتت قبل القرن الرابع الهجري (قُنْفَخْر، قِرْطَبوس، عِلَّكْد بتشديد اللام، عِربِد، تقلسى، قرطعب) ونتساءل عن وسيلة الحجاج المناسبة لإقناع

الطالب بأهمية (جُخادِب، ودردبيس، وعَلْطَميس، وقُذَ عْميل، وعضرفوط، وابيضّض، واحمارّ، واحرنبى، وترهوك، وعرطليل، وخيسفوج، وحندقوق ومثيلاتها)، هذا ما لا تجيب عنه كتب الصرف التعليمي اليوم.

بل يمكن القول: إنَّ هذه الألفاظ الغريبة لم ترد في أي قراءة قرآنية صحيحة كانت أم شاذة انظر:(ابن جني، المحتسب مثلًا، أو ابن الجزري، النشر في القراءات العشر).

إنَّ استعمال الغريب يحتاج إلى كثير من الدقة، ويحتاج إلى بنائه ناطق اللغة للتمكن من المصطلحات التي تقرّها المؤسسات اللغوية والتي تعتمد عليها -إلى جانب الأبنية المشهورة -في صياغة المصطلحات المتكاثرة بطريقة تناسب ذوق العصر من المكونات الصوتية، أمَّا أنْ ترد بأخطاء بالضبط فإنَّها تحرف المدرِّس عن الهدف التعليمي، وتنفّر الطالب الذي يحتاج إلى أوزان صحيحة مستعملة، يطبقها في لغته اليومية ويفهم من خلالها لغة القرآن الكريم.

**في موضوع جموع التكسير في اللغة:**

وفي جموع التكيسير في اللغة، ما الذي يقنع الدارسين أنَّ: (أَفعُل، وأفعال، وأفعِلة، وفِعْلة) جموع قلّة وهم يرون البناء يستخدم للقلة والكثرة، وكذلك جموع الكثرة المختلفة قد يستخدم الجمع الواحد للقلة والكثرة في الوقت ذاته، ومن أمثلة ذلك:

سبَب السبب: الحبل وما يتوصل به إلى غيره: ج: أسباب فقط.

عَضُد جاء أيضًا: عُضُد، وعَضِد: في الجمع أعضاد: أفعال فقط.

جُنُب الجار الجنب بضمتين: جارك من غير قومك في الجمع أجناب: أفعال فقط.

رُطَب في الجمع أرطاب، صيغة أفعال فقط.

إبِل في الجمع آبال، صيغة أفعال فقط.

زِمام في الجمع أزمّة، أفعِلة صيغة جمع وحيدة.

كِساء في الجمع أَكسية، أفْعِلة صيغة جمع وحيدة.

كذلك لا نجد إلا صيغ كثرة لكل اسم رباعي مؤنث تأنيثًا لفظيًا أو معنويًا إذا كان الحرف الثالث ألفًا ممدودة مثل: سحابة: سحائب، وسُحُب، رسالة، رسائل، ذؤابة: ذوائب، صحيفة: صحائف وصُحُف.

وكيف يتعامل مستعمل اللغة مع جمع القلة في القرآن إذا دلّ على الكثرة في السياق الذي ورد فيه أو على العكس؟ كما في قوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة:٧].

فصيغة (فَعالي) اقترنت بالعدد سبعة فأشارت إلى القلة وهي مصنفة من جموع الكثرة، وجاءتْ صيغة (فَعْلى) للكثرة لأنَّها مرتبطة بالقوم وعددهم غير محدود، والأعجاز(أفعال) في السياق تدل على الكثرة، في حين عدّت فيه خارج السياق للقلة، وإنَّ كثرة الأمثلة التي جاءت فيها (أفعال) دالة على الكثرة في القرآن الكريم تدفعنا إلى ترجيح (أفعال) صيغة جمع تكسير دالة على الكثرة كما في الآيات:

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾ [الغاشية].

﴿حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ۝٣٢﴾ [النبأ].

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝٣٣﴾ [النبأ].

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤﴾ [البقرة].

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦﴾ [يس].

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝١٩﴾ [المؤمنون].

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ [الإنسان].

من ناحية أخرى كيف يختار الطالب صيغة جمع التكسير عندما تتعدد الدلالة والدلالة واحدة؟ كأنْ تشير مجموعة من الصيغ إلى جمع كثرة من مثل:

غُراب: غِرْبان، وغُرْب، وغَرابين، ثَوْر: ثِيار، وثِيران، وثِوَرَة، عِماد: عَمَد، وعُمُد.

كل هذه الأسئلة لم يُجب عنها مؤلفو الصرف اليوم، ونجد في تناولهم لهذا الموضع الكثير من الاضطراب والتناقض، فالدكتور الضامن يجد "جمع التكسير كله بعيدًا عن القياس" (الضامن،٢٠١٠م، ٢٥٥). ومع ذلك لا

يستطيع أنْ يتخلص من قيد القياس فيقول في (أفعُل): ينقاس هذا الوزن في شيئين... ويجمع قياسًا عليه ما كان على أربعة أحرف... (الضامن، ٢٠١٠م. ص:٢٥٦).

وقد وضَّح الدكتور ياقوت أنَّ صيغة (أفعال) في القرآن الكريم لا تدلُّ على القلة، قال في الصرف التعليمي: "حين نقدم بعض الكلمات التي وردت على وزن (أفعال) في الكتاب العزيز لا نقصد بذلك أنَّها تدل على القلة أو الكثرة...." (ياقوت١٩٩٩م، ٢٨٢)، فاللغة النموذجية المنطوقة لا تضع قيودًا دلالية على صيغ جموع التكسير، وهذا ما يؤدِّي إلى الإحساس – على الأقل-بخلل ما في النص الذي تناول جموع التكسير في كتب التراث كما في الموضوعات الصرفية الأخرى. أمَّا أثر هذا في تدريس صرف اللغة العربية وتعليمه، فهو تغريبه عن الطلاب، والتعامل معه كجثة متحلّلة، في حين تعامل أجدادنا في عصر العلم مع لغة حيّة تتفاعل معهم ويتفاعلون معها، وقد كانت لديهم أخطاؤهم المنهجية، لكن كان لديهم منهج محدد وواضح مبني على استقراء لغة منطوقة مسموعة حيّة، وبدلًا من تصحيح أخطاء منهج القدماء، تداولنا الصرف كما وصلنا بعد التخلّص من إشارات منهجية مهمة جدًا كالإشارة إلى الميت والمتروك والشاذ والضعيف والغريب، والمهمل، ومسائل التمرين التي ربما لم ينطق بها أبدًا، فخلطنا ما هو من اللغة بمسائل التمرين.

والقدماء عندما حددوا هذه الأصناف من الكلمات كانوا يربطون ذلك بمعيار الفصاحة يعني: **يقولون للمتعلّم لا أهمية لهذه الأبنية أو هذه الاستخدامات، تجاوزْها**. فلا قيمة لورودها، بل إنَّ دراستها خطأ علمي على حساب المستعمل. ممَّا يفرض علينا إعادة قراءة الخطاب الصرفي الأول – زمن الاحتجاج- وتحليله ونقده، قبل أنْ نأخذ به، ونحن نقول: الخطاب الصرفي يعني رسالة لها أهدافها وإستراتيجيتها وأدواتها وسياقها.

أمَّا الرسالة فهي تعليم الصرف وتقويم اللسان الذي بدأ اللحن يتسرب إليه، وأمَّا الفئة المستهدفة فهي طبقة المتعلمين، وأمَّا شكل الرسالة فهو لغة منطوقة لأعرابي موجود في

الحلقة، أو شيخ سمع النطق الصحيح مباشرة، أو قراءة قرآنية، فهي مادة صوتية قابلة للملاحظة والاستقراء، وما أكثر عبارات السماع في مؤلفات القرن الثاني التي تشهد على ذلك.

في حين تكون الأدوات في: التلقين والإملاء.

أمَّا الاستراتيجية فهي مبنية على نماذج منطوقة، ومسائل تدريب، ومعايير تحدد الفصيح من غيره، والجيد من الرديء، والعوامل المؤثرة في اللغة المنطوقة.

أمَّا الخطوات التكتيكية فهي:

١- جمع اللغة من أفواه الناطقين الذين ينتمون إلى قبائل معينة اشتهرت بفصاحتها، في زمن محدد أطلق عليه فترة الاحتجاج.

٢-الاستقراء.

٣-تصنيف هذه اللغة وفقًا للموضوعات.

٤-اختيار الموضوعات الصرفية، وهنا نجد كثيرًا من المصنفات اتخذت البنية الصرفية عنوانًا لها.

٥-ملاحظة: كم البناء، ووظيفته، وبنيته الصوتية، ووجوه التشابه والاختلاف بين الأبنية في الشكل والوظيفة، وملاحظة حجم انتشار البناء، وملاحظة العلاقة بين الأبنية ذات الأصل الواحد...بالإضافة إلى مراقبة دور المكون الصوتي في تحديد البنية.

٦-استنباط القانون من الأكثر استعمالًا.

٧-عزل ما يتصل بقلة الاستعمال والإشارة إليه.

والسياق مجموعة الأوضاع التاريخية والاجتماعية والجغرافية التي أثرت في تكوين هذا الخطاب وإنتاجه وتوجيهه، فثمَّة ثورة فكرية كبيرة قد أثَّرت في المجتمع واللغة بنزول القرآن الكريم، وجغرافيًا قبائل متفرقة في صحراء مترامية الأطراف متفاوتة في مستوى انفتاحها على العالم الخارجي متفاوتة في حضارتها وذوقها وأساليبها اللغوية وعاداتها النطقية، والفتوحات الإسلامية قد خلقتْ حاجة شعوب غير عربية لتعلم لغة الدين الجديد، وجيل جديد من الناطقين بدأ اللحن يتسرب إلى لغته التي يمارس بها حياته اليومية، والمحافل الثقافية من مجالس علمية قد وضعت معاييرها للأفصح والأجود الذي يرقى بناطقه،

فطفتْ فكرة المستعمل والمهمل وما بينهما، وجرى اكتشاف العوامل الحيوية المؤثّرة في اللغة المستعملة والعلاقات بين البنية والأصوات المستعملة، والعلاقة بين خفة البنية وكثرة استعمالها، كما حصل اكتشاف البنية التشكيلية الصوتية المسموح بها في اللغة العربية، ونستشهد بما جاء في مقدمة كتاب العين من أنَّ بناء الرباعي لا يعرى من الحروف الذلق والشفوية، وليس في كلام العرب كلمة صدرها (نر) ... (الفراهيدي، ١٤٠٥ه،٥٣) كما ذكر في كتابه كثيرًا من التشكيلات المهملة لثقل النطق.

رُبَّما يكون هناك خلل باتساع المساحة المكانية وكثرة القبائل التي أخذ عنها، وكذلك في الشرط الزماني، فهو يمتد عبر مراحل زمنية متعددة لها حدّ واحد واضح هو نهاية زمن الاحتجاج، ووصفوا مساحة لغويّة متّسعة، وعميقة، ممَّا أوقعهم في الاضطراب، والتناقض أحيانًا، فاتّساع مساحة اللغة المنطوقة جعلها أكثر عرضة لعوامل التطوّر: العامل الخارجي نشط على الحدود، وفي الوسط؛ أدَّت عزلة الناطقين إلى تجميد صيغ معيّنة، في حين تطوّرت صيغ أخرى تطوّرًا خاصًّا بتأثير الفروق الاستعماليّة الصغيرة، والتي تؤدِّي دورًا في الابتعاد باللغة عن شكلها الأصيل.

هكذا تكوَّنت اللهجات العربيّة المتعدّدة، والتي تفاوتت في درجة التقارب وفقًا للمسافة التي تفصل بينها في الصحراء الشاسعة، ولا يمكن أنْ نعزو الظاهرة اللهجيّة إلى انفتاح المجتمع على المجتمعات الأخرى، أو انغلاقه- جغرافيًّا، وتاريخيًّا، وثقافيًّا- فحسب- كما لا يكفي – إضافة لذلك- العامل الزمنيّ، وإنّما هناك العامل النفسي، حيث تتباين مواقف الناطقين، فكثيرًا ما يؤدّي الإحساس بالتبعيّة والنقص تجاه المجتمعات الأخرى الأكثر تحضّرًا إلى التخلّي عن اللهجة الخاصة، أو اقتباس مفردات، وأساليب، وعادات نطقيّة جديدة، كما حدث للقبائل العربية التي كانتْ تشعر بتفوّق قريش الحضاري، وقد اعترف المجتمع القرشيّ المتحضّر آنذاك بقيمة اللغة الصحراويّة، وحاول أنْ يستغلّها دون مساس قواعدها ونظمها، لكن مع ذلك كان يختار من مادّتها ما يناسب ذوقه وميوله، حيث يؤدَّي الترف الحضاري إلى الميل

نحو السهولة، واختيار الأصوات المرقّقة والمهموسة، والبنيات اللغوية الرشيقة والمعاني الأكثر تجريدًا.

ثمَّة بنية نفسيّة مختلفة؛ إذن تؤدّي إلى خلاف في العادات النطقيّة بين البادية والحاضرة، فالحضري متأنٍّ في نطقه متحكّمٍ بنغم صوته ونبره، بحيث تبرز انفعالات معيّنة أو تخفيها، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل ينعكس تفكيره على العلاقات اللغوية ذاتها، ونمثّل لذلك بنصب الحجازيّين للمستثنى في حال الاستثناء المنفي المنقطع، حيث كرهوا أن يبدلوا الآخر من الأوّل فيصير كأنَّه من نوعه (سيبويه،١٩٧٥م، ج٢،٣١٩). أمَّا البدويّ فسريع النطق، عفويّ، لا يكبح جماح انفعالاته، فيتركها تعبّر عن نفسها في الأصوات، والأساليب التي يستخدمها؛ لذلك تسلك العوامل الحيويّة سلوكًا مختلفًا بين البادية والحاضرة، كعامل السهولة أو الخفّة، فالبدوي المتسرّع يكون تخفيفه بالحذف والإمالة والإتباع والإدغام (يعلل الدكتور إبراهيم أنيس الإدغام بسرعة النطق الذي يميز البيئة البدوية في كتابه اللهجات العربية (أنيس، ١٩٧٣م، ٧١و٧٢).

غير أنَّ السهولة والخفّة في الحاضرة تكون باختيار أصوات سهلة النطق، وتشكيلات صوتيّة خفيفة على اللسان وقد وُصفت قريش التي تمثّل البيئة الحضريّة بأنَّها: "أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعًا، وأكثرها إبانةً عمّا في النفس" (السيوطي: ١/ ٢١١). وأيضًا تستخدم الحذف والإتباع، ولكن بقلّة، هكذا اكتشف القدماء عاملًا مهمًا من عوامل تكون اللهجات هو: عامل الاختيار، وهو عامل حضاري يؤدّي إلى تكوين لهجات خاصّة بطريقة واعية عن طريق اختيار الأصوات، والتشكيلات الصوتيّة، والتحكّم بالنبر والتنغيم، وإيجاد علاقات جديدة بين المعاني والألفاظ، ويمكن عدّ اللهجة القرشية نموذجًا للهجات التي لعب في تكوينها الاختيار دورًا كبيرًا، كما نستنتج من كلام الفرّاء وفقًا لما جاء في المزهر (السيوطي: ١/ ٢٢٨).

وبالاصطفاء اللغوي، يموت كثير من الألفاظ، وتتقلّص مساحة انتشار ألفاظ أخرى نحو الانقراض في الغالب، والقدماء من العرب

لم يهملوا هذا الموضوع، فقد تحدّثوا عن: الغريب، والنادر، والوحشيّ، والشارد، والضعيف، والمذموم، والمنكر، والمتروك، والرديء، والميّت، والمستغنى عنه، والمصطلحات السابقة، إمَّا أنْ تعني انقراض اللفظ مثل: الميّت، والمستغنى عنه، والمتروك، أو محدوديّة استخدامه كما في باقي المصطلحات.

وعلى الرغم من غموض المصطلحات السابقة، حيث لا نعرف بدقة الفرق بين المنكر والرديء والضعيف والنادر والغريب، أو إذا ما كان التقييم عامًّا أو فرديًّا[1]، فإنَّا نستطيع أنْ نضعها في زمرتين هما: الألفاظ المقبولة ،مثل: الغريب والنادر، والشارد، وألفاظ غير مقبولة وهي ما تبقّى، وقد يكون النادر مستنكرًا في تقييم بعض اللغويّين، فالأصمعي أنكر (هي زوجتي)، وسمع: (فبكى بناتي شجوهن وزوجتي) لعبدة بن الطيب فلم ينكر، قال القالي: قال الأصمعي: لا تكاد العرب تقول (زوجته) (القالي:١/ ٢٠)، وقال أبو عمرو: أكثر العرب يقول: (تلك، وتيك) لغة لا خير فيها (السيوطي: ١/ ٢٢٥). فاللغويون راقبوا حركة انحسار استعمال بعض الألفاظ، ومن ثمَّ انحطاطها عن مرتبة القياسيّ الأكثر قبولًا في التقييم العام كما لاحظوا بقايا اشتقاقات من بعض الألفاظ المنقرضة بالموت، أو بالإهمال، أو الاستغناء، ومن هذه الملاحظات عند الخليل:

١- مات فعل (العندأوة) فلا يدري أمن عندى يعندي أم من عدا يعدو (الفراهيدي ١٤٠٥هـ: ٣/ ٢١٥).

٢- مات فعل (العبودة) فلا يقال: عبُد، أي: صار عبدًا (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٣/ ٤٨).

٣- مات فعل (دره) فلم يبق منه سوى (مِدْرَه) إذ يقولون: فلان مِدْرَهُ حرب، وهو مِدْرَهُ قومٍ، أيْ: المدافع عنهم (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٢٤).

٤- مات فعل (هاتى يهاتي) ولم يبق منه سوى (هاتِ) في الأمر، وقد جاء في الشعر: (لله ما يعطي وما يُهاتي) (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ٨٠).

(١) تناول هذا الموضوع بالتفصيل قاسم خليل حسن القواسمة في بحثه (طعن النحاة واللغويين في لغات العرب) رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٠٧م.

٥- موت الفاعل والمفعول من (خرق) فلم يبق إلَّا (الخريق) وهي الريح الباردة الشديدة الهبوب (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٤/ ١٤٩).

٦- (الأيس) كلمة قد أُميتتْ (الفراهيدي ١٤٠٥ه: ٧/ ٣٣).

وجاء عن الكسائي:

١- محبوب من (حببت) وكأنّـَها لغة ماتت كما قالوا: دمتُ أدوم، ومت أموت، وكان الأصل أنْ يقال: (أمات)، و(أدام) في المستقبل إلَّا أنـَّها تركت (السيوطي: ١/ ٢١٩).

أمَّا سيبويه فقد جاء في كتابه:

١- جاء من رفع رفيع، ولكنّهم لم يقولوا: (رَفُعَ) (سيبويه: ١٩٧٥م، ٤/ ٢٣).

٢- وقالوا: الفقر كما قالوا الضعف، ولم نسمعهم قالوا: فقُر، كما لم يقولوا في الشديد: شَدُد، استغنوا باشتدّ وافتقر، كما استغنوا باحمارّ عن حَمِر (سيبويه١٩٧٥م: ٤/ ٣٣).

٣- استغنوا بترك عن (ودع) (سيبويه:٤/ ٦٧).

٤- استغنوا بذهب عن (انطرد) و(اطّرد) (سيبويه١٩٧٥م: ٤/ ٦٦).

٥- استغنوا بـ: ما أفعل فعله عن (ما أفعله) في بعض الأفعال كقولك: ما أجود جوابه بدلًا من: ما أجوبه. (سيبويه ١٩٧٥م: ٤/ ٩٩).

٦- استغنوا بثلاثة غِلْمة عن (أغلمة) كما استغنوا بـ: فتية عن أنْ يقولوا: (أفتاء) (سيبويه١٩٧٥م: ٣/ ٦٠٣).

٧- استغنوا بثلاثة جروح عن (أجراح) (سيبويه١٩٧٥م: ٣/ ٥٩٩).

٨- استغنوا بصعائد عن (صُعُد) وبعُجُل عن (عجائل) (سيبويه١٩٧٥م: ٣/ ٦٣٧).

٩- استغنوا بعراة عن (عراء) و(عَرايا) لأنهم: "إنَّما يستغنون بالشيء من الشيء حتى لا يدخلوه في كلامهم" (السيوطي:٢/ ٢٧٥).

أبو عمرو بن العلاء: من المتروك الذي ذكره أبو عمرو بن العلاء، مضّني كلام قديم قد تُرك، قال ابن دريد: وكأنَّه أراد أنَّ أمضّني هو المستعمل (السيوطي:٢/ ٢٧٥).

ومن خلال العرض السابق يمكننا أنْ نلخص المشكلات التي واجهها الخطاب الصرفي التعليمي عند القدماء بـالآتي:

١- الخلافات اللهجية: وقد سجل اللغويون العرب القدماء العديد منها في الأصوات والصرف والنحو والدلالة، وتناولها الباحثون بالدراسة، انظر على سبيل المثال (محجازي،٢٠١٠م.)

٢- الاستخدامات الفردية التي تنحرف عن القواعد، الصادرة عن فصحاء العرب، والتي تحتاج إلى تأويل لتخرج عن القاعدة، أو توجد علاقات جديدة بين العناصر اللغوية، وقد التبست هذه الخلافات بالخلافات اللهجية في درس قدماء العرب، واعتبرت أحيانًا لهجات مع أنَّها لا تعدو كونها استخدامًا خاطئًا وانحرافًا عن الصواب، كما غفل اللغويون عن بعض الاستخدامات اللهجية واعتبروها استخدامات فردية وذلك لوقوعهم في بعض الأخطاء المنهجية، وقد دونوا ملاحظات تشير إلى محدودية الاستعمال.

٣- خضوعها للتغيير الناتج عن كونها منطوقة، إذْ تتأثّر بمجموعة من العوامل، كما يتفاوت أثر العامل بين لهجة وأخرى.

٤- تجاور طبقتين أو مرحلتين لغويتين، حيث نجد بقايا مرحلة سابقة في بعض اللهجات: مثلًا بقايا مرحلة ما قبل الإعلال مع مرحلة الإعلال، وذلك بسبب التطوّر الطبيعي الذي تخضع له اللغة.

٥- الاصطفاء اللغوي وما يؤدِّي إليه من الموت أو الاستغناء.

هذه المشكلات قد أربكت الدرس اللغوي العربي القديم، لكنَّها لم تُعق العملية التعليمية، فثمَّة معايير واضحة قبلها فصحاء العرب في القرن الثاني الهجري، وأهمّها معيار كثرة الاستعمال، ومعيار ورودها في قراءة مشهورة، فالمعياران صوتيان يناسبان لغة حيّة، أمَّا المستعمل في نطاق ضيّق فيُحفظ ولا يقاس عليه.

إذن نحن إزاء خطاب واضح موضوعه بنية الكلمة العربية المستعملة الحيّة، وما يطرأ عليها من تغيّرات، وهدفه تعليم قوانين الصرف وتقويم اللسان العربي الذي بدأ الفساد يتسرّب إليهما ممَّا يؤثّر في فهم الكلمة القرآنيّة، ولا يمكن أنْ نفهم هذا الخطاب إلَّا إذا أعدناه إلى زمنه، وفهمنا الزمن و السياق الذي نشأ فيه، فذلك يفهمنا الإستراتيجية المتّبعة في إيصال هذا

الخطاب، وتحقيق الهدف، هذه الإستراتيجية القائمة على تحديد الهدف وتحديد الأدوات والظروف.

أمَّا علماء الصرف اليوم، فهم قد أخذوا كلمات مكتوبة معزولة عن سياقها وزمنها، من كتب صرف بعيدة عن فترة الاحتجاج -في الغالب -ليخاطبوا بها جيلًا لا يعرف كيف يوظفها؛ لأَنَّه يجهل سياقاتها أو غريب عن سياقاتها، ولأَنَّه يتحدث بلغة مختلفة وضمن شروط تداولية جديدة لا تحتوي ثقافة الكلمات المتضمنة في كتب الصرف، فلا منهج لديهم في الدراسة! فتجميع المعلومات من الكتب ليس منهجًا وإنَّما أداة، أمَّا الدرس الحقيقي فعليه أوّلًا أنْ يعالج أخطاء المنهج القديم بتحديد عيّنة قابلة للضبط والملاحظة، ويمكن أَنْ نأخذ مثلًا النص القرآني المنطوق بقراءة واحدة، ولتكن قراءة حفص عن عاصم، ثم تصنيف الأبنية الواردة فيه، ثم تحليلها، وبعد ذلك استنباط قوانينها لتكون هذه القوانين هي المنظومة التي تبنى عليها اللغة الفصيحة المستعملة اليوم، ففي خطاب أبناء العصر نعمد إلى اللغة التي يقرؤونها ويستعملونها، فنحلّلها ونضبطها، وهذا فقط يشعر المتعلّم الهدف بأهمية ما يتعلّم وضرورته، فيندفع إليه راغبًا في المعرفة دون أنْ يجد الاضطراب والتناقض في دراسته.

وننتهي إلى أنَّ القدماء قد ارتكبوا في دراسة الصرف أخطاء منهجية؛ لأَنَّ مناهج الدرس لم تكن واضحة، فالركام اللغوي كان بحاجة إلى الفرز، مكانيًا وزمانيًا ونوعيًا، إذْ كان عليهم فصل لغة الشعر عن لغة الكلام اليومي، أو عن لغات القراءات القرآنية، لكنَّهم درسوا لغتهم التي كانوا يسمعونها ويستعملونها، أمَّا نحن فماذا ندرس؟ لغة لا تنتمي إلينا – في كثير من الأحيان-ولا نتفاعل معها.

علينا أنْ نطوّر خطابنا الصرفي الذي نفعّل فيه بنية الكلمة العربية في رصيد المتعلّم المعرفي، خطاب نصوغه من واقعنا وزمننا حتى نتمكن من إيصال أثره إلى المخاطب وإقناعه بأهميته.

## المصادر

**ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد،** *النشر في القراءات العشر*، تحقيق: علي محمد الضباع، مصر، المكتبة التجارية، دون تاريخ.

**ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن** (ت٣٢١هـ)، *كتاب جمهرة اللغة*، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

**ابن زنجلة، أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد**، *حجة القراءات*، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

**ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري**، *لسان العرب*، دار الحديث، القاهرة،١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

**الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد** (ت٣٧٠هـ) *معجم تهذيب اللغة*، تحقيق: د. رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ،٢٠٠١م.

**سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر**، *الكتاب*، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٥م.

**السيوطي، جلال الدين**، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، دون تاريخ.

**الفراهيدي، الخليل بن أحمد**، *كتاب العين*، تحقيق: د. مهدي المخزومي-د. إبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، ١٤٠٥هـ.

**القالي، أبو علي**، *كتاب الأمالي*، دمشق، دار الحكمة.

## المراجـــع

**أنيس، د. إبراهيم**، *في اللهجات العربية*، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٣م.

**الحملاوي، الأستاذ الشيخ أحمد**، *كتاب شذا العرف في فن الصرف*، ط١٢، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٥٣هـ.

**الخطيب، د. عبداللطيف محمد**، *المستقصى في علم التصريف*، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

**الضامن، د. حاتم صالح**، *الصرف*، *كلية الدراسات الإسلامية والأدبية*، دبي. الكويت، ٢٠١٠م.

**ياقوت، د. محمود سليمان**، *الصرف التعليمي والتطبيق في القرآن الكريم*، مكتبة المنار الإسلامية، ١٩٩٩م.

**رسائل جامعية:**

**العلواني، د. نسرين عبدالله شنوف،** *أطروحة دكتوراه*، جامعة بغداد، ٢٠٠٣م.

**القواسمة، قاسم خليل حسن،** *طعن النحاة واللغويين في لغات العرب*، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة. ٢٠٠٧م.

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص ٧٥-١٠٥، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# شعرية تائية ابن الفارض

**فضل بن عمّار العمّاري**

*أستاذ الأدب القديم بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية*

(قدم للنشر في ٢٤/ ٥/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١٨/ ١١/ ١٤٣٧هـ)

**الكلمات المفتاحية** : شعرية، تائية، ابن الفارض.

**ملخص البحث**: استبعد النقد العربي القديم الشعر الصوفي من ميدانه، وظل محصورًا في دوائر التصوف، حتى بدأنا مؤخَّرًا نسمع عن توجّه شديد نحو إعادة الاعتبار لهذا الشعر، وألَّح النقاد على الربط بين التصوف والرمزية من جهة، والسريالية من جهة أخرى، وكثيرًا ما جعلوا علي أحمد سعيد- أدونيس- ممثِّلًا لهذا التوجه، وهو نفسه كان أحد دعاة هذا الاتجاه.

وهنا محاولة لدراسة إحدى القصائد الطوال في التصوف، ألا وهي تائية ابن الفارض، التي أصبحت هي الأخرى نموذجًا يُذكر في هذا المجال، ولقد قادت نتيجة الدراسة إلى أنَّ علماء النقد والبلاغة الأوائل كانوا على حقٍّ في استبعاد الشعر الصوفي من الشعر - وإنْ صاغه المتصوفة بالقوافي والأوزان - فهذا الشعر هدفه الرئيس إيصال الأفكار، وليس نقل المشاعر والأحاسيس، وخياله خيال ما ورائي مصطنع، أي: لم يعش تجربة الشاعر بتوتره وانفعالاته، وإنَّما عاش تصوّر الناظم بعقله، مع أنَّ الدارسين المعاصرين يثبتون للشاعر الصوفي ما للشاعر الآخر، وكل ما قيل عن ربط بين الشعراء الرمزيين والسرياليين في فرنسا هو زجّ بالشعر الصوفي في هذين المذهبين الأدبيين؛ لما يفترض أنَّ الشاعر الصوفي عاش تجربته، والواقع- كما يعكسه شعرهم- غير ذلك تمامًا.

# The Poetics of Taiyya Ibn Al-Farid

**Fadhel Ammar Alammari**
*Professor of Arabic Language College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia*

(Received 24/5/1437H; Accepted for publication 18/11/1437H)

**Keywords:** : Poetics, Ta Iyah, Ibnalfardh**.**

**Abstract:** It is well known that The Suffi poetry is different from the known poetry in Arabic tradition ،despite the fact that it has been called poetry. Modern scholars ،however are nowadays trying to maintain the same name for such a kind of poetry. They believe that surrealism and symbolism are shown powerfully in any kind of it ،particularly the one that of Ibn Al- Arabi and Ibn Al-Farid. They consider Ali Ahmad Saeed (Adonis) one of the poets ،who support this idea in composing poetry.

This paper ،however ،agrees with the old tradition and sees that the Suffi poetry is a kind of discourse ،but not a kind of real poetry. The Taiyya is a good sample of that kind of Suffi poetry. This is because it expresses the ideas of Suffis but it is not as equal poetry. It differs from poetry in many ways ،such as imagination ،language and style.

**مدخل إلى الصوفية**

لا نودُّ الدخول في مسائل تناولتها كثيرٌ من الدراسات عن نشأة التصوف، وعن الأثر الفارسي وأثر الديانات الأخرى في التصوف ( محمود، د ، ت، حسان، ٢٠١٠م. ص. ص٣٣ - ١٠٠) إذْ يكاد جميع الباحثين -تقريبًا- يجمعون على أنَّ أقرب اشتقاق للصوفية هو من (الصوف)، حيث ألصق المنتمون إلى هذه الجماعة صفة الفقراء بأنفسهم، ولبس بعضهم الصوف للدلالة على ذلك التجرّد من الحاجيات الدنيوية، وليس يبعد أنْ يكون ذلك الاشتقاق صحيحًا، إذا قبلنا أنَّ جعفرًا الصادق (ت١٤٦هـ.) الذي يرى هؤلاء أنَّهم يقتدون به، لبس الصوف، وإذا كانت (الخِرقة) من العلامات المميِّزة للصوفية[1] (الكلاباذي، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م. ص٥ - ١٠؛ وانظر: ( خفاجي، د ، ت. ص٤٩ -٥٩).

ويُجمِع الباحثون تقريبًا على أنَّ الصوفية لم تنشأ بوصفها مذهبًا اجتماعيًّا إلَّا بعد القرن الثاني الهجري، أمَّا قبل ذلك، فكان يُطلق عليهم الزُّهّاد والعُبّاد، وكانت التقوى ومراعاة الله في كل آونة، والتشدّد في محاسبة النفس هي من مظاهر تقرُّب هؤلاء إلى الله؛ ومن هؤلاء: زين العابدين، عليّ بن الحسين، وحُذيفة بن اليَمان، وعُتبة الغُلام، وسُفيان الثوري، والحسن البصري(خفاجي، ص ٧٠-٨٠).

ثم ظهرت بعد القرن الثاني الحركة الصوفية، وأخذت تنْشط تدريجيًّا، وتَغلغل أصحابها في المذاهب الكلامية والفلسفية والباطنية، وأصبحت ذات توجيهات فكرية وسلوكية خاصة، يصطبغ إطارها الخارجي بالإسلام، وبالسُّنّة في أغلب نواحيها، وفي بعضها بالإمامية الاثني عشرية، أمَّا لُـبُّـها وعمودها، فالتأويل والتفسير وَفق التوجيهات[2] (نيكولسون،

(١) يذكر الكلاباذي عن أحوال (الصفة- التعرّف): "كان لباسهم الصوف حتى إنْ كان بعضهم يَعرَق فيه، فيُوجَد منه ريح الضأن إذا أصابه المطر" ثم يقول:
"قال عيينة بن حصن للنبيّ ﷺ: إنَّه ليؤذيني ريح هؤلاء، أمَا يؤذيك ريحهم"، وأمر أهل (الصفة) تشوبه الأساطير والمبالغات، كما يقول عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٥م. ص١٢٧)، وعلى العموم، فهؤلاء ليسوا حُجة للمتصوفة؛ لأنَّه لا يتوافق مع مبادئ الدين الإسلامي العملية، ولا مع ما هو معروف عن سلوك النبي (ﷺ) وأصحابه - رضوان الله عليهم- ثم إنَّ صوفيتهم لا تخرج عن حَدّ النسك والزهد، ولا تصل إلى ما ادّعاه المتصوفة بعد ذلك).

(٢) من ذلك استشهادهم بالأحاديث الشريفة الآتية:
أ- "أنْ تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه، فإنَّه يراك".
ب- "ما يزال العبد يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئنْ سألني، لأعطيته، وإنْ استعاذني، لأُعيذنَّه".
ت- "اتقوا فراسة المؤمن، فإنَّه ينظر بنور الله". =

ص١-٣٦، وانظر، هلال، ص١٦٠-١٦١)، والعرفان (انظر، الجابري، ٢٠١٠م. ص ٢٤٩-٣١٦).

وهنا يقوم حاجز متين بين أولئك الزُّهّاد الأوائل، ومَنْ جاء بعدهم. ولقد رأى هؤلاء المتأخِّرون أنَّ لهم ما يسند معتقداتهم من الكتاب والسنة، وبخاصة ما ورد من ألفاظ تدور حول (النور) و(الرؤية)، فحَمَّلوا الألفاظ فوق ما تحتمل، ووجَّهوها نحو معتقداتهم الباطنية، وأحالوها إلى معاني (التجلّي) و(الظهور) و(الكشف)، وبخاصة ابن عربي في كتابه (الفصوص)، الذي يُعَدُّ جَمْعًا لآرائهم، كما يُعَدُّ القُدوة لهم، وقد قام شيخ الإسلام ابن تيمية بالردّ على تلك الإحالات، وبيان مقاصدها الشرعية والدلالية (انظر ابن عربي، فصوص، د . ت. ابن تيمية، ١٣٤٩هـ).

وبينما يرى بعض المحدثين "أنَّ التصوف مرماه طهارة القلب والتوبة إلى الله ومحبة المخلوقات، وأنَّ رجاله من حُماة الدين وأنصار الإسلام، وأعوان الحقّ وورثة الأنبياء"(خفاجي، ص٤٦، وانظر أيضًا، المنوفي، ١٩٦٩م. ص٦-١٠؛ وعياد، ١٩٧٠م،ص٣-١١)، كما يرى آخرون أنَّ الصوفية "كغيرها من الدعوات الضالة، شرٌّ ينافق بأنَّه: برّ الخير، ورذيلة ترائي بأنَّها: روح الفضيلة، وكفر يحتال بأنَّه: إيمان النبوة" (الوكيل، ١٩٨٤م، ص ١٦٣). ويتوسط غيرهم، فلا يعدّها إلَّا فنًّا شعريًّا ينطبق عليه **قوله تعالى:** ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ **سورة الشعراء** (بهجت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ص٤٩-٥١).

وعلى العموم، فإنَّ النقاش في أمر الصوفية يبدو أمرًا مفروغًا منه في النظر المعاصر إزاء اجتياح المادة الطاغية التي لا تترك مجالًا للفرد كي يتأمل فيما حوله، وقد انحسرت موجات التصوف عن كثير من البقاع بفعل ذلك الاجتياح، أمَّا الأمر الآخر، فإنَّ الدلائل التاريخية تشير إلى أنَّ الجهل والفقر هما وراء مثل تلك الحركات، وقد أشار ابن تيمية من طرف خفيّ إلى ذلك حين قال: "وإنَّما حدثت هذه المقالات بحدوث دولة التتار"(ابن تيمية، ص٢٤)، وإضافة إلى الحملات القاسية التي شنها ابن تيمية، فقد عرَّى ابن الجوزي التصوف تعرية تامة (ابن الجوزي، ١٤١٢هـ ٣٨-٣٨٧).

وتشير الدراسات الحديثة إلى صحة ما ذهب إليه، فلقد نبَّه زهير قطب على وضع الصوفية وقال: "كان

---

= وانظر، زياد بن عبدالله الحمام، العلاقة بين الصوفية والإمامية (الرياض: مجلة البيان، ط١، ١٤٣٢هـ). وانظر عن (التأويل)، محمد المصطفى عزّام، الخطاب الصوفي بين التأوّل والتأويل (بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠١٠م.) وبخاصة، ص ٧٩-٩٢، ١٩٢-١٩٤ ، ٢٧٧؛ وكذلك، عادل محمود بدر، التأويل الرمزي للشطحات الصوفية (القاهرة: دار مصر المحروسة، ٢٠١٠م. ص٦٤-١٠٨).

بعض قادة هذه الحركات الصوفية رجالًا ذوي ثقافة دينية ضيقة، ومعرفة سطحية بطقوس السنة ومعتقداتها، ويظهر ذلك من خلال نزعاتهم المتراخية في تطبيق المبادئ السّنية، وفي مزجهم معتقداتها بأفكار من باطنهم لا تتلاءم معه... والنتيجة أنَّ الإسفاف الفكري والسلوكي أصبح سيد الساحة في المنطقة العربية خاصة خلال فترة القرنين السادس عشر والسابع عشر، فانتشرت البِدَع الجديدة، وتفشّتِ الخرافات، وتمسك الناس بالأوهام، فسيطرت الفِرَق الصوفية الشعبية.

والأخطر من ذلك كله، والأعمق تأثيرًا على الحياة الاجتماعية كان موقف السلطات من هذه التيارات التي اتخذت من إلقاء الناس في مهاوي الأساطير والجهل وقتل مبادراتهم وشلّ حركتهم الحرة، لغايات سعت إلى تحقيقها، فلقد شجعتها، وحَمَت أغلبية شيوخ الطرق الصوفية، واعترفتْ بمزاراتهم وبكل طقوسهم، ممَّا ساعد على تردَّي الوضع الثقافي والفكري لجماعات الناس والمضاعفة من أمّيّتهم ومن تأثيرها على تصرفاتهم ومعتقداتهم"(حطب، ١٩٧٦م. ص٢٠٤).

ويرجع دارس معاصر أحوال المتصوفة إلى أمور هي:

أ) السحر ب) الشعوذة ج) الكهانة د) القوة الروحية هـ) التنويم المغناطيسي. كما يضيف إلى ذلك تأثير الحشيش[1] (شقفة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٠٠- ١٠٥، وانظر: البقاعي، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م. ص١٦١٢-١٦٣).

وقد انضاف إلى مجموعة تلك العوامل عامل اجتماعي مهم جدًّا، هو أنَّ مثل تلك المعتقدات ترتبط بتراث روحيّ شعبيّ موروث قديم، جاء من المراحل الأولى التي مرّ بها الإنسان القديم، وظل التصور الشعبيّ محتفظًا بها، وأسبغها على شخصية الصوفي وكراماته، ولا بدَّ أنَّ لتلك الشخصية قوة تأثيرية قيادية مكنته من استقطاب العقلية الشعبية (مصطفى، ١٩٨١م. ص٢١- ٣٥، ٧١- ٩٠، ١٠٤، ١٢٧- ١٤٢، ٢١٢-٢١٧).

وإذا صحَّت تلك التفسيرات لأحوال المتصوفة، فإنَّ عاملًا آخر جديدًا أيضًا يمكن أنْ يفسّر لنا اللجوء إلى التصوف؛ ذلك أنَّه إذا كان الجهل والفقر من الدوافع إليه، فإنَّ أصحابه لا بدَّ أنَّهم كانوا يعانون من عقدة نفسية، فنفسياتهم جعلتهم يتخذونه ستارًا للتغطية على أزماتهم النفسية ونفسياتهم المريضة، فهم في النهاية مرضى نفسانيون (حسان، التصوف في الشعر

(١) ومع ذلك، فإنَّ مير قطب الدين عنقا يراويسي في كتابه، رحلة الإنسان من الجنين إلى الجنان، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا (القاهرة: مط دار الثقافة، ١٩٧٨م. ص١٩٢- ٢٠٤) ممّن يعتقد في الأعمال الصوفية، وقد أقام كتابه هذا على هذا الأساس، ولعل ذلك لا يخرج عمَّا ذكره شفقة من أمور الشعوذة والسحر.

العربي الإسلامي، ص٨٤). ومن هنا، فكما يقول أحمد بهجت: "ليست مصادفة بحتة أنَّ معظم الصوفية شعراء وكتّاب"(بهجت، بحار الحب عند الصوفية، ص ١١٥).

إذ المعروف في علم النفس أنَّ الفنّان إنسان عصابيّ، لا يستطيع أنْ يتأقلم مع واقعه؛ ولذا، فهو في حالة غربة دائمة، ولقد لجأ هؤلاء إلى العزلة وتعذيب النفس كنوع من التطهير من مكبوتات اللاوعي، وإنَّ أقرب شبَه لهؤلاء هم الأدباء الرومانسيون، ويمثّلهم في الأدب العربي: جبران خليل جبران، الذي كان- من المصادفة- متأثّرًا بالحركة الصوفية (خالد، ١٤٩٧هـ. ص٢٧٠-٣٣٣) مع أنَّ البون شاسع بين فنِّ جبران وفن المتصوفة، وهو ما يؤسس للبون الشاسع بين شعر الصوفية وفن الشعر.

ولتوضيح ذلك نأخذ حالة رابعة العدوية (ت ١٨٥هـ.) التي يعيد كثيرٌ من الباحثين نشاط التصوف إلى تأثيرها؛ فعلى الرغم من محاولات عبدالرحمن بدوي تفسير تصوف رابعة على أنَّه "كان يطوف بها إذْ بين الفينة والفينة طائف من التأنيب والتذكير بالطريق السويّ..."، كما يضيف إلى هذا عوامل أخرى: "منها إمكان غشيانها مجالس الوُعّاظ"، بل يرى أنَّه "لابد أنْ تكون قد واكب هذا كله تجربة يائسة..."(بدوي، ١٩٦٢م. ص ١٧٠١٩).

وقد ذكر صاحب "مصارع العشّاق" عن رابعة أنَّها قالت:

"اعتللت عِلّة قطعتني من التهجّد وقيام الليل، فمكثتُ أيّامًا أقرأ جُزئي، إذ ارتفع النهار... ثم رزقني الله-عز وجلّ- العافية، فاعتادتني فترة في عَقِب العِلّة، وكنتُ قد سكنتُ إلى قراءة جُزئي بالنَّهار، فانقطع عنِّي قيام الليل... فبينا أنا ذات ليلة راقدة، أُريتُ في منامي كأنَّي رُفعتُ إلى روضة خضراء، ذات قصور ونبت حسَن، فبينا أنا أجول فيها، أتعجّب من حسنها، إذا أنا بطائر أخضر، وجارية تطارده كأنَّها تريد أخذه... فشغلني حسنها عن حسنه؛ فقلت: ما تريدين منه؟ دعيه! فوالله! ما رأيت طائرًا قطّ أحسن منه، قالتْ: بلى! ثم أخَذتْ بيدي، فأدارتْ بي في تلك الروضة حتى انتهتْ بي إلى باب قصر فيها، فاستَفتحتْ، ففُتح لها، ثم قال: افتحوا لي بيت المقة! قالت: ففَتح لهاب شعاع منه شعاع استنار من ضوء نوره ما بين يديّ وما خلفي، قالتْ لي: ادخل! فدخلتْ إلى بيت يَحار فيه البصر تلألؤًا وحسنًا، ما أعرف له في الدنيا شبيهًا أشبِّهه به؛ فبينا نحن نجول فيه، إذ رُفع لنا باب يُنفذ منه إلى بستان، فأهوتْ نحوه وأنا معه، فتلقّانا فيه وُصَفاء كأنَّ وجوههم اللؤلؤ، بأيديهم المجامر، فقالتْ لهم: أين تريدون؟ قالوا: نريد فلانًا، قُتل في البحر شهيدًا، قالتْ: أفلا تجَمِّروا هذه المرأة؟ قالوا: قد كان لها في ذلك حظ، فتَركتَه... ثم غابتْ من بين عيني؛

واستيقظتُ من تبدّي الفجر، فوالله! ما ذكرتُها، فتوهّمتُها، إلَّا طاش عقلي، وأنكرتُ نفسي"، ثم يعقِّب على ذلك قائلًا: "ثم سقطتْ رابعة مغشيًّا عليها"(القاري، ١٣٠١هـ. ص١٣١).

وتدلّ هذه الحالة على أنَّ رابعة ليست امرأة سويَّة، بل كانتْ تمرُّ بحالة من حالات الاضطراب النفسي وفقدان الشخصية، وهذا هو الذي زعزع ثقتها بنفسها، وهي في سلوكها الديني الطبيعي زاهدة من غير أنْ تتجاوز حالة الزهد العادي أو التوبة التي لا تحتمل عُقَدًا نفسية إلى مرحلة (الكشف) و (التجلّي)، كما تبيّن تلك الحالة أنَّها حالة هذيان يمرُّ بها المحموم، وقد تآزر المرض النفسي مع المرض الجسمي، وعلى العموم، فإذا كان التأنيب تذكرًا بالخطيئة، فإنَّ تعذيب النفس والإيغال في محاسبتها يكشفان- بالتالي- عن انهيار نفسي شديد اتجهتْ به إلى سلوك حادّ، وذلك للحدّ من أنْ يصل بها إلى مرحلة الجنون النهائي، كما تعكس حالتها النفسية والعقلية هذه سذاجة وبساطة في المستوى الثقافي لرابعة، وهو يبعد توجيه عبدالرحمن بدوي لِما جاء عنها من تلفّظاتٍ على أنَّ "رابعة يمكن أنْ تُعَدّ أول من تعرّض لنقد القرآن والإسلام... وأنَّها يمكن كذلك أنْ تكون قد تأثّرتْ بحركات الزندقة".

وإذا نظرنا إلى شخصية أخرى من الشخصيات الأولى في التصوف، وجدنا ذلك الواقع يصدق عليه أيضًا؛ فهذا أبوزيد البسطامي (ت٢٦١هـ) يقول: "من ثلاثين سنة وأنا أصلّي، واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصليها كأنَّي مجوسي أريد أنْ أقطع زُنّاري"(عياد، ص٨١)، فهذا الاعتراف منه أليس دليلًا على أزمة نفسية خطيرة عاشها هذا اللاجئ إلى كهوف الصوفية؟ إنَّه تمزّق بين العقل الباطن والوعي، فالرجل فارسي، أدرك المجوسية، وتشربتْ روحه في صغره بها، وهو الآن مسلم، خاضع للإسلام، ولكن حالات الشك تساوره، ويعاوده حنين للماضي، فيحسّ بهذا الفراغ النفسي القاتل لتصارع معتقدين: الأول معتقد نشأ عليه، والثاني معتقد اكتسبه، وصار إلى الاقتناع به؛ ولهذا، فلكي يريح نفسه من هذا الصراع، لجأ إلى هدهدة التصوف وتخديره.

ومن ثَم، فإنَّ الغزالي (ت٥٠٥هـ) لجأ إلى طريقة الصوفية بعد أن استبدّ به الشكّ، فلم يجد في المنطق، أو الفلسفة، أو العلوم الشرعية، جوابًا شافيًا لشكوكه العميقة، وهو ما يبيّن لنا الربط بين الأزمة النفسية والتوتر العقلي في اللجوء إلى التصوف والإيمان بـ (أنَّ العقل نور يقذفه الله في القلب). وتبيّن لنا الحالة النفسية حين يقول: "وزاد الأمر أنْ أَورثتْ هذه العقلة في اللسان، حزنًا في القلب، بطل معه قوة الهضم، وقَرَم الطعام والشراب، فكان لا تنساغ لي شُربة، ولا تنهضم لي لُقمة، فضعفت القُوى، وقَطَع الأطباء طمعهم في العلاج، وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إلى العلاج، إلَّا أنْ يتروّح السّرّ عن

الهم الملمّ"(الغزالي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. ص٦٤). وهذه صورة واضحة لمرض نفسي ربما وصل إلى حد الذّهان.

أمَّا أبو منصور الحلاّج، فقد بلغ الانفصام عنده حدَّه، ولا بدَّ أنَّه في ساعة إعدامه كان قد وصل حافة الجنون، خاصة بعد تقطيع أوصاله، ومن هنا، يجب ألَّا يؤخذ ذلك دليلًا على تضحيته في سبيل مبادئه، بل كان رجلًا لا يختلف عن سابقيه في مراحلهم الأخيرة إلَّا في الدرجة فقط، وتدلنا هذه الحالة على مدى تأثير الانفصام على عقليته حتى إنَّه يقول: ما في الجبة إلى الله"(انظر، بدر وسكاتولين، ٢٠١٠م. ص٤٥-٥٦؛ ٦٧-٨٠).

ولعل تلك الحالات تكشف لنا عن بقية الحالات التي يُصاب فيها اللاجئ إلى الصوفية من أزمات نفسية خطيرة متعدِّدة المراحل، مرورًا بالكآبة، والوحدة، والإحباط، وانتهاءً بالذّهان.

وإذا كان العلم يرفض التفسير الغيبي لمقولات الصوفية، ويتوقف عند حدود التفسيرات النفسية، فإنَّ أهل السُّنّة – أو من يسمّيهم المتصوفة (علماء الظاهر)، أو (أهل الله)، وفي هذه التسمية استخفاف بهم وازدراء لعقليّتهم- وانطلاقًا من موقفهم ضدّ غُلاة الصوفية وفلاسفتهم- قد أقرّوا "تكفيرهم وخروجهم عن الدين من خلال تصوّرهم بأنَّ هؤلاء لتعمّقهم في أمور الدين وتأمّلهم فيه قد أسقطوا عن أنفسهم تكاليف الشَّرع لانشغالهم بتأمّل الذات الإلهية ورغبتهم في الاتحاد بها"(الجبوري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ص٢٦ الشبعان، ٢٠٠٨م. حاشية ص٧١).

ولدينا أحد الاعترافات الدامغة التي هي في نظر العلم تخييل وإيهام، أو حالة ذهانية بحتة، أمَّا من حيث الدين، فهي مَسٌّ من الشيطان، وبهذه الرؤية الأخيرة تصبح كلّ دعاوى الصوفية في (الوحدة) و(الاتحاد) أو (البقاء)، تضليلات شيطانية لا يسندها، لا العقل، ولا النقل؛ فهذا الشيخ الدكتور تقيّ الدين الهلالي يعترف قائلًا: "بينما أنا ذات ليلة أصلّي قيام الليل أمام خيمة... إذ رأيتُ غمامًا أبيض سَدَّ الأفق كالجبل المرتفع من الأرض إلى السماء وأخذ ذلك الغمام يدنو مني... حتى وقف بعيدًا مني وخرج منه شخص وتقدّم حتى قرب مني ثم شرع يصلي بصلاتي مؤتمًّا بي، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشرة سنة، ولم أستطع أنْ أميّز وجهه بسبب الظلام، ولَمَّا شرَع يصلي معي كنتُ أقرأ في سورة (ألم) السجدة ففزعتُ وخفتُ خوفًا شديدًا، فخرجتُ منها إلى سورة أخرى أظنُّها سورة سبأ، ولم أستطع قراءة القرآن مع شدة حفظي له بسبب الرعب الذي أصابني، فتركتُ السُّوَر الطِّوال وأخذتُ أقرأ بالسور القصار التي لا تحتاج قراءتها إلى رباطة جأش واستحضار وفكر، فصلى معي ستّ ركعات، ولم أرد أنْ أكلِّمه؛ لأنَّ الطريقة تُوصي المريد

ألَّا يشتغل بشيء مما يعرض له في سلوكه حتى يصل إلى الله، وتنكشف له الحُجُب فيشاهد العرش والفرش، ولا يبقى شيء من المغيَّبات خافيًا عليه، ولما طال عليّ زمان الاضطراب دعوتُ الله في سجود الركعة السادسة، فقلتُ: يا ربّ إن كان في كلام هذا الشخص خير فاجعله هو يكلمني، وإنْ لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني، فلمَّا سلّمتُ من التشهد بعد الركعة السادسة سلّم هو أيضًا، ولم أسمع له صوتًا... وبعد السلام انصرف ومشى على مهل حتى دخل في الغمام الأبيض الذي كان قائمًا في مكانه الذي كان ينتظمه، وبعد دخوله في الغمام فورًا أخذ يتقهقر... حتى اختفى عن بصري...[وقيل لي] يمكن أنْ يكون ذلك شيطانًا، لو كان ملكًا ما أصابك فزع ولا رعب، فظهر لي أنَّ رأيه صواب"(عبدالخالق، ١٩٨٤م. ص٤٤١-٤٤٢).

ونستدلّ من كل ذلك على أنَّ الرغبات والغرائز المكبوتة تعبّر عن نفسها، إمَّا في شكل أحلام يقظة أو منام، أو في شكل تداعيات متحرّرة من سيطرة الإرادة، خاصة في حالات (الوجد)- (الوله)- (السكر)- (الغيبة)، حين تعتق تلك الأحلام بعد أنْ تأمن الرقابة الاجتماعية والضغوط الخارجية، وتتخلّص كليةً من سلطان العقل، فيبوح اللاوعي بكل محتوياته المقموعة، وعلى الخصوص أنَّ الصوفية تؤكّد مسألة (الخلوة)، كما أكَّد ذلك الغزالي حين قال: "الخلوة في مكان مظلم، فإنْ لم يكن مكان مظلم، فيلفّ رأسه في جبّته، أو يتدثّر بكساء أو إزار"(الغزالي، د . ت. ج٣، ص٦٥-٦٦).

وبهذا الاستنتاج نستطيع أنْ نفسّر تأويلات ابن عربي في كتبه، وأنْ نعدّ العقل غير مسؤول عنها، وإنَّما المسؤول عنها هو اللاشعور الذي عبّر عن طريق فكّه من عِقاله عن رغبته في أنْ يكون نبيًّا جديدًا يدعو إلى وحدة الأديان- وحدة الوجود (ابن عربي، ص٣٢-٤٢؛ البقاعي، ص٣٨، ٦٦).

**الكرامات**

ولكن ماذا عن الكرامات؟ (انظر، بلعلي١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص ١٨٨-١٩٩، ٢٠٩-٢١٥، ٣٠٦-٣١٣). فبعضهم يرى أنَّها حِيَل، ويضربون على ذلك أمثلة كثيرة، ويرى آخرون أنَّها رياضة عقلية، يسيطر فيه الصوفي على قُواه العقلية، فتستجيب لها الحواسّ، ويراها غيرهم خِدَعًا نظرية فنيّة كالتي تُعرض في الألعاب الترفيهية، وهم وإنْ كانوا لا ينكرون أنَّ الله سبحانه وتعالى يُكرِم عباده الصالحين، إلَّا أنَّ هذه الكرامات التي تدَّعيها الصوفية هي من قبيل الهَوَس، أو الشعوذة؛ لأنَّ هؤلاء يربطون الكرامة بالاتصال بالله بطريقة أو بأخرى، والله-جلّ وعزّ-منزَّه عن هذه الأوضاع البشرية.

ومع ذلك، فإنَّ المشاهدات الحسية تؤكِّد صحة ما أسموه كرامات، وهذه الكرامة لا تقتصر على وقت

معيّن، أو شخص معيّن، بل يمكن الحصول عليها بالتلقي؛ مثلًا فهل ننكر هذه الوقائع؟ وإذا نظرنا إلى سورة "الفلق"، وفيها **يقول عزّ من قائل**: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ سورة الإخلاص، اقتربنا إلى اتهام أولئك بأنَّهم والنفّاثات سواء؛ أيْ: أنَّهم يتعاملون مع قُوىً غيبية غير الله سبحانه وتعالى، ولعل في رواية الهلالي السابقة ما يسند هذا الاتصال، ويأتي تأكيد البلادي في كتابه (الأدب الشعبي في الحجاز)، تأثيرَ تلك القُوى، إذ يقول: "وهنا أناس مختصّون بالرقيا على لدغات الحيّات والأفاعي، وتكون رقياهم ناجحة، إلَّا أنَّها موروثة يخرج بعضها عن المشروع. كما يقول: "وهناك من يرقى العقرب أيضًا، فقد لُدِغت مرة...فجيء برجل لا يحسن قراءة الفاتحة، فأخذ عودًا وصار يُمرِّره على إصبع رجلَي الملدوغ، ويتلو شيئًا حتى يعود إلى نفس الإصبع، وبعد ساعة صرتُ أمشي، ورفض إخباري ذلك الراقي بما رَقى به"(البلادي، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. ص٢٨٦).

وتكون النتيجة أنَّ ما يدّعيه المتصوفة من كرامات خاصة بعلومهم ليس إسلاميًّا؛ لأنَّ معتقدهم لا يسير وَفْق الكتاب والسنة، وما تلك الكرامات إلا حِيَل، أو شعوذات، أو رُقىً شيطانية، أو أنَّها تعبير عمَّا هو مكبوت في النفس (انظر عن الموقف من الخوارق، (كتاب حسين، ٢٠١٣م.).

**التائية** (ابن الفارض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ص٢٩-٩٢؛ نصر، بيروت١٩٨٣م.) ص١٧٤- ١٧٥، ١٨٦-١٨٧، ٢٩١-٢٩٦، ٤٠٦).

**نظرة عامة:**

لسنا معنيّين بشروحات (التائية) فهي كثيرة، وإنَّما تنصبّ جُلُّ اهتماماتنا على مدى بلوغها المستوى الفنيّ المفترض في أيَّة قصيدة على أنَّها شعر(١)، وليس لكونها جنسًا أدبيًّا فقط، على النقيض تمامًا ممَّا ذهب إليه عبدالخالق محمود في دراسته لشعر ابن الفارض، وعدّه "بحق شاعر التصوف الإسلامي العربي"(محمود، ١٩٨٤م. ص٣، ٨). مع أنَّه القائل:" ابن الفارض عاش حياته وأبدع شعره وشكل مذهبه في الحب

(١) انظر عن مفهوم "الشعرية": جمال الدين بن الشيخ، الشعرية العربية (الدار البيضاء، ١٩٩٦)، مشري خليفة، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية (عمَّان – الأردن: دار الحامد، ٢٠١٠م.)، وانظر عن تطبيق المنهج السيميائي على رائية الشريسي، نموذج صوفي، محمد مفتاح، دينامية النص (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٠م، ص١٤٣-١٥٦)، والبون شاسع بين مثل هذه الدراسة ودراستنا، فهذه الدراسة- ومثيلاتها- تنظر إلى الشعر الصوفي، كما يقول، ص١٤٩: (رسالة شعرية)، ومن ثم، فـ "السلوك الصوفي المصاغ شعرًا يجب أنْ يندرج ضمن قواعد الكتابة الشعرية النوعية من جهة..."، على حين ننظر إليه على أنَّه جنس من القول، صيغ في قوالب شعرية، ولكنَّه ليس بشعر، كما سيتبيّن من التحليل.

والوحدة في عصر شاعت فيه الأفكار الفلسفية شيوعًا كبيرًا...فقد سبقته نظريات (الحلول) و(الاتحاد) و(وحدة الوجود) ...فلا عجب أنِ استمدّ ابن الفارض من معجم هذه النظريات وغيرها ما حسبه مناسبًا من مفرداتها واصطلاحاتها للتعبير به عن مذهبه الخاص". (محمود، ١٩٨٤م. ص٢٦، ٣٨-٣٩، ١٤٤). وهو هنا يجعل ابن الفارض مجرد موظِّف للمصطلحات لا متفاعلًا بها، ولهذا يقول: "إنَّ ديوان ابن الفارض ترجمة ذاتية لتجربته الروحية، ذلك أنَّه تصوير فني صادق، وتعبير مخلص عن تجربة الشاعر الروحية، تلك التجربة الفائقة التي استغرقت عمره جميعه"(محمود، ١٩٨٤م. ص٤٣). ومع أنَّه يذكر هنا أنَّ "التجربة الفائقة التي استغرقت عمره"، وهذا ضدّ قوله الآخر: "يصير دويًّا يهتزُّ له كيان الشاعر اهتزازًا عنيفًا"(محمود، ١٩٨٤م، ٤٤). وقوله: "إنَّ ابن الفارض لم يبدع شعره وهو في حالته العادية اليقظة... بين وجده الصوفي وغيبته التي يلهم فيها..."(محمود، ١٩٨٤، ص٨٢، ص١٠٧). وكيف يتوافق هذا مع قوله: "لقد أبدع ابن الفارض ديوانه في شكل فني معقد، فجاء أسلوبه رمزيًّا إلى أبعد الحدود، بحيث قصرت اللغة الوضعية بدلالاتها الصريحة عن احتواء تجربته والتعبير عنها".(محمود، ١٩٨٤م. ص١٤٥، ص٦٣-٦٤). ألَّا يقف تحليلنا-بعد هذا- مع من قال هو عنهم: "ولئنْ غاب متصوفة الإسلام- لسبب أو لآخر- عن حلبة التفكير البلاغي والنقدي- وهم فرسانها- فترة تأصيلها وتقعيدها، فلم يكن ذلك لعقم إبداعهم أو لقعودهم عن المشاركة في مسار تاريخ الأدب العربي، بل جاء ذلك نتيجة عداء فلاسفة الإسلام وفقهائه لهم...فطمسوا وجه هذا الإبداع الأدبي الصادق الأصيل..."(محمود، ١٩٨٤م. ص١٤٩). ولا يعنينا أيُّ جانب آخر مما أشار إليه، وإنَّما نحن معنيّون بـ"هذا الإبداع الأدبي الصادق الأصيل"، وهو ما لم تستشعره "حلبة التفكير البلاغي والنقدي"، وهو ما نحاول إثبات صحته هنا، على الرغم من أنَّ النقد المعاصر ماضٍ في ذلك الاتجاه[1] (انظر، صادق، ١٩٩٨م. ص١٠٠ – ١١٠، ١١٦ – ١١٧، ١٥٦ – ١٦٧). وعلى الرغم ممَّا قد يُحتَجّ به من شعر أبي تمام والمعري وأضرابهما، فإنَّ هؤلاء حقّقوا مستوى متميّزًا من الإيقاع، على حين أنَّ شعر المتصوفة انفصل عن الشطحات والاستغراق في التأملات،

(١) انظر مثلًا، علاء هاشم مناف، الرؤية والحدث الإبداعي في الأدب الحديث (عمّان: دار الرضوان، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م. ص٧٣-٨٥)؛ (جوزيبي سكاتولين، ديوان ابن الفارض قراءات لنصه عبر التاريخ، إبداع، ص١٩، ربيع الأول ١٤٢٣ هـ/ مايو- يونية ٢٠٠٢م. ص١٤-٢٧)؛ نعمان أبوقرة، الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية (إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٢م. ص٢٦٧-٢٨٤).

فجاء صناعة مفتعلة، وإنَّما يتحقّق الإيقاع لديهم في الأناشيد والأذكار والابتهالات، والرقص مصحوبًا بنقر الدفوف[1]. وإنْ كنا لا نعدم شيئًا من هذا، كما في قصيدة ابن الفارض نفسه (سائق الأظعان)، ومع هذا فهي أبعد ما تكون عن (الحلول) (الغيبوبة)، فهي غنائية لطبيعة الإيقاع (الرمل) نفسه، وفيها من الصناعة شيء كثير، مما يتفق مع صياغة التائية (سكاتولين، ديوان ابن الفارض، ٢٠١٣م. ص ٣٦ – ٤٩).

وعلى كل حال، فأول ما يلفتنا في هذه القصيدة هو مطلعها، الذي اشتمل على أهم ركيزة في الشعر الصوفي أَلَا وهي (الحبّ الإلهي) ثم تتبعه المفهومات الأخرى، فقوله:

**سقتني حُمَيّا الحبّ راحةُ مقلتـــي**

**وكأسي محيا من عن الحسن جَلّتِ**

فنحن أمام معنيين رئيسين يدوران حول كلمة (المحيا)، وهي لا تختلف عن مجانستها (محيا)، فكلتاهما تتضمنان معاني (الجذب والجذوة)... كما نجد هذا التجانس اللفظي والمشابهة المعنوية في (الحب)، (الحسن)، مع التنبه إلى المعاني المجردة فيهما، وتتشكل لنا في النهاية صورة ما هو معروف بحالة (السكر)، وقد بيّن أنَّه في حالة (حضور)؛ لأنَّه يستغرق الآن في (المشاهدة)، وهو يؤكِّد تجريد الألفاظ من معانيها المتداولة، للتعبير عن إحساسات ذوقية خاصة؛ ولهذا، فهو لا يعبأ في البيت الثاني بالشراب، بل بـ(شرب الشراب)، أمَّا السِّرّ لديه، فإنَّه تلك الفرحة الداخلية التي عبّر عنها بـ (انتشائي)، ويستمرّ في التجريد، وهنا يؤكِّد التجرد من الماديات وهو يسير في طريق "الفناء". وذلك، كي يبعد عن التصور، أي: علاقية واعية بالمادة؛ فالحدق كالأقداح، كما أنَّه ليس هناك شمول، بل شمائل تصيب بالنشوة، يقول:

**فأوهمـــت أصحابي أنَّ شرب شرابهم**

**به سُرّ سِرّي في انتشـــــائي بنـظرة**

**وبالحدق استغنيت عن قـدَحي ومـــن**

**شـــــمائلها لا من شمولي نشـــوتي**

وإزاء تلـك الحـالات، لمّـلـه (الأنـس)، فجـاءه دور (الصحو)، يقول:

**قفي حان سكري حان شكري لفتيـــة**

**بهم تَمَّ لي كتمُ الهوى مع شـــــــهرتي**

**ولما انقضى صحوي تقاضيت وصلها**

**ولم يغشني في بســـطها أقبض خشية**

وبهذا شاهدنا إحدى الصور الصوفية التي طالما عبّر فيها أصحابها عن حالاتهم المتكررة. وهذه – في الواقع– صورة فنية لشاعر في وضع إلهام ووحي شعري. ولكنَّها تـنـزل مراتب عن الإلهام والوحي

(١) انظر، عن الإيقاع الشعري، محمد العياشي، نظرية إيقاع الشعر العربي (تونس: مط العصرية، ١٩٦٧م. ص.١٠٥).

الشعري، لتصبح عملية رياضية، ذهنية، تخيلية، كما يمارسها اليوم رياضيّو (اليوغا).

وإذا كان في الأبيات الأولى نوع من إحكام الصنعة، وفذلكة اللغة، فإنَّ الأبيات التي يصِف فيها قيامه أمام "حضرة الله"-عزّ وجلّ-تفتقر إلى الحِسّ الشعري، ويفقد فيها الرمز قيمته، فلا نتبيَّن أنحن أمام رمز "أنثويّ" لله -جلّ جلاله-أم في موعظة دينية؟ ويكشف هذا التداخل بين الرمز والمفاهيم الدينية عن أعياء، لا في الشعر فحسب، بل في التصوّف نفسه؛ إذ يجب ألَّا يَشغَل الصوفيّ في خَلوته أيَّ عارض من العوارض الدنيوية، ومن بينها البكاء والدموع، ولكن أبا حفص يريد أنْ يبلِّغنا أنَّه يتعذّب، ويتألّم في هوى (محبوبته)، ولذلك، جاءنا بطوفان، نوح كناية عن غزارة دموعه، وبنيران إبراهيم، كناية عن عذاباته، ثم هناك يعقوب وأيوب، ولسنا ندري، فلعلّ أبا حفص كان يريد شيئًا آخر يقوله غير تلك الكنايات، فربما كان يريد أنْ يقول: إنَّه إنْ لم يَـفُـق أولئك الأنبياء، فإنَّه يأتي في صفّهم، وهي فكرة معروفة عند المتصوِّفة. بل إنَّ ذلك يبدو غير بعيد، فهاهو يجعل نفسه كموسى الذي يكلِّمه الله في (طور سيناء)، يقول:

**ولو أن ما بي بالجبال وكان طو**

**ر سينا بها قبل التجلّي لدُكّت**

إنَّه يمكن عَدّ ذلك نوعًا من الفنّ- ولكن الفنّ بعيد عن مثل هذه الأشعار، فهي قوالب منظومة، تحمل أفكارًا، ومن هنا، فلا يمكن تبرئة صاحبها من القول: إنَّه كان يقصد تلك المعاني التي ذهبت إليها (الصوفية)؛ فـ(التجلّي): ظهور أنوار الله- سبحانه وتعالى- للمتصوِّف، وهذا يعني ممارسة صوفية، واقتناع بمبادئهم، وما يؤكِّد ذلك أنَّ المتصوِّفة ينتقلون من مرحلة (التجلّي) إلى مرحلة "الفناء"، وهذا هو ما عبّر عنه بقوله:

**وما بين شوق واشتياق فنيت في**

**تولٍّ بحظرٍ أو تجلٍّ بحـــــضرة**

حقًّا، لقد أرجَع معجزات أولئك الأنبياء-إضافة إلى سليمان، وموسى، ويوسف- إلى ذلك (التجلّي) و(الاتحاد)، فقال:

**بذلك علا الطوفان نوحٌ وقد نجا**

**به من نجا من قومه في الســـفينة**

إلى آخر الأمثلة التي يضربها ( ابن الفارض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ص٧٩-٨٠).

ويحقِّق كلّ ذلك أنَّ ابن الفارض لا يقِلُّ ألبتة عمَّا ذهب إليه ابن عربي أو السهروردي أو غيرهما، أليستْ هذه كلها هي أحوال الصوفية جمعاء؟ ألم يصل إلى حدّ (الفناء)، كما يذكر؟ وأليس ما يُظهِره سوى ذلك، فما هو إلا تظاهر بالتقوى وتقيّة خشية الأذى، وقد علِم بما آل إليه الحلاّج، وما وقع للسهروردي؟ لقد صرَّح بما في نفسه، فقال:

**أخالف ذا في لومه عن تُقىً كما**
**أحالف ذا في لومه عن تقـــيّة**

وعند هذه النقطة تزداد الهُوّة بين الفنّ واللافن، فالفنّ يظل في حالة توتّر مستمر، أمَّا حين ينتقل إلى إيجاد رابطة بين الداخل والخارج، فهنا يستحيل الفنّ إلى فلسفة، وقد قيل قديمًا عن أبي تمّام الشاعر: (نسمّيك فيلسوفًا، ولكن لا نسمّيك شاعرًا).

وليس في الأبيات أيُّ شيء شعريّ يُلفِت النظر، فكلها تعبيرات مجازية عن (أنثى)، واستخدام غير موفَّق جدًّا للغة غزلية، فقدتْ جاذبيتها بفعل التحكّم العقلي فيها مثل قوله:

**وقد برَّح التـــــــبريح بي وأبادني**
**وأبدى الضنى مني خفيَّ حقيقتي**

وبعده:

**نعم وتباريح الصبابة إن عَدَت**
**عليَّ من النَّعماء في الحُبّ عُدّت**

وبعده:

**فلاحٍ وواشٍ ذاك يهذي لغِرة**
**ضلالًا وذا بي ظلَّ يهذي لغيرَة**

ثم تأتي أبيات حكمية، جافّة، لا تعكس تجربة نفسية، ولا هزة روحية، وإنَّما هي أصداء لنفس غير سويّة، وعقلية مضطربة، لم تتوقّد بلهيب الحياة ومعاناتها، كقوله:

**وأين الصفا هيهات من عيش عاشق**
**وجـــنّة عـــــــدْن بالمكاره حُفّت**

وتعقبها نصائح هروبية، جامدة، تكشف عن إنسان عاجز عن مواجهة الحياة، مثل قوله:

**وعادِ دواعي القيل والقال وانجُ من**
**عوادي دعاوٍ صدقها قصدُ سُمعة**

ثم نجد القصيدة تهوي مرارًا في تقريرية فاترة، تعمِّق تفكُّك القصيدة وتبعثرها، فتزيد من ملل القارئ وسآمته، يقول:

**وعن مذهبي في الحُبّ ما لي مذهب**
**وإن مـــلتُ يومًا عنه فارقت مِلّتي**

ولعل القصيدة حتى قوله:

**وما احترتُ حتى اخترت حُبِّيك مذهبًا**
**فوَاحيرتي إنْ لم تكـــــن فيك خِيرتي**

ثم تبدأ المعاتبة بين الاثنين من قوله:

**فقالت هوى غيرى قصدتَ ودونه اقـ**
**تصـــــــدت عَمِيًّا عن سواء محجتي**

إلى قوله:

**وعِيـــــدك لي وعد وإنجازه مُنى**
**وليٌّ بغـــــير البُعد إن يُـرم يَثْبُت**

وفي هذه الأبيات من الرَّكاكة والفتور الشيء الكثير، فلا حُرقة، ولا عذاب، ممن نسمعه حتى من متصنِّعي الهوى، ومتكلِّفي الغرام، أو ممَّن تذوب قلوبهم حُرقة وحُبًّا بمن يعشقون، بل حتى عند المقلِّين المتشبِّين.

وإذا كان رمز (الأنثى) قد اختلط بالمفاهيم الدينية، فأحال القصيدة إلى موعظة واعتبار، فإنَّ ابن الفارض لم ينجح حتى في رمزه ذاك؛ فلقد انفلت الرمز من بين يديه، ليتحوَّل مباشرة إلى الذات الإلهية، وبتحوِّله هذا يدرك القارئ فتور وتراخٍ؛ لأنَّ الصورة البشرية تحوَّلتْ إلى صورة إلهية، فيفتقد تعاطف القارئ، ويصبح استغباءً لفهمه وإدراكه، وذلك على افتراض أنَّ القارئ عاديّ جدًّا، لا يتنبّه إلى الرمز من بدايته، أمَّا إذا كان القارئ ممَّن يتنبّه إلى ذلك بدءًا، فإنَّه لا شك سينظر إلى الشعر كله على أساس أنَّه شعر منظومات دينية، وسيقول عن كل ذلك: هي ألفاظٌ متصوفة، ومن تلك الأقوال التي لا ترقى إلى الشعرية قوله:

**خلعـــتُ عذاري واعتذاري لابسَ الـ**
**ـــخلاعة مسرورًا بخَلعي وخُلعـــتي**
**وخلعُ عذاري فيك فرضي وإن أبى اقـ**
**ـــترابيَ قـــومي والخلاعـــةَ سنتي**
**وليســـو بقـــومي ما استعابوا تهتكي**
**فأبـــدوا قِلىً واستحسنوا فيك جفوتي**

إنَّنا بهذا التحليل لا نخرج (التائية)، (نموذجًا) من الأدب، فهي ككل النِّتاج الصوفي، نثرًا وشعرًا، يدخل في الأدب بوصفه قولًا تُعنى به الآن المناهج اللسانية، ولكن تركيزنا على قيمته الشعرية، حتى إنَّ كثيرًا ممَّا هو معدود شعرًا يفتقر إلى كثير من مقوِّمات الشعر.

صحيح أنَّنا أمام معضلة في تحديد مفهوم الشعر؛ لأنَّ الإجماع على أنَّ أقوال أبي العتاهية شعر، وكذلك، أبو العلاء المعري شاعر، وهناك من رأى أبا تمام فيلسوفًا... فإذن، فليكن قول المتصوفة شعرًا، ولاسيما أنَّ النقد المعاصر يدافع بشدة عنه بغض النظر عن المدرسة الأدبية التقليدية التي استبعدت الشعر الصوفي، بينما لم تَرَ بأسًا في قول شعر الكتاب والعلماء والنُّقاد، كما قُبِلتْ أشعارًا مفرطة في الغلوّ كأشعار ابن هانئ الأندلسي، بيد أنَّ هذا لا يمنع من طرح موقف خاص تجاه هذا الشعر.

وها نحن نتبيّن هنا أنَّ هذا الشعر الصوفي برمته لم يكن نابعًا من الإلهام، أو كما يُـدعى (الفيض)، أو أنَّه "كان غالبًا ما يتمّ في حالات الوجد" (بلعلي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ص٣٣، ٤٠، ٤٧). أو ما يُذكر عنه من "أنَّه لم يكن نظمها على حد نظم الشعراء أشعارهم، بل كان يحصل له جذبات يغيب فيها عن حواسه الأيام، نحو الأسبوع والعشرة، فإذا أفاق، أملى ما فتح الله منها من الثلاثين والأربعين والخمسين بيتًا، ثم يَدَعُ حتى يعاوده ذلك الحال" (سكاتولين، ديوان ابن الفارض، ٢٠١٣م. ص ١٤ – ١٥).

وباختصار، فغاية ما يصل إليه هذا الشعر الشرح للأفكار، فبدلًا من أنْ يجذب القارئ يشعره بالملل والإحباط.

لقد فقد الشعر الصوفي زخمه بانفصاله عن الخيال الطبيعي، أيْ: ذهابه إلى تأويل ما يخصّ (الأنثى)، (الحبّ الإلهي)، وما يشتمل عليه من حديث النفس و(الخمرة)، مرتبطًا بالذات الإلهية، وليس بالبشرية، إنَّه تهويم يفتقر إلى التركيز، أي: انقطاع التفاعل مع المتلقي، وهو ما لا يعني القارئ، وهذا واضح من اتباعهم الرمز العذري(١).

إنَّ العوالم الصوفية بانفصالها عن التفكير الجمعي للمتلقين حتّمت بُعدها عنه، ويتأسّس على هذا أنَّنا لا نتعامل مع لغة سريالية، لغة (الشطح الصوفي)، فهذا مجرّد ادعاء(٢)، وإنَّما نتعامل مع لغة مصطنعة، موجَّهة؛ لتحقيق أهداف صوفية، ولنا أن نستنتج هذا فيما أبدته بلعلي حين تقول:"هل هذا يعني أنَّ المتصوفة لم يكن لهم وعي لغويّ ممركز في كتابة الشعر؟ حيث كان الصوفي يدور بين الأشكال والأغراض الشعري بحثًا عن مادّته؛ لينتزع منها دون عناء طرائقها في التعبير، ولم يعد الحديث سوى عن عملية استبدالية يقوم بها القارئ فيستحضر السياق الخارجي؛ لتعيين الموضوع الصوفي في نص الغزل أو الخمرة" (بلعلي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ص٣٣٧). وهذا على النقيض تمامًا ممَّا يذكره عادل محمود بدر في فهم (الشطحات الصوفية)، ومتأثِّرًا بأدونيس:" إذا كانت التجربة الصوفية هي تجربة الكشف، فإنَّ التعبيرعنها يأتي " بلغة تجيء فيضًا أو إملاءً أو شطحًا، في غياب الرقابة العقلية غيابًا شبه كامل، وتتجلى فيه التجربة أحيانًا في عبارات وألفاظ يسميها الذين ينظرون إليها من الخارج... بالمروق والشعوذة، إنَّها تجربة تتخطى الجزئي إلى الكلي متخطية في ذلك ثنائية المادة والروح، الظاهر والباطن، نحو الوحدة حيث يتحد الإشراق بالعمل، والانخطاف بالممارسة الحية... وتذوب الأنا واللا أنا في حركة وجدانية تحوِّل الإنسان إلى حركة من استبطان الوجود والتماهي مع أسراره... ومن هنا تبدو الكتابة الصوفية أبعد من أدبية الكلام، تبدو كأنَّها كلام يقبض على ما وراء الطبيعة...كأنَّها انتظار لغير المنتظر... كل شيء فيها يبدو رمزًا أو حلمًا أو إيماءً..."(بدر، ٢٠١٠م. ص٦٤-٦٥، وانظر،

---

(١) علي أحمد سعيد، أدونيس، الصوفية والسريالية (بيروت: دار الساقي، ط١، ١٩٩٢م.)، وانظر عن شعر أدونيس الصوفي، غالية خوجة، أسرار البياض الشعري (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٩م.) ص٨٦-١٠٠، ١٤٤،١٤٦،١٧٢؛ كاظم جواد، أدونيس منتحلًا (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م.) = =ص٩٢-٩٥، وبشكل عام، انظر، عبد القادر فيدوح، أيقونة شعر الفيلوصوفيا، سمات، البحرين، م١، ع١ (مايو، ٢٠١٣م.) ص ٦٠ - ١٠٠.

(٢) بلعلي، تحليل الخطاب الصوفي، ص٣٣٩، ٣٤٢-٣٤٤، وانظر، ص ٥٥-٥٦. ٧٨. وقارن هنا تائية ابن عربي، ديوان ابن عربي، ص٣٢- ٣٤، بتائية النميري؛ أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م.) ج.٦ ص.١٨٢-١٩٢.

ص٧١، ٧٩، ٨٠-٨٣، ١٠١؛ أدونيس، ص١٤٢-١٤٣؛ سليطين، ٢١٣م. ص ١٥-٣٢).

وعلى حين يقول أمين يوسف عودة، مسايرة ليوسف اليوسف: "وفي تصوير النحول والهزال والضنى من شدة الحب والوجد بالمحبوب، أبدع الشاعر الصوفي أيّما إبداع، في تمثل هذه الصورة واستلهامها من شعر الغزل العذري"(عودة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م. ص١٩١)، ويقول في موضع آخر: "ابن الفارض في شعر حقيقة الأديان، يتراجع مستواه الفني قليلًا عمَّا عهدناه في قصائده ذات الطابع الغزلي أو الخمري"(عودة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م. ص٢٢٣). وفي الوقت نفسه يقول: "في سياق هذه التصورات لوحدة الوجود، يأتي ابن الفارض الذي تشربها بروح الشاعر الصوفي، وعبَّر عنها بمصطلح وحدة الشهود، تعبيرًا يُعدُّ من أرقى ألوان الشعر الصوفي من الناحية الفنية"(عودة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م. ص٢٣٢. وانظر، ص٢١١- ٢١٣). إذن، هنا (وحدة الوجود)، وهنا أيضًا (وحدة الشهود)، فالثانية تعبير عن الأولى فقط، ولكن هل تحقّـق قصيدة بهذه التراكيب، فيما يصل إلى (٨٠٠) بيت، أدنى مستوى من مستويات الشاعرية؟ (الخروصي، ٢٠١١م.).

وهل يحقّق هذا التريّث لنظم هذا المجموعِ الكبيرِ التوتّرَ المطلوبَ في الشعر؟ وهل نكتفي بالاعتماد على (العرفان) لتوصيل (الشفرة) الشعرية؟ إنَّنا نستطيع إنشائيًّا أنْ نزعم كل ذلك، أمَّا فنيًّا، فلا! كما نستطيع أنْ ندرسه على أنَّه (خطاب)، ولكنَّه ليس خطاب شعر! فعلى سبيل المثال يقول علي الشبعان:" إنَّ الخطاب الأدبي لا يكترث كثيرًا بتحقيق التواصل البلاغي بقدر انشغاله بإحداث قِيم التأثير الجمالي في ذات المتقبِّل عبر خلق نوع من التفاعل خصيب بين النصّ المنشَد أو المقروء وبين من يتلقّاه"، وبعده مباشرة يقول: "قارئ ديوان ابن عربي ليس قارئ المؤسسة الأدبية في عصره بل قارئًا تصنعه تعاليم القطب وتقود ذهنه مناخاته المبنية على الوجد والشطح والكشف التي بها ينبني الخطاب الصوفي انبناءً مخصوصًا وينتظم وفقًا لها القول انتظامًا منفردًا لا تنفكّ شفراته إلَّا عبر قوانين تكون إفرازًا طبيعيًّا لتلك التشكيلات الخطابية التي استند إليها المريد زمن القول ولحظة التجلي، ولما كانت الغاية لدى ابن عربي وغيره من المتصوفة الذين اصطبغتْ أفكارهم بمبادئ فلسفية مجردة..."(الشبعان، ٢٠٠٨م. ص٦٩-٧٠، وانظر، ص٢٢). وهذان طريقان لا يلتقيان، فإمَّا (قِيم التاثير الجمالي)، وإمَّا (تعاليم القطب وتقود ذهنه مناخاته)، وهذا ليس قاصرًا على شعر هذا أو ذاك من المتصوفة، بل يشملهم جميعًا دون استثناء، على عكس ما يقدمه رضوان الوهابي (الوهابي، ٢٠٠٧م.) حتى الحلاج، نقيضًا لما تطرحه أماني داوود (داوود، الأسلوبية والصوفية، ٢٠١١م.).

ومن ثَمَّ تكون النتيجة، أنَّ هذا نوع من المنظومات، كمنظومات النحو، والفقه، والعروض... وإذا كانت المنظومات الأولى جافّة مربِكة، فإنَّ هذه المنظومات تجرَّدت من الموازنات العقلية، لتنقل أفكارها من غير صنعة، وبلا ضابط، وفي استرسال يعبّر عن تلك الأفكار، على الرغم من الادعاء بـ (الكشف)، و(التجلي) و(الاتحاد) و(الحلول).... وليكن هذا في النثر، أو في مسمَّى (الشعر)، بما يحمل من تلك الأفكار، غير أنَّ كل ذلك ليس شعرًا، وإنْ جاء مسبوكًا في أُطُر الشعر فقط.

## أفكار صوفية

### الحلول/ الاتحاد

يقول:

**فأفـنى الهـوى ما لم يكن ثَمَّ باقـيًا**
**هنـا من صفات بينـنا فاضمحلّـت**
**فألفـيت ما ألفيتُ عـنـي صادرًا**
**إليَّ ومنّي واردًا بـمـزيدتـي**
**وشـاهدت نفسي بالصفات التي بها**
**تَحَجَّـبَت عني في شهودي وحجـتي**
**وإني التي أحبـبـتها لا محـالة**
**وكـانت لها نفـسي عليَّ محيلتي**

وبعد ذلك:

**تحققـت أنا في الحقيقـة واحد**
**وأثبتّ صحو الجمع محو التشـتت**

ثم يقول:

**فـلم تهوني ما لم تكـن فيّ فانيـًا**
**ولم تَـفنَ ما لا تجتلـي فيك صورتـي**

فهذه الآراء الواضحة كل الوضوح في نظرية (الحلول) لا يدحضها ما قد يُفهم من رفضه لتلك النظرية بعد ذلك، في قوله:

**متى حِلت عن قولي أنا هي أو أقل**
**وحاشـا لمثـلي أنها فيَّ حَـلَّت**

فالبيت (حلولي) خالص، وقد أراد أنْ يُموِّه على القرّاء بغير ذلك عند القراءة الأولى للبيت، أمَّا عند الإمعان فيه، فقراءته تبدو كالآتي:

**متى حِلت عن قولي أنا هي أو أقل**

[أيْ: أو أقول غير ذلك]

**وحاشـا لمثلي، إنها فيَّ حَلَّت**

فعبارة (وحاشا لمثلي) تعني: وحاشا لمثلي أنْ يقول غير ذلك، وقد جاء توهّم رفضه فكره (الحلول) من فتح همزة (إنَّ)، أمَّا كسرها، فيؤدِّي المعنى المطلوب من البيت كله، وهو ما يتفق مع الأبيات السابقة، وفي البيت الآتي:

**ولي مـن أتمّ الرؤيتين إشارة**
**تـنـزّه عن رأي الحلول عقيدتـي**

ظاهر وباطن على حدّ تعبيرهم، فقوله: "ولي من أتمّ الرؤيتين (إشارة إلى أنَّه لا يختار)، (أتمّ الرؤيتين)، فالأولى:

**وها دُحَيَّـة وافى الأمـــين نبيَّنـا**

**بصـــورته في بدء وَحي النبـوَّة**

**أجبـريل قُلْ لي كان دُحيّة إذا بدا**

**لمهديِّ الهـــدى في هيئة بشرية**

**وفي علـمه عن حاضريه رمزية**

**بماهيّـــة المرئي من غير مِرية**

**يـرى ملكـــاً يوحـــى إليـه**

---

وقد قيل عن قوله: (ولي من أتمّ الرؤيتين): "ادعى فيه أنَّ الله يتّحدَّ به ويتجلّى من غير حلول"(البقاعي،١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، ص١٧٦). وهكذا، فالرسول ﷺ يأتيه ملك من الله تعالى، أمَّا ابن الفارض فيقول:

---------- **غيره**

**يرى رجلًا يرعى لـديه بصحـبـة**

إنَّه متوحِّد مع الله، متّحِد به، فهو هو، أو كما قال: (أنا هي). إنَّه يستغلّ الناس بقوله:

---

**ولم أعد عن حكمي كتابٍ وسُنّـــة**

(البقاعي، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، ص ص٨٣-٨٣. وانظر، الحاشية التي كتبها عبدالرحمن الوكيل في تينك الصفحتين)، وكأنَّه يقول: إنَّ متمسِّك بالكتاب والسنة، والواقع أنَّ ما يشير إليه هو أنَّ (اللبس) ذكر في القرآن الكريم، ولا يُفهَم من (اللبس) أيُّ معنى آخر غير (التوحد) و(الاتحاد) فـ (الوحدة)، وبهذا تكون طريقة ابن الفارض هي طريقة ابن عربي، من ناحية تشويه المعنى ونقل الألفاظ عن غير ما وُضعت له بطريقة (التأويل)، ومن هنا، فلكي نحلّ هذا الغموض، علينا أنْ نرجع إلى ابن عربي في (فصوصه)، لنجد شعرًا له مطابِقًا في المفاهيم لما جاء به ابن الفارض، يقول ابن عربي:

**فإن قلت بالتنـزيه كنت مقيّـدًا**

**وإن قلت بالتشبيه كنت محدِّدا**

وبعده:

**فما أنت هو بل أنت هو وتراه في**

**عين الأمور مســرحًا ومقيـــدا**

(ابن عربي، د. ت. ص٧٠، وانظر، البقاعي،١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م. ص٧٧-٧٨).

وإذا كانت القصيدة تطفح بـ (الاتحاد) أو(الوحدة) المستترة خلف عبارات (الاتحاد)، فإنَّ هذا البيت يدلُّ على ما يريد قوله:

**أفاتخـــاذي حبَّـهـا لاتحادنا**

**نوادر عن عاد المحبين شَـذَّت**

أمَّا أنْ يأتي الشذوذ في (حبه)، فهو الخروج عن الناموس الطبيعي للعلاقة بين الإنسان وربّه، أو العلاقة بين المتحابين من البشر، ليصبح (الناسوت)، و(اللاهوت) في الديانة المسيحية، وبعد كل هذا نتحقَّق من صدق قوله:

**لها صـــلواتي بالمعـــاني أجمهـا**
**وأشـــهد فيها أنَّها ليَ صـــلَّت**
**كلانا مصـــلٍّ واحد ساجد إلى**
**حقيقته بالجمع في كل ســـجدة**
**وما كان لي صلّى سواي ولم تكن**
**صلاتي لغيري في أداء كل ركعـة**

ولا عجب-بعد ذلك-أنْ يصرخ بينه وبين نفسه، معبِّرًا عن آرائه، فيقول:

**إلى كم أواخي سترها قد هتكتـــه**
**وحل أَواخي الحب فيعقـد بيعتي**

وبعد هذا، ألم يكن الحقّ مع من ذهب "إلى اتهام ابن الفارض بالحلول والاتحاد"؟ مهما حاولنا التسويغ لذلك، كما تعبّر عنه بلعلي؟ (بلعلي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. ص٣٤٠. وانظر، عن الحلول الفناء والاتحاد حسان،٢٠١٠م. ص٧٩-٨٣). ثم الفرار من هذا إلى القول: إنَّ ابن الفارض من القائلين "بوحدة الشهود وهي غير وحدة الوجود"(الخروصي، ٢٠١١م. حاشية ص.٢٧، وقارنه بـ ص.٣٦).

**الولاية**

يقول:

**ودونك بحرًا خضتُه وقف الأُلى**
**بساحله صونًا لموضع حُـرمتي**

وهو بهذا يشير إلى قول أبي يزيد البِسطامي: "خضنا بحرًا، وقف الرُّسُل على ساحله"، وهذا يعني أنَّ الأولياء أعلى منزلة من الرُّسُل؛ لأنَّ الرُّسُل يأخذون عن الله بواسطة، أمَّا هم فلا وساطة بينهم وبينه -عزّ وجلّ-، بل يتّصلون به مباشرة؛ ولهذا، فهو يرى نفسه وليًّا من الأولياء، فيقول:

**فؤادي ولاها صاح صاحي الفؤاد في**
**ولاية أمري داخل تحت إمرتي**

ويؤكِّد مفهوم الولاية عند الصوفيين، ويدعو لها، فيقول:

**وحزنًا من ميراث أرفع عارف**
**غدا همُّه إيثـــــار تأثير همّـــة**

أمَّا من ناحية مراتب (الولاية)، فهو (قطبها) الأوحد:

**ولا قُطب قبلي عن ثلاث خلفته**
**وقطبيـــــــة الأوتاد عن بدلية**
**فعـــني بدا في الذرّ في الولا ولي**
**لِبان ثَـدي الجمـــع منيَ دَرَّت**

وإذ يعتلي عرش (القطبية) وينفرد به، وإذ يزعم لنفسه (الولاية) التي تفوق النبوة، فهو لا يبالي، إذن، أنْ يقول عن الرُّسُل:

**وما منهـــم إلا وقد كـان داعيًا**
**به قومـــه للحقّ عن تبعـــية**
**فعالمنا منـــهم نبيّ ومن دعـــا**
**إلى الحقّ منا قام بالرســـــلية**

**وعارفنا في وقـــتنا الأحمدي من**
**أُولي العزم منـهم آخذ بالعزيمة**
**وما كان منهم معجز صار بعده**
**كرامة صديق له أو خلـــــيفة**

فهم أنبياء زمانهم ورسُله، إذ الرسُل السابقون كانوا لأقوامهم فقط، وإذا كان للأنبياء والرسُل معجزات، فلهم كرامات، ولابدّ أن نتنبه إلى أنَّ المعجزة حدث أوجده الله تعالى مع وجود النبيّ المرسَل بعد تكليفه بالقيام بالدعوة إليه، أمَّا هم في (وقتهم الأحمدي)، فقد جاءتْهم كرامات من الله-سبحانه وتعالى-؛ لأنَّهم مهتدون وهادون في الوقت نفسه.

وبعد أنْ تحقّقت له (الولاية) و(قطبيّتها) راح يبلِّغنا طريقته، فيقول:

**منحتك علمًا إن تُرِد كشفه فـرِدْ**
**سبيليَ واشرع في اتباع شريعتي**
**فمنبع صدىً من شراب نقيعه**
**لديّ فدعني من سرابٍ بقيعة**

كما يقول:

**فلا تَعْشَ عن آثار سيري واخش غين**
**إيثار غيري واغشَ عين طريقـــــتي**

أمَّا كيف يقنعنا بصدق (ولايته) و(قطبيته)، فهو أنَّه:

**فثمَّ راء النقـــل علم يدقّ عن**
**مدارك غايات العقول السليمة**
**تلقَيتـــــــــه مني وعني أخذته**
**ونفسيَ كانت من عطائيَ مــدّت**

إنَّه نتيجة (الاتحاد)، أو (التوحد)، أو (الوحدة).

## الإنسان الكامل

لعلّ أمر (الولاية) أو (القطبية) ينقلنا إلى ما يُعرَف عندهم بـ (الحقيقة المحمدية)، فإذا كان محمد ﷺ خاتم الرّسُل والأنبياء، فإنَّ هذا المبدأ يتعارض مع من يفوق الرُّسُل والأنبياء، وحتى يجد الصوفية مَخرَجًا لقولهم بـ (الولاية) وغيرها، قالوا بـ (الحقيقة المحمدية)، أيْ: أنَّ محمدًا ﷺ كان أول (التعينات الوجودية) التي فاضت عن أنوار الخالق سبحانه وتعالى، وقد ظهرت هذه الحقيقة في أولئك الأنبياء، ثم حلت في الأولياء بعد انقطاع النبوّة، وهم بذلك يقولون بـ (الإنسان الكامل)، وإنَّ التدقيق في هذا المفهوم وربطه بمفهوم (الحلول) يؤدِّي إلى القول بـ (وحدة الوجود)، وهذا الرأي هو ما نادى به ابن عربي في مؤلفاته، فقال: "في نصّ حكمة إلهية في كلمة آدمية": "لَمَّا شاء الحقّ- سبحانه- من حيث أسماؤه الحسنى التي لا يبلغها الإحصاء أن يرى أعيانها، وإنْ شئتَ قلتَ: أنْ يرى عينه، في كونٍ جامع يحصر الأمر كله لكونه متّصفًا بالوجود، ويظهر به سرّه إليه، فإنَّ رؤية الشيء نفسه بنفسه ما هي مثل رؤيته نفسَه في أمر آخر يكون له كالمرآة؛ فإنَّه يظهر له نفسه في صورة يعطيها المحل المنظور فيه ممَّا لم يكن يظهر له من غير وجود هذا المحل

ولا تجليه له...". ثم يقول: "فما صحّت الخلافة إلَّا للإنسان الكامل، فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم صوّره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى"(ابن عربي، د. ت. ص٨-٤٩، ٥٥، وانظر عن (الإنسان الكامل)، بدوي، ١٩٧٦م. ص. ٦٣-٦٧).

ولقد كان لهذه الفكرة تأثير كبير على ابن الفارض، فنقلها بحذافيرها، فقال:

**وانظر في المرآة حســـــني كي أرى**
**جمال وجودي في شـهودي طلعتـــي**
**فإن فُهت باسمي اصغِ نحوي تشوّفًا**
**إلى مســـمعي ذكري بنطقي وانصُت**
**وألصِق بالأحشـــاء كفّي عساي أن**
**أعانقهـــــا في وضعها عند صحوتي**

وفي شخصه يتحقّق (الإنسان الكامل)، بعد أنْ لا يرى في المرآة إلَّا صورته؛ لأنَّ المرآة هي التي تكشف له تلك الحقيقة؛ ولأنَّه في وقت (التجلي) تظهر له (صورته الباطنة) التي هي (على صورته تعالى)، يقول:

**وكنـــــتُ جِلا مرآة ذاتي من صدا**
**صفاتي ومني أحـــــدقت بأشعتي**
**وأشـــــهدتُني إياي إذ لا سواي في**
**شـــهودي موجـــود فيقضي بزحمة**
**واسمعتني في ذكرى اسمي ذاكـري**
**ونفسي ينفي الحِسّ أصغت وأسمت**
**وعانقتُني لا بالتـــــــزام جوارحي**
**الـــــجوانح لكن اعتـــنقت هويتي**
**وأوجـــدتني روحي وروحُ تنفسي**
**يعطـــــــــر أنفاس العبير المفتَّت**
**وعن شرك وصف الحِسّ كلي منزّه**
**وفي وقـــــد وحِّدت ذاتي نُـــزهتي**
**ومـــــــدح صفاتي بي يُوفّق مادحى**
**لحمـدي ومدحي بالصفات مذمتي**

إذن، هو (الواحد الأحد)، ولن يكون هنا مجال لافتراض غير هذا، فهو في (تجلّيه) قد (وحِّدت)، إنَّه انعكاس الباطن على الظاهر، ولم يكن إلَّا واضحًا في رأيه، فضمير المتكلم الفاعل والمفعول به هما لشخص واحد، فالحق ما هو إلَّا فكرة وهمية، وإنَّ الواقع الملموس هو (اعتنقت هويتي)، وإذا كان ابن عربي قد جعل في آدم صورته الباطنة، وأنَّ (الإنسان الكامل) هو صاحب الخلافة، ولذلك اختصها أبو حفص لنفسه، فإنَّ فكرة الله الوهمية عندهم تجد سندها بالاستدلال بالمرآة، ونحن نسمع رأيًا ربما يوصف بأنَّه إلحادي في هذه الأبيات:

**وشاهد إذا استجليت نفسك ما ترى**
**بغير مراء في المـــــراء الصقيـــلة**
**أغـــــيرك فيها لاح أم أنـــــت ناظر**
**إليـــــك بها عن انعكاس الأشعة**

**وأصغ لرجع الصوت عند انقطاعه**

**إليك بأكناف القصور المشـــــيدة**

**أهل كان من ناجاك ثم ســواك أم**

**سمعت خطابًا عن صداك المصوِّت**

إنَّ هذه الأبيات-في الحقيقة-هي عين الأبيات السابقة، فهو هناك لم يرَ إلَّا نفسه، وهو هنا يؤكد لغيره أنَّ الحقيقة هي أنَّه لا موجود سوى (الإنسان الكامل)؛ ولذلك يقرر مجمل فكره:

**وما هي إلَّا النفس عند انشغالها**

**بعالمها عن مظهر البشـــــرية**

فإذن، لا شيء سوى صورة الإنسان لذاته في المرآة، وإذن، هو صورة آدم الأولى، وإنَّه (الولي) وإنَّه (القطب)، والكل ساجد له:

**وفيّ شهدت الساجدين لمظهري**

**فحقّقت إني كنت آدم سجدتي**

**وعاينت روحانيّة الأرضِين في**

**ملائك علّيّين أكفاء ســجدتي**

وهذا يعني: ها أنا ذا تحقّقت أنَّي آدم، كما ظهر لي عيانًا، أنَّ الملائكة يسجدون لي. فأين الله، إذن؟!!!

وإذا غاب الله- تعالى- عن الوجود، وحلّت محله فكرة (الإنسان الكامل)، وبعد أنْ رأينا ابن الفارض تلميذًا وفيًّا لأستاذه ابن عربي، فإنَّه ليس من الغريب أيضًا أنَّ يتحوَّل الله- جلّ جلاله- إلى (أنثى)، وأنْ لا يكون هناك مجال للشك في سيادة تلك الفكرة عن (الإنسان الكامل)، يقول ابن عربي: "اشتقّ الله من الإنسان شخصًا على صورته، سمّاه امرأة، فظهرتْ بصورته، فحنّ إليها حنين الشيء إلى نفسه، وحنّتْ إليه حنين الشيء إلى وطنه"(ابن عربي، د. ت. ص.٢١٦).

وتؤكِّد هذه العبارة أزليةَ الإنسان وعدميته، فما في الوجود غير (الرجل) و(الأنثى)، فهما (صورة الله) الباطنة، وهي الحقيقة الأولى التي يدركها العقل، حسبما فهِم ابن عربي من الحديث الشريف: "من عرف نفسه، عرف ربَّه"، وكما فهِم من الآية الكريمة: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ **آية رقم ١ سورة النساء**، فالله تعالى يقول: "إذا شاهد الرجل الحقَّ في المرأة كان شهودًا في منفعل، وإذا شاهد في نفسه- من حيث ظهور المرأة عنه- شاهد في فاعل، وإذا شاهد في نفسه من غير استحضار صورة ما تكوَّن عنه، كان شهوده في منفعل عن الحقّ بلا واسطة؛ فشهوده للحقّ في المرأة أتمّ وأكمل؛ لأنَّه يشاهد الحقّ من حيث هو فاعل منفعل، ومن نفسه، من حيث هو منفعل خاصة"(ابن عربي، د. ت. ص٢١٧).

والقضية بعدُ واضحة، فإذا جعل الله-سبحانه-في صورة (الأنثى)، وجعل (الرجل) صورة الله، يستحيل الوجود كله إلى تعيّنات، وتصبح السيادة للإنسان وحده، وعند ابن الفارض تطفو الفكرة نفسها من غير ملابسة أو تحوير، فهو يقول:

**بدت باحتجاب واختفت بمظاهـــر**
**على صِيَغ التـــلوين في كـــل بـــرزة**
**فـفي النشـــــأة الأولى تراءت لآدم**
**بمظهر حُـوّا قـبـــل حكـــم الأمومة**
**فهام بها كيـــــما يكون بها أبـــــــًا**
**ويظهـــر بالزوجيـــن حكـــم النبـوة**
**وكان ابتداءً حـــــبّ المظاهر بعضه**
**البعـض ولا ضدٌّ يصدّ بـبـغـضـــة**
**وما برِحـــت تبدو وتخفى لعِـــــلة**
**على حســـب الأوقات في كل حـقبة**
**وتـــــظهر للعشـــاق في كل مظهر**
**من اللبس في أشكال حســـــن بديعة**
**ففي مـــــرة لُبنى وأخرى بُـثـيـنـــة**
**وآونة تُـــدعى بعَـزّة عـــــــزَّت**
**ولسن سواها ولا كُـــــنَّ غيرها وما**
**إن لها في حسنها من شـــــــــريكة**
**كذاك بحكـــم الاتـــــحاد بحسنها**
**كما لي بـــدت في غـــيرها وتـــزَيَّت**
**بـدوت لها في كـــل صَبّ مـتـيَّـــم**
**بـأي بـديـع حســـنـه وبـأيـــــــة**

فليس هنا إلَّا (هو) و(هي)، وإذا ظهر لنا التعبير بـ (الأنثى) رمزًا للذات الإلهية، فإنَّ هذا الرمز – على ضوء نظرية ابن عربي- ليس رمزًا إلَّا للوجود المطلق الذي استحال فيه الله- تعالى- على يد هؤلاء إلى أنَّ الإنسان نفسه هو أصل الكون، وما عداه وهم وسراب، ومن هذا المطلق، علينا أن نصحِّح مفهوماتنا حول القول برمزية (الأنثى)، بكونها ترمز إلى الله- جلّ شأنه- إذ هي في الواقع لا ترمز إلَّا إلى الوجود نفسه، كما تجدر الإشارة إلى أنَّه لا توجد فلسفة وراء هذه الأفكار، فهي أفكار انفعالية، تعبيرية، سطحية، سريعة، في تأويل معاني آيات من القرآن الكريم بما يتوافق مع أهوائهم وتخيّلاتهم، ولم يأتِ أصحابها بجديد عمَّا عند من سبقهم من الدهريين، إلَّا أنَّهم جعلوا لتفكيرهم ارتباطًا غيبيًّا، فاستحالت مقولاتهم في كثير من الأحيان إلى إثارة للسخرية، خاصة وقد مزجوها بالشعر.

وحتى تكمل الرؤية الوجودية لمذهب ابن الفارض، فإنَّه يؤكِّد ما يذهب إليه من الدعوة إلى (وحدة الوجود) المتمثِّلة في (وحدة الديانات)، فالكل متّجه إلى عبادة الله- لأنَّ الكلّ في الحقيقة لا يعبد إلَّا نفسه- يقول:

**فبي مجلس الأذكار سمع مطالع**
**ولي حانة الخمّار عين طلـــيـعة**
**ما عقَدَ الزُّنّـار حُكمًا سوى يدي**
**وإنْ حَلَّ بالإقـرار بي فهي حلَّـت**
**وإنْ نارَ بالتنزيل محرابُ مســـجد**
**فما بارَ بالإنجيـل هيكل بـيـعـــة**

**وأسفار توراة الكليم لقومه**

**يناجي بها الأحبار في كل ليلة**

**وإن خَرّ للأحجار في البُدِّ عاكف**

**فلا وجه للإنكار بالعصبية**

ثم يقول:

**وإن عبدَ النارَ المجوسُ وما انطفت**

**كما جاء في الأخبار في ألف حِجَّة**

**فما قصدوا غيري وإن كان قصدُهم**

**سواي وإن لم يظهروا عقدَ نيّة**

(البقاعي، ١٣٧٢هـ./ ١٩٥٣م. ص.١٢٦-١٢٧).

ولا سبيل إلى تقصي كل صوفية التائية، وشاعريتها، ففيها أبيات تحكي (الكشف)، كقوله:

**وثمّ أمور تمّ لي كشف سِرِّها**

**بصحر مضيق عن سواي تغطّت**

وفيها (المعراج)، يقول:

**ومَن أنا إيّاها إلى حيث لا إلى**

**عرجت وعطّرت الوجودَ برجعة**

وفيها الحديث عن (الخضر)، يقول:

**قتلتُ غلامَ النفس بين إقامتي**

**الجدار لإحكامي وخرق سفينتي**

وفيها، وفيها الكثير، فهي قصيدة بالغة الطول، حشاها صاحبها بكل ثقافته الصوفية ومعارفه فيها.

## الخلاصة

ونحن بصدد التركيز على شعرية التائية وشاعريتها، أيْ: مطلبنا في الأساس هو الفنّ والجمال الأدبي، وهذا- بالتأكيد- لن نجده في كل ما مضى، ولن نقبل أنْ يكون منه مثل قوله:

**فأتلو علوم العالِمين بلفظة**

**وأجلو عليَّ العالَمين بلحظة**

**وأسمع أصوات الدعاة وسائر اللغـ**

**ـات بوقت دون مقدار لمحة**

**وأحضر ما قد عَزَّ للبُعد حَمله**

**ولم يَرتدّ طرفي إليَّ بغمضة**

**وأَنشَق أرواح الجِنان وعُرف ما**

**يصافح أذيالَ الرياح بنسمة**

**وأستعرِض الآفاق نحوي بخطرة**

**وأخترق السبع الطِّباق بخطوة**

**وأشباحُ من لم تبق فيهم بقيّة**

**لجمعي كالأرواح حَفَّت فخَفّت**

**فمن قال أو من طال أو صال في الهوا**

**يمت بإمدادي له برقيعة**

**وما سار فوق الماء أو طار في الهوا**

**أوِ اقتحمَ النيران إلا بهمّتي**

**وعنيَ من أمددته برقيقة**

**تصرّف عن مجموعه في دقيقة**

**وفي ســـاعـــة أو دون ذلك عن تلا**

**بمجموعه جمعي تلا ألف ختمة**

تلك كلها بعض ادّعاته بيد أنَّ الادعاء أو تأزّم الانفصام يبدو لنا حين يكون هو الله- جلّ شأنه- أو هو المسيح ابن مريم، يحيي الموتى، وهو ادعاء لم يدّعه حتى محمد ﷺ، وكانتْ هي معجزة عيسى ﷺ، غير أنَّ (كرامة) الأولياء- كما ذكر- أعلى شأنًا من كرامة الأنبياء، فهذا هو يزعم:

**ومني لو قامت بميت لطيفـــة**

**لرُدَّت إليه نفسه وأُعيـــدت**

ولهذا، فلا ريب أنْ يكون له أتباع، بعد أنْ ثبتت (كراماته)، لِما يتمتّع به من مواهب:

**ولست ملومًا أن أبثّ مواهبـــي**

**وأمنح أتباعي جزيل عطيـتي**

ومن العجيب اللافت للنظر أنَّ القصيدة كلها مظهر من مظاهر الانفصام؛ ولهذا، فهي تختتم ببيت يؤكِّد النتائج المذكورة عنها كلها، ولا يدع أدنى ريب في أنَّنا أمام أحد المرضى النفسانيين، ساعد الجهل والفقر والمرض، على ترويج أباطيله وترّهاته، يقول:

**ومن فضل ما أسأرتُ شربُ معاصـري**

**ومن كان قبلي فالفضائل فُضلتي**

(ابن الفارض، د. ت. ص٦٩، ٦٢. وانظر كذلك، البقاعي،١٣٧٢هـ./ ١٩٥٣م. الحاشية التي كتبها الوكيل، ص.٢٢٦-٢٢٨). فكل الرسل والأنبياء، وكل من هم على شاكلته من الأولياء بـ (غوثهم)، و (قطبهم)، و(أوتادهم) و(بدائلهم) ما هم إلَّا فُضلة منه، أمَّا هو، فالشراب المعين، والماء الثَّرّ الذي لا ينضب، وبذلك، نكون قد وقفنا على إحدى حقائق تعامل المتصوفة مع الشعر، كما تبيّن لنا البون الشاسع، لا بين الشعر والتصوف فحسب، بل بين الجنوح في مستوى الخيال عند الشعراء وهؤلاء جميعًا، فما تقدّمه التائية مجموعة تقريرات، مفرغة من الوجدان؛ ولذا، لم تتحرّر اللغة على أيديهم، لتعبر عن الفكر في إطار المشاعر والأحاسيس، بدلًا من توجيهها لتؤدِّي أفكارًا فقط، ولتكون سرد كلام مشحونًا بالمفاهيم الصوفية هو طريقة ذلك التعبير أقرب إلى التلاعب بالألفاظ، فأيُّة علاقة- بعد هذا- بين الشعر ونظم المتصوفة، كما تمثله التائية؟ ولن نصدّق ابن عربي- ومثله آخرين من المتصوفة- في قوله عن كتابه (الفتوحات)،: "ما كتبت منه حرفًا إلَّا عن إملاء، وإلقاء ربّاني، أو نفَث روحاني في رَوع كياني"، فإذا كنا لا نتقبّل بسهولة كثيرًا من مزاعمه (شرف،١٤٠٠هـ./ ١٩٨٠م. ص.٢٠-٢١). فالأولى أنْ ندرج هذا الادعاء ضمن تلك المزاعم، على أنَّ المرء لن يجد غضاضة في فتح باب الجدل حول ربط النثر الصوفي بالقصيدة الحرة Vers Libre/Free Verse، فقد كتب اللاذقاني يقول: "يمكن تلمس جذور القصيدة في (طواسين) الحلاج، وكتابات ابن عربي، و(مخاطبات) النفري و(مواقفه) ونفر آخر من

المتصوفة"(انظر، اللاذقاني، ١٩٩٧م. ص ٤٥ – ٤٧). وكما يقول أيضًا: "النصوص الأكثر اقترابًا من القصيدة الحرة يمكن العثور عليها عند النفري في: مواقف ما يبدو، موقف حجاب الرؤية، موقف الصفح الجميل، موقف الثوب، وموقف لا تفارق اسمي"(اللاذقاني، ١٩٩٧م. حاشية ص٤٥.) وهذا غير ما نحن فيه أصلًا، وهكذا، فلن نقبل في ظل هذا الزخم الصوفي القول عن أدونيس: "أدونيس شاعر...وصوفي وساحر وباطني ونبوي في المقام الثاني" خنسة، ١٩٨٢م. ص.٤٦؛ يحياوي، ٢٠٠٨م. ص.٦٢). فلا الشعر الذي يخصه يكشف عن مثل هذا التوجه، ولا هو في الحقيقة ممَّن يجمع بين الصوفية والسحر، وإنْ كان له حظ كبير في الباطنية.

أمَّا من الناحية الفنية، فإنَّه لمِن غير المسوَّغ عدّ الأبيات من الشعر الفني، مهما قيل عن شاعرية صاحبها (انظر عن التفرقة بين (الشعرية) و(الشاعرية)؛ اللبدي، ٢٠٠٦م.)؛ إذ المفروض فيه، وهو كما يرى في وضع (ولَه) أنْ يذوب وجدًا، وأنْ يفنى (ذهابًا)، وبذلك يتحوّل الشعر إلى (لطائف) و(لوائح)، ولكن كل ذلك لم يحصل، وإنَّما حصلنا على (قبض) و(مجاهدة)، فاستحال الشعر- إنْ عممنا مفهوم الشعر ليشمله- إلى ألفاظ وعبارات جوفاء، تحمل أفكارًا، ولكنَّها لا تحمل كنه الشعر ألَا وهو الشعور، وإنَّه لعجيب جدًّا أنْ نتجرأ، فنصف مثل هذه الأقوال بأنَّها شعر، على حين أنَّها لا تعدو كونها منظومات شعرية، فهي داخلة في باب التصنيع الشعري، ولكنَّها خارجة عن مجال الإبداع والفن الشعري، ويمكن تلخيص أسلوب النظم في القصيدة على أنَّها قائمة على التناسق والانسجام اللفظي، ومن هنا لعب (الجناس) فيها دورًا كبيرًا بحيث أصبح ذلك هو مظهرها الأعمّ، ولعل البيت الثالث فيها والذي يقول فيه: "وبالحدق استغنيت..."، يختصر لنا كل ما يمكن قوله عن هذه القصيدة التي قيل عن صاحبها: (سلطان العاشقين)، فإنَّ كان ذلك يعني أنَّه سلطانهم في التصوف، فهذا شأنهم، أمَّا في الشعر فهو غير ذلك.

لقد أراد القائل أنْ ينقل لنا تجربةً روحية، يتصوّرها، وبرهنت محاولته تلك على حقيقة كبرى في مذهب التصوف، وهي أنَّ التوهّم والتخييل يؤدِّيان دورًا كبيرًا في فلسفته، وأنَّ العاطفة هي التي تسيّر صاحبها؛ فابن الفارض متعلِّق قلبيًّا بما وراء الوجود، ومشدود شعوريًّا نحوه؛ ولذلك، كان هذا (الحب) الجامح والغامر هو المسيطر، ولقد احدَثتْ هُوّة عميقة بين الرجل المتصوِّف والشخصية الشاعرة، فالرجل المتصوِّف أراد أنْ يُخضِع الشاعر لتصوّراته ومواقفه، فتلاشت الشاعرية، وتغلَّبت (الصوفية)عنده، وأصبح الشعر وسيلة نقل فقط (عيد، ١٩٧٩م. ص.١١٩-١٣٦).

ولن يزيدنا المضي في تحليل شعرية التائية – ومثيلاتها – إلَّا اقتناعًا تامًا بأنَّها أقوال مصطنعة، مفككة تفتقر إلى أهم مقوما الشاعرية، ألَا وهي القدرة على الإيصال والتفاعل لبناء فني نستشف منه شعرية تعكس حس الشاعرية تلك وإبداعها، وهو ما يدل على أنَّنا نقرأ شعرًا، ولا نتعامل مع أفكار جاهزة، وتصورات مفروضة على النفس، وسيظل السؤال العالق هو حول مصداقية قول أحمد الجوة :"لا مراء في أنَّ الشعرية في إشعار الصوفيين قد بلغت مراتب، وفي أنَّ لغة الشعر في قصائدهم مشبعة تلميحًا وتلويحًا، وفي أنَّ تجربتهم فيها مجازً وإلغازًا".

ويأتي الجواب وفقًا لتعليقه الآتي :

"إنَّنا لا نسلم لأي شاعر ... بشعرية نص من نصوصه إذا لم يقدموه لصياغة تؤكد حقًا (صنعة الشعر)، ( الجوة، ٢٠٠٤م. ص.٤٥٧-٤٦٣، ٤٦٠).

فهل ما نزال نسلم بذلك ؟ وهل حقًا هناك (صنعة الشعر)، فيما نفهم منه (الشعرية ) أو حتى (الشاعرية)؟

**شكر وتقدير:**

**يشكر الباحث مركز بحوث كلية الآداب بجامعة الملك سعود على دعم مشروع هذا البحث.**

## المصادر والمراجع

**أدونيس، علي أحمد سعيد،** *الصوفية والسريالية* (بيروت: دار الساقي، ط١، ١٩٩٢م.).

**الأصفهاني، أبوالفرج،** الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦م.).

**بدر، عادل محمود،** *التأويل الرمزي للشطحات الصوفية* (القاهرة: دار مصر المحروسة، ٢٠١٠م.).

**بدر،عادل محمود، وسكاتولين، جوزيبي،** *قراءات في التصوف الإسلامي من النص إلى التأويل* (القاهرة: دار مصر المحروسة، ٢٠١٠م).

**بدوي، عبدالرحمن،** *الإنسان الكامل في الإسلام* (الكويت: وكالة المطبوعات، ط٢، ١٩٧٦م.).

**بدوي، عبدالرحمن،** *شهيدة العشق الإلهي* (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٦٢م.).

**يراويسي، مير قطب الدين عنقا،** *رحلة الإنسان من الجنين إلى الجنان*، ترجمة: إبراهيم الدسوقي شتا (القاهرة: مط دار الثقافة، ١٩٧٨م.).

**البقاعي، برهان الدين،** *مصرع التصوف*، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل (القاهرة: مط السنة المحمدية، ط١، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.).

**البلادي، عاتق بن غيث،** *الأدب الشعبي في الحجاز* (دمشق: دار البيان، ١٣٩٧ه/ ١٩٧٧م.).

**بلعلي، آمنة**، *تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة* (بيروت: مط الدار العربية للعلوم، ط١، ١٤٣١هـ./ ٢٠١٠م.).

**بهجت، أحمد**، *بحار الحب عند الصوفية* (القاهرة: مط المختار الإسلامي، ط١، ١٣٩٩هـ./ ١٩٧٩م.).

**ابن تيمية، تقي الدين، أبوالعباس**، *حقيقة مذاهب الاتحاديين أو وحدة الوجود* (القاهرة: مط المنار، ط١، ١٣٤٩هـ.).

**الجابري، محمد عابد**، *بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٠م.).

**الجبوري، نضلة**، *مواقف الخلاف بين الفقهاء والصوفية* (البحرين: مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٦هـ./ ١٩٨٦م.).

**جواد، كاظم**، *أدونيس منتحلًا* (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣م.).

**ابن الجوزي، عبدالرحمن**، *تلبيس إبليس*، تحقيق: السيد الجميلي (بيروت: دار الكتاب، ط٦، ١٤١٢هـ.).

**الجُوة، أحمد**، *بحوث في الشعريات*، مناهج واتجاهات (صفاقس: مط السفير الفني، ٢٠٠٤م.).

**حسان، عبالحكيم**، *التصوف في الشعر العربي الإسلامي* (دمشق: دار العراب، ٢٠١٠م.).

**حسين، جمال نصار**، *إعادة اعتبار للظواهر الخارقة خطوة صوفية على طريق الاتقاء إلى حضارة جديدة* (عمّان: دار ورد الأردنية، ط١، ٢٠١٣م.).

**حطب، زهير**، *تطور بنى الأسرة العربية* (بيروت: معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٧٦م.).

**الحمام، زياد بن عبدالله**، *العلاقة بين الصوفية و الإمامية* (الرياض: مجلة البيان، ط١، ١٤٣٢هـ.).

**خالد، غسان**، *جبران الفيلسوف* (بيروت: مؤسسة نوفل، ط١، ١٤٩٧هـ.).

**الخروصي، ناصر بن جاعد**، *إيضاح السلوك إلى حضرت ملك الملوك*، تحقيق: وليد محمود خالص (أبوظبي: أبوظبي للثقافة والتراث، ٢٠١١م.).

**خفاجي، محمد عبد المنعم**، *دراسات في التصوف الإسلامي* (القاهرة: دار الطباعة المحمدية، د – ت).

**خليفة، مشري**، *الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية* (عمّان: دار الحامد، ٢٠١٠م.).

**خنسة، وفيق**، *في الشعر السوري الحديث*، الجزائر: ديوان المطبوعات، ط٢، ١٩٨٢م.).

**خوجة، غالية**، *أسرار البياض الشعري* (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٩م.).

**سكاتولين، جوزيبي**، *ديوان ابن الفارض قراءات لنصه عبر التاريخ*، إبداع، س١٩، (ربيع الأول١٤٢٣هـ./ مايو-يونية٢٠٠٢م.

**سكاتولين، جوزيبي**، *ديوان ابن الفارض قراءات لنصه عبر التاريخ*، (القاهرة: الهيئة العامة الكتاب، ٢٠١٣م.).

**الشبعان، علي**، *بلاغة العشق الصوفي في ترجمان الأشواق لمحيي الدين بن عربي* (مراتب الانشقاق عن البيانية العربية) (تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٨م.).

**شرف، محمد ياسر**، *النثيرة والقصيدة المضادة* (الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠٠هـ./ ١٩٨٠م.).

**شقفة، محمد فهر**، *التصوف بين الحق والخلق* (الكويت: الدار السلفية، ط٣، ١٤٠٣هـ./ ١٩٨٣م.).

**ابن الشيخ، جمال الدين**، *الشعرية العربية* (الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٩٦م.).

**صادق، رمضان**، *شعر عمر بن الفارض دراسة أسلوبية* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.).

**ابن عربي، محيي الدبن**، *فصوص الحكم*، تحقيق: أبو العلاء عفيفي (بيروت: مط دار لبنان، د. ت).

**عزّام، محمد المصطفى**، *الخطاب الصوفي بين التأوّل والتأويل* (بيروت: مؤسسة الرحاب الحديثة، ٢٠١٠م.).

**عبدالخالق، عبدالرحمن**، *الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة* (الكويت: مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٩٨٤م.).

**عودة، أمين يوسف**، *تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية* (إربد: عالم الكتب، ١٤٢٨هـ./ ٢٠٠٨م.).

**عيد، رجاء**، *دراسة في لغة الشعر* (القاهرة: مط. أطلس، ١٩٧٩م.).

**عياد، أحمد توفيق**، *التصوف الإسلامي* (القاهرة: مط. الفنية الحديثة، ١٩٧٠م.).

**العياشي، محمد**، *نظرية إيقاع الشعر العربي* (تونس: مط العصرية، ١٩٦٧م.).

**الغزالي، أبوحامد**، *إحياء علوم الدين* ( بيروت: دار الكتاب العربي، د . ت.).

**الغزالي، أبوحامد**، *المنقذ من الضلال*، تحقيق: محمد بيجو (دمشق: ط٢، ١٤١٣هـ./ ١٩٩٢م.).

**ابن الفارض**، عمر، *ديوان ابن الفارض* (القاهرة: دار القاهرة، ١٣٩٩هـ./ ١٩٧٩م.).

**فيدوح، عبد القادر**، *أيقونة شعر الفيلوصوفيا، سمات، البحرين*، م١، ع١ (مايو، ٢٠١٣م.).

**القاري، أبومحمد، جعفر بن أحمد بن الحسين السراج،** *مصارع العشاق* (إستنبول: مط الجوائب، ١٣٠١هـ.).

**أبوقرة، نعمان،** *الخطاب الأدبي ورهانات التأويل قراءات نصية تداولية حجاجية* (إربد: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠١٢م.).

**الكلاباذي، أبوبكر، محمد،** *التعرف لمذهب أهل التصوف*، تحقيق: آرثر جون آربري (القاهرة: مط السعادة، ١٣٥٢هـ./ ١٩٣٣م.).

**اللاذقاني، محيي الدين،** *القصيدة الحرة معضلاتها الفنية، وشرعيتها التراثية*، فصول، م١٦، ع١، (صيف ١٩٩٧م.).

**الليدي، أيمن،** *الشعرية والشاعرية* (عمّان: دار الشروق، ٢٠٠٦م.).

**محمود، عبدالقادر،** *الفلسفة الصوفية في الإسلام مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة* (القاهرة: دار الفكر العربي، د . ت.).

**محمود، عبدالخالق،** *شعر ابن الفارض في ضوء النقد الأدبي الحديث* (القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٨٤م.).

**مفتاح، محمد،** *دينامية النص* (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط٢، ١٩٩٠م.).

**مصطفى، أحمد،** *الموالد* (الإسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨١م.).

**مناف، علاء هاشم،** *الرؤية والحدث الإبداعي في الأدب الحديث* (عمّان: دار الرضوان، ط١، ١٤٣٤هـ./ ٢٠١٣م.).

**المنوفي، السيد محمود، أبوالفيض،** *التصوف الإسلامي* (القاهرة: مط دار نهضة مصر، ١٩٦٩م.)

**نصر، عاطف جودت،** *الرمز الشعري عن الصوفية* (بيروت: دار الأندلس، ط٣، ١٩٨٣م.).

**نيكولسون، رينولد، أ،** *في التصوف الإسلامي وتاريخه*، ترجمة: أبو العلاء عفيفي (القاهرة: مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٦هـ./ ١٩٤٧م.

**هلال، محمد غنيمي،** *ليلى والمجنون* (بيروت: دار العودة، ١٤٠٠هـ./ ١٩٨٠م.).

**الوكيل، عبدالرحمن،** *هذه هي الصوفية* (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٤، ١٩٨٤م.).

**الوهابي، رضوان الصادق،** *الخطاب الشعري الصوفي والتأويل* (الرباط: مط إيليت، ط١، ٢٠٠٧م.).

**يحياوي، راوية،** *شعر أدونيس البنية والدلالة* (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٨م.).

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص ١٠٧ - ١٣٨، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# العنف في الخطاب عبر الفيسبوك:
# مقاربة تواصلية سيميو لسانية

**عايدة حوشي**

*أستاذة محاضرة "أ" مشاركة، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات ،*
*جامعة عبدالرحمن ميرة، بجاية، (الجزائر)*

(قدم للنشر في ٢٣/ ٦/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١/ ١/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية** : الخطاب، عنف اللغة، لغة العنف، مواقع التواصل الاجتماعي، الفيسبوك.

**ملخص البحث**: يركز هذا المقال على ظاهرة العنف (أساس البلاغة، ٢٠٠٤م. ص:٤٣٧) في الخطاب (أساس البلاغة، ٢٠٠٤م. ص:١٦٧-١٦٨) عبر مواقع التواصل الاجتماعي، متخذًا صفحات الفيسبوك نماذج وعينات عن ذلك بغية تسليط الضوء على ما تشكله من تهديد اجتماعي، جنسي، وسياسي على لغة الخطاب... ما يسعى مقالنا لإبرازه ومقاربته في سبيل الوصول إلى المفاهيم التعيينية في هذا المجال، والمتعلقة بعنف اللغة ولغة العنف اجتماعيًا، نفسيًا، ولسانيًا.

# Violence in the discourse
# Communicative & semiolinguistic approach

**Aida Haouchi**
*Senior Lecturer class « A » in Semiotics, Department of arabic language and literature, Faculty of letters and languages, University of Bejaia, Algeria*

(Received 23/6/1437H; Accepted for publication 1/1/1438H)

**Keywords:** Discourse/ Violence of language/ language of violence Social networks/ Facebook**.**

**Abstract:** This article looks at the violence in the discourse through the social networks taking as model the pages of the Facebook. It aims to shed light on the present of a social / linguistic, sexual, political ... and even religious threat, in order to arrive at a designative conception of this virtual world which does not cease to produce to us an enunciative and Also psycho-linguistic.

المقدمة

الخطاب "عبارة عن فن مواجهة الآخرين بالكلام. أو هو نظام صياغة الكلام المؤثر فيهم وإقناعهم بوجهة النظر التي يتبناها المخاطِب بالكسر" (**الخطاب والنص، ٢٠٠٨م. ص:١٢**)، كما ورد في معجم المصطلحات الفلسفية عبر اللغات المختلفة لـعبدالمنعم الحفني أنَّ "خطاب DiscourseE ,DiscoursF, DiscursusL, DiskursG؛ بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام. ثم نقل إلى الكلام الموجَّه نحو الغير للإفهام. وقيل هو اللفظ المتواضَع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه. والكلام يطلق على العبارة الدالة بالوضع على مدلولها القائم في النفس، فالخطاب إمّا الكلام اللفظي، أو الكلام النفسي الموجَّه به نحو الغير للإفهام" (**المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، ٢٠٠٠م. ص:٣٣٠، ٣٣١**). أمَّا في قاموس (المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب)، فقد ورد أنّ:" مصطلح خطاب، من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل إلى نوع من التناول للغة، أكثر ممَّا يحيل إلى حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية، بل نشاطًا لأفراد مندرجين في سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى لا يحتمل صيغة الجمع: يقال (الخطاب) و(مجال الخطاب) ...إلخ، وبما أنَّه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإنَّ الخطاب (**مدخل إلى علم لغة النص، ٢٠٠٤م.ص:٤**) لا يمكن أنْ يكون موضوع تناول لساني صرف(**المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ٢٠٠٥م. ص:٣٤-٣٥**)؛ لأنَّه لا مجال لتناوله بعيدًا عن التجسيد غير اللغوي.

اللغة كما يقول **جان جاك لوسركل** في كتابه **عنف اللغة**: " هي جسم قبل أنْ تكون ممارسة، إنَّها جسم من الأصوات، وهناك عنف في صرخة الخوف، وكما نقول بالفرنسية، يستطيع الصوت أنْ يخترق طبلة أذني، ويعود تصوري لعنف اللغة المادي إلى قراءتي في وقت مبكر من حياتي لمغامرات تان تان لإحدى مغامراته التي كانت فيها صورة لـ لاكاتاستروف « la catastrophe » تؤدِّي غناء دور مارغاريت في فاوست Faust، حيث أدَّى الصوت المنبعث من صدرها الكبير إلى تكسر عدة قطع زجاجية، ويؤخذ العنف هنا بمعناه الحرفي البحت، جسد يخترق جسدًا... وربما كان التقاء اللغة والألم (مثله مثل التقاء العنف المادي والعنف اللامادي)" (**عنف اللغة، ٢٠٠٥م. ص:٣٩٩-٤٠٠**)، وذلك على اختلاف النصوص وصعوبة تقديم مفهوم نهائي لها (**القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ٢٠٠٧م. ص:٥٣٣**)، فإلى جانب النصوص التي تتحقق لغويًا:" ثمَّة وحدات تواصلية غير لغوية تتحقق عبر حركات اليدين والنظرات وتعبيرات الوجه، وتعمل هذه الوحدات اللغوية وغير اللغوية في سياق اجتماعي أكبر، هو الذي يملي معايير فهمها وتصنيفها، كذلك

تذهب (أومن) إلى أنَّ المعايير النَّحوية المحضة لا تؤدِّي دورًا مهيمنًا في تحديد أنواع النصوص، إذ توجد نصوص يمكن أنْ يكون لها تأثير تواصلي تام. وإنْ كانت غير نحوية إلى حدٍّ ما، وتتضمن أخطاء نحوية في حال عبر المتحدث باللغة الأم" (**الخطاب والنص، ٢٠٠٨م. ص:١١٢**). فإذا كانت هذه مشكلة من المشكلات التي ترتبط ارتباطًا قويًا بتصنيف النصوص (**القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ٢٠٠٧م. ص: ٥٣٤**)، يمكن القول إذن: إنَّ الرؤَى قد تعددت كثيرًا في سبيل تحديد طبيعة الخطاب النهائية؛ لأنَّ خطابًا ذا طواعية لن يكونَ الخطاب الذي أنتجه عنف جعل من اللغة مصدرًا من مصادر الألم وتهديدا للمشاعر؛ لأنَّ عنف اللغة من شأنه أنْ يخدشَ بالقيم التواصلية للخطاب ويشوش عليها (**عنف اللغة، ٢٠٠٥م. ص:٤٠٣**).

## آليات التواصل اللغوي وغير اللغوي في خطاب العنف عبر الفيسبوك

نالت نظرية المعلومات ( La théorie de l'information) مكانة مهمة ضمن التوجهات التواصلية المختلفة، حيث تمكنت من إثبات شرعيتها العلمية التي كانت باعثًا لعدة تخصصات ولا سيما اللغوية منها، ناهيك عن كونها مثلت وما زالت تمثل "ذروة الجهود البحثية التي بدأت في العقد الأول من القرن العشرين" (**عنف اللغة، ٢٠٠٥، ص:٧١**)، فلقد أورد شانون (Claude Shannon) في مقدمة كتابه (A mathematical theory of communication) عام ١٩٤٨م. أنَّ "المُشَكِّل الأساسي للتواصل (**لسان العرب، ٢٠٠٣م. ص: ٨٧٠**)، (**مختار الصحاح، ١٩٦٧م. ص: ٣١٦**)، (**القاموس المحيط، ١٩٥٢م. ص: ٦٦**)، (Linguistique et philisophie, 1975, p:15-16)، (**المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات، ٢٠٠٢م. ص:٣٢**)، (**القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ٢٠٠٧م. ص: ٤٩. ٥٠. ٥١. ٥٢**)، هو إعادة الإنتاج بنقطة واحدة، تمامًا أو تقريبًا حينما ترسل رسالة إلى نقطة أخرى، فالرسائل غالبًا ما تحمل معنى" (A mathematical theory of communication, 1948, introduction)، لأنَّنا لا نرسل الرسائل لأجل الرسائل، بل لكي تحمل المعاني التي نصبو إلى توصيلها للمرسل إليه، ولغاية التأكيد على القيمة الفعلية للتواصل قدَّم شانون مع زميله ويفر ( Warren Weaver) عام ١٩٤٩م. تحديدًا مشتركًا للتواصل مفاده أنَّ" كلمة التواصل سوف تُستخدم هنا ضمن معنى غاية في الاتساع، لتشمل كل الإجراءات التي قد تؤثر على اعتبارها واحدة أخرى (كلمة أخرى)، وهنا بالطبع لا تشمل الكلمة المكتوبة والشفوية فقط، ولكن أيضًا الموسيقى، والفنون المصورة، والمسرح والباليه، وفي الواقع تشمل كل سلوك الإنسان. في بعض

الوصلات قد يكون من المستحسن استخدام تعريف ما يزال أوسع للاتصالات، واحد من شأنه أنْ يشملَ إجراءات الوسائل الآلية..." ( The mathematical theory of communication, 1964, p3)، فتتبع المعلومة ودلالتها لم يتجاوز التفكير البنيوي إلى الوظيفية وحسب، بل اقترن الجانب الدلالي بالفكر الهندسي في السيبرنيطيقا أيضًا، لذلك نجدها في اهتمامات ميلكا إفيتش (اتجاهات البحث اللساني)، بوصفها نظريةً للمعلومات، حيث: " تُعنى بالبحوث العلمية التي تُلقي الضوء على العمليات ببث المعلومات واستقبالها، ويشمل ذلك كلّ الأمور التي تتكيف تبعًا لها هذه العمليات" **(اتجاهات البحث اللساني، ٢٠٠٠م. ص:٤٢٣)**، لأنَّ هذه النظرية هي الأرضية التي استفاد منها اللّسانيون اللاحقون للسيبرنيطيقيين وطوّروا فكرتها الهندسية إلى ما يخدم الاهتمام اللّغوي من الناحية الرياضية. حيث ظهرت اللسانيات الحاسوبية Computational Linguistics وأصبح بالإمكان الحديث عن عقل اصطناعي في مقابل البشري، أين اللغة ستتزاوج مع الحاسوب ويمكننا الحديث عن عنف في العالم الافتراضي.

لقد نال التواصل حيزًا مهمًا داخل دائرة الكلام عند فرديناند دي سوسير، حيث عكف على توضيح العديد من محاوره اللّسانية ( Cours de linguistique générale, 1995, pp 26-28)، فدروسه التي قدَّمها بين ١٩٠٦م. – ١٩١١م. " تُعْتَبَر المبادئ المؤسسة لمنهجيات هذه النظرية، فقد اعتبر عالم الألسنية السويسري أنَّ اللغة مؤسسة اجتماعية، بينما اعتبر الكلام فعلًا فرديًا، فاللغة لكونها مؤسسة اجتماعية هي نسق منظم من العلامات للتعبير عن الأفكار، إذْ تمثل البعد الترميزي للكلام. وتتمثل وظيفة عالم الألسنية في دراسة قواعد هذا النسق المنظم واستثمارها في إنتاج المعنى" **(تاريخ نظريات الاتصال، ٢٠٠٥م. ص:٩٨)**، لكنَّه مع ذلك عُورض بتصور تقليصي (Réductionniste) – بتعبير "الجيلالي دلاش"، فلقد "اقترح عالم النفس اللّغوي الألماني بوهلر في نموذجه التبليغي، ثلاث وظائف ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.150) أساسية للدليل – رافضًا تحليل اللّغة الذي قام به دي سوسير لاعتقاده بأنَّ التحليل الذي أنجزه إنَّما جرى بواسطة ساطور جزار، واقترح "بوهلر" صيغة تداولية **(مدخل إلى اللّسانيات التداولية، ١٩٩٢م. ص:١٣)**، انطلاقًا من اعتبار الدليل اللّغوي بمثابة الرمز الذي يعكس ما هو خارج العادي، فهو "ممثل" أيْ يبين أمرًا (شيئًا) للمرسل إليه من خلال وظيفة النداء، وبالتالي تحيل المرجعية الدالة إلى ما يوجد داخل اللّغة من مسميات، أمَّا فيما يخص التشفير أو وضع السنن فإنَّها لا تخرج من قيمة النداء...، ومع ذلك يقيّد "بوهلر" أفكاره من خلال الإلحاح على أنَّ الوظائف يمكن أنْ يتزامن وجودها

ضمن مركز النشاط اللّغوي. نخلص ممَّا تقدم إلى القول: إنّ مجال الحركية اللّغوية أهم ما يصبو إليه "بوهلر" من خلال نفي سكون النشاط اللّغوي، وهكذا فالدور الذي يقوم به التركيب اللّغوي لا يستدعي حالًا سكونية من الوصف الجاف، بقدر ما يحتاج إلى بيان التبليغ داخل اللّغة، ولو كان ذلك عبر النقد اللاذع الذي وُجِّه إلى سوسير.

وعمَّق" جاكوبسون" هذا المفهوم ليس فقط عبر هذه الجهود، بل كذلك في ضوء إسهامات بورس الأمريكي ونظرية الدلالة اللّغوية (**الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة، ٢٠٠٢م. ص:٥٩**).

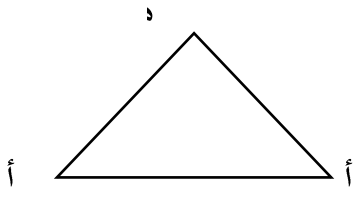


يقول جاكوبسون:" وحينما نقول إنَّ اللّغة، أو أيَّ نظام من أنظمة العلامة الأخرى، تقوم بدور وسيط التواصل، فإنَّنا يجب أن نكونَ حذرين من أنَّ أيَّ تصور تقييدي لوسائل التواصل وغاياته، وغالبًا ما لوحظ أنَّه فضلًا عن جانب التواصل القائم بين الأشخاص ـ وهو الجانب الأكثر ملموسية ـ فإنَّ جانب التواصل ضمن الشخص نفسه ذو أهمية بارزة على حدٍّ سواء وهكذا، فإنَّ الكلام الداخلي، مثلًا، الذي تصوره بيرس بذكاء، بوصفه " حوارًا داخليا" ـ والذي أهملته اللسانيات حتى هذه اللّحظة هو عامل أساسي في شبكة اللغة، إذ يقوم بوصل المرء بذاته الماضية والمستقبلية (**الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة، ٢٠٠٢م. ص:٥٩**). ناهيك عما أسفرت عنه آراء بوهلر الذي "بيّن أنَّه يمكن استنتاج بعض الوظائف الإضافية، وذلك من خلال النموذج المُثَلَثِي" (**فلسفة اللّغة واللّسانيات، ١٩٩٣م.ص:١٥٠**) الموالي: ( Analyse sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation, 1991, p.48)

فهذا التمثيل وإن كان لا يختلف تمامًا عن مخطط ريتشاردز وأوغدن (Richards et Ogden)، إلَّا أنَّ النظرة التوسيعية لهذا المخطط الثلاثي وجدت طريقها الحقيقي إلى البروز عبر ما قام به جاكوبسون، رغم أنَّ التحديد الحقيقي لمفهوم الوظيفة قد مُهّد سبيله "لجاكوبسون" قبل خمسة وعشرين سنة، بواسطة مفهوم الوظيفة الجمالية الذي وضعه مؤسس آخر من مؤسسي حلقة براغ وهوج. موكاروفسكي" (معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٨٩)، حيث تظهر عناصر التواصل وفق الشكل الموالي ( Essais de linguistique générale, 1963, p.224) :

**سياق**

**مرسل**..... **رسالة**..... **مرسل إليه**

**اتصال**

**شفرة**

أمَّا ارتباط الوظائف بالعناصر الملائمة لها أو الباعثة عليها فيبرزها الشكل الموالي: ( Essais de linguistique générale, 1963, p.220)

يعكس هذا الشكل التوضيحي عناصر التواصل وما يقابلها من وظائف. إنَّه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالشكل الأول الذي يشير إلى" مكونات ومراحل تحقق التواصل، ونظرًا إلى طبيعته الشاملة من جهة وتمثيليته الواقعية من جهة أخرى، فإنَّه ينفتح على كل التنوعات الممكنة للغة. كما أنَّ فحص كل مكون من هذه المكونات يفتح آفاقًا لاكتشافات جديدة، وبهذا يجسد عملية وصل خلاقة بين اللسانيات ونظرية التواصل، يؤسس من خلالها الشعرية كعلم متضمن في اللسانيات بوصفها دراسة البنيات اللغوية عامة" **(اللسانيات ونظرية التواصل، ٢٠٠٣م. ص:٣٩)**، وهو ما فتح المجال أمام الدارسين لتقديم آرائهم حول المخطط (الجاكوبسوني) حيث آثر (مايكل ريفايتر) تسمية الوظيفة الشعرية بالوظيفة الأسلوبية، وهذا التغيير في المصطلح سيتبع بالضرورة ربط المصطلح الجديد بحقيقة الاهتمام الذي أولاه "ريفايتر" للوظائف اللّغوية، لكنْ الأهم عبر كل هذه المستويات هو مَاْ يترتب عن جملة الحلقات التواصلية؛ لأنَّ "بنية كلامية لرسالة ما تتوقف أساسًا على الوظيفة الغالبة عليها، ولئن كان حضور المرجع والتوجه إلى سياق أوقل الوظيفة المعرفية أو المرجعية هي المهمة الأساسية لكثير من الرسائل، فلا ينبغي على عالم اللّسان أنْ يغفل عن الإسهام الثانوي لسائر الوظائف في مثل هذه الرسائل **(تحليل النّص السردي بين النظرية والتطبيق، ١٩٩٧م. ص٣٣)**، ولأجل هذا سنتوقف عند عناصر التواصل ووظائفها عبر العنفين؛ المادي واللامادي في الفيسبوك بهذا الشكل:

**أولا : العنف المادي عبر الرسالة:**

**الشكل رقم (١). الشكل التوضيحي.**

النص" ضمن نظرية المعلومات رسالة محولة من قبل مرسل إلى مستقبل عن طريق قناة هي وصلة من العلامات" ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.223)، ومن مجموع العلامات ما كان لغويًا وغير لغوي، فقد ورد عبر صفحة **ثقافة الشارع لمن يفوق عمره ١٨** في شكل مؤشرات للدلالة على حظر الدخول لكل من لم يبلغ من السن ١٨ سنة، أيّ نوع من مراقبة العنف اللغوي وغير اللغوي الذي سيلحق بمشمولات هذا الموقع التواصلي؟ علمًا أنَّ دلالة الثقافة المستخدمة تسترعي الانتباه جيدًا؛ لأنَّها أُردفتْ بفكرة الشارع، بكل ما يحمل من الدلالات الحسية وغير الحسية، لكن مستخدم الموقع قد تحدث لديه الدلالة العكسية لدخول الموقع رغبة منه في ولوج المحظور رغم علمه المسبق بما يمكن أنْ يلحق به من عنف سواء من الناحية الأخلاقية أمْ اللغوية والجسدية (كالانحطاط إلى درجة الحيوانية)، لأنَّ الرقابة اللازمة في مثل هذه الحال هي رقابة الأخلاق والدين من خلال الحفاظ على إنسانية الإنسان ولو بنسب متفاوتة، فالنص (Texte) مجموع ملفوظات منطوقة أو مكتوبة توضع للتحليل ( Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, 1999, pp 123, 124, 483)، وعنصر تفاعلي

يولد الحركية الاتصالية بين المرسل والمرسل إليه، ناهيك عن كونه يشكل مجموع وحدات متضمنة داخل نسيج لغوي لا يمكن عزله ضمن مكوناته عن وظيفته الإيصالية، فهو النموذج اللّغوي الإيصالي لما هو حادث (**نظرية اللّغة الأدبية، ١٩٩٢م. ص:٢٤٨**)، والحادث هنا هو التفاعل من عدمه عبر هذا الخطاب الذي لا نشك في تأثيره على المرسل إليه وإنْ مُنِعَ صوريًا عبر الملفوظ عبر" النسق الدال الذي ينتج ضمنه لسان ولغة مرحلة ومجتمع محددين (**علم النّص، ١٩٩٧م. ص:١٠**)؛ أيْ إنَّه معطى أولي مفتوح على التحليل عن طريق مستقبل مفكك للسنن في ضوء الطبقات الدلالية والأوصاف اللّسانية. حيث يلِجُ المتواصَل معه هذه الصفحة ليجد نفسه بين أحضان العنف اللغوي الذي ينزل قيمة الفتاة إلى درجة الحيوانية عبر نصيحة يسديها المخاطب إلى كل ذكر في شكل نص عام يخدش بالأخلاق وينزع عن الفتاة قيمها العقلية عبر عنف مفتوح على حواسيب العالم أجمع وهو العنف الشبقي، متمثلًا في عنف الشارع:

**الشكل رقم (٢). الشكل التوضيحي.**

لقد ذهبت جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) إلى أنَّ لتموضع النّص ضمن مستواه الإيصالي قاعدة تمكن اللّسانيات من أنَّ تصبح النموذج العام لكل سيميولوجيا، بالرغم من كون اللّسان ليس سوى النسق الخاص ضمن الأنساق السيميولوجية، فبهذا" فتحت أمام السيميائيات إمكانية الانفلات من دلالة الخطابات كأنساق للتواصل" (**علم النّص، ١٩٩٧م. ص:١٥**). نَلفي ضمن الإطار نفسه تقريبًا أنَّ طبيعة النَّص موجهة بشكل أو بآخر لوظيفته التواصلية، كما يمكننا أنْ ننظر" إلى النّصوص كتشييدات من متتالية من الجمل، فالجملة عنصر أو وحدة أو مكون في نص ما، والنَّص مُشَكّل من جمل بالمعنى العادي" (**اللّسانيات والرواية، ١٩٩٧م. ص:٢٢**)؛ أيْ ما يخص وحدات النَّص التي تكون جملة كبرى، حيث تصبح بنيته محتملة كونها نسقًا، أو جملة يؤلفها نسيج ذو عناصر تركيبية تظهر أهميتها التنظيمية داخل البنية، ومن خلال مستويات تشكل الإنتاجية الدلالية. النّص إذًا مادة ومحتوى كما أظهر ذلك هيلمسليف ( Essais linguistiques, 1971, p.116-117) ضمن المدرسة الجلوسيمية حيث يتشكل كل تعبير ومضمون من:

- **مادة المحتوى** (the substance of the content): **ويعني بها الواقع الحي في ذاته (الأشياء والبشر ومجمل العالم من حولنا)** عبر المتواصل مع هذا الموقع التواصلي، وكل ما يحيط به من قبول العنف الجنسي الى جانب العنف الحسي عبر الصورة المثيرة أو الذي تظهره الصورة في الحط من قيمة الفتاة وجعلها لا تنقاد إلَّا لشهواتها، ناهيك عن الصورة اللغوية في قوله:" تلهث الفتاة" من خلال تشبيهها بالكلاب..."، فاللفظ الإنجازي لم يحقّق للفتاة قيمة، بل انحطاطًا واضحًا؛ نظرًا إلى عنف اللفظ الذي حمل المعنى.

**شكل المحتوى** (the form of the content) : **ويعني به التصور النفسي لمادة المحتوى أيْ كيف نستقبل ونتصور الواقع الحي من حولنا؟** داخل هذا المستوى لا يكون العنف سوى حالة من حالات الألم التي تلم بالنفس البشرية، أو قد يحدث العكس مع المرضى أي الشاذين فيتلذذون بالألم. وهو أمر جائز عبر الصور واللغة على السواء، أي إنَّ اللغة تمارس ألم المعالجة للبعض والعلاج المؤلم للبعض الآخر، كالتألم من الإثارة عبر موقع ثقافة الشارع بكل مستوياتها.

- **مادة التعبير**(the substance of expression) : **وهو الجانب الصوتي الفيزيائي من اللغة. ويدخل عبر جانب عنف اللغة المادي،** لأنَّ الأصوات مادة تخترق الأذن، وعبر هذا الموقع لا تكون إلَّا عنفًا جسديًا، وذلك من خلال قول" لا تلعب بعقل فتاة حتى ترضخها"... أنَّه عنف الأصوات التي تشكل منها الخطاب الذي لا نتجرأ على مواصلته لما ينتابنا

من عنف في استقبال أصوات اللغة العنيفة عبره، أيْ:" من خلال العنف الذي توقعه تلك الأصوات، العنف اللغوي للفهم الحرفي الذي يهدد بالتحول إلى عنف حرفي من قبل اللغة. إنَّ عنف المشاعر والغضب ومشاعر الذنب، حالمًا نفسرها **بالمعنى** الحرفي للغة، تصبح عنفًا مؤلمًا ذا طبيعة جسدية" **(عنف اللغة، ٢٠٠٥م. ص:٤٠٣)**.

- **شكل التعبير**(the form of expression) : **وهو التصور النفسي لمادة التعبير؛ أيْ كيف نستقبل ونتصور علامة اللّغة في عملية التواصل؟ (اتجاهات البحث اللساني، ٢٠٠٠م. ص٣٢٧)**، وهنا يكون الخطاب الجنسي عرضة للرفض أو للقبول حسب نوع الرسالة الموجهة للاتصال، فالرسالة الجنسية تثير المشاعر؛ لأنَّها تؤكِّد على العلاقة بين اللغة والجسم **(عنف اللغة، ٢٠٠٥م. ص:٤٠٣)**، وتخاطب الرغبة الجنسية أكثر من غيرها. وتصورها النفسي يحوي درجات حسب قوة التركيز في الجنس أو الانحرافات السلوكية والأمراض سواء عبر القول أم الفعل أم الصور.

وكل هذا يمر عبر مفهوم الإحلال (commutation) الذي يعني الاستبدال المنظم لكل علاقة لغوية في سياق معين" **(عنف اللغة، ٢٠٠٥م. ص:٣٣٢)** فالسياق الذي افترض هذا النوع من مواقع التواصل هو سياق ثقافة الشارع، ليس في مجملها إنَّما عبر الإباحية التي بلغتْ مبلغها من اللغة الفصيحة وأنزلتها درجة الدونية... لتخدشَ بجزء من المشاعر. فالنصيحة الموجَّهة إلى شباب قد وردت في شكل خطاب صريح يسهل مهمة التعامل مع أيِّ فتاة كانت حيث يمكن بعدها اللعب بعقلها ومعاشرتها انسيابيًا.

تمكّن وظيفة الجملة بوصفها وحدة من الوحدات التركيبية النّصية الدارسَ من وضع الدال في إطاره البنائي مفصولًا عن عناصر التواصل المتبقية، دون أنْ يدخلنا هذا ضمن الحدود الفاصلة ما بين الاهتمامات التداولية؛ لأنَّ جهود (بوهلر) التواصلية في توضيحه للفعل اللّغوي تعين الدارس على ضبط مقومات الرسالة المبلغة، في حين" لما كان الدليل متوقفًا على استخدام المرسل إليه، فهو يعبّر بشكل من الأشكال عن جُوانيته، كما يضطلع بوظيفة الإبانة عن الأغراض، وأخيرًا فإنَّ استخدام هذه الأدلة ليس مسعى مجانيًا؛ لأنَّ المرسل يمارس من خلال هذا الاستخدام تأثيرًا على المرسل إليه وتتحقق آنذاك وظيفة النداء " **(عنف اللغة، ٢٠٠٥م. ص:١١-١٢)**، ومن هنا يمكن أنْ تكونَ الرسالة نواة العملية التواصلية؛ لأنَّ المتكلم في علاقته بالعالم يحيل إرساليته إلى طرف آخر من الأجدر أنْ تقومَ بين شخصين يحققان عملية تواصل نموذجية قد تتعداهما في كثير من الأوقات إلى أشخاص آخرين. حيث لا تنتج الرسالة من خلال معطيات المتكلم وحسب، إنَّما تنتج أيضًا من

خلال تبلورها بين المتخاطبين، إذ لا يعتبر المتكلم بنية خارج نصية، بل بنية فاعلة في النَّصِ له وظيفة مزدوجة بدءًا من الرسالة وصوًلا إلى المرسل إليه.

نستنتج من هذا أنَّ بنية النَّص هذه لم تكن من خلال جهد (بوهلر) عن الاهتمامات البنيوية وحسب، بل خرجت في تصوره إلى احتمال كون العملية التواصلية ذات معطى مزدوج من خلال أبعادها ووظائفها.

**ثانيـًا: المُـرسـِل عبر عنف اللغة الاجتماعي**

يقوم المرسل بدور بالغ الأهمية في عملية التواصل، فهو مُسنِّن الرسالة وواضع أنساقها البنائية (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٢٤**) وهو كذلك حدٌ لابد أنْ يُكتب بشكل واضح داخل علاقته النوعية (Hypéronimique) مع المتلفظ له في حالة التواصل التشاركي (المتحقق أو المتجسد فعلًا)، لأنّ " التفاعل موجود، ولكنَّ درجته هي التي تختلف، فليس هناك خطاب أحادي الجانب موجهٌ إلى ذاته " (**دينامية النّص، ١٩٩٠م. ص:٤١**)، لكنّ تخصيص الحديث عن المرسل يجعلنا نُركز على وظيفته التي يُنْتِج من خلالها رسالته حتى تكون:" ملائمة للسياقات العديدة المرتبط بها أثر التواصل، ويختار نماذج اللّغة التي تشفر بطرق عرفية" (**اللّسانيات والرواية، ١٩٩٧م. ص:١٥٢**). والنموذج الذي نسوقه يتحدث عن حالة الوعي الاجتماعي عبر تعنيف المجتمع سياسيًا من خلال صفحة: (السياسة الجزائرية):

**الشكل رقم (٣). الشكل التوضيحي.**

يرى (مايكل ريفاتير) أنَّ وظيفة المرسل " باعتباره مُسنِّنًا للرسالة، هي أكثر إجبارًا من مهمة المتكلم" **(معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٢٤)**، لأنَّ اللّغة المنطوقة يمكن أنْ تصدرَ ضمن بيئة غير مكتملة نطقًا، بل تكملها أشباه جمل **(تحليل الخطاب، ١٩٩٧م. ص:١٩)**، لكن على المرسل في اللّغة المكتوبة مراعاة وجود أكبر قدر ممكن من العلامات اللّغوية، والأصناف الدالة داخل رسالته، فإذا كان على المتكلم " أنْ ينتصرَ على خمول المتلقي وشروده وعلى المجرى المتشعب والعدواني لتفكيره " **(تحليل الخطاب، ١٩٩٧م. ص:١٩)**؛ عليه أنْ "يعمل أكثر لكي يمرر رسالته" **(تحليل الخطاب، ١٩٩٧م. ص:١٩)**، وفحوى هذا العمل هو أنْ يشغلَ نفسه في كتابته بالطريقة التي ستحلل من خلالها شفراتها أوسننها. حيث أصبح للتاريخ مزبلة يرمى فيها كل من لم يشرفْ منصبه، وهذا عبر أسلوب عنيف لا ساخر، حتى يوضع للدلالة حدٌّ، بألَّا رجعة في اعتبار الرئيس جزءًا من التاريخ، وهو حكم عنيف، عنف المسح الذي يقوى عليه الحاسوب لما يلغي من ذاكرته محتوى من محتوياته، ليكون الرئيس لا شيئًا، والشعب غير موجود، فمن المرسل الذي تموضع بينهما للحكم عمَّا تحياه الجزائر؟

إنَّه المرسل الذي يحيا العنف ولم يجد ليونة ممَّا يحيط به من ظروف؛ لأنَّ الشعب موجود على أرض الواقع لكن دون جرأة على مجابهة هذا الواقع بما فيه، عبر سؤال جريء أين الرئيس؟ فرغم الطرح المباشر نلحظ أنَّ الملفوظ يحمل من الأبعاد مَا يجعل العنف مصاحبًا **للتعنيف** الذي لا بدَّ أنْ يوجه للشعب الجزائري حتى يشعر بأنَّه محكوم من قبل شخص غائب. فلمن إذن نتوجه بهذا الخطاب؟ والكل يعلم بأنَّ العنف محكوم بعنف أكبر منه؛ هو عنف التحجر أمام الإجابة عن هذا النوع من الأسئلة؟ **أين الرئيس؟** وأين **الشعب؟**

**ثالثًا: المرسل إليه وعملية تفكيك السنن**
(Destinataire et décodage)

إنَّ مفهوم تفكيك السنن الذي يعد – حسب ريفاتير– مهمة يقوم بها المرسل إليه؛ مفهوم قاعدي يستدعي منا الكشف عن عملية التشفير، أيْ معالم الشفرة التي تشكل قاعدة ينطلق منها المرسل إليه في عملية تواصلية **(معايير الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٢٥-٢٨)**، يمكن التمثيل لها عبر الصفحة الآتية:

الشفرة (Le code) في نظرية التواصل – كما يذهب إلى ذلك غريماس – هي جرد للرموز، متبوعة بمجموعة من القواعد الخاصة بنظام الكلمات المشفرة، والتي غالبًا ما تكون موضوعة بموازاة القاموس، نعني في شكلها اللّغوي العادي، بينما إذا كانت اصطناعية مشتقة فإنَّها تتجاوز القاموسية إلى مرحلة إيحائية، حيث نجد أسس معالجتها في ضوء تجزيئها إلى مجموعات من الرموز، لكن الذي يجب أنْ يفهم من خلالها ليس فقط مجموعة حدود للعلامات أو وحدات تنتزع من

**الشكل رقم (٤). الشكل التوضيحي.**

المورفولوجيا، لكن أيضًا إجراءات (Procédures) لتنظيم اللّغة وتركيبها حتى تسمح بإنتاجية المعنى، فعند السيميائيين نجدُ إجماعًا حول هذه التسمية؛ إذْ تعني مجموع وحدات غير منتهية لا يدخل بينها إلَّا رابط وحيد محكم جدًا يؤسس على مجموعة من التنظيمات المعجمية ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.39). حيث لا تنطوي الشفرة على الملامح التمييزية وحسب، بل أيضًا كما يقول جاكوبسون:" على الملامح الزائدة والتصويرية التي تدل على تنوعات سياقية وكذلك على ملامح تعبيرية تكمن وراء التنوعات الاختيارية (الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة، ٢٠٠٢م. ص٤٩)، ولنا أنْ نتوقفَ عند قيمة الصورة من حيث التشكل الدلالي لغويًا، لأنَّها أيقون؛ و**الأيقون** (Icon) عمومًا هو" دليل يحيل إلى موضوعه ـ الذي يدل عليه، عن طريق الصفات التي يحملها، سواء أُوجِدَ الموضوع أم لم يوجد، وبالفعل هناك استثناء؛ فإذا لم يوجد الموضوع فعلًا، لا يعمل الأيقون كدليل، وهذا لا علاقة له بصفته دليلًا أيْ شيء، صفة، إنسان موجود، أو قانون، وأيقون شيء ما بالنظر إلى أنَّه يشبه هذا الشيء، وسيتم إعماله كدليل لهذا الشيء" (Philosophical writings of Peirce, 1955, p.102)، كما

أَنَّ الأيقون لا يشتغل إلَّا في إطار ما بين الممثل والمتماثلات بالصور. فمن ناحية الصورة تمثل العنف في التقليل من قيمة العملة الجزائرية، في مقابل عملات الدول الأخرى، ومن ناحية الخطاب شبه من حكمونا بالبهائم. في حط شنيع من قيمة الإنسان، على سبيل المشابهة التي تقوم عليها الأيقونة في ضوء الرمز الأيقوني الذي تشكل العملة عبرة، دلالة صريحة للدولة التي تتبناها، وهنا العنف أصاب الجزائر ورفع من شأن من قامت على أساسه المفارقة. وهناك مجموع ٥٢ شخصًا أعجبوا بهذا العنف الساخر من قبل المعنِّف. إنَّها نظام الإشارات (بما في ذلك العلاقات القائمة بينها)، التي يجري بواسطتها نقل جزئية معينة من المعلومات " (**اتجاهات البحث اللساني، ٢٠٠٠م. ص:٤٢٧**)، أيْ إنَّ إشارات أي رسالة لها شفرات توصلها إلى مفكك السنن، فطبيعة الشفرات تكون حسب طبيعة الرسالة، وهي هنا لا تمثل إلَّا كاريكاتورا ساخرًا، قائمًا على المقارنة بغية الحط من شأن الحكم في الجزائر عبر العملة الوطنية لهذا البلد، أمَّا من جانب تفكيك السنن فيجب أَنْ نأخذَ بعين الاعتبار، أَنَّ المرسل إليه ليس بتعدده على قدر ما يجب أَنْ يفهم ضمن أهميته في مفهوم التفكيك، أيْ تفكيك الشفرات، ففي نظرية التواصل حل الشفرة (décodage) هو: عملية أو برنامج لعمل المرسل إليه، يعطينا من خلاله الشفرات مفككة العناصر.

إذا وضعت صيغة الشفرة في معناها اللّساني، فإنَّ حلّها يَظهر مثل عملية توجيهية لمعرفة مكونات الرسالة بقصد إبعاد البنية المشاعة ضمن وظيفة الرسالة التي تظهر على مستوى الإشارات، وهذه الحال مثلًا، هي: أنَّ عدد العمليات لحل الشفرة يعادل السمات التي يتواجد فيها مدلول الإشارة ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.89)، لأَنَّ ما تشير إليه هذه الرسالة هو ليس ظاهر العملة إِنَّما مجموع سمات الخطاب السياسي الموجّه للحكام لا إلى العملات، لكن في كل الأحوال إذا كانت إرسالية المرسل تؤكِّد وعيه الزائد برسالته، فإِنَّ مهمة المرسل إليه في تحديد الشفرات وتفكيكها؛ هو إجراء لمحتملات من السنن- بتعبير مايكل ريفاتير- (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٢٦**)، والمحتملات لا تعني الجزم بتقبل الرسالة ضمن السياق الذي توجد ضمنه، فعلى الصعيد الداخلي، يمكن أنْ يتقبل المرسل إليه هذا النوع من التشفير، لكن استقبال هذا النوع من الرسائل ضمن سياق خارجي لمرسل إليه لا ينتمي إلى البيئة ذاتها قد يجعل الخطاب أكثر عنفًا ممَّا هو عليه بين المتراسلين الجزائريين. ومن ثَمَّ يبقى على المرسل إليه "أَنْ يفهم بالطبع وأنْ يقاسم المؤلف وجهات نظره في الإرسالية، سواء بالنسبة إلى ما هو مهم أو غير ذلك "، (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٢٧**)، حتى تكون هناك مراقبة لدرجات العنف بعد إرسال الرسالة؛ لأَنَّ

النَّص المكتوب له شكل إملائي ومركبات لغوية تجعل عملية احتمال فهمه قليلة الصعوبات مقارنة بالمسموع ومشكلاته، "فمن الضروري أنْ يكون قُلَّباً (Capricieux)، أكثر ممَّا هو عليه الأمر داخل السلسة الكلامية، مادام في الإمكان تجاوز الخطأ في الانتباه بواسطة إعادة القراءة " (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م.ص:٢٧**)، وهنا لدينا حلقة تواصلية بين مقاصد المرسل وما يتوصل إليه المرسل إليه، وهي عملية لمراقبة تفكيك السنن (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٢٧**)؛ أيْ توقعه لما سيقوم به المرسل.

يرى (أمبرتو إيكو) أَنَّ نظرية في الشفرات تُعنى ببنية الوظيفة الدلالية وقواعد تأليفها؛ أيْ الإمكان العام للتشفير والاستشفار؛ ولذلك تصدر هذه العملية عن منظور تحليلي جزئي يصبح فيه ما تعودنا اعتباره شكلًا عاديًا جزءًا آخر ... يكون فيه ما يُسمَّى أشياء المظهر السطحي الذي تتخذه شبكة ضمنية من الوحدات الأكثر أولية، وهذا ما يقصد به التوصل إلى المعنى العادي الموجود في العرف بقدر ما هو سمة تنتمي إلى عالم التجريد وإنتاجيات الدليل بوصفه مؤطرًا ضمن إطار ثقافي هو الذي يوجِّه المضامين (**دلائليات الشعر، ١٩٩٧م. ص:**LXIV ).

**أ ـ العنف عبر أسلوبية الخطاب:**

تخصُّ الوظيفة الشعرية الرسائل" التي تهيمن فيها هذه الوظيفة على الرسالة ذاتها، وينبه (جاكوبسون) إلى أنَّ الوظيفة لا تقتصر على الشعر، وإنَّما ينبغي دراستها في أشكال الرسائل اللفظية الأخرى، وكذلك غير اللفظية. وتعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الكلمات والأصوات والتراكيب... في ذاتها، مكسبة إياها قيمة مستقلة" (**اللسانيات ونظرية التواصل، ٢٠٠٣م. ص:٥٠**)، في حين يقر (ريفايتر) وهو يميز بين مهمة اللّساني ومهمة الأسلوبي؛ أَنَّ نوعية التواصل الذي يعبِّر عن تحدٍ استثنائي لمقاصد المؤلف، هو في جانبه الآخر مهمة في كيفية وجود تلك المقاصد داخل النّص (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٣٤**)، فإنَّ فصلًا مهمًا بين المهمتين، هو المعطى الأساس في تجميع وظيفتين ضمن إطار واحد، فإذا كانت "مهمة اللّساني (البسيطة نسبيًا) هي تجميع كل سمات الخطاب وتسميات مبلغه (Informateur) دون أَنْ يلغى بواحدة منهما، فإِنَّ الأسلوبي ينبغي أَنْ يختار فقط تلك السمات التي تثبت المقاصد أكثر وعيًا عند المؤلف، وهو ما لا يعني أَنَّ وعي المؤلف يحيط بكل سمات الخطاب" (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٣٤**).

يرتبط الملفوظ، "بصفة عامة بالفعل مترجمًا نمط التواصل القائم بين المتكلم (الباث) ومخاطبه (المستقبل) (**تحليل الخطاب الروائي، ١٩٨٩م. ص:٨٩**)، أمَّا إطاره من ناحية سيميائية فإنَّه يتمحور حول ملفوظي (الموجه والوصف)، ملفوظ الفعل (énoncé de faire)، وملفوظ الحالة (énoncé d'état)

( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, pp.230-231). وهي من ناحية التحديدات التي وضعت في المعجم اللّساني للمقولات المنطقية تعني: مختلف الطرائق التي يبرز من خلالها محمول الجملة كحقيقة، أو جواز، أو ضرورة، احتمال، أو إمكان، ذلك أن السيميائيينَ يراعونَ الاختلافات الموجودة بين عناصر هذه المقولات من خلال ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, pp.231):

| | | |
|---|---|---|
| **موجه الجواز** | = | **موجه الضرورة** |
| **موجه الاتصال** | **يقابل** | **الإمكان.** |
| **الجهة** | = | **الموجه.** |

وكما يوضح سعيد يقطين عمليًا في الجملتين:

**١-يجب أَنْ ينطلق القطار في الخامسة.**

**٢-على القطار أَنْ ينطلق في الخامسة (أسلوبية الرواية، ١٩٨٩م. ص:١٨٩).**

نلاحظ أنَّهما تدلان معًا على الاحتمال، غير أنَّ الأولى تكلف بها المتكلم والثانية تكلّف بها بدرجة أقل، وينطلق في ذلك من خلال المعاني التي يحملها الموجه (modalisateur) في المعجم. والمقصود بذلك "الوسائل التي بواسطتها يجلي المتكلم الطريقة التي برز بها ملفوظه الخاص (ربما -لا شك-في اعتقادي...) وتشير هذه المعينات؛ أَنَّ الملفوظ يتكفل به كاملًا من لدن المتكلم. أمَّا التوجيه (Modalisation)، فهو الطابع الذي يعطيه المتكلم لملفوظه" (أسلوبية الرواية، ١٩٨٩م. ص:١٨٩-١٩٠)، والمفهوم ذاته الذي يوضّحه سعيد يقطين يذهب إليه السيميائيون، ذلك أَنَّ التوجه اللّغوي الذي لا يفصل بين الجانبين اللّساني والسيميائي يسعى دائمًا إلى تحقيق إنتاجية الملفوظ ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.230) باعتباره مرادفًا للتحريك، وهو في شكله الإرسالي حال للمتكلم موجَّه إلى المرسل إليه (مفكك السنن)، حيث تكون "الأسلوبية في هذه الحالة علمًا لسانيًا لتأثيرات الإرسالية ولمردودية التواصل ولوظيفة الإكراه التي تمارسها على انتباهنا" **(معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٦٨).**

يعتبر فعل التكلم ضمن تحققاته الخاصة، فعلًا من أفعال التلفظ أيْ: إنَّه كل فعل إنتاجي للملفوظ أيًا كان ذلك الملفوظ ( L'énonciation en grammaire du texte, 1994, p.9)، " فالملفوظية تظهر وَفْق مجالين اثنين مختلفين؛ إمَّا بوصفها بنية غير لسانية (مرجعية)، أو تحققًا لسانيًا في شكل الهيئة (Instance) ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, pp.125-126)، وهذا ما يرجع في تحققه الإيضاحي إلى (إميل بنفنست) (Emile Benveniste)، الذي يعرض إلى مفهوم الملفوظية التاريخية مبررًا تواجدها الحالي ضمن اللّغة المكتوبة وَفْقَ الوحدات الموالية: "حكاية (Récit)، حدث (Evènement) في إطار ماضوي (أَيْ الماضي)، مسطرًا بذلك تحت كل عنصر زمنيًا ومكانيًا مفهوم **التلفظ داخل الحكي"**

(Problèmes de linguistique générale, 1966, p.236-237)، أمَّا كورتاس جوزيف (Courtés Joseph)، فقد توخَّى التحليل السيميولساني انطلاقًا من التلفظ إلى الملفوظية، فالعوامل داخل التلفظ (L'énonciation) في ضوء الأبعاد النَّحوية الدلالية؛ تفترض عملية للتلفظ تتوافق وما يفرضه القالب اللّغوي، فهو، أي الملفوظ: لا بدَّ أَنْ يؤخذ بالفعل بوصفه منتجًا بفعل التلفظ، محققًا بذلك شكلًا ملفوظيًا بفعل الأشكال المتلفظ بها؛ لأنَّه في طابعه العام ليس دائمًا تصورًا لسانيًا أوسيميائيًا (كما هو الثنائي دال/ مدلول)، لكنَّ أهم قاعدة تبرز الخطوط الفاصلة بين جزئي هذا التركيب "السيميولساني"، هو أَنَّ هناك تلفظ لساني أو سيميائي للملفوظات، وهذه الشروط المحيطة بالتوجه التحليلي لا بدَّ أَنْ توضع موضع الاهتمام من الجانب العلمي دون خلط بينهما (Sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation, 1991, pp.245-246) عبر **صفحة أساتذة جامعيين**:

**الشكل رقم (5). الشكل التوضيحي.**

ففي ضوء هذه المعطيات لا بدَّ أن نضع في الاعتبار أهمية كل ما يتعلق بالتلفظ الملفوظ ( énonciation énoncée)، إضافة إلى الملفوظ المُتَلفَظ (énoncé énoncé) والدلالة الأساسية والثانوية(*)، ذلك أَنَّ التمييز بين الملفوظ والتلفظ ركن مهم لا يمكن إهماله من بين الاهتمامات اللّسانية والسيميولوجية، إذْ لا بدَّ "من التمييز بين التلفظ في حدِّ ذاته وموضوعه، المادة الملفوظة... بعبارة أخرى كلَّما أتحدث، أكتب، أنجز فعلًا تلفظيًا وأنتج ملفوظًا... فالتلفظ هو توظيف اللّغة عن طريق فعل استعمال فردي، إنَّه لا يحوي ما في الكلام السوسيري (مجموع الملفوظ والتلفظ)، إذْ لا بدَّ من مراعاة الشرط الخاص بالتلفظ، إنَّه فعل إنتاج الملفوظ وليس نص الملفوظ" (**مدخل إلى السيميولوجيا، ١٩٩١م. ص:٣٤**). فاللغة المستخدمة من قبل الأستاذ الجامعي لا بدَّ أنْ تعكس المتلفظ الفعلي لهذا الملفوظ؛ الذي ينمُّ عن وعي وعلم بمادة الملفوظ إعلانًا ودلالة، ولِمَ لا اقتباسًا أو نحتًا إلصاقيًا من **جملكية** إبداعية لئَّلا تكون الجزائر **الجمهورية ملكية** في الوقت عينه، وهو ما خصَّه المتلفظون بقولهم؛ إنَّهم يتحدثون كل ما يعرقل مسيرة الشعب ليس فقط العهدة الرابعة، لكن ما الحل؟ هو السؤال الموجّه إليهم من قبل أحد المتواصلين معهم...؟

الأسلوب إذًا هو"معطى فيزيقي ملتصق بذاتية الكاتب وبصميميته السرية، إنَّه لغة الأحشاء، الدفقة الغريزية المنبثقة من ميتولوجيا الأنا" (**درجة الصفر للكتابة، ١٩٨٠م. ص:١٢**)، فجراء العنف نتج عنف اللفظ عبر "ضرورة تربط مزاج الكاتب بلغته" (**درجة الصفر للكتابة، ١٩٨٠م. ص:٣٥**)، وكأَنَّه نوع من التحرر في إطار العبودية داخل الأسلوب العام. ونوع من التفرد رغم أَنَّ النقد التقليدي قد تبنى مقولة الأسلوب هو الكاتب" (**أسلوبية الرواية، ١٩٨٩م. ص:٥٣**) المقصدية التي أرادها المرسلون من ملفوظهم وعبر تطلعاتهم لغد أفضل.

**ب: عنف الوظيفة الانفعالية:**

تنعكس من خلال" الرسائل التي تركز على الحمولة الانفعالية والوجدانية، ومن ثَمَّ فإنَّها ترتبط بالمرسل، أيْ تقدم انطباعه وانفعاله تجاه شيء. وترتبط هذه الوظيفة ببنية تعبيرية خاصة على مستوى النحو والصوت والمعجم. ويترتب عن هذا تباين بين ظواهر لسانية متنوعة" (**اللسانيات ونظرية التواصل، ٢٠٠٣م. ص:٤٨**). تعتبر الوظيفة الانفعالية إذًا محطة

---

(*) هنا يرى (كورتاس) أَنَّ هذه النظرة تقودنا إلى السير جنبًا إلى جنب والبراغماتية النفعية التي يؤكدها (ريفاتير) ضمن الاهتمام الشامل بفواعل اللّغة، (وكورتاس) بدوره يجمع بين الملفوظية السيميوطيقية إلى جانب اللّسانية من خلال هذا الشكل:

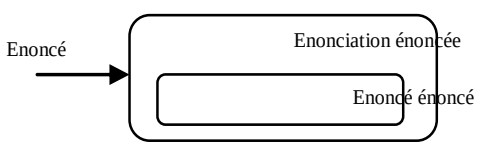

مهمة من محطات التواصل "المتحورة على المتكلم. تهدف إلى إقامة تعبير مباشر لموقفه إزاء من يوجه إليه الكلام. وهي تميل إلى إعطاء انطباع حقيقي أو مصطنع **(الأسلوبية، ١٩٩٤م. ص:٩٩)**، فالتعبير أو الانفعال كلاهما متمركز حول المرسل وموجه إلى عبارة مباشرة لحال الموضوع بموازاة ما يقول؛ لأنَّها وظيفة تعطي انطباعًا بانفعال خاص صحيح أو مقنع، ذلك أنَّ اللّغة تسمح بالتواصل، لكن أيضًا الفعل والتعبير والانفعال (Les voies du langage, 1982, p.VI). حيث لم يكتفِ صاحب الخطاب بقول:" هكذا يقتل المسلمون في بورما"، بل أراد أَنْ يضيف على انفعاله صورة فيها إشارات التصفيق وجثث المسلمين تحرق. لقد دعَّم خطابه بالصورة المرئية موجهًا أنظار مَنْ يشاهدها إلى العنف الذي تكتسيه ليتحكم في درجة انفعال المرسل إليه، عبر عنف لفظي لِمَنْ لم يتأثر ولم يكتب على الصفحة:" لا حول ولا قوة إلَّا بالله. خاصة المسلمين منهم، والذين لا يدافعون عن إخوانهم ولو بقلوبهم. مثلما يظهر عبر الصفحة الموالية:

**الشكل رقم (٦). الشكل التوضيحي.**

يشكل تعلق هذه الوظيفة بالمرسل خاصيةً لغوية يختص بها صاحب الرسالة و"تبدو من خلال العلامات للكاتب (**معايير تحليل الأسلوب**، 1993م. **ص**:68)، كما ترمى إلى إحداث خاصية أسلوبية سواء منها المباشرة أو غيرها، إذ يمكن التعبير عنها ضمن السياق العام للرسالة بأدوات التعجب التي "تلون إلى حد ما كل أحاديثنا في المستويات الصوتي النحوي (Essais de linguistique générale, 1963, p.125) والمعجمي" (**النّص الروائي تقنيات ومناهج، ١٩٩٢م**. **ص**:٧٣). وتكمن خاصية المرسل في تعلقه العنيف عبر تدعيم عنيف بصور أعنف من الخطاب فلو لم تكن الصورة لكان بالإمكان فهم الحرق فهمًا مجازيًا، لكن خصوصية هذه الرسالة بأَنَّ تجعل المرسل إليه يعلم بأَنَّ الأمر بلغ مداه؛ لذلك فلن تكفي اللغة وحدها، بل لا بدَّ أَنْ يتبعها الواقع المؤلم أيضًا.

**ج: العنف عبر الوظيفة الإفهامية:**

الصفحة التي سنحاول مقاربة العنف الإفهامي فيها هي الصفحة التي تعبر بنفسها عما يلي:

**الشكل رقم (٧). الشكل التوضيحي.**

يقول عبدالقادر غزالي: " تكتسي نوعية الإبلاغ الموجَه للمستمع صبغة الأداة التمييزية التي تطبع الرسائل بدلالات خاصة، وتسم تمظهراتها وبناها التركيبية والنَّحوية بخصيصات محددة، تعين تعالق مكونات الجملة والخطاب وأقسام الطبقات التعبيرية، فالوظيفة الإفهامية التي تتصل وتركز على المرسل إليه تحدد لنفسها إطارًا خاصًا للتبادلات العلائقية والتمفصلات اللسانية التي تتفاعل داخلها، فهي تجد تعبيرها النَّحوي: الأكثر خلوصًا في النداء والأمر اللذين ينحرفان من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فونولوجية" (**اللسانيات ونظرية التواصل، ٢٠٠٣م. ص:٤٩**). وهنا بالذات وجّه صاحب هذه الصفحة خطابًا عنيفًا حثَّ عبره كل غيور على سلامة اللغة العربية أَنْ ينتفض حفاظًا على العربية وسمعة الجامعة، وإذْ هو يعمد إلى الحفاظ على كل هذا، انصبَّ العنف على صاحب المقال الذي كانت مقالته ملأى بالأخطاء اللغوية، وعبر التأشير باللون الأحمر إلى الخطأ، من خلال حاسوب مفتوح على جميع حواسيب العالم. لم يراعِ عبر هذا النداء موقع المعنَّف بهذه الإرسالية. وهنا وجدنا أنفسنا أمام إشكال ما يعرف بمن حمل هذا العنف:" من يكون المتكلم هل هو الشخص بذاته أم إنَّ اللغة هي التي تتكلم؟ بكلام آخر: هل يكون الشخص المتكلم مسيطرًا سيطرة تامة على الأداة التي يستعملها وهي اللغة، بحيث إنَّه يفعل بها ما يريد وَفْقَ شروطه الخاصة ويشكلها وَفْقَ تصوراته المسبقة، أم إنَّ اللغة تلعب دورًا أساسيًا في عملية التعبير؟؟؟" (**عنف اللغة، ٢٠٠٥م. ص:٧**).

لقد بيَّن (جاكوبسون) أنَّ هذه الوظيفة تتجه صوب المرسل إليه، وتجد عبارتها النَّحوية ضمن ما يُسمَّى النداء والأمر من خلال التجليات اللّغوية الخالصة (Essais de linguistique générale, 1963, p.216)، فمقولتاها: " تختلفان عن سائر المقولات الاسمية والفعلية من النواحي التركيبية، والصرفية، ووظائف الأصوات" (**تحليل النّص السردي، ١٩٩٧م. ص:٣٣**)، لأنَّها تتشكل بمثابة رد فعل المرسل إليه، فتظهر ضمن أسلوب تعبيري خاص من خلال تضادها والوظائف التعبيرية والمرجعية (Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, pp.56-57) ولهذا تتحدد تجليات التعبير في ضوء هذه الوظيفة عن طريق إدراكية المرسل إليه، وهنا بالذات تتراءى لنا درجة بلوغ العنف مداه رغم أنَّ اللغة صرحت بذاتها أنَّ القاعدة النَّحوية قد خدشت، فنداء صاحب الصفحة للانتفاض قد صاحبته محافظة على المتبقي، وإهمال لما قد تسببه شظايا الخطاب في المرسل إليه عبر التشهير بكتاباته على موقع التواصل الاجتماعي. وهنا نتساءل ما الأسلوب التعبيري الذي يجب أنْ ينتج عن مثل هذا الخطاب عند المرسل إليه عبر قصدية التعنيف التي قام بها المرسِل؟

**د ـ العنف عبر الوظيفة المرجعية:**

ترتبط هذه الوظيفة بالسياق و" يمكن أنْ تتحقق في اللغة اليومية واللغة العلمية؛ لأنَّ الرسائل في هذه الحالة تعتمد على المواضعة اللغوية المشتركة بين أفراد الجماعة اللسانية" (**اللسانيات ونظرية التواصل، ٢٠٠٣م. ص:٤٨**). إذا اعتبر المرجع من الناحية المنطقية مُؤطِّرًا لكل المحيط اللّساني، فإننا لو أخذنا على سبيل المثال الضمائر، لا نجد لها مرجعية خاصة بقدر ما نجد للسياق اللّغوي العام الخاص بالرسالة اقترانًا عامًا بين الدال والمدلول، ففي هذا المجال ترجع الجهود أساسيًا إلى دي سوسير، أمَّا المجهودات اللاحقة فإنَّ أبرز من اهتم بها هم المشتغلون بنظرية التواصل انطلاقًا من أوغدن وريتشاردز( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.311)، فقد اهتما بالمرجعية في إطار المدلول (Signifié)، أمَّا جاكسون فقد واصل من خلال جهود كارل بوهلر الاهتمام بها بوصفها وظيفة مصاحبة للسياق، أي الدلالة على المسميات وتطابق وظيفة التمثيل، الذي يعني أنَّ الدال والمدلول كلاهما يمثلان العالم الخارجي الذي يشكل بنية الرسالة وما يحيط بها .

اهتم جاكسون بهذه الوظيفة فحلَّلها ضمن إطار البنية التواصلية، وقرر أنَّ السياق الفعلي أو غير الفعلي هو الباعث الأول على المرجعية (**مدخل إلى اللّسانيات التداولية، ١٩٩٢م. ص:١٤**)، أي ليست على المستوى الداخلي وحسب، بل لحظة التلفظ ذاتها – وهنا نشير إلى ضرورة توافر التلاحم النّصي(Cohésion) – الذي يسهم في تحقيق الإحالة سواء من الداخل أومن الخارج، ولكي يتوافر عليها أيّ نص لا بدَّ أنْ يعتمد كل عنصر داخل الخطاب على ما يسبقه وما يليه، فحينما "يعتمد فيه عنصر معين في الخطاب على عنصر آخر، الأول يفترض الثاني، بمعنى أنَّنا لا يمكننا فك شفرته بنجاح إلَّا بالعودة إلى الثاني" ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.312)، أين أشار جاكوبسون إلى ضرورة توافر الروابط الوصلية داخل اللّغة، الشيء الذي اهتمت به اللّسانيات منذ دي سوسير. أمَّا المثال الذي نسوقه فهو مثال من صفحة: الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني؛ وهو موقع رغم سهولة التوقف عند مرجعياته إلَّا أنَّه عنيف عبر إحالته إلى أنَّ العربية هي اللغة الأصلية لكل الجزائريين:

تعتبر الضمائر الشخصية الثلاثة بؤرة الروابط التواصلية من الناحية المرجعية. "إنَّها تميز الأشخاص داخل موضوع الخطاب بموجب أدوارهم ضمن الإيصال الذي يتكلم. والذي نوجه إليه الكلام. والذي نتكلم عنه" (**تحليل الخطاب، ١٩٩٧م. ص:٢٢٨**)، إنَّها ضمائر (هي، هو وهم)، وعبر هذه المرجعية أمكننا أنْ نتعرف عبر الغائب عن كل ليلى يصدق عليها هذا القول، وإن عكسته أسماء أعلام رمزية كسندريلا والذئب الذي بنيت عليه القصص...

إلخ، وهو ما لا يعني أَنَّ باقي الضمائر لا تحقق مرجعية أمام هذه الروابط، بل يضاف إليها روابط أخرى، فأسماء الإشارة وبعض ظروف المكان مثل: هنا، هناك... إلخ تشير إلى المرجع في علاقته مع مكان الإيصال، وتقوم بهذا أزمنة الأفعال وبعض ظروف الزمان: البارحة، اليوم. غدًا، وذلك في علاقتها بلحظة الإيصال (**الأسلوبية، ١٩٩٤م. ص:١٠٠**). إذا أخذنا عمل"(أنا) و(أنت)، فإنَّه يتمحور حول المرجعية الحالية (الوصفية، وضع، حال...)، أيْ إنَّنا لا نصل إلى المرجع إذا غابت عنا حال الملفوظية: مَنْ يتكلم. إلى مَنْ، مثلًا عبر الهاتف المتكلم (Le locuteur) يضيف اسمه نَحْويًا من خلال وظيفة التبادل (Opposition)، ولكي نخصص المرجع لـ: (أنا) ليس دائمًا مماثلا للصوت (Identifiable à la voix) أنا زوي ( C'est moi zoé)" (L'énonciation en grammaire du texte, 1994, p.49). لأنَّ القصّ بهذا الشكل غير مطابق في أصله لليلى واحدة أو لذئب واحد... ناهيك عن الألفاظ العنيفة التي مُست بها شخصية الفتاة من: خبث/ ترمى في القمامة/ لم يأكلها الذئب... من خلال عنوان موجه للفتيات فقط ويفتح شهية الرجال للالتهام؛ لأنَّ الممنوع مرغوب عبر سياق اجتماعي خارجي لا يختلف حوله الكثيرون... فهو عنف الحس غير السليم تجاه الفتاة التي تتعمد الفتنة، ولن يأخذها ابن عمها حبًا فيها، في شكل اقتباس من الحكايات التي عهدناها ولم تؤدِّ إلَّا لافتراق المتحابين...

**الشكل رقم (٨). الشكل التوضيحي.**

**و- العنف عبر الوظيفة الما وراء لسانية:**

الشفرة هي اللّغة التي نستعملها حتى نتواصل مع الآخرين، لنتعرف على نظام اتفاقي من قوانين تسمح بالإنتاجية وفهم النّص، الوظيفة الماوراء لسانية هي الوظيفة التفكيرية للغة كل الكلمات في مدلولها وليس فيما ترمز إليه (antonyme) التي توجه باعتبارها غير موظفة ضمن إطار ذي دلالة عادية بل مُوَرَاة (Approches de la linguistique, 1994, p.97)، وغالبًا ما تكون نظرات سياسية عنيفة:

**الشكل رقم (٩). الشكل التوضيحي.**

فتوجيهات جاكوبسون بهذا الخصوص لا تبرز حدًّا لسانيًا وحسب، بل في عمومه لغويًا حتى في اللّغة العادية اليومية، فحينما نتحدث عن الموضوعات والماوراء لغوي (Métalangage) ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.224). نتحدث عن اللّغة ذاتها؛ لأنَّ الماوراء لغوي ليس دائمًا أداة عملية ضرورية في الاستعمال عند المناطقة أو الألسنيين، لأنَّها تلعب دورًا مهمًا في لغة كل يوم. أي إنَّ الخطاب متمركز حول الشفرة ويملأ وظيفة الماوراء لسانية ( Essais de linguistique générale, 1963, p.218)، تمامًا كما تكون النظم التشفيرية الموجّهة من خلال العناصر التي تشكل الوحدات الملفتة للانتباه في النّص، فالماوراء لغوية يمكن أن تبرز ضمن مستويات كثيرة، وهي مستويات تطرح نوعين من المشكلات:

– من جهة مجموع العبارات إذا اجتمعت مرة، هل يمكننا توضيح الماوراء لغوية؟ أي هل تتوفر على تمظهرات ابتدائية تحدد السيميوطيقا؟

– كذلك من جانب آخر، الإقصاء لكل الجمل الماوراء لسانية، هل يمكن من إعطاء لغة صافية من التأشير (Dénotation)؟

حسب هذا التحديد لا يمكن أَنْ نقف دائمًا عند إجابة إيجابية، فالسيمياء بوصفها مجموع نظم من العلامات لا يمكنها إلَّا أن تتجاوز هذا الإطار للماوراء لسانية، لأنَّه إثبات (Constatation) حدد منذ دي سوسير، فمشكل الماوراء لغوي غير العملي (Métalangage non scientifique)، يطرح أيضًا في السيميوطيقا، ومن ثمَّ مجموع العلاقات بين اللّسانيات والسيموطقيا عامة يبقى موضوع تساؤل( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.224-226)، ويجعلنا نلحق تعريف الماوراء لساني بما هو ماوراء سيميوطيقي عبر السيموطيقا ذات الدلالة المرافقة (غير العملية)، عن الماوراء سيميوطيقا العملية، تمامًا كما ميَّزت اللّسانيات بدورها بينهما ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.228)، فالتمييز الذي يستطيع غريماس تأسيسه بين السيميولوجيا والسيميوطيقا ( La sémiotique et la sémiologie) وعلوم الطبيعة، وعلم الإنسان هو على الأقل ضمن مستوى النماذج البراديغماتية المختارة لمناقشة هذه الفكرة؛ ليس تمييزا بنائيًا، بل إجرائي (De procédure)، تمامًا كما يفعل اللّساني حين يجرب الصلابة الشكلية للنموذج الأنثربولوجي (Du sens, 1983, p.34).

يعرض (أمبرتو إيكو)، من جانبه للتركيبة الخاصة بالشفرة بشكل توضيحي مهم، في مجال السيميوطيقا واقترانها باللّسانيات، فمفهوم الشفرة سلسلة واسعة من النظم الدلالية ( La structure absente, 1984, p.110)، حيث ترتكز الوظيفة الماوراء لسانية أساسًا "حول السنن المشترك بين المرسل والمرسل إليه" (**معايير تحليل الأسلوب، ١٩٩٣م. ص:٦٨**)، وذلك عبر رمزية دقيقة للحذاء العسكري الذي يتحكم في ثوابت الأمة عبر العلم الذي غاب عنه شكله المتعارف عليه دوليًا، فتحول شكل النجمة والهلال فيه إلى حذاء عسكري في شكل دلالة إيحائية تخفيها لغة الرمز (Symbol)، التي تخصُّ دليلًا متفقًا عليه (Philosophical writings of Peirce, 1955, pp.113-114)، على مستوى التعبير وعلاقته بالمستوى الإيحائي. وهي تابعة بالضرورة إلى طابع التشفير في النّص، ولبيان الميتا لغوية الخاصة بهذه الوحدات يبرز "رولان بارث" عن جهود هيلمسليف نظامًا من المعاني يحمل مستوى تعبيريًّا (تع/ E)، ومستوى للمضمون (مض/ C)، أمَّا المعنى فمتعلق بالعلاقة الموجودة بين الاثنين (تع، عل، مض)، (C, RC, E )، وكل نظام شبيه بهذا النظام يتحول بدوره إلى نظام ثان يتسع فيصبح لدينا

نظامان متراكمان ( Eléments de sémiologie, 1964, p.130)، (Imbriqués) الواحد في الآخر في اتصال علائقي بين مستوى التعبير، ومستوى المضمون، أمَّا سقوط التماسك بين المستويين، فيمكن أن يتحقق وَفْقَ وجهتين مختلفتين:

**الحالة الأولى:**

**٢-مستوى التعبير (تابع)** **العلاقة (عل)** **مستوى المضمون (مض)**

**١-تع-عل-مض**

هذا ما يسمِّيه سيميوطيقا الدلالة الإيحائية (Commutative)، أي ذات مفهوم مرافق للمفهوم الأصلي خاص بالمستوى ذي الدلالة التأشيرية (Dénotation)، أمَّا الثاني فمخطط للدلالة غير المباشرة. نقول إذن: إنَّ نظامًا دلاليًا غير مباشر ينبني أساسًا من خلال مستوى من المعاني وحالات خاصة به.

**الحالة الثانية:**

أي سقوط التماسك في النظام الأول (تع –عل- مض)، حيث لا يتكون مخطط العبارة من المفاهيم المرافقة ذات الدلالة غير المباشرة، إنَّما يكون مخططًا لمضمون المدلول داخل النظام الثاني:

**٢-مستوى التعبير (تابع)** **العلاقة (عل)** **مستوى المضمون (مض)**

**١-تع-عل-مض**

أو أيضًا (عل. مض (تع.عل.مض) هي حال كل الميتالغوية التي تُعَدُّ نظامًا. أين يتكون مستوى المضمون من نظام الدلالات (المعاني)، فهي سيميوطيقا تماثل هذا الازدواج في التوجه ( Eléments de sémiologie, 1964, p.130) من خلال الشكل الآتي (Eléments de sémiologie, 1964, p.130):

| الدال | المدلول | |
|---|---|---|
| | الدال | المدلول |

الماوراء لسانية (Méta–linguistique )

إذا أخذنا الحذاء بوصفه **دالًا عنيفًا** لا بدَّ أنَّ نبرز في مستوى الميتالوغوية للتشفير في النّص؛ تلك الشفرات التي تقوم على تشفير قوي وآخر أقل قوة، من خلال جوهرها أو مادة تكوينها (Substance)، أيْ من خلال كل التحديدات بوصفها دوال داخل العلامة اللّسانية، فالبحث السيميائي يهدف إلى معرفة كيفية عمل الأنظمة الدلالية غير اللّسانية، وذلك حسب المشروع البنوي الذي يبتغي بناء نموذج للأشياء الملاحظة، "وإذن لا بدَّ في هذا البحث من

القبول بمبدأ محدد هو مبدأ المواءمة (Pertinence)؛ المبدأ الذي أقرته الألسنية" (**محاضرات في السيميولوجيا، ١٩٨٧م. ص:٢٤-٢٥**) رغم توافر الأحداث المتنافرة، أيْ عدم تقبل فكرة المدلول في شكل الصورة الذهنية التي مست الرمز بوصفه محكومًا بواسطة العرف فهو الدليل، بل يجب أنْ توجه العناية بها من قبل مفكك السنن من غير أنْ يسمح لعوامل أخرى، مثل: التحليل السيكولوجي، والاجتماعي، أو الفيزيائي بتغيير مجرى المضمون المحدد، أي: مراعاة مجال العلامة اللّسانية، فبما أَنَّ الموضوع الخاص بالدليل يفترض معلومة خاصة عن ذاته من خلال اتصاله بما يوجد بينه وبين الدليل، فإنَّه من الضروري أَن يتوافر على سياق من خلال مؤوله، فإنَّنا قبل أن نلج المستوى الماوراء لساني، حيث تواجهنا مؤولات خاصة تعبر في كامل النّصوص عن تحديد هويات متعددة بالمعنى المضموني؛ لأنَّ السياق غير معطى من قبل الدليل، فالمؤولات هي التي تربط الموضوع. **ومن هذه المؤولات كسر ثابت من الثوابت التي أقرها العرف، ولم يسمح المجتمع بتغييره بعد ألا وهو العلم الرمز.**

الشفرة هي اللّغة التي نستعملها حتى نتواصل مع الآخرين، لنتعرف على نظام اتفاقي من قوانين تسمح بالإنتاجية وفهم النّص، فالتشفير هو جرد للرموز متبوعة بمجموعة من القواعد التي تخص نظام الكلمات المشفرة، وغالبًا ما تكون موضوعة بموازاة القاموس: نعني في شكلها اللّغوي، بينما إذا كانت اصطناعية مشتقة فإنَّها تتجاوز القاموسية إلى مرحلة إيحائية، حيث تظهر معالجتها في ضوء تجزيئها إلى مجموعة حدود العلامات أو وحدات تنتزع من المورفولوجيا، لكن أيضًا إجراءات لتنظيم اللّغة وتركيباتها حتى تسمح بإنتاجية المعنى، فعند السيميائيين نجد إجماعًا حول هذه التسمية؛ إذ تعني مجموع وحدات غير منتهية، لا يدخل بينها إلَّا رابط وحيد محكم جدًا يؤسس على مجموعة من التنظيمات المعجمية ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.39).

تهتم نظرية في الشفرات ـ حسب أمبرتوإيكو ـ بإعطاء القيمة للوظيفة الدليلية من خلال قواعد تأليفها الممكن، أي الإمكان العام للتشفير(كفاءة المتكلم)، والاستشفار ( كفاءة القارئ)، فـ" السنن في التلغيز نظام من القواعد يسمح بكتابة رسالة معينة (يكون بصفة عامة مضمونا تصوريًا، وهو في الواقع متوالية لغوية مكونة مسبقًا، ويقع التعبير عنها في لغة طبيعية بواسطة سلسلة من الاستبدالات على نحو يمكن المتلقي الذي يعرف قاعدة الاستبدال من الحصول مجددًا على الرسالة الأصلية، ويطلق على الرسالة الأصلية اسم (الواضح) وعلى كتابتها اسم (الشيفرة)" (السيميائية وفلسفة اللغة، ٢٠٠٥م. ص:٤٠٧)، وهذا ما يقصد به التوصل إلى المعنى

العادي الموجود في العرف بقدر ما هو سمة تنتمي إلى عالم التجريد وإنتاجيات الدليل بوصفه مؤطرًا ضمن إطار ثقافي يوجه مضامينه (دلائليات الشعر، ١٩٩٧م. ص:LXIV)؛ لأنَّ أبرز ما يسهم في إحالة المستوى التشفيري؛ هو تلك القيمة التي تصدر عن تركيب الشفرة ذاتها خاصة القيم التعارضية ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.334). يرى أمبرتو إيكو أَنَّ نظرية في الشفرات تعنى ببنية الوظيفة الدليلية وقواعد تأليفها، أي الإمكان العام للتشفير والاستشفار؛ ولذلك تصدر هذه العملية عن منظور تحليلي جزئي يصبح ما تعودنا اعتباره أشكالًا عادية جزءا آخر ... يكون فيه ما يُسمَّى أشياء المظهر السطحي الذي تتخذه شبكة ضمنية من الوحدات الأكثر أولية، وهذا ما يقصد به التوصل إلى المعنى العادي الموجود في العرف بقدر ما هو سمة تنتمي إلى عالم التجريد وإنتاجيات الدليل بوصفه مؤطرًا ضمن إطار ثقافي يوجه مضامينه (دلائليات الشعر، ١٩٩٧م. ص:LXIV)، وبالتالي نجد أهم ما يساهم في إحالة المستوى التشفيري؛ القيمة التي تصدر عن تركيب الشفرة ذاتها خاصة القيم التعارضية ( Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage, 1979-1986, p.334)، ( La structure absente, 1984, p.56)؛ لأنَّها ستعمل إلى جانب الحقول التي تفرضها الفئات التشفيرية سواء القوية منها أم الضعيفة، فالجدير بالذكر هنا هو أنَّ تواجد الشفرة الدنيا يوجه لها قوة خاصة في أيِّ نص من النّصوص، وذلك عبر كامل ما يمكن أن تقدمه لنا نظرية الإيصال السيميولساني من مساعدات لتجاوز العديد من المعوقات في التحليل...

التواصل من خلال كل ما تقدَّم هو كيفيات إجرائية ذات مستلزمات لغوية وغير لغوية تبنى أساسًا على دوري المرسل والمرسل إليه سواء أتعلق بالجوانب اللغوية أم بغيرها؛ لأنَّه من العلوم "القليلة التي تتكثف وتتقاطع فيها مجموعة من العلوم. إذ يعتبر علمًا ملتقى للكثير من التخصصات العلمية (Iterdisciplinarity). فقد أثارت سيرورات الاتصال اهتمام الكثير من العلوم المتنوعة" (**تاريخ نظريات الاتصال، ٢٠٠٥م. ص:١٩**)؛ لأجل هذا لم تكن نظرية الاتصال أقل إشكالية من المصطلح نفسه ( Le culte de l’internet, 2000, p.92) الذي لَمَّا تزاوج بالعنف أنتج لغة عنيفة جعلتنا نتساءل:

مَنْ يحمل العنف أهي اللغة، أم الذي وظفها، أم السياق الذي فرضها؟ فلو لم تكن ثقافة الشارع المتحدثة أكان بإمكان صاحب القول أن يقول ما قال؟ ويخدش بالدلالة مشاعر المتواصَل معهم؟

أهي لغة العنف؟ حسب (لوسركل) أم هو عنف لغة؟ الذي جعلنا لا نقوى على إظهار ما حوته صفحات الفيسبوك لئَّلا نؤلم مَن لا يقوى على عنفها لغة وصورة؟ الأمر الذي سيسيل الكثير من الحبر في

الآونة القادمة؛ لأنَّ عنف اللغة الآن ما عاد يقبع في مكانه، بل أضحى عبر الرقمية عنفًا مضاعفًا، يحويه حاسوب مفتوح على حواسيب العالم أجمع.

## المراجـــع


**المراجع العربية:**

**ابن منظور،** *لسان العرب*، ج ١بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية 2003م.

**أرمان وميشال ماتلر،** *تاريخ نظريات الاتصال*، تر: نصر الدين لعياضي والصادق رابح .مركز دراسات الوحدة العربية2005 م.

**إفيتش، ميلكا،** *اتجاهات البحث اللساني* ، تر: سعد عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد .المجلس الأعلى للثقافة 2000م.

**الحفني، عبد المنعم،** *المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية في العربية والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والروسية، واللاتينية، والعبرية، واليونانية*، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2000م.

**الحميري، عبد الواسع،** *الخطاب والنص .المفهوم، العلاقة، السلطة*، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2008 م.

**الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر،** *مختار الصحاح، قاموس عربي عربي*، دار الفكر العربي، مطابع سجل العرب1967 م.

**الزمخشري، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر،** *أساس البلاغة*، بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع 2004م.

**السرغيني، محمد،** *محاضرات في السيميولوجيا*، بيروت، دار الثقافة والنشر والتوزيع1987 م.

**الفيروأزبادي، محمد بن يعقوب،** *القاموس المحيط*،ج٤، بيروت، دار الجيل1952 م.

**النيفر، نور الدين ،** *فلسفة اللّغة واللّسانيات*، الدار البيضاء، أبو وجدان للطبع والنشر1993 م.

**أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر،** *القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان*، تر: منذر عياشي . الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي2007 م.

**إيكو، أمبرتو،** *السيميائية وفلسفة اللغة*، تر: أحمد الصمعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية2005 م.

**بارث، رولان،** *درجة الصفر للكتابة*، تر: محمد براءة، بيروت ، دار الطليعة1980 م.

**بوثويلوإيفانكوس، خوسيه ماريا،** *نظرية اللّغة الأدبية*، تر: حامد أبو أحمد، دار غريب للطباعة و النشر 1992م.

**ج ب بروان و ج يول،** *تحليل الخطاب*، الرياض : مطبعة جامعة الملك سعود 1997 م.

**جاكوبسونن رومان،** *الاتجاهات الأساسية في علم اللّغة*، تر: علي حاكم صالح وحسن ناظم، الدار البيضاء، بيروت : المركز الثقافي العربي، 2002م.

**جيرو بيير**، *الأسلوبية*، تر: منذر عياشي، دمشق :مركز الانتماء الحضاري1994 م.

**دلاش، جيلالي**، *مدخل إلى اللّسانيات التداولية*، تر: محمد يحياتن، الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية 1992م.

**دليلة مرسلي، فرانسوا شوفالدون، مارك بوفات، جان موطيت**، *مدخل إلى السيميولوجيا نص – صورة*، تر: عبد الحميد بورايو، الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية 1991م.

**ريفاتير، مايكل**، *دلائليات الشعر*، الرباط : منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية 1997م.

**ريفاتير، ميكائيل**، *معايير تحليل الأسلوب*، تر: حميد لحمداني، الدار البيضاء : منشورات دراسات سال 1993م.

**غزالي، عبد القادر**، *اللسانيات ونظرية التواصل*، دمشق : دار الحوار2003 م.

**فاليط، برنار**، *النّص الروائي تقنيات ومناهج*، تر: رشيد بن حدو .باريس : منشورات ناتان 1992م.

**فاولر، روجر**، *اللّسانيات والرواية*، تر: لحسن أوحمامة، الدار البيضاء : مطبعة النجاح الجديدة 1997م.

**فولفجانج هاينه مان وديتر فيهجر** ، *مدخل إلى علم لغة النص*، تر: سعد حسن بحيري، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق2004 م.

**قاضي، محمد**، *تحليل النّص السردي بين النظرية والتطبيق*، تونس : دار الجنوب للنشر1997 م.

**كريسطيفا، جوليا**، *علم النّص* ، تر: فريد الزاهي،الدار البيضاء : دار توبقال للنشر 1997م.

**لحمداني، حميد**.*أسلوبية الرواية مدخل نظري*، ص. : 189 الدار البيضاء : منشورات دراسات سال 1989م.

**لوسركل، جان جاك**، *عنف اللغة*، تر: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، المركز الثقافي العربي 2005م.

مجموعة من الأساتذة .*المعجم الموحد لمصطلحات اللّسانيات إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي* .الدار البيضاء :مطبعة النجاح الجديدة2002 م.

**مفتاح، محمد**، *دينامية النّص، إنجاز وتنظير*، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي1990 م.

**مونقانوفي، دومينيك**، *المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب* ، تر: محمد يحياتن، منشورات وزارة الثقافة، منشورات الاختلاف 2005م.

**يقطين، سعيد**، *تحليل الخطاب الروائي لزمن السرد التبئير*، الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي 1989 م.

## أ) مراجع بالأجنبية

**J. Greimas & J. Courtès**. *Sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie du langage*. Vol. 1 & 2. Hachette , 1979, 1986.

**Barthes, Roland.** *Eléments de sémiologie*. Paris: Editions du Seuil, 1964.

**Benveniste, Emile**. *Problèmes de linguistique générale*. Vol. 1. Paris: Gallimard, 1966.

**J. Cousnier. A. Berrendonner, J. Coulon, C. Orechioni.** *Les voies du langage* - Communications verbales gestuelles et animales. Paris: Dunod. Bordas, 1982 .

**Jackobson, R.** *Essais de linguistique générale*. Paris: Minuit, 1963.

**Jean Dubois et autres**. *Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage*. Paris: Larousse-Bordas, 1999.

**Mounin, Georges**. *Linguistique et philisophie*. Paris: PUF, 1975.

**Peirce, Charles Sanders**. *Philosophical writings of Peirce*. New York: Justus Buchler, 1955.

**Perret, Michelle**. *L'énonciation en grammaire du texte.* Paris: Ed. Nathan, 1994.

**Saussure, F. De.** *Cours de linguistique générale*. Paris: Ed Critique, 1995.

**Shannon, C. E.** *A mathematical theory of communication*. New York: Bell system technical journal, 1948.

**Bourget, Véronique Schott**. *Approches de la linguistique* . Paris: Ed. Nathan, 1994.

**Breton, Philipe**. *Le culte de l'Internet. Une menace pour le lien social ?* Paris: La Découverte, 2000.

**E. Shannon and W. Weaver**. *The mathematical theory of communication*. Illinois: The University of Illinois. PRESS. URBANA, 1964.

**Courtés, J.** *Analyse sémiotique du discours de l'énoncé à l'énonciation*. p : . Paris: Hachette, 1991.

**Eco, Umberto**. *La structure absente: introduction à la recherche sémiotique*. Paris: Mercure de France, 1984.

**Greimas, A. J.** *Du sens: Essais sémiotiques*. Paris: Éditions du Seuil, 1983.

**Hjelmslev, Louis**. *Essais linguistiques*. Paris: Les éditions de Minuit, 1971 .

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص١٣٩-١٥٥، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# النقد الثقافي العربي: قراءة في المنجز الموريتاني

**ولد متالي لمرابط أحمد محمدو**

*أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون،*

*جامعة حائل، المملكة العربية السعودية*

(قدم للنشر في ٢٦/ ٣/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ٦/ ٣/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية** : النقد الثقافي العربي، قراءة، المنجز الموريتاني.

**ملخص البحث:** يتقدم هذا البحث لمقاربة أبرز تطبيقات النقد الثقافي على مستوى الدراسات النقدية الموريتانية المعاصرة، من خلال نموذج الدكتور محمد ولد عبدي في دراسته (السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية: الشعر نموذجًا/ مقاربة نسقية)، راصدًا الأسس النظريّة والمنهجية التي قامت عليها تلك الدراسة، ومدى استفادتها من تطبيقات النقد الثقافي العربي المعاصر، وخصوصًا منجز الناقد السعودي الدكتور عبدالله الغذامي، الذي استفادت منه الدراسة بشكل واضح، إضافة إلى مساهمتها المهمة في مسيرة النقد الثقافي العربي المعاصر؛ خصوصًا وأنَّها كُتبت من منطقة عربية تدخل في نطاق ما يُسمَّى بالأطراف، ممَّا يعيد بقوة جدليَّة المركز والمحيط في الثقافة العربية المعاصرة.

وقد استعرض البحث أبرز النتائج التي توصلت إليها دراسة الدكتور ولد عبدي، مترسّمًا الخطوط العامة لحفرياته المعرفية والبناء النظري والمنهجي الذي اعتمدته، وما فتحته من آفاق وإشكاليات حول دراسة الشعر الموريتاني الذي اعتمده الناقد بوابة مركزيّة لمقاربة سياق الثقافة الموريتانية وأنساقها المهيمنة، كما أفصح البحث عن بعض الملاحظات والتساؤلات الموجهة إلى بعض استنتاجات الدكتور ولد عبدي ومقارباته الثقافية.

# The Arab Cultural Criticism: A Reading in the Mauritanian Achievements

**Ould Moutaly Lemrabott Ahmed Mohamedou**
*Assistant Professor, (specializing in literature and criticis , the Department of Arabic Language and Literature Faculty of Arts, University of Hail,, Saudi Arabia*

(Received 26/3/1437H; Accepted for publication 6/3/1438H)

**Keywords:** Arab Cultural Criticism, Reading, Mauritanian Achievements**.**

**Abstract:** This study looks at the most prominent applications of cultural criticism at the level of contemporary Mauritanian studies, through the model of Dr. Mohamed Wald Abdi in the study named "Contexts and Formats in the Mauritanian Culture: Poetry Model / Comparative Analysis". We look at the theoretical and methodological foundations of his study and how it benefited from modern applications of Arab cultural criticism , particularly how much it benefited from the works of the Saudi critic Dr. Abdullah Alghazami. In addition, we will look at the study's contribution to the modern Arab cultural criticism considering it originates from the so-called fringes of the Arab world which restores the strongly debated issue of centre vs fringes in the contemporary Arab culture.

This research highlights the findings of Dr. Abdi's study. It looks at the general lines of his cognitive theoretical and methodological constructions. also reviewed are the new openings and prospects created as a result of his study of mainly Mauritania poetry and also the problems of this approach. Finally, this study also makes some comments and raises question about some of Dr Abdi's conclusions.

**إضاءة**

قليلة هي الأعمال العربية التي اهتمت بتطبيقات النقد الثقافي على المستوى العربي، وإنْ كانت هناك نماذج تعلن عن نفسها بقوة، أبرزها دراسات رائد مشروع النقد الثقافي العربي، الدكتور عبدالله الغذامي؛ وهي دراسات من ناقد متخصص مطلع على مسارات الفكر الثقافي والأدبي الغربي، ومتشبع بثقافته العربية والإسلامية حدّ الثّمالة، فضلًا عن وعيه الخاص بتجليات التراث العربي عبر مساراته التاريخية المختلفة(١). في مقابل ذلك؛ يحضر صوت نقدي موريتاني متميز حازت أعماله اهتمامًا واسعًا على المستوى العربي(٢)، وهو الناقد الدكتور محمد ولد عبدي(٣) الذي قدَّم حفريات معرفية معمّقة حول

(١) يقول الدكتور إدريس بلمليح: «إنَّ الغذامي نسيج متفرّد للحوار بين الحضارات. فهو عالمٌ تراثي ومعاصرٌ في منهجه، أصيلٌ وجريءٌ في مقارباته، يتسع صدره لكل ما هو جديد، ولا يتنازل عن ذرة من ذرّات مقومات حضارته العربية والإسلامية». انظر: (عبدالرحمن بن إسماعيل السماعيل وآخرون، ٢٠٠٢م. ص ١٦).

(٢) بدأ الاهتمام العربي بهذه الدراسة بشكل مبكر من خلال الكتابات التي نُشرت عنها في الكثير من المنابر العلمية والإعلامية، كما تجلى بصفة أكثر وضوحًا في الكتاب المشترك الذي صدر عن مجموعة من الكتاب والباحثين الكبار على المستوى العربي، والذي ناقش تجربة ولد عبدي النقدية، وهو بعنوان (مرايا الحلم والكتابة: قراءات في أعمال الدكتور محمد ولد عبدي، ط١، مراكش، المغرب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، ٢٠١١م.)،= وهو كتاب أشرف عليه الباحث، وشارك في إنجازه نخبة من النقاد العرب، أبرزهم: كاظم جهاد، عبدالملك مرتاض، يوسف ناوري، سعيد يقطين، خالد عزب...

(٣) شاعر وكاتب وأحد أبرز النقاد الموريتانيين المعاصرين، أقام بدولة الإمارات منذ مطلع تسعينيات القرن المنصرم، حيث عمل مخططًا ثقافيًا بهيئة أبوظبي للثقافة والتراث، وقد رحل إثر وعكة صحية مفاجئة يوم: ٢٨/ ١٢/ ٢٠١٤م. -رحمه الله تعالى- و كان الراحل قد تحدث في بعض المقابلات الإعلامية، منذ مدة، عن انشغاله بمشروع قرائي جديد يُسائل الثقافة الموريتانية وأطرها المعرفية بشكل أكثر عمقًا ومن بوابات معرفية أخرى غير الأدب، وهو مشروع يبدو أنَّه لم يكتمل، كما ترك مجموعة من الدراسات حول الأدب والثقافة والفكر منها: (ما بعد المليون شاعر: مدخل لقراءة الشعر الموريتاني المعاصر، ط١، الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٠م.)، و(تفكيكات: مقاربة نقدية لنصوص إماراتية، ط١، الإمارات، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ٢٠٠٥م.)، و(فتنة الأثر على خطى ابن بطوطة في الأناضول، ط١، الإمارات، د. ت)، إضافة إلى دراسته (السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية: الشعر نموذجًا/ مقاربة نسقية)، والتي هي في الأصل أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، من جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ٢٠٠٨م. وهذه الدراسة الأخيرة هي موضوع هذا البحث، حيث نسعى إلى مقاربة المنطلقات النقدية والمنهجية التي استند عليها الباحث في بنائه لمشروع نقدي يستند إلى أطروحات النقد الثقافي.

مسارات الثقافة الموريتانية قديمًا وحديثًا من بوابة الشّعر، كما سعى إلى رصد سياقات تلك الثقافة ومساءلة أنساقها المهيمنة.

ويتقدم هذا البحث لإضاءة جانب من الأسس العلمية التي شيَّد عليها ولد عبدي مشروعه لتطبيق نظريات النقد الثقافي نظريًّا ومنهجيًّا، إضافة إلى رصد علاقته بمساره الثقافي العربي المعاصر، وتحديدًا حواريته لأطروحات الناقد السعودي الدكتور عبدالله الغذامي في أعماله المعروفة التي سعى من خلالها إلى استنبات النقد الثقافي عربيًّا؛ ممَّا جعلها علامة فارقة في السياق الثقافي العربي، وقد أعلن ولد عبدي بوضوح استناده في كثير من خياراته النظرية والمنهجية إلى المنجز الغذامي، وخصوصًا دراسته (النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية).

## المنجز الموريتاني

أعلن النقدُ الثقافي عن نفسه بوضوح في تطبيقات النقد الموريتاني المعاصر من خلال دراسة الدكتور محمد ولد عبدي (**السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية: الشعر نموذجًا/ مقاربة نسقية**)[1]، وهي دراسة تنطلق من صلب أطروحات النقد الثقافي بفلسفته الغربية وتستند بوضوح إلى تطبيقاته العربيّة (المنجز الغذامي تحديدًا). وقد انطلق ولد عبدي من فرضية محدّدة «تقول بالتّراسل والتّراشح والتأثير والتأثر بين السياقات والأنساق، وهي فرضية تجد اقتضاءها في كون المرجعيات والنصوص على حدٍّ سواء كثيرًا ما يدفعان بتقاليد خاصة، هي في حقيقتها أنساق وأبنية تترتب في أطرها العلاقات والأفكار السائدة، وخصائص النصوص وأساليبها وموضوعاتها، غير أنَّ تلك الأنساق سرعان ما تتصلب وترتفع إلى مستوى تجريدي يهيمن على الظواهر الاجتماعية والأدبية فيحصل انفصال بين هذه النماذج التجريدية من الأنساق وديناميات الأفعال الاجتماعية والأدبية في سياقات مخصوصة، فتضيق هذه بتلك، قبل أن يُعاد تشكيل العلاقات وفق أنساق جديدة دفعت بها سياقات جديدة كذلك» (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

على هذا الأساس كان تحديد الباحث لمفهوم السياق، منطلقًا من أنَّ «أية قراءة نسقية تطلب لنفسها الحجية، لا بدَّ لها أنْ تعي انفتاح النسق على سياق تشكله في كل أبعاده، ولا بدَّ للباحث من أجل معرفة حياة النسق وتتبع

(١) نشير هنا إلى دراسة أخرى سعت إلى تطبيق نظريات النقد الثقافي على الثقافة الموريتانية، وإنْ بشكل مختلف، وهي دراسة الدكتور محمد الأمين ولد الناتي/ الثقافة الشنقيطية: مقاربة نسقية، ط١، مركز نجيبويه =

= للمخطوطات وخدمة التراث، ٢٠١١م. وهي دراسة مختلفة من حيث الآليات وطرائق الاشتغال والمتن المتناول عن دراسة الدكتور ولد عبدي.

سيرورته وعزل خصائصه وتعيينها من عدم التقوقع في منهج أحادي النظرة، يقود إلى عمى ثقافي أكثر ممَّا يهدي إلى سواء التحليل المتبصر في فهم الظواهر الثقافية» (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

وقد وجد ولد عبدي ضالته في أطروحات النقد الثقافي مفكّكًا البنية الكلية للثقافة الموريتانية من خلال قراءته المعمقة للتاريخ الموريتاني ونظرته إليه؛ لا بوصفه سلسلة من الأحداث والوقائع والمواقف والمواقع؛ كما درجت على ذلك النظرة التقليدية للتاريخ، وإنَّما بوصفه نصوصًا متموضعةً داخل فضاء اجتماعي يستثمرها (المجتمع داخل التاريخ)، وتتموضع هي ذاتها بدورها داخله (التاريخ داخل المجتمع)، ساعيًا إلى تتبع تشكل الأنساق المعرفية وسيرورتها التي خلقتها تلك الجدلية، وجرى إنتاجها واستثمارها من قبل المجتمع الموريتاني من حيث هو مجتمع مشروط بتاريخه الاجتماعي والثقافي الخاص. (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

في ضوء ما سبق؛ كشفت حفريات الدكتور ولد عبدي عن وجود ثلاثة أنساق مركزية تحكم بنية الثقافة الموريتانية، وهي (النسق الديني)، و(النسق الاجتماعي)، و(النسق الثقافي)، وهو أمر حتّم عليه أنْ يرتدي لَبوس المؤرخ ليفصح عن تحقيب إجرائي للتاريخ الموريتاني إلى حقب ثلاث، معلنًا بحس المؤرخ الثاقب «أنَّ هذا التحقيب لا يعني البتّة وجود قطائع إبستمولوجية بين تلك الحقب، بل على العكس؛ ربما يكون أصح، حيث العلاقة بينها أشبه ما تكون بعلاقة الأجناس الأدبية بعضها ببعض، إنَّها علاقة تَرْدَاد ورنين، تنتقل بموجبه تأثيرات الحقبة السابقة إلى الحقبة اللاحقة، تمامًا كما الحال في الأنساق التي تأخذ من مرجعياتها السياقية ما كان أقدر على التحلل من سلطة الآنيّ المعيش، فتمتصُّه وتسربه في الجسد الاجتماعي والثقافي، حتى إذا ما استحال السياق ودفعت المرجعيات بتقاليدَ جديدة، وجدت الأنساق نفسها وقد تحللت ممَّا لم يعد ذا أثر في الفعل الاجتماعي والثقافي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

وبما أنَّ الأنساق المعرفية لا بدَّ لها من تحققات نصّية، ولا بدَّ للأخيرة من سياق ثقافي وأدبي فيه يكون إنتاجها وتلقيها؛ لذلك أجرى ولد عبدي تحقيبًا إجرائيًا للثقافة الموريتانية، مقسمًا إياها إلى حقبتين هما: (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

١- الثقافة الموريتانية من التأسيس إلى التأصيل.

٢- الثقافة الموريتانية من الاختراق إلى التحديث.

متتبعًا مسارات الحقبتين عبر أبرز تجلياتهما، معلنًا أنَّ خيارَه التحقيبي «ينسجم وطبيعة الزمن الثقافي الموريتاني؛ لأنَّ زمن الثقافة لا يخضع للبعد الفيزيائي في تسلسله الخطي، وإنَّما هو خاضع في الأساس لتشكل المرجعيات وتبنينها التاريخي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

وقد سعى عبر هذا الإجراء إلى الوقوف على السمات الفوقية للثقافة الموريتانية في كل حقبة، وهي سمات يُفترض أنَّها تسربت إلى النصوص على اختلاف أجناسها وتحكمت في أبنيتها الفنية والدلالية، وخصوصًا منها الخطاب الشعري. (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١). وهو الخطاب الذي عُني بتتبع مساره على مستوى الإنتاج والتلقي، مُجترحًا بعض المفاهيم والمصطلحات التي غطَّت خريطة التلقي الجمعي لهذا الخطاب، راسمًا إياها في ثلاثة محاور هي: (التّأثيم) و(التّعظيم) و(التّذميم)، متكئًا على تلك المفاهيم لمعرفة طرائق تمثيل الشعراء للشعر، وضبط علاقتهم بالشاهد الأمثل، وهي العلاقة التي تراوحت بين (المُماثلة) و(المُشابهة) و(المُخالفة)، كما اعتمدها، إضافة إلى ذلك، طريقًا للكشف عن أنماط القراءات المعاصرة التي مارسها النقاد الموريتانيون على ذلك الشعر، بوصفهم (قراء خبراء lecteurs informés)، لديهم من المرجعيات المعرفية ما يسمح لهم بالتعامل مع النصوص وَفْقَ إستراتيجيات معينة، فتوزعت قراءاتهم بين (التّحقيق) و(التّعليق) و(التّطبيق). (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

على هذا الأساس شيّد ولد عبدي الإطارَ النظري لفرضياته المقترحة، متخذًا من مسار الشعر الموريتاني في القرن العشرين مختبرًا للتجريب، ليختار ثلاثة متون يشكل كل واحد منها نسقًا شعريًا، يُضمر نسقًا نظريًا هو بمثابة إطاره المرجعي، الذي يوجهه ويتحكم فيه، ويتبادل وإياه التأثير والتأثر. وتلك الأنساق هي: (النسق التقليدي)، و(النسق التجديدي)، و(النسق الحداثي). مطوقًا كل نسق؛ توصيفًا وتسميةً، مقتنصًا سماته النسقية من خلال بنيته الإيقاعية في بُعدَيْها الخارجي والداخلي، مترسمًا علاقتَه بالشاهد الأمثل، ونمطَ تلقيه الجمعي، ونوع القراءة التي عادةً ما تمارس عليه. لينتهي إلى رسم خريطة الأنساق الشعرية الموريتانية في أبهى تعالقاتها وَفْقَ نموذج يُنبِئ عن ذكائه المنهجي الحاد، وهو كالآتي: (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

| النسق الشعري | النسق المعرفي | الشاهد الأمثل | التلقي الجمعي | نمط القراءة |
|---|---|---|---|---|
| التقليدية | الدّيني | المماثلة | التأثيم | التحقيق |
| التجديد | الثقافي | المشابهة | التعظيم | التعليق |
| الحداثة | الاجتماعي | المخالفة | التذميم | التطبيق |

وهو يرسمُ حدودَ النَّسق التقليدي بكونه «يرتد في بنيته الإيقاعية إلى الأبحر ذاتها التي كانتْ مهيمنة في القرن الأول للهجرة، وإلى المفاهيم البديعية التي كانتْ تقعِّد بلاغة الخطاب الشعري لدى نقاد عصر التدوين، وهو ما ينسجم والنسقَ المعرفي، الذي يرتد إلى فهم ديني مخصوص، قائم على الإيمان بأنَّ العالَمَ النصي يصوغ العالَمَ الواقعي، وعليه فلا غرابة في الانطلاق من

القرن الهجري الأول، وتنزيل نصوصه على الواقع المجتمعي والنصي في القرن العشرين. من هنا كان الوعي الكتابي لدى هذا النسق قائمًا على طلب المماثلة مع الشاهد الشعري الأمثل، وكان التلقي الجمعي تحكمه المراسمُ الفقهية المُقْصرة للشعر على (أبواب الخير)، وإذا خرج عنها فقولُه وسماعُه إثمٌ تنبغي التوبةُ منه. ولأنَّ نصوص هذا النسق الشعري تتلبسُ التراثَ بناءً ورؤيةً، فقد كان مَشغَلُ الخطاب النقدي القيامَ بتحقيقها، محكومًا في ذلك بمنهاجية قائمة على تأصيل الشاعر وتنسيب النص في التراث الشعري العربي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

ويحدد النسق التجديدي بأنَّ «بنيته الإيقاعية تقف على الأعراف بين المسايرة والمغايرة، محكومًا في ذلك بنسق نظري قائم على رؤية ثقافية تنطلق من الحاضر في اتجاه الماضي، ومن الواقع المستلب في اتجاه الهوية التراثية، تحقيقًا لمبدأ قياس الشاهد على الغائب؛ لذلك كانت علاقة الوعي الكتابي لدى شعرائه بالشاهد الأمثل تتحكم فيها آلية المشابهة، وكان التلقي الجمعي يوجهه مبدأ تعظيم الشعر والشعراء، وكان الخطاب النقدي مقتصرًا على (التعليق) على النصوص وَفْقَ إستراتيجية خطابية». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

كما يُسمَّى النسق الحداثي بأنَّه «يتأسس على بنية إيقاعية ترتد في بعدها المرجعي إلى التحولات الكبيرة التي شهدها النسق الاجتماعي، من هنا كان مسار الزمن لديه يمتدُّ من الحاضر إلى المستقبل، وكان الوعي الكتابي لدى شعرائه، قائمًا على مخالفة الشاهد التراثي الأمثل، وإنْ ولَّى وجهه شطر أنموذج إبداعي آخر، متمثلًا في منجز الحداثة الشعرية العربية في بداياتها الأولى، كما هي عند الرّواد، وكان تلقيه الجمعي تتحكم فيه آلية (التّذميم)، لأنَّه شعرٌ نقض عهدية الشعر كما عرفه المجتمع الموريتاني، وغيّر رسمَه ونسَخَ سنّتَه، فمن الطبيعي والحال تلك أنْ ينظر إليه المجتمعُ نظرة ذمٍ وتبخيس، وكان الخطاب النقدي الذي اشتغل على نصوصه يتوسل (التطبيق) لمناهج النقد الحديث، مدفوعًا بالرغبة في (توريد) تلك المناهج إلى موريتانيا و(تصدير) النصوص الشعرية الموريتانية إلى العالم العربي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

ورغم التمايز الذي رسمه الباحث بين هذه الأنساق، إلَّا أنَّه ما فتئ يؤكِّد أنَّ الأمر لا يعني البتة نقاء كل نسق وانتفاءَه من خصائص أخيه، وإنَّما يعني كون تلك السمات هي المنادية على نفسها فيه، ممَّا خوَّل له عزلَها وتعيينَها؛ لأنَّ الأنساق حسب تعبيره «رماديةُ الحدود، تتداخل ويهاجر بعضها في بعض، وحسبُك أنَّ ذاك هو ما يكسبها الفاعلية والدينامية والانفتاح». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١١).

**النقد الثقافي والنقد الأدبي**

يقرّ الدكتور عبدالله الغذامي بالمنجزات الكبيرة التي حققتها مسيرةُ النقد الأدبي عربيًا على مستوى رصد أدبيّة الأدب وتحليلها فنيًّا، حيث «أدّى النقد الأدبي دورًا مهمًا في الوقوف على (جماليات) النصوص، وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي، ولكن النقد الأدبي مع هذا وعلى الرغم من هذا وبسببه، أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة من تحت عباءة الجمالي، وظلت العيوب النسقية تتنامى، متوسلة بالجمالي، الشعري والبلاغي، حتى صارتْ نموذجًا سلوكيًا يتحكم فينا ذهنيًا وعمليًّا، وحتى صارتْ نماذجنا الراقية – بلاغيًا– هي مصادر الخلل النسقي». (عبدالله الغذامي، ٢٠٠٥م. ص ٧).

من هنا يتقدم الغذامي ليطرح سؤاله الذي أنبنت عليه رؤيته للنقد الثقافي عربيًا: «هل هناك أنساق ثقافية تسربت من الشعر وبالشعر لتؤسس لسلوك غير إنساني وغير ديمقراطي وكانت فكرة (الفحل) وفكرة (النسق الشعري) وراء ترسيخهما، ومن ثَـم كانت الثقافة –بما أنَّ أهم ما فيها هو الشعر– وراء شعرنة الذات وشعرنة القيم؟». (عبدالله الغذامي، ٢٠٠٥م. ص ٧).

ويجد النقد الثقافي مشروعيته لدراسة النص الأدبي في تأسيس الكثير من أصوله النظرية على أطروحات منظري النقد الأدبي المعاصر، وهو يحاور في كثير من تجلياته «نقد ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة وما بعد الكولونيالية حتى تأتي مشروعات نقدية متنوعة تستخدم أدوات النقد في مجالات أعمق وأعرض من مجرد الأدبيّة، ما وراء الأدبية». (عبدالله الغذامي، ٢٠٠٥م. ص ١٤).

ويساير الدكتور محمد ولد عبدي هذه الرؤية الغذاميّة، إذْ يؤكِّد أنَّ الدراسات النقدية، ظلت «تنطلق من النص بوصفه مجتلىً أدبيًا غايته تحقيق الجمال، والإمتاع والمؤانسة، وعلى الناقد الأدبي الكشف عمَّا فيه من ذلك الجمال، إلَّا أنَّه في العقود الأخيرة من القرن العشرين، ونتيجة لعوامل عالمية عديدة، عرفت الدراسات النقدية تحولات كبيرةً، انتقل بموجبها النظر إلى النص الأدبي من فضائه الفني الضَّيق إلى فضاء ثقافي أوسع». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٤– ١٥). وهذا الفضاء هو ما رسم زي سميث ملامحه كالآتي: (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٥).

- إنَّه من غير الملائم دراسة النصوص الأدبية بمعزل عن سياقاتها (أيْ: الفاعلين والثقافة والمجتمع)، بل إنَّ تشييد أو إعادة تشييد الظاهرة الأدبية علميًا بالمعنى الواسع، يتطلب صياغة شبكة من العناصر المتفاعلة أيْ: النسق.

- إنَّـه لا يمكن النظر إلى المعنى على أنَّه ملكية أنطولوجية للنصوص الأدبية؛ لأنَّه ينشأ عبر نوع من

التفاعل بين النص والقارئ في سياقات اجتماعية ثقافية.

- إنَّ مفاهيم الأدب تنبثق من سيرورات اجتماعية ثقافية معقدة للتقنين (canonisation) والتنشئة الاجتماعية والتوجيه الإيديولوجي.

وبناء على الرؤية السابقة رسم ولد عبدي ملامح مشروعه النقدي لقراءة الثقافة الموريتانية، والكشف عن أبرز أنساقها المهيمنة من بوابة الشعر.

**موت النقد الأدبي**

لا جدال في جدوائية مسيرة النقد الأدبي العامرة عبر العصور الثقافية الأدبية، فقد ظل هذا النقد هو الموجَّه للنصوص والكاشف الحقيقي عن خفاياها وأسرارها الجمالية، بيد أنَّ رواد النقد الثقافي على المستوى العربي انطلقوا من فرضية أنَّ النقد الأدبي قد استنفد طاقته في التحليل الجمالي، وأنَّه من الضروري أنْ نبحث له عن بديل أكثر جدوائية، من هنا أعلن الغذامي عن موت النقد الأدبي وقد قالها بشكل صريح: «أنا أرى أنَّ النقد الأدبي كما نعهده، وبمدارسه القديمة والحديثة، قد بلغ حدّ النضج أو سن اليأس حتى لم يعد بقادر على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالميًا وعربيًا، بما أننا جزء من العالم متأثرون به ومنفعلون بمتغيراته». (عبدالله الغذامي وعبدالنبي اصطيف، ٢٠٠٤م. ص ١٢).

وهو يرى أنَّ أبرز ثغرات النقد الأدبي التي لم يستطع تجاوزها هي التزامه «بالنظر إلى النص الأدبي بوصفه قيمة جمالية؛ يجري دائمًا السعي لكشف هذا البعد الجمالي، وتبرير أي فعل للنص مهما كان، تحت مبدأ الأصل الجمالي، ممَّا جعل (الجمال) منتجًا بلاغيًا محتَكَرًا، وصار للجمالي شرط مؤسساتي، يصنعه السيد الشاعر ويقوم الفعل النقدي بعمليات التسويق والتعميم». (عبدالله الغذامي، ٢٠٠٥م. ص ١٤).

وهو يحاول أحيانًا التخفيف من حدة نبرته تجاه هذا النهج مع تمسكه الصارم بدعوته لاعتماد النقد الثقافي بديلًا للنقد الأدبي، فيقول: «ليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي، وإنَّما الهدف هو في تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (وتسويقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه، وهذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحية». (عبدالله الغذامي، ٢٠٠٥م. ص ٨).

وقد حاصرت الغذامي مجموعة من الأسئلة الفارقة في طرحه حول ما أسماه موت النقد الأدبي، ليعود في بعض أبحاثه إلى التأكيد على أنَّ «النقد الثقافي لن يكون إلغاء منهجيًا للنقد الأدبي، بل إنَّه سيعتمد اعتمادًا جوهريًا على المنجز المنهجي الإجرائي للنقد الأدبي، وهذه أولى الحقائق المنهجية التي يجب القطع بها». (عبدالله الغذامي وعبدالنبي اصطيف، ٢٠٠٤م. ص٢١).

ويساير الدكتور ولد عبدي هذا الطرح فيعلن أنَّ مشروعه لدراسة الشعر الموريتاني ينطلق من «أسئلة متعلقة بكينونة النص الشعري ذاته: أهو وليد تجربة فردية كما كانت تذهب إلى ذلك بعض القراءات السياقية أم هو تحقّق نسقي لنظام معرفي يتبادل معه التأثير والتأثّر؟ وهي أسئلة تتطلّبُ الإجابة عنها الانتقالَ من موقع التساؤل عن الجمال في الشعر إلى التساؤل عن المعرفة فيه، ومن ثمَّ ربط سؤال الأدب بسؤال الثقافة. إلى أي حدٍّ كان الخطاب الشعري الموريتاني تصريفًا جماليًا لأنساق معرفية متحكمة في اللاشعور الجمعي؟ وإلى أيِّ مدىً تحكمت تلك الأنساق في بنية ذلك الخطاب؟ ثم أليست تلك الأنساق بما تتّسم به من سلطة وتسلط وهيمنة واستحكام هي وليدة سياقات تاريخية واجتماعية وثقافية وأدبية أكسبتها سماتها الفوقية وأعطتها القدرة على التسرب لا إلى الخطابات الثقافية وفي صدارتها الشعر، وحسب، وإنَّما أكثر من ذلك إلى السلوك الفردي والجماعي سواء أكان سياسيًا أم اجتماعيًا ممَّا عطَّل مشروع الدولة الوطنية وأعاق ترسيخ مفهومها بالرغم من مرور ما يقارب نصف قرن من الاستقلال الوطني؟». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٧).

وهو يرى أنَّ هذه الأسئلة لم يكن بالمقدور الإجابة عنها «بالاتكاء على منجز النقد الأدبي بمفرده، بالرغم ممَّا لآلياته وطرائقه التحليلية من مرونة وفاعلية، وإنَّما تجاوزناه إلى غيره من المناهج، وخصوصًا الدراسات الثقافية والنقد الثقافي منها على الخصوص، غير قائلين، بتعارض مجال الأخير مع الأول ولا بتجاوزه إيَّاه، كما ذهب إلى ذلك غيرنا[١] ، إذْ المشكلة الحقيقية ليست مشكلة (مجال) الدراسة (نقد أدبي- نقد ثقافي) ولكنَّها مسألة نوعية رؤية المجال وكيفية تطبيقها». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٧). وبهذا يميل الدكتور ولد عبدي في الأخير إلى نظرة تصالحية مع النقد الأدبي مع حرصه الباذخ على استثمار منجزات النقد الثقافي والاستعانة بأسسه الفلسفية والفكرية والتحليلية[٢].

---

(١) يقصد هنا الدكتور عبدالله الغذامي، وهو يقول في هذا المنحى: «هو الرأي الذي يذهب إليه الدكتور عبدالله الغذامي الذي يعتبر رائد النقد الثقافي في الثقافة العربية، من خلال كتابه (النقد الثقافي- قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، ومن الجدير بالذكر أنَّنا استفدنا من هذا الكتاب ما لم نستفد من غيره، وكان بحق الإطار المرجعي الذي يوجهنا في كثير ممَّا ذهبنا إليه، لذا وجب التنويه»، انظر: (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٧).

(٢) هذه النظرة التصالحيّة مع النقد الأدبي نجد صداها في اشتغال الدكتور ولد عبدي سابقا بأطروحات النقد الأدبي لاكتشاف جماليات النصوص الشعرية الموريتانية، وهو اشتغال ترجمته بوضوح دراستاه: (ما بعد المليون شاعر: مدخل لقراءة الشعر الموريتاني المعاصر، ط١، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ٢٠٠٠م.)، و(تفكيكات: مقاربة نقدية لنصوص إماراتية، ط١، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ٢٠٠٥م.)

**النســـق**

لقد أخذ مفهومُ (النسق) مركزيته الفاعلة في الدراسات الثقافية والأدبية المعاصرة، وهو يحيل إلى «مواضعة (اجتماعية، دينية، أخلاقية، أستيتيقية...) تفرضها في لحظة معينة من تطورها، الوضعيةُ الاجتماعية، التي يقبلها ضمنيًا المؤلفُ وجمهورُه، وهكذا يكون أفق النصوص المجردة والإنجازات الفردية هو (النص الثقافي)». (عبدالفتاح كيليطو، ٢٠٠١م. ص ٨).

لذا فقد أضاف الغذامي إلى عناصر الاتصال الست التي إجترحها رومان ياكبسون ما يسميه بـ «العنصر السابع»، (عبدالله الغذامي وعبدالنبي اصطيف، ٢٠٠٤م. ص ٢٥). وهو يقصد به « العنصر النسقي، ولهذا العنصر وظيفة لا توفرها أيٌّ من العناصر الستّ الأصلية، إذْ به نكشف البعد النسقي في الخطاب وفي الرسالة اللغوية، وعليه تقوم منظومة من المصطلحات والتصورات نعتمد عليها في بناء التصور النظري والمنهجي لمشروع النقد الثقافي». (عبدالله الغذامي وعبدالنبي اصطيف، ٢٠٠٤م. ص ٢٦).

وهو يسائل التراثَ الأدبيّ العربي بعيدًا عن سحنته الجمالية الطاغية ليستشف ما وراء اللغة وما خلف السطور من تجليات للنسق المهيمن في الوجدان العربي، مسجلًا بوضوح «أنَّ في الخطاب الأدبي والشعري تحديدًا، قيمًا نسقيةً مضمرة، تتسبب في التأسيس لنسق ثقافي مهيمن ظلت الثقافة العربية تعاني منه على مدى ما زال قائمًا، ظل هذا النسق غير منقود ولا مكشوف بسبب توسله بالجمالي الأدبي، وبسبب عمى النقد الأدبي عن كشفه، مذ انشغل النقد الأدبي بالجمالي وشروطه، أو عيوب الجمالي، ولم ينشغل بالأنساق المضمرة». (عبدالله الغذامي وعبدالنبي اصطيف، ٢٠٠٤م. ص ٣١).

في ضوء ما سبق، طرح الغذامي -بكل جرأة-فكرة أنَّ «الشاعر لم يصنع نفسه، وإنَّما هو وليد لثقافة، والنسق حينئذ هو مضمر ثقافي لا بدَّ من كشفه والبحث عن علاماته، ولذا وجدنا الحداثيَ رجعيًّا، ووجدنا الحداثةَ العربية ضحيةً نسقيّة لا لوعي الأفراد، وإنَّما لهيمنة النسق عبر بقائه في المضمر، مع عدم البحث عنه وكشفه وتعرف مواقع إخفائه». (عبدالله الغذامي وعبدالنبي اصطيف، ٢٠٠٤م. ص ٤٧).

ويفترض ولد عبدي في حفرياته النسقية حول الثقافة الموريتانية وجود ثلاثة أنساق معرفية تشكل بنية العقل الموريتاني، هي: النسق الديني، والنسق الثقافي، والنسق الاجتماعي، متتبعًا سيرورة تشكلها التاريخي وانبنائها الرمزي، عبر حقبٍ ثلاث، قُسِّم إليها التاريخ الموريتاني، وهي:

١- حقبة التأسيس والتأصيل.
٢- حقبة الاستعمار وإرادة التحصين.
٣- حقبة الدولة الوطنية وإشكاليات التحديث.

وقد سعى جاهدًا للكشف «عن طرائق تصريف الخطاب الشعري لتلك الأنساق، وأساليبه في تمثلها وتمثيلها، وكيفية تراشحه وتراسله معها، وذلك من خلال أعتى بناه وأكثرها صلابةً، وضبطًا ووضوحًا، أعني البنية الإيقاعية، لما لتلك البنية من مكانة فارقة في تمييز الأنساق الشعرية على المستويين الفني والدلالي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ٢٠-٢١). وقد سعى إلى تفكيك الخطاب الشعري الموريتاني موزعًا إيَّاه إلى أنساق شعرية ثلاثة، يهيمن على كل واحد منها نسق معرفي محدد وفقًا لما يأتي:

١ - النسق التقليدي ويهيمن عليه النسق الديني.

٢ - النسق التجديدي ويهيمن عليه النسق الثقافي.

٣ - النسق الحداثي ويهيمن عليه النسق الاجتماعي.

وهو يقر في ذات الآن «أنَّ هيمنة نسق معرفي معين على نسق شعري ما، لا تعني البتة انتفاء خصائص النسقين المعرفيين الآخرين فيه، وإنَّما تعني كون خصائص ذلك النسق هي المنادية على نفسها فيه، لأنَّ الأنساق، كما هو معلوم، شديدة التراسل والتقاطع و التراشح، تمامًا كما المتون ذاتها رمادية الحدود، تتداخل ويهاجر بعضها في بعض، مما ينفي خاصية النقاء النصي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ٢١).

وهو يحدد متن الدراسة بناء على حدود الأنساق التي رسمها سابقًا، حيث يقول: «ولقد اعتمدنا متنًا شعريًا راعينا فيه انتظام قوانين النصوص ونسقيتها واتساع قاعدة تلقيها قبولًا أو رفضًا، فكان اختيارنا لستة شعراء، يشكلون نخبة بالمعنى السوسيولوجي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ٢١).

لقد غيَّر ولد عبدي وجهته من القراءة السياقية المعتمدة على ما حول النص إلى ما يسميه بـ (القراءة النسقية) التي تغوص في عوالم النص من الداخل لرصد ما وراء اللغة، وتبين ما خلف السطور: «لقد درجت القراءة السياقية في أغلب تجلياتها على التوجه صوب (الخارج) ومحاورة حقوله المختلفة مستفيدةً في ذلك من معارف شتّى، يُعززها البحث الفلسفي، والتاريخي، والاجتماعي، والنفسي، تاركة في الغالب باب التذوق والتأثر مفتوحًا على الداخل، ساعية إلى عدم تغييب النّص كليّة في ركام الفرضيات والتصورات القبلية، في حين يممتِ القراءة النسقية وجهها شطر (الداخل)، وأوكلت لنفسها مهمة الغوص في مجاهل عالم (مغلق) تقّر بوجوده واستقلاله، معطية إيَّاه سمات الكائن الحي ذي الخصائص المميزة، والتي تجعل منه ذاتًا تنعم بالشرعية والحياة، مولدًا ونشأة ومماتًا، يتحمل القارئ/ الناقد مسؤولية الإفصاح عن كنهها في كل مرحلة من مراحل حياة تلك (الذات)». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص١٤-١٥).

وهو يقرُّ بأنَّ تاريخ النقد الأدبي الحديث ظل «محكومًا في مساره بجدلية التنابذ والتجابذ بين تينك القراءتين، طورًا تتدابران حدّ القطيعة مشكلة كل منهما قطبًا يحسب حماهُ المجالَ الأوحد الذي يحقق فيه النص دلالته وتارة تتراسلان فتستعير إحداهما من الأخرى ما به تُسند وجودَها وتُوصل كيانَها في مسلك توفيقي لا يكاد عن منطقه يُبين، وأحيانًا تتقاربان حدَّ التماهي على أرضية تكوينية يتساند فيها الداخل والخارج، أو على مُتكأٍ سيميولوجي تتعاضد فيه بنية أداء النص PHENO-TEXTE ببنية نشوئه GENO-TEXE أو يتوحدان في أفق يجد فيه القارئ متسعًا للتأويل». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٤-١٥).

هذه القراءة هي التي غيَّرت طبيعة تعامل الباحث مع التاريخ الموريتاني، وجعلته يسلك طريقًا مغايرًا لما سار عليه كثير من الباحثين ممَّن سبقوه إلى قراءة هذا المجال من زوايا أخرى، حيث كان تعامل ولد عبدي مع التاريخ بوصفه «نصًا سرديًا خاضعًا لظروفٍ ومصالح اجتماعية وثقافية متحكمة في إنتاجه وتلقيه، فأعدنا قراءته تأريخًا يتغيّا رصد ميلاد الأنساق المعرفية وسيرورة تشكلها ضمن محاضن ثقافية وأدبية عملت على تأصيلها وإدامة فعلها في اللاشعور الجمعي، الأمر الذي تتبعنا تحققاته في الخطاب الشعري، منطلقين في ذلك من فرضية رئيسة تقول بالتراسل والتراشح بين الأنساق المعرفية وسياقاتها من جهة، وبينها و الأنساق الشعرية كتحققات نصية يكون انتاجها وتلقيها استجابة لسلطان تلك الأنساق». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٦). فيما كان تعامل كثير من الباحثين، في تقديره، مسكونًا بالحنين إلى «(جواهر) تاريخية (فَذَةِ الأصالة)، ساعين إلى ترميمها أو موضعتها في مكان لا يرقى إليه التجريح». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٦). وقد عمل ولد عبدي على مناقشة الكثير من المسلمات والأطروحات التاريخية المتداولة في أدبيات الثقافة الموريتانية، في مسار تحكمه الرغبة الجامحة في الغربلة والتمحيص لاكتشاف الأنساق المهيمنة والبنيات المتحكمة.

## السياق

يعدُّ السياق أحد المفاهيم المعبأة بحمولة رمزية لها إحالاتها الخاصة في كثير من الحقول المعرفية الثّرة، وهو يزداد ثراء وحيوية حين نربطه بفضاء النص الأدبي، إذْ يحضر السياق بعمق بوصفه «أداة إجرائية يمكنها أنْ توسع من دائرة فهم النص الأدبي وتأويله وإخراجه إلى أفق أوسع، وتكثف أسئلة الكتابة وشروط التواصل، وبناءً عليه تضمن انسجامه والتواصل معه بحيث لا تبقى في حدود خلق علاقة محددة مع الموضوع، بل نتجاوز ذلك إلى الرغبة العميقة في استكناه كل الأطراف المساهمة في عملية الإبداع والتلقي». (علي آيت أوشان، ٢٠٠٠م. ص ١٨). وهو من هذا المنظور

«يلعب دورًا أساسيًا في تحديد المعنى وفهم الملفوظات خاصة إذا أخذنا معناه الواسع؛ إذْ يستدعي ما هو اجتماعي، وتاريخي، وثقافي، ونفسي». (علي آيت أوشان، ٢٠٠٠م. ص ١٨).

وتُعطي المعاجم الغربية تعريفات عدة لمفهوم السياق، وهي تعريفات تتضارب وتتداخل وتتمايز تبعًا لشحناتها الدلالية والرمزية، ويعتمد الدكتور ولد عبدي التعريف الذي تبناه الناقد المغربي محمد مفتاح حول السياق بوصفه «ما كان مؤلفًا من جملة عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق لتكون تنظيمًا هادفًا إلى غاية» (محمد مفتاح وآخرون، د. ت. ص ٤٨)، معتمدًا جملة الخصائص التي ينبغي أنْ تتوفر للنسق حتى يمكن وصفه بالنسقية، وهذه الخصائص هي: (محمد مفتاح وآخرون، د. ت. ص ٤٨).

١- حدود قارة نسبيًا يمكن التعرف إليه بها.

٢- بنية داخلية مكونة من عدّة عناصر منتظمة وتحيل على نفسها.

٣- نسق خطابٍ عضوي منفتح ومتغير ومتحول ويتوجه نحو التعقيد الذاتي غير أنَّه يحافظ، مع ذلك، على ثابت أو ثوابت.

٤- كلَّما كثر حذف أحد عناصره قلَّ تأثيره وإقناعه.

٥- يشبع حاجات اجتماعية لا يشبعها نسق غيره.

ومن خلال هذه الخصائص يرى ولد عبدي أنَّه «يمكن عزل النسق وتعيينه، ضمن الحقل الذي تجري دراسته فيه، وإذ نحن ندرس الأنساق المعرفية (النسق الديني، الاجتماعي، الثقافي) والأنساق الشعرية، باعتبار الأولى تؤثر في الثانية وتوجهها، والثانية تديم الأولى وتُسرّبها في الجسد الاجتماعي». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٤).

ويسوغ ولد عبدي جمعه في عنوان دراسته بين السياق والنسق، بأنَّ «النسق ليس متعاليًا ولا مفارقًا للسيّاقات التاريخية، فكما أنَّه يؤثر فيها، فإنَّه يتأثر بها، وقد يتحوَّر هذا النّسق بتأثير هذه السياقات، وقد تتحرّر المؤسّسات والممارسات الاجتماعية والسياسية والأدبية من هيمنة (النّسق الثقافي) السائد، غير أنَّ هذا القول يطرح على الباحث إشكالات منهاجية معقدة، إذْ كيف يمكن الجمع بين المنهج السياقي والمنهج النسقي، وهما منهجان كثيرًا ما تدابرا وتنافرا في الدّرس النقدي الأدبي الحديث؟». (محمد ولد عبدي، ٢٠٠٩م. ص ١٦).

**قراءة ومناقشة**

لن نقف هنا لمساءلة المنجز النقدي الغذامي، إذْ كتب الكثير من الأعمال في هذا المجال من قبل جملة من النقاد والباحثين العرب مختلفي المشارب والدوافع، وقد وُجِّهتْ إلى تطبيقاته الكثير من الملاحظات النقدية

المعمقة[١]، ولكنَّنا سنقف هنا عند عتبات النموذج الموريتاني، لنفصح عن بعض الهواجس والإشكالات التي عنت لنا ونحن نفحص دراسة الدكتور محمد ولد عبدي السالفة الذكر؛ لنؤطرها في سياقها الثقافي والمعرفي الذي كتبت فيه، محاولين مقاربة مدى إضافتها لمشروع النقد الثقافي العربي.

لقد قامت دراسة الناقد ولد عبدي على بناء نظري ومنهجي صلب ومتماسك، ولا غروَ؛ فالباحث احترف الكتابة النقدية على مدى عقود، كما أنَّ الدراسة منجزة، في أصلها الأول، ضمن سياق أكاديمي محكم، وهو ما منحها مزيدًا من الضبط على مستوى الرؤية والمنهج والتأصيل النظري، كما أنَّها استغرقت من الباحث حينًا من الزمن ممَّا جعل أفكارها تختمر لتجد الوقت الكافي للنضج، إضافة إلى ذلك وجدت الدراسة تميزها في جانبين:

أ- الطرافة والجدة: حيث اشتغل الباحث بأساليب وآليات جديدة مغايرة لما درج عليه أغلب الباحثين الموريتانيين، كما تجنبت دراسته التسرع في الاستنتاج والضحالة المعرفية.

ب- امتلاك المشروع المعرفي: فالمتابع للدراسة يكتشف أنَّ الباحث يعلن عن مشروع قرائيّ موسع لمقاربة الثقافة الموريتانية بشكل عام عبر سلسلة من الحفريات المعرفية المعمقة، وهو مشروع تعد هذه الدراسة ذروته المعرفية.

وقد وجد الباحث في الثقافة الموريتانية مجالًا رحبًا للتحليل والمناقشة، وذلك لتنوعها وتناقضاتها المهيمنة ممَّا وفَّر له مدًى واسعًا لاستعراض النظريات والتساؤلات الفلسفية، كما أنَّ خصوبتها المعرفية والثقافية والأدبية وفَّرتْ له النماذج المثلى لاستشهاده، وتبرير ما ذهب إليه من فرضيات وآراء، وهو مسار مناسب لتطبيقات النقد الثقافي بوصفه نشاطًا فكريًا يتخذ من الثقافة الشمولية موضوعًا لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها. (ميجان الرويلي، وسعد البازعي، ٢٠٠٧م. ص ٣٠٥).

إنَّها دراسة تحاور حقولًا معرفية شتّى، وفي مقدمتها (الأدب، والتاريخ، والثقافة...)، وهو في ضوء ذلك؛ مفتون بماورائيات النصوص وخلفياتها المعرفية، إذْ النصوص كما يقول إدوارد سعيد: «دنيوية،

(١) أبرز الملاحظات النقدية التي وُجّهَت لتطبيقات الغذامي للنقد الثقافي على المستوى العربي، جاءت على ثلاثة مستويات: «الأول في مقدار التعميمية في قراءة الأنساق التي يتحدث عنها، وهي أنساق محصورة في الجانب السلبي (تحول المديح إلى استجداء ونفاق، والفخر إلى تضخم للذات، الخ...)؛ والثاني، بمحدودية الأمثلة، وانحصارها في الأدب تقريبًا، والشعر بشكل خاص؛ أمَّا الثالث فيتمثل في غياب المقارنة الثقافية أو استحضار التجارب الثقافية لمجتمعات مختلفة أو حضارات مختلفة... ». انظر: (ميجان الرويلي، وسعد البازعي، ٢٠٠٧م. ص ٣١٠).

وهي أحداثٌ إلى حد ما، وهي فوق كل هذا وذاك قسط من العالم الاجتماعي والحياة البشرية، وقسط بالتأكيد من اللحظات التاريخية التي احتلتْ مكانها فيها وفسرتها حتى حين يبدو عليها التنكر لذلك كله». (إدوارد سعيد، ٢٠٠٠م. ص٧).

وتبقى أهم الملاحظات التي يمكن إيرادها حول المشروع العبدي، في تقديرنا هي:[١]

- تركيز الدراسة على متن الشعر بوصفه البوابة المعرفية المثلى للثقافة الموريتانية، وهو ما يجعل تعميم كثير من استنتاجاتها على البنية الثقافية الموريتانية لا يخلو من الإجحاف، وصحيح أنَّ الشعر ظل فاعلًا في الثقافة الموريتانية وموجها لأطرها المعرفية والثقافية، وحتى التاريخية، إلى حدِّ أنَّ البلاد عرفت ببلاد المليون شاعر[٢]، وهي مقولة تختزن هوس الموريتانيين بالشعر، إلَّا أنَّ للثقافة الموريتانية أيضًا مداخل معرفية أخرى لها أهميتها المعرفية القصوى، والتي لا يمكن وضع أيَّ مقاربة معمقة للمشغل الثقافي بدون دراسة معمقة لنصوصها، وفي مقدمة هذه الحقول، (الكتابات الفقهية: الفتاوى والنوازل، النثر الأدبي: المقامات والرسائل، كتب التاريخ والحوليات، المجتمع؛ بمروياته الشعبية ومحكياته الميثولوجية...).

- عدم توقف الدراسة عند رصد كثير من العيوب النسقية في الثقافة الموريتانية التي تختبئ وراء النصوص الشعرية، وهو مشغل قامتْ عليه أغلب دراسات النقد الثقافي العربي، خصوصًا مع المنجز الغذامي، وهي عيوب تختفي وراء حجاب الجمالي، وتفعل فعلها في الوعي الوجداني المجتمعي، وترسخ أحيانًا مجموعة من القيم المغايرة لروح المجتمع وما يسعى إليه من مساواة ووئام وعدالة.

- تُعيد الدراسة بقوة جدليّة المركز والأطراف كما طرحتها من قبل دراسات الغذامي وريادته لمشروع النقد الثقافي العربي، حيث كسرت تلك الريادة حاجزَ المركزية المشرقية التي رسمت صورة الثقافة العربية في منطقة مصر والعراق وبلاد الشام، فيما يظل صوت الجزيرة العربية وشمال إفريقيا مغيّبًا عن الوعي العربي أو «لا مُفَكّرًا فيه» ( محمد بنيس، ٢٠٠١م. ص ٨)، وكأنَّه يراد للثقافة العربية أنْ تكون حكرًا على مناطق عربية محددة.

كانت تلك مقاربة مركّزة لمشروع النقد الثقافي الموريتاني كما رسمته دراسة الدكتور محمد ولد عبدي

---

(١) نسبة إلى الدكتور محمد ولد عبدي.

(٢) هي مقولة ثقافية أطلقها بعض الكتاب العرب على موريتانيا انبهارًا باهتمام الموريتانيين بالشعر، وقد ظهرت لأول مرة على صفحات مجلة (العربي) الكويتية في ستينيات القرن المنصرم، في تحقيق أجرته حينها عن موريتانيا، حيث كانت بعثة المجلة في تجولها بين المدن الموريتانية تصادف كثيرًا من سهرات السمر الأدبي والمساجلات الشعرية، ممَّا جعلهم يطلقون على موريتانيا لقب (بلد المليون شاعر).

(السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية: الشعر نموذجًا/ مقاربة نسقية)، وهي دراسة تحمل آفاقا قرائية شتى، أسهمت في تشريح كثير من نصوص الثقافة الموريتانية وقراءة ماورائياتها برويّة وعمق.

## المصادر والمراجع


**أوشان؛ علي آيت**: *السياق والنص الشعري: من البنية إلى القراءة*، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ٢٠٠٠م.

**الباحث، وآخرون**: *مرايا الحلم والكتابة: قراءات في أعمال الدكتور محمد ولد عبدي*، ط١، مراكش، المغرب، مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال، ٢٠١١م.

**بنيس، محمد**: *الشعر العربي الحديث؛ بنياته وإبدالاتها، ج١ التقليدية*، ط١، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠٠١م.

**الرويلي؛ ميجان، والبازعي؛ سعد**: *دليل الناقد الأدبي*، ط٥، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٧م.

**سعيد؛ إدوارد**: *العالم والنص والناقد*، ترجمة: عبد الكريم محفوظ، ط١، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.

**السماعيل؛ عبدالرحمن بن إسماعيل، وآخرون**: *الغذامي الناقد: قراءات في مشروع الغذامي النقدي*، كتاب الرياض العدد (٩٧- ٩٨)، ديسمبر ٢٠٠١ - يناير ٢٠٠٢م.

**الغذامي؛ عبدالله**: *النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية*، ط٣، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.

**الغذامي؛ عبدالله، واصطيف؛ عبدالنبي**: *نقد ثقافي أم نقد أدبي*، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٤م.

**كيليطو، عبد الفتاح**: *المقامات: السرد والأنساق الثقافية*، ترجمة: عبدالكبير الشرقاوي، ط٢، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، ٢٠٠١م.

**مفتاح؛ محمد، وآخرون**: *نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات*، الرباط، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم ٤. د. ت.

**ولد عبدي؛ محمد**: *السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية: الشعر نموذجًا (مقاربة نسقية)*، ط١، دمشق، سورية، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص ١٥٧-١٨٤، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# ظروف السكن والمواصلات وأثرها في وقوع طلبة جامعة السلطان قابوس تحت الملاحظة الأكاديمية: دراسة ميدانية

(*) رحمة المحروقية ؛ (**) منير كرادشة

(*) *أستاذ مشارك، مركز البحوث الإنسانية، جامعة السلطان قابوسة* ؛ (**) *أستاذ الدراسات السكانية، مركز البحوث الإنسانية، جامعة السلطان قابوس*

(قدم للنشر في ٣/ ٨/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١٢/ ٣/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية** : ظروف السكن، المواصلات، إشراف أكاديمي، دراسة ميدانية.

**ملخص البحث:** هدفت هذه الدراسة للوقوف على الأحوال والملابسات ذات العلاقة بطبيعة ونوعية السكن والمواصلات وعلاقتها بوقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية. وقد عمدت الدراسة إلى جمع بيانات من الطلبة الذين وقعوا تحت الملاحظة الأكاديمية في جامعة السلطان قابوس بواسطة استبانة إلكترونية خاصة أُعدت لهذه الغاية. وبلغ حجم العينة التي أُجريت عليها الدراسة (٦١٩) طالبًا وطالبة من الواقعين حاليًا تحت الملاحظة الأكاديمية، وقد جرى الاستعانة بالمنهج الوصفي لتحليل الظاهرة ومعاينتها، باستخدام عدة أساليب إحصائية توُزّعت بين النماذج الإحصائية الوصفية البسيطة، مثل: التوزيعات النسبية والتكرارية (Percentages)، ونموذج تحليل مربع كاي (Chi-Square).

وقد خلصت الدراسة إلى أنَّ أغلب الطلبة قيد الدراسة هم من محافظة الباطنة شمالًا، ومن محافظة مسقط، ومن الذين يقطنون في سكن خاص وفي شقة مع زملائهم من الطلبة، ومن الذين يعتقدون بأنَّ أوضاع سكنهم غير مريحة. كما توصَّلت الدراسة إلى وجود معاناة واضحة لدى هؤلاء الطلبة من عدم توافر وسائل للنقل إلى الجامعة؛ إذ عبّر جزء كبير منهم عن معاناتهم بسبب بعد المسافة التي يقطعونها يوميًا للوصول الى الجامعة.

# The impact of housing and transportation conditions on the occurrence of Sultan Qaboos University students under academic probation: an empirical study

(*) **Rahma Mahrouqi &** (**)**Moner Karadshaa**

(*)*Phd, the central of Humanity cearching;* (**)*The central of Humanity cearching, of Sultan Qaboos University*

(Received 3/8/1437H; Accepted for publication 12/3/1438H)

**Keywords:** : Housing Condition, Transporting, Under Academic Probation, Field study.

**Abstract:** This study aimed to determine the conditions and circumstances related to the nature and quality of housing, transportation and their relationship with students falling under academic probation. The study collected data from students who had fallen under academic probation at Sultan Qaboos University by an electronic questionnaire prepared especially for this purpose. The sample was (619) students currently under academic probation. The descriptive analysis was used on the phenomenon using several statistical methods distributed between the statistical models for Descriptive Statistics such as the relative frequency distributions (Percentages), and the square model analysis (Chi-Squar).

The study concluded that most of the students in the sample are from North Batinah and Muscat, living in private accommodation in an apartment with fellow students, and who believe that their hostels are uncomfortable. The study also concluded that there was clear suffering for those students due to the lack of means of transport to the university. A large portion of them said that they were suffering because of the distance they need to cross daily to get to the university.

**المقدمة**

تُجمع الأدبيات الاقتصادية والاجتماعية بأنَّ التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي أصابت المجتمع العماني كان لها خصوصيتها الشديدة بحيث مسّتْ بعمق أدوار الأسرة العمانية ووظائفها، وأحدثتْ تغيرات حاسمة على أوضاع أفرادها ومكاناتهم ومواقفهم المختلفة، كما أبرزتْ كثيرًا من التحديات أمامهم، ،وأسهمت كذلك بزيادة مستوى طموحهم وتطلعاتهم الذاتية ورغباتهم في الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي Albahrani،(2004 ). ويبدو أنَّ هذه التحولات قد ساعدتْ في تقليص دور الأسرة كنسق يمارس الضبط الاجتماعي بصورته التقليدية، وعزَّزت من بروز أهمية أنساق أخرى "كمؤسسة المدرسة والجامعة، التي أخذت فعلًا حيزًا واسعًا في حياة الفرد "خاصة في عملية تنشئته الاجتماعية المقصودة"، وفي تشكيل شخصيته، وفي تحديد ملامح مستقبله الاجتماعي والاقتصادي والثقافي (الزبيدي، وآخرون، ٢٠٠٢م.).

ورغم عمق أهمية هذه المؤسسة الجامعية وحساسيتها في حياة الفرد، وفي تشكيل شخصيته، وفي تحديد ملامح مستقبله وأهمية الأدوار والوظائف المنوطة بها، وسمو الرسالة التي تؤدِّيها؛ فإنَّ هناك معوقات تقف دون تحقيق أهدافها بصورة كاملة، ولعلَّ أهم هذه المعوقات تلك المتعلقة بأوضاع الطلبة وطبيعة حياتهم الأكاديمية، وما يتخللها من تحديات ومصاعب ذات علاقة بأحوال السكن والمواصلات؛ حيث يتعرض الطلبة في أثناء حياتهم الجامعية لجملة من الصعوبات والمشكلات ذات العلاقة بمثل هذه الجوانب، والتي قد تحول دون تحقيق أهدافهم، حيث يفشل كثير منهم في إنجاز توقعات الدور، ويعجزون عن تحقيق متطلباته، ويقعون تبعًا لذلك بما اصْطُلِح على تسميته "بالملاحظة الأكاديمية" والتي تشير لوجود قصور لدى الطلبة عن تحقيق متطلبات الدور وتوقعاته (الحارثي وآخرون، ٢٠١١م.).

إنَّ طبيعة الحياة الجامعية وما يقترن بها من بداية حياة الاستقلال والسكن المستقل وما يلازمه من البعد عن الأهل، قد يُحمِّل الطالب كثيرًا من المسؤوليات المادية والمعيشية والضغط النفسي، التي يمكن أنْ تؤثر سلبًا على تحصيله الأكاديمي (الحارثي وآخرون، ٢٠١١م. المنيزل، ١٩٩٨م.)، وهذا ما أكَّدتْه دراسة كارنز (Karns،2002 )، التي بينَّت بأنَّ الطلبة الجامعيين وبسبب بداية استقلالهم عن الأسرة الأصل وسكنهم المستقل كثير ما يتعرضون لمشكلات اجتماعية وثقافية واقتصادية متنوعة، إضافة لمشكلات النقل والمواصلات، وقد يتعرضون لمشكلات نفسية ومن صعوبات في التوافق الاجتماعي، بالمقابل توصل نيكبون (Nicpon، et. al، 2007 ) إلى أنَّ إقامة الطلبة بعيدًا عن الأهل – خصوصًا خارج الحرم الجامعي–

شأنه أنْ يؤثر سلبًا على عملية تكيُّفهم الاجتماعي، ومن ثمَّ على أدائهم الأكاديمي، وهي نتيجة تتفق مع ما ذهبت إليه دراسة (المنيزل، ١٩٩٨م)، بأنَّ الطلبة القاطنين داخل الحرم الجامعي هم بالعادة أقل تعرضًا للوقوع تحت الملاحظة الأكاديمية، فمعظمهم يقضون جزءًا كبيرًا من وقتهم داخل الحرم الجامعي، وفي سكنات داخلية مجهزة بوسائل الراحة كافة، ويتوافر لهم عادة بيئة اجتماعية وثقافية مناسبة للإنجاز والدراسة.

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى أنَّ الطلبة القاطنين جميعهم في السكنات الداخلية لجامعة السلطان قابوس، هم من الإناث اللاتي تتوافر لهُنَّ كثير من التسهيلات والخدمات سواء أكانت أكاديمية أو اجتماعية أو ثقافية، وقرب مناطق سكنهن من الخدمات التي توافرها الجامعة كالمكتبة ومصادر التعلم، والأنشطة الطلابية والأكاديمية التي تعقد داخل الحرم الجامعي، كما تتوافر لهُنَّ تسهيلات معيشية، مثل: الوجبات الغذائية، والتسهيلات الأمنية والصحية، وتميل أغلب الأدبيات السابقة بالتأكيد على أنَّ السكن داخل حرم الجامعة يجنّب كثير من الطلبة مشكلات معيشية مختلفة كمشكلة المواصلات، ويجنبهم كذلك مسألة هدر الوقت للوصول إلى حرم الجامعة، إضافةً إلى توافر أماكن مثالية للدراسة، وفرص تكوين صداقات جديدة ما يسهم بالترويح عنهم نفسيًا واجتماعيًا (سليمان والمنيزل، ١٩٩٩م).

ويبدو أنَّ طبيعة السكن ونمطه ومدى بُعده عن الجامعة، ونوعية وسائل النقل التي يقلها الطلبة للوصول إلى الجامعة، كلها عوامل قد تُشكِّل محددات حقيقية لتحصيل الطلبة الأكاديمي، لِمَا يقترن بها من صعوبات اجتماعية واقتصادية ونفسية، ولما يصاحبها من معاناة متراكمة وعميقة للطلبة، قد تنعكس سلبًا على تحصيلهم الأكاديمي.

## مشكلة الدراسة

تُمثّل **ظاهرة** وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية مؤشرًا عميقًا، جرى التقاطه وتوظيفه للدلالة على وجود خلل وظيفي في نسق المؤسسة التعليمية وقصور في مدخلاتها، وعجز في قدرة الطلبة على أداء توقعات الدور (لطفي، ٢٠٠١م.) كما عُدَّ إفرازًا طبيعيًا لمثل هذه الأنساق، ما دام يقع ضمن الحدود والمستويات الطبيعية والمتعارف عليها، ولكن تجاوزها لتلك الحدود المتعارف عليها؛ يُعدُّ مؤشرًا مهمًا لوجود مشكلة عميقة في أجزاء هذا النسق ووظائفه، لا يمكن تجاهله لما يمكن أَنْ يترتب عليه من آثار وانعكاسات سلبية قد تصيب هيكل تنظيم المؤسسة وبناءاته، وقد تستنزف طاقاته وموارده المختلفة، كما قد تعيقه عن أداء وظائفه (الجابري، ٢٠٠٩م. الدمياطي، ٢٠٠٦م.).

و يبدو أنَّ هذه النسب المرتفعة للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية في جامعة السلطان قابوس، شأنها أنْ تقدم مؤشرات وشواخص مهمة عن وجود خلل ما في أحد أركان العملية الأكاديمية، أو قصور في أحد عناصر هذه المؤسسة في أدائه لوظائفه، وفي ضوء ما تقدَّم، فإنَّ هذه الدراسة تأتي كمحاولة لمعاينة ظاهرة تمتاز بشدة تعقيدها وكثافة الغموض الذي يكتنف جوانبها، وبكونها من الظواهر المركبة لاشتمالها على أبعاد وجوانب اجتماعية واقتصادية وثقافية متعددة في حياة الطلبة، ولتضمنها أسباب ومحركات تربوية ونفسية مختلفة ذات علاقة بتدني تحصيلهم الأكاديمي، حيث تمثّلت مشكلة الدراسة الحالية في تزايد أعداد الطلاب الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية، والتي يمكن عزوها لأحوال السكن والمواصلات التي يعاني منها الطلبة، ورغم أهمية هذه الجوانب؛ لكن هناك شح وندرة في الدراسات التي بُحثت بهذه الجوانب رغم عمق انعكاساتها على حياة الطلبة وأدائهم الأكاديمي.

### أهمية الدراسة

تأتي أهمية هذه الدراسة من اعتبارات محددة تتعلق بتركيز جُلّ اهتمامها ببحث ودراسة جانب محدد من مكونات "ظاهرة وقوع طلبة جامعة السلطان قابوس تحت الملاحظة الأكاديمية"، يتعلق بأوضاع السكن والمواصلات للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية؛ وهي جوانب لم يسبق دراستها بصورة معمقة وشاملة من قبل الباحثين في المجتمع العماني، كما تنبع أهمية هذه الدراسة بوصفها من الدراسات المحلية القليلة – على حدِّ علم الباحثين- التي تحاول تركيز اهتمامها على دراسة هذه الجوانب ذات العلاقة بظاهرة وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية، والتعرف على محدداتها وأسبابها وملابساتها المختلفة، كما تنبع أهمية الدراسة من خصوصية الظاهرة نفسها وعمق انعكاساتها وتنوعها، وتعدد مضامينها الاجتماعية والثقافية والديموغرافية على حياة الطالب الأكاديمية.

وبوجه عام فإنَّ هذه الدراسة تتميز بأنَّها جاءت لتغطي نقصًا حاصلًا في الدراسات المحلية السابقة في العلوم الاجتماعية، التي بحثت في هذا الموضوع، إذ لا توجد -حسب علم الباحثَين-دراسة علمية معمقة بُحثت بهذه الجوانب ذات العلاقة بمثل هذه الوقائع الأكاديمية بصورة معمقة وشاملة، رغم حيويتها وعمق انعكاساتها.

### أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة وبصورة محددة إلى الوقوف على واحد من أسباب وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية والمتعلق بأحوال السكن والمواصلات وتقصي ومعاينة هذه الجوانب بصورة شاملة ومعمقة، ومن ثَمَّ محاولة الخروج بمجموعة من التوصيات

العملية والتي يمكن أنْ تسهم بمعالجتها أو الحدِّ منها، وبالتحديد فإنَّ هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق الأهداف الآتية:

**التعرف على أحوال السكن والمواصلات، والخلفية الأسرية للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية، وقد تفرع عن هذا الهدف هدفان فرعيان، وهي:**

١. معاينة أحوال السكن وأثرها على الطلبة الواقعين تحت الملاحظة وأهم انعكاساتها الأكاديمية.

٢. كشف ومعاينة أثر وسائل النقل والمواصلات في وقوع الطلبة تحت الملاحظة وأهم انعكاساتها الأكاديمية.

## تساؤلات الدراسة

**تتحدد تساؤلات الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:**

**ما أثر أوضاع السكن والمواصلات والخلفية الأسرية للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية: والذي تضمن التساؤلات الفرعية الآتية:**

١- ما طبيعة أوضاع السكن وأثرها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية؟ وما أهم انعكاساتها الأكاديمية؟

٢- ما أثر وسائل النقل والمواصلات في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية؟ وما أهم انعكاساتها الأكاديمية؟

## مفاهيم الدراسة

١- **مشكلات الطلبة**: وهي مؤشر للصعوبات التي يتعرض لها الطلبة في أثناء حياتهم الأكاديمية، والتي قد يكون لها تأثيرات سلبية مهمة وواضحة في تحصيلهم الأكاديمي، وعادة ما يلازم هذه المشكلات جملة من التحديات والمواقف الصعبة والعوائق التي تلازم الطلبة، وتنعكس آثارها على تحصيلهم الأكاديمي (سليمان والمنيزل، ١٩٩٩م.).

٢- **الملاحظة الأكاديمية**: نظام يخضع له الطالب عند انخفاض مستواه الأكاديمي في المعدل الفصلي والتراكمي، عندما يكون معدله أقل من (٢,٠) ويكون الطالب تحت الملاحظة الأكاديمية في الحالات الآتية: (عمادة القبول والتسجيل، جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٢م):

- عند انخفاض معدل نقاط التقدير التراكمي عن (٢,٠).

- عندما يكون معدل نقاط التقدير التراكمي (٢,٠) أو أكثر، ولكن معدل نقاط تقدير الفصل الدراسي الجاري أقل من (١,٠).

- عندما يكون معدل نقاط التقدير التراكمي (٢,٠) أو أكثر، ولكن معدل نقاط التقدير الفصلي يستمر دون (٢,٠) لفصلين متتاليين.

## الدراسات السابقة

عمدت جامعة السلطان قابوس ومنذ بداية تأسيسها، عام (١٩٨٦م.) إلى تكريس جهودها كافة لخدمة العملية الأكاديمية وخدمة طلابها الذين يشكلون عماد الجامعة وأهم عناصرها ومحور أهدافها، والسعي لمعالجة مشكلاتهم، ومحاولة تذليل الصعوبات كافة التي يمكن أن تعترض مسار حياتهم الجامعية. إذْ يرتهن بهذه المؤسسة الوطنية عملية تمكين الإنسان العماني والاستثمار به، وزيادة فاعلية مشاركته في الجهود التنموية التي تقوم بها الدولة (دائرة التخطيط والإحصاء، جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٣م.)، وقد شهدت العقود الثلاثة الأخيرة توسعًا كبيرًا في نظام قبول الطلبة بجامعة السلطان قابوس، وقد صاحب ذلك زيادة أعداد الطلبة فيها، و**تزايد مشكلاتهم الأكاديمية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية**، وقد تمثَّلت أهم المشكلات التي واجهت هؤلاء الطلبة: "في المشكلات الناجمة عن السكن، والمشكلات التي تتعلق بالمواصلات والنقل للوصول إلى الجامعة، إضافة لصعوبات ذات صيغ أكاديمية مختلفة ومتنوعة"، كما لازم ذلك جملة من الانعكاسات على أوضاع الطلبة وقدرتهم على المنافسة والإنجاز، ومن ثمَّ على تحصيلهم الأكاديمي ووقوعهم تحت ما يُسمَّى بالملاحظة الأكاديمية (البحراني والخواجة، ٢٠٠٨م. المنيزل، ١٩٩٨م.).

وتُؤكِّد الأدبيات في ظاهرة وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية بأنَّ هذه المسألة لا تمثل تصورًا بنائيًا أحاديًا فحسب، إنَّما هي تصورٌ مركبٌ يتضمن آثارًا طائفة مختلفة من المتغيرات والعوامل المتداخلة، التي يمكن أنْ تعمل بصورة معقدة لتبرز تأثيراتها على حياة الطالب وتحصيله الأكاديمي وهذا ما أكَّدتْه دراسة **إبراهيم والبرواني (Ibrahim & AlBarwani، 1993)**، التي ذهبت إلى أنَّه **من غير الجائز اعتبار متغير واحد مثل: امتحان الثانوية العامة** المتنبئ الوحيد عن الأداء الأكاديمي للطلبة في الجامعة؛ إذ إنَّ هناك عوامل غير معرفية، مثل: الدافعية والميل للإنجاز والاتجاهات الفردية، تُعدُّ متغيرات أساسية في تقرير تحصيل الطلبة أكاديميًا، فقد يُسهم التوافق الشخصي الذي يتزايد مع الوقت وسكن الطلبة داخل الحرم الجامعي في تحسين أدائهم الأكاديمي، وهذا ما توصَّلت إليه أيضًا دراسة كل من سليمان والمنيزل **(سليمان والمنيزل، ١٩٩٩م.)** وبذات السياق أشارت دراسة **جاجيا وكيلي (Jaggia & Kelly، 1999)** في معرض سعيها لتحديد العوامل الممكن أنْ تؤثر في مستوى الأداء الأكاديمي للطلبة الجامعيين، باستخدام المعدل التراكمي للطلبة كمؤشر لأدائهم الأكاديمي، إلى تأكيد وجود مجموعة من العوامل ذات التأثير المتداخل والقوي على أداء الطلبة الأكاديمي، فمنها ما يرتبط بالمناهج الدراسية وطرق التدريس، ومنها ما يتعلق بخصائص عضو هيئة

التدريس، ومنها ما يتعلق بخصائص الأسرة واستقرارها وتماسكها ومستوى تعليم الوالدين، ومنها ما يتعلق بخصائص الطالب نفسه وأحوال سكنه. وقد أشارتْ **دراسة مكينزي وسكويتزر ( mckenzi & schwetzer،2001 )** إلى أنَّ درجات الطلاب في الفصل الدراسي الأول لها أهمية بالغة في تحديد معدلاتهم الأكاديمية، وهذا لا يُلغي أثر عوامل أخرى كفعالية الدوافع الذاتية لدى الطلبة للإنجاز، والذي يزيد من ميولهم للحصول على معدلات تراكمية مرتفعة، وأثر عوامل أخرى، مثل: انتظام الطلبة بالدراسة والتفرغ الكامل لذلك؛ لتحقيق تطلعاتهم الأكاديمية.

وتوصَّل **نكبون وآخرون (Nicpon et. Al.، 2007)** إلى وجود عوامل أخرى ذات صيغ سيكولوجية تتعلق بمستويات إنجاز الطلبة ونجاحهم؛ إذ أكَّدوا أنَّ الدعم الاجتماعي المقدم للطلبة، وانخفاض شعورهم بالوحدة، تعدُّ عوامل معززة لاستمرارهم في الجامعة وتفوقهم الأكاديمي، كما أكَّدت الدراسة أهمية تأثير طبيعة مكان السكن على الأداء الأكاديمي، حيثُ حصل الطلبة المقيمون في السكن الداخلي على معدل أكاديمي أفضل من طلاب السكن الخارجي، وخلصت الدراسة أيضًا إلى أنَّ الأبعاد المتعلقة بتحصيلهم الأكاديمي تبقى أبعادًا معقدة يكتنفها كثير من الصعوبات والغموض، نتيجة عدم إمكانية تحديدها وحصرها فعليًا؛ لارتهانها بدرجة الحساسية التي يضعها الطلبة في مثل هذه القضايا، وبهذا الخصوص خلصتْ دراسة **كارنس (Karns،2002 )**، إلى أنَّ أداء الطلبة القاطنين داخل الحرم الجامعي عادة ما يكون مرتفعًا لجملة من الاعتبارات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية. كما بيّنت الدراسة أنَّ مستوى الرضا والوعي الذاتي ومستوى التطلعات الأكاديمية لدى الطلبة القاطنين داخل نطاق الجامعة، أعلى من نظائرهم من الطلبة القاطنين خارج الحرم الجامعي، بالمقابل بيَّنت الدراسة أنَّ الطلبة القاطنين خارج الحرم الجامعي كثيرًا ما تنتشر بينهم بعض السلوكيات غير السوية، مثل: تناول الكحول، وهدر الوقت وعدم قدرتهم على تنظيمه.

وبذات السياق خَلصُت دراسة **الحارثي وآخرون (الحارثي وآخرون، ٢٠١١م.)**، بعنوان (التنبؤ بالصعوبات التي تواجه الطلاب القاطنين خارج الحرم الجامعي في ضوء بعض المتغيرات)، وقد أُجريت على عينة عشوائية من طلبة جامعة السلطان قابوس ممن يسكنون خارج الحرم الجامعي، إلى وجود مجموعة متعددة من الظروف والصعوبات التي تواجه هؤلاء الطلبة، ولعلَّ أهمها: ارتفاع إيجار المساكن، وعدم كفاية مبلغ الإعاشة المقدم لهم، ووجود صعوبات في النقل ومتطلبات السكن الخارجي، إضافة إلى تعرضهم لصعوبات صحية وأكاديمية، واجتماعية، كذلك أشارت دراسة الوريكات **(الوريكات،**

**١٩٩٩م.)**، التي كرسها لمعاينة المشكلات التي تواجه الطلبة الجامعيين في المجتمع الأردني، إلى أنَّ مشكلات الطلبة جاءت مرتبة على النحو الآتي: مشكلات ذات علاقة بالمجالات الأكاديمية، والخدمية والإدارية، والنفسية، والاجتماعية، والصحية، والاقتصادية، كما بينت الدراسة أهمية أثر الدخل الأسري في درجة معاناة الطلبة من المشكلات الأكاديمية.

وكشفت دراسة **للراشد (الراشد، ٢٠٠٣م.)** أنَّ الإهمال في الدراسة وكثرة الغياب عن المحاضرات، وعدم التركيز داخل المحاضرة، وعدم توافر الجو المناسب للدراسة في البيت، وكثرة المسؤوليات الأسرية شأنه أنْ يؤزم الأوضاع الأكاديمية للطلبة، كما أبرزت الدراسة أثر العوامل ذات المنشأ الاقتصادي (كعدم صرف المكافآت للطلاب، وعدم وجود حوافز مادية للمتفوقين)، في ضعف التحصيل الأكاديمي، كما بينت أنَّ نتيجة امتحان الثانوية كان لها ارتباط إيجابي بتحصيلهم الجامعي، وبهذا الخصوص خلُصت نتائج دراسة **(الجابري، ٢٠٠٩م.)**، إلى أنَّ أهم العوامل المؤدية إلى انحدار تحصيل الطلبة الأكاديمي تتمثل في كثرة الغياب عن المحاضرات، وضعف عملية الاستذكار الجيد خصوصًا لدى طلاب قسم الفيزياء واللغة العربية.

هذا وتتفاوت المشكلات التي يعاني منها الطلبة بين استخدام بعض أعضاء هيئة التدريس لأساليب تقليدية في التدريس، وشعور الطلبة بالخوف والقلق من المستقبل، والمشكلات النفسية والاقتصادية، ومشكلات ذات علاقة بوقت الفراغ وعدم القدرة على إدارته، والمشكلات الإرشادية ومشكلات السكن والمواصلات. وبهذا الخصوص خلُصت دراسة **(العرجان والعضايلة، ٢٠١٠م.)**، إلى أنَّ حدة المشكلات بين الطلبة تزداد بدرجة ملحوظة تبعًا لارتفاع مستوى التحصيل الأكاديمي، كما بينت دراسة **كروكير (Croker 2014،)**، إذ سعتْ لمعاينة علاقة مستوى تقدير الذات والمشكلات الأكاديمية والاجتماعية والمالية التي يمكن أنْ تواجه الطلبة، ووجود ارتباط قوي بين انخفاض مستوى تقدير الذات عند الطلبة وبروز مشكلات أكاديمية واجتماعية لديهم، كما وجدت الدراسة ارتباط ارتفاع تقدير الذات لدى الطلبة بارتفاع مستوى تحصيلهم الأكاديمي، وتوصلت لوجود علاقة واضحة بين ارتفاع تحصيل الطلبة الأكاديمي وارتفاع مستواهم الاقتصادي، وإلى أنَّ انخفاض تقدير الذات لدى الطلبة قد يُسهم في بروز مشكلات أكاديمية عميقة لديهم.

ويبدو من مراجعة الأدبيات السابقة تميُز هذه الدراسة عن باقي الدراسات، كونها صبَّت جل اهتمامها ببحث وتحليل جوانب محددة ذات علاقة مباشرة بتدني تحصيل الطلبة الأكاديمي، ووقوعهم

تحت الملاحظة الأكاديمية التي تتمثل في طبيعة أحوال السكن والمواصلات التي يمكن أنْ يعاني منها هؤلاء الطلبة، ويبدو أنَّ هناك نقصًا حاصلًا في الدراسات السابقة التي بحثت في مثل هذه الظاهرة بصورة شاملة ومعمقة؛ رغم حساسيتها وتنوع آثارها، **وقد جاءتْ هذه الدراسة لتتناول أحوال السكن والمواصلات وأثرها في وقوع طلبة جامعة السلطان قابوس تحت الملاحظة الأكاديمية** بكثير من الشمولية والعمق والدقة، للوقوف على حيثياتها وتقصي أسبابها ومعاينة أهم العوامل الممكن أنْ تقف وراءها، خصوصًا في ظل جسامة التحديات التي تفرضها هذه الظاهرة، وما يمكن أنْ يصاحبها من تبعات اجتماعية ونفسية واقتصادية متنوعة ومتعددة.

**متغيرات الدراسة**

لأغراض تتعلق بمنهجية الدراسة، وعلى ضوء القراءة التقييمية لمضامين الدراسات السابقة وذات الصلة؛ فقد جرى اختيار وتحديد متغيرات الدراسة التابعة والمستقلة على النحو الآتي:

**أولًا: المتغير التابع:**

يتمثل في **"وقوع الطالب في جامعة السلطان قابوس تحت الملاحظة الأكاديمية"**، وهو المتغير المحوري في الدراسة، كمؤشر لتدني تحصيل الطالب الأكاديمي، وقد أُستخدم لمقياس للدلالة على تجاوز الطلاب للحدود الدنيا للعلامات المسموح بها داخل الجامعة.

**ثانيًا: المتغيرات المستقلة:**

**أ. الخلفية الاجتماعية والديموغرافية:**

١-النوع الاجتماعي (ذكر، أنثى).

٢-أعمار الطلبة الحالية (من ١٩ فأقل، من ٢٠ سنة إلى ٢٢ سنة، من ٢٣ إلى ٢٤، ٢٥ سنة فأكثر).

٣-درجة الملاحظة الأكاديمية المصنف بها الطالب (أولى، ثانية، ثالثة، رابعة فأكثر).

**ب. أحوال السكن**

١-مكان إقامة الطالب الدائم (مسقط، مسندم، الداخلية، الشرقية شمال، الشرقية جنوب، الباطنة شمال، الباطنة جنوب، البريمي، الوسطى، ظفار، الظاهرة).

٢-طبيعة السكن (داخلي خارجي...الخ).

٣- نوعية السكن (شقة، أو فيلا، سكن طالبات داخل الجامعة، سكن طلاب خارج الجامعة).

٤- أحوال السكن (مريحة جدًا، نوعا ما، غير مريحة إطلاقًا).

**ج. أحوال المواصلات**

١-نوعية وسيلة النقل التي يستخدمها الطالب للوصول إلى الجامعة (سيارة خاصة، سيارة أحد الزملاء، سيارة الأهل، الحافلة الجامعية، سيارة أجرة، سيرًا على الأقدام).

٢-طول المسافة التي يقطعها يوميًا للوصول إلى الجامعة (بعيدة وتتطلب جهدًا كبيرًا، متوسطة البعد، قريبة ولا تتطلب جهدًا، سكن داخل الحرم الجامعي).

**منهجية الدراسة**

جرى الاستعانة **بمنهج المسح الاجتماعي باستخدام الحصر الشامل لتحليل الظاهرة** ومعاينتها من جوانب وأبعاد مختلفة، كونه يشكل منهجًا مهمًا وحيويًا لفهم الظاهرة قيد الدراسة وفهم مكوناتها وحيثياتها، ولما يمكن أنْ يُقدم هذا المنهج من توصيف دقيق وعميق وثراء معرفي للظاهرة المدروسة.

**مجتمع الدراسة**

حُدِّد مجتمع الدراسة بمجموع الطلبة الملتحقين بالدراسة في جامعة السلطان قابوس والواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية في المدة الزمنية (خريف م.٢٠١٤)، والبالغ عددهم (١٣٤٨) طالبًا وطالبة، وقد قام فريق الدراسة بتحديد مجتمع الدراسة بالتعاون مع عمادة القبول والتسجيل، ومن ثَمَّ جرى القيام بالتعاون مع الجهات المعنية في الجامعة **بتحديد مفردات مجتمع الدراسة**، والممثلة بجميع الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية في مدة الإسناد الزمني (١-٩-٢٠١٤م. إلى ١٥-١١-٢٠١٤م.).

**محددات الدراسة**

اقتصرتْ إجابات المبحوثين على مجموعة الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية في جامعة السلطان قابوس والذين ما زالوا منتظمين في الدراسة في فصل ربيع ٢٠١٤م. والذين أجابوا فعلًا على الأسئلة التي تضمنتها استبانة الدراسة، وقد أُرسلتْ إليهم إلكترونيًّا بالتنسيق مع عمادة القبول والتسجيل بعد التأكيد على أهمية البيانات وسريتها وتكريسها فقط لأغراض البحث العلمي ومتلازماته، وقد حصل أخذ الموافقات الرسمية اللازمة للقيام بالدراسة وتنفيذها، كما أُخذتْ مجموعة من الاعتبارات في أثناء إعداد الاستبانة وتوزيعها، ولعل أهمها:

١-اقتصار مجتمع الدراسة على الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية في جامعة السلطان قابوس، والذين أجابوا فعلًا على الاستبانة الإلكترونية.

٢-تحددت الدراسة بطبيعة مجتمع الدراسة وأدواتها، والأهداف التي تسعى لتحقيقها.

**صدق الاستبانة:**

يُقصد به وضوح الاستبانة ودقتها وموضوعية أسئلتها، ومدى صلاحيتها للتحليل الإحصائي، وقدرتها (الاستبانة) على قياس ومعاينة موضوع الدراسة، ودقتها في قياس وتحقيق الأهداف التي صممت لأجلها، هذا وقد جرى معاينة الاستبانة

بعرضها على مجموعة من المتخصصين والأكاديميين في كلية التربية وكلية الآداب والعلوم الاجتماعية، وعمادة البحث العلمي ودائرة القبول والتسجيل في جامعة السلطان قابوس، إذ بلغ عددهم (١٢)، وبناءً على ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، كما أُجريت التعديلات المطلوبة، وإضافة كثير من الأسئلة التي جرى اقتراحها، لتخرج الاستبانة بصورتها النهائية.

**مجالات الدراسة**

يتفق الباحثون على أنَّ لكل دراسة علمية مجالات رئيسة ثلاثة، وهي المجال البشري والمجال الزمني والمجال الجغرافي، وفيما يأتي عرض مفصل لهذه المجالات:

**المجال البشري**: يقصد به مجموعة الأفراد الذين ستُجرى عليهم الدراسة، أيْ: مجتمع الدراسة، وقد حصل تحديد مجتمع الدراسة من طلبة جامعة السلطان قابوس الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية.

**المجال الزمني**: وهي المدة الزمنية التي استغرقتها الدارسة، إذ امتدت لمدة (٦ أشهر)، حيث بدأتْ في (١/ ٨/ ٢٠١٤م.) وانتهتْ في (٣٠/ ١/ ٢٠١٥م.).

**المجال الجغرافي**: وحدد هذا المجال بـ (جامعة السلطان قابوس) كمجال جغرافي للدراسة، حيث عُدَّت الوحدة الرئيسة الممثلة لمجتمع الدراسة.

**الأساليب الإحصائية المستخدمة:**

سعيًا لمعالجة وتحليل بيانات الدراسة بصورة دقيقة وواضحة، فقد كان اللجوء إلى اختيار عدة أساليب إحصائية مناسبة، وُزِّعت على مستويين من التحليل، حيث تمثّل **المستوى الأول** في النماذج الإحصائية الوصفية البسيطة لمتغيرات الدراسة، وتتمثل هذه النماذج البسيطة في التوزيعات النسبية والتكرارية (Percentages)، **أمَّا المستوى الثاني**: من النماذج فقد تمثل بنموذج تحليل مربع كاي (Chi-Square)؛ وذلك سعيًا لكشف المحددات والأسباب المختلفة لوقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية في جامعة السلطان قابوس، وكشف اتجاه تركّز هذه الفروق النسبية، ولصالح من تتركز ويُعدُّ هذا النموذج من التحليل من أنسب النماذج الإحصائية لطبيعة الظاهرة قيد الدراسة، خصوصًا عندما تكون البيانات مصنفة ضمن مقياس اسمي ومرتبة على شكل تكرارات ونسب، ويُعدُّ اختبار كاي تربيع اختبارًا غير معلمي، ويُستخدم عادةً للكشف عن الفروقات في كثافة التوزيعات النسبية وتركزها وتبيان الدلالة بين المتغيرات وفئاتها (كرادشة، ٢٠١٣م.).

**عرض نتائج الدراسة ومناقشتها:**

يقوم هذا الجزء من الدراسة على تحليل وعرض النتائج الخاصة بأحوال السكن والمواصلات للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية اعتمادًا على نماذج

إحصائية وصفية متمثلة في التوزيعات التكرارية البسيطة والنسب المئوية، كذلك اعتمادًا على نموذج تحليل مربع (كاي) في محاولة للوقوف - وبصورة مفصلة-على حيثيات هذه الجوانب وعلاقتها بظاهرة وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية كمرحلة أولية، وللتعرف أكثر على حيثيات العلاقة السببية بينها، وقد جرى تقسيم هذا الجزء من الدراسة إلى ثلاثة أجزاء، بحيث تُوخي سلاسة الانتقال بين تلك الأجزاء، وقد جاءت على النحو الآتي:

**التعرف على أحوال السكن والمواصلات والخلفية الأسرية للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية ويضم:**

١- معاينة الخلفيات الاجتماعية والأكاديمية للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية.

٢- التعرف على أحوال السكن وطبيعته، وأثره في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية.

٣- التعرف على أحوال المواصلات ومدى توافرها وطبيعتها، وأثرها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية.

**أولًا: خلفيات الطلبة الديموغرافية الأكاديمية:**

يسعى هذا الجزء من الدراسة إلى التعرف على بعض خلفيات الطلبة الديموغرافية والأكاديمية، بهدف تحقيق فهم أكثر دقة لأوضاع الطلبة قبل الدخول في دراسة أحوال سكنهم والمواصلات، وأثرها في وقوعهم تحت دوائر الملاحظة الأكاديمية. وفيما يلي عرضٌ مفصلٌ لأهم هذه النتائج:

**جدول رقم (١). التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية حسب النوع الاجتماعي.**

| النوع الاجتماعي | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $\chi^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| ذكر | ٤٦٦ | ٧٥,٣٪ | ٦٧٦ | .٠٠٠ |
| أنثى | ١٥٣ | ٢٤,٧٪ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ١٠٠٪ | | |

يلاحظ من نتائج جدول رقم (١) ارتفاع نسبة الطلبة الذكور الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية، حيث شكَّلت نسبتهم ثلاثة أرباع عينة الدراسة، وبنسبة وصلت إلى (٧٥,٣٪). بالمقابل وصلت نسبة الطلبة الإناث الواقعات تحت الملاحظة الأكاديمية إلى ربع العينة وبنسبة وصلت تقريبًا إلى (٢٤,٧٪)، وتعني هذه النتيجة وجود ارتفاع واضح وملموس **في نسب الذكور الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية مقارنة بالإناث في جامعة السلطان قابوس.**

**جدول رقم (٢). التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية تبعا لأعمارهم الحالية.**

| العمر الحالي | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| ١٩ سنة فأقل | ٥٩ | ٪٩,٥ | ١١٢٥ | .٠٠٠ |
| من ٢٠ إلى ٢٢ سنة | ٤٤٢ | ٪٧١,٤ | | |
| من ٢٣ إلى ٢٤ سنة | ٩٧ | ٪١٥,٧ | | |
| ٢٥ سنة فأكثر | ٢١ | ٪٣,٤ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

تُبيّن نتائج جدول رقم (٢) المتعلقة بالتوزيعات النسبية **لمتغير العمر الحالي للطلبة** الذين هم تحت الملاحظة الأكاديمية، كما أنَّ هناك تركُّز واضح في نسب هؤلاء الطلبة عند **الفئة العمرية** (٢٠-٢٢ سنة)، وبنسبة بلغتْ (٧١,٤٪)، وهذه النتيجة تتّسق مع طبيعة أفراد عينة الدراسة وخصوصيتهم الاجتماعية والديموغرافية – وطبيعة المرحلة العمرية والانتقالية التي يمرون بها-المكونة من طلبة جامعة السلطان قابوس.

**جدول رقم (٣) التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة حسب درجة الملاحظة الأكاديمية المصنفين بها**

| درجة الملاحظة الأكاديمية المصنف | العدد | النسبة٪ | مربع كاي | الدلالة الإحصائية |
|---|---|---|---|---|
| أولى | ٣٧٣ | ٪٦٠,٣ | ٤٤٥ | .٠٠٠ |
| ثانية | ١٣٧ | ٪٢٢,٢ | | |
| ثالثة | ٧١ | ٪١١,٥ | | |
| رابعة فأكثر | ٣٧ | ٪٦ | | |
| الحالات المفقودة | ١ | ٪.٢ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

تُبين نتائج الجدول رقم (٣) أنَّ أغلبية الطلاب قيد الدراسة، هم من الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية من الدرجة الأولى وبنسبة (٦٠,٣ ٪)، تليها نسبة الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية من الدرجة الثانية حيث بلغتْ (٢٢,٢ ٪)، بالمقابل توزع باقي الطلبة بين الدرجة الثالثة وبنسبة (١١,٥٪)، والدرجة الرابعة وبنسبة (٦,٠٪)، ما يؤكِّد أنَّ معظم الطلبة في جامعة السلطان قابوس الواقعين تحت الملاحظة يتركزون عند الدرجة الأولى والثانية.

**ثانيًا: أحوال السكن وأثرها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية:**

تؤكِّد الأدبيات الاجتماعية والتربوية أنَّ ظاهرة وقوع "الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية" تقودها مجموعة من البنى والمكونات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتداخلة والمتبادلة التأثير، وكذلك عوامل تتعلق بطبيعة السكن ونوعيته، ومدى بُعده عن الجامعة ومدى توافر المواصلات؛ ما يؤكِّد أهمية تفكيك هذه المكونات والبنى ومعاينة آثارها منفصلة على احتمالات وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية، وفي ضوء ما تقدم فقد كُرِس هذا الجزء من الدراسة لاستعراض تفاصيل وحيثيات هذه الجوانب ذات العلاقة بأحوال السكن والمواصلات، وعلاقتها بوقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية.

**جدول رقم (٤). التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب تحت الملاحظة حسب مكان الإقامة الدائم (المحافظة).**

| مكان الإقامة الدائم | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| مسقط | ١٠٩ | ٪١٧,٦ | ٥٦٣ | .٠٠٠ |
| مسندم | ٢٢ | ٪٣,٦ | | |
| الداخلية | ٨٩ | ٪١٤,٤ | | |
| الشرقية شمال | ٣٧ | ٪٦,٠ | | |
| الشرقية جنوب | ٥٤ | ٪٨,٧ | | |
| الباطنة شمال | ١٢٧ | ٪٢٠,٥ | | |
| الباطنة جنوب | ٨٠ | ٪١٢,٩ | | |

**تابع جدول رقم (٤).**

| مكان الإقامة الدائم | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $\chi^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| البريمي | ٨ | ٪١,٣ | | |
| الوسطى | ٠ | ٪٠ | | |
| ظفار | ٣٧ | ٪٦,٠ | | |
| الظاهرة | ٥٥ | ٪٨,٩ | | |
| المفقودة | ١ | ٪.٢ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

توضح نتائج جدول رقم (٤) أنَّ أغلب الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية هم من **محافظة شمال الباطنة** وبنسبة (٢٠,٥٪)، وفي المرتبة الثانية جاء الطلبة القادمين من **محافظة مسقط** وبنسبة (١٧,٦٪)، وفي المرتبة الثالثة جاء الطلبة القادمين من **محافظة الداخلية** وبنسبة (١٤,٤٪)، وفي المرتبة الرابعة جاء الطلبة من محافظة **الباطنة جنوب** وبنسبة (١٢,٩٪)، بالمقابل ينخفض عدد الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية من محافظات ظفار وشمال الشرقية (بنسبة ٦,٠٪) ومسندم (بنسبة ٣,٦٪) والبريمي (بنسبة ١,٣٪).

**جدول رقم (٥). التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة حسب طبيعة سكنهم الحالي.**

| طبيعة السكن الحالي | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $\chi^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| داخل الجامعة | ١٣٤ | ٪٢١,٦ | ٧٣٩ | |
| خارج الجامعة، سكن خاص مع طلاب آخرين | ٣٣٤ | ٪٥٤,٠ | | |

**تابع جدول رقم (٥).**

| طبيعة السكن الحالي | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| ادخل الجامعة | ١٣٤ | ٪٢١,٦ | | .٠٠٠ |
| سكن خارجي منفرد | ٣٧ | ٪٦,٠ | | |
| سكن منفرد مع الزوجة والأطفال | ٣ | ٪٠,٥ | | |
| سكن خارجي عند الأهل في مسقط | ٩٣ | ٪١٥,٢ | | |
| سكن خارجي عند الأهل خارج مسقط | ١٧ | ٪٢,٧ | | |
| المفقودة | ١ | ٪.٢ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

تبيّن نتائج الجدول رقم (٥) والمتعلقة بالتوزيع النسبي لطبيعة سكن الطلاب الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية، تركزهم عند السكن الخاص والمشترك خارج الجامعة وبنسبة قوامها (٠,٥٤٪)، تليها فئة الطلبة القاطنين داخل الجامعة وبنسبة بلغتْ (٢١,٦٪) وهم عادة من الطلبة الإناث. بالمقابل تنخفض هذه النسبة لدى الطلبة الذين يقطنون بسكن خارجي (عند الأهل) في محافظة مسقط، ولدى الطلبة الذين يسكنون خارج الجامعة بصورة منفردة وبنسبة (٠,١٥٪، ٦٪) وعلى التوالي، ما يوضح أهمية طبيعة السكن بالنسبة للطلبة قيد الدراسة، في تحديد أوضاعهم الأكاديمية، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج الدراسات السابقة التي أكَّدتْ أهمية طبيعة مكان السكن للطلبة ودوره الفاعل في تحديد ملامح تحصيلهم الأكاديمي (Boute el al،2007 )، وعزتْ دراسة الحارثي وآخرون (الحارثي، وآخرون، ٢٠١١م.) تردي أوضاع الطلبة القاطنين خارج الحرم الجامعي بسبب سكنهم المستقل وما صاحبه من الانفصال عن الأسرة الأصل وما يترتب عليه من كثرة المسؤوليات الاجتماعية والاقتصادية، وهدر وقتهم، وبالتالي تردي أوضاعهم الأكاديمية، كما تنسجم مع النتائج التي خلصت إليها دراسة كل من سليمان والمنيزل والبحراني (سليمان والمنيزل ١٩٩٩م؛ Albahrani،2004 )، اللتين أكَّدتا أنَّ الطلبة الذين

يقطنون داخل الحرم الجامعي أكثر اندماجًا وتوافقًا، وأقل تعرضًا للتحديات المصاحبة لانتقالهم للحياة الجامعية، وتؤكِّد هذه النتائج بمجملها أهمية طبيعة مكان السكن وما يترتب عليه من آثار اجتماعية واقتصادية ونفسية مختلفة على أوضاع الطلبة الأكاديمية.

**جدول رقم (٦) . التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة حسب نوعية السكن.**

| نوعية السكن | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $كا^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| شقة | ٢٢٨ | ٪٣٦,٨ | ٥٩٧٣ | .٠٠٠ |
| فيلا | ١٢٧ | ٪٢٠,٥ | | |
| سكن (طالبات داخل الجامعة) | ١٣١ | ٪٢١,٢ | | |
| سكن مع طلاب خارج الجامعة | ١٣٢ | ٪٢١,٣ | | |
| المفقودة | ١ | ٪.٢ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

تبين نتائج الجدول رقم (٦) أنَّ معظم الطلاب الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية هم الطلبة الذي يقطنون في شقة وبنسبة بلغت (٣٦,٨٪)، تليها "السكن مع طلاب خارج الجامعة" وبنسبة (٢١,٣٪) و"سكن طالبات داخل الجامعة وبنسبة (٢١,٢٪)، والذين يسكنون في فيلا وبنسبة بلغتْ (٢٠,٥٪)، وتجدر الإشارة بهذا الخصوص أنَّ جميع الطلبة الذين يقطنون في سكنات داخل الجامعة هم من الطلبة الإناث، وهي نتيجة تخلُص إلى تأكيد تركّز سكن الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية عند فئة الطلبة الذين يقطنون في شقة، وهي نتيجة تحتاج لمزيد من البحث والتقصي، خصوصًا لما يمكن أنْ يتضمنه نمط سكن الطلاب في شقة من آثار وانعكاسات اجتماعية ونفسية مختلفة على وقوع الطلبة في الملاحظة الأكاديمية.

**جدول رقم (٧). التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة حسب ظروف السكن.**

| ظروف السكن | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| مريحة جدًا | ٩٣ | ٪١٥ | ١٤٦ | .٠٠٠ |
| مريحة نوعًا ما | ٣٣٧ | ٪٥٤,٤ | | |
| غير مريحة إطلاقًا | ١٨٨ | ٪٣٠,٤ | | |
| المفقودة | ١ | ٪.٢ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

كما تبرز نتائج الجدول رقم (٧)، وبصورة جليّة **انخفاض رضا الطلاب قيد الدراسة عن نوعية السكن الذي يقطنونه**، إذ أشار ما نسبته (٤,٣٠٪) من الطلبة أنَّ **أحوال سكنهم غير مريحة إطلاقا**؛ في حين أشار (٤,٥٤٪) منهم أنَّ أحوال سكنهم مريحة نوعًا ما، بالمقابل بينت نتائج الدراسة أنَّ هناك ما نسبته (١٥٪)، فقط من هؤلاء الطلبة راضون بصورة كبيرة عن طبيعة سكنهم وأحواله، وهذه النتيجة تؤكِّد بمجملها وجود حالات واضحة **من عدم الرضا لدى الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية تجاه طبيعة سكنهم وأحواله**، وهي نتيجة تتفق مع ما خلصت إليه كلٌّ من دراسة سليمان والمنيزل (١٩٩٩م.) والبحراني (٢٠٠٤م.) وكارنز (Karns،1999 ) ونيكبون (Nicpon،et.at. 2007 )، عن انخفاض رضا الطلبة الذين يقطنون خارج حرم الجامعة عن نوعية المساكن التي يقطنونها، وعدّوها أهم محركات تراجع تحصيل الطلبة الأكاديمي.

**جدول (٨) التوزيعات التكرارية والنسبية لوجهات نظر الطلاب حول دور نوعية السكن في وقوعهم تحت الملاحظة**

| هل كان لطبيعة ونوعية السكن مردود سلبي على أوضاعهم الأكاديمية | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| نعم | ٤١٢ | ٪٦٦,٦ | ٦٨ | .٠٠٠ |
| لا | ٢٠٦ | ٪٣٣,٣ | | |
| المفقودة | ١ | ٪.٢ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

يبدو من المراجعة التقييمية لنتائج جدول رقم (٨) أنَّ هناك موقفاً واضحاً لدى أغلب الطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية، كما أنَّ طبيعة ونوعية سكنهم لها مردود سلبي على تحصيلهم الأكاديمي؛ إذ أشار أكثر من ثلث الطلبة قيد الدراسة، أي: بما نسبته (٦٦,٦٪) إلى أن طبيعة السكن ونوعيته كان لها دور فاعل في وقوعهم تحت الملاحظة الأكاديمية، مقابل (٣٣,٣٪) من الذين أشاروا أنَّ طبيعة السكن ونوعيته لم يكن لها أي علاقة في ذلك، وهي نتيجة تستحق مزيدًا من البحث والدراسة لمعرفة طبيعة الآثار الممكن أن تتركها نوعية السكن على وقوع الطلبة وتحصيلهم الأكاديمي.

وبصورة عامة تؤكِّد النتائج أنَّ أغلب الطلبة قيد الدراسة هم من محافظة الباطنة شمال ومن محافظة مسقط، ومن الذين يقطنون في سكن خاص في شقة مع زملائهم من الطلبة، ومن الذين يعتقدون أنَّ أوضاع سكنهم غير مريحة شكَّلت أهم أسباب تراجع مستواهم الأكاديمي، كما تبيِّن نتائج (مربع كاي) أهمية الآثار المترتبة على نوعية السكن للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية؛ إذ جاءت معظم تأثيرات هذه المتغيرات ذات دلالة إحصائية معنوية ومهمة عند مستوى دلالة (٠,٠٥٪ فأقل)، وتعدُّ هذه النتيجة بمضامينها من النتائج المهمة التي تستحق التوقف عندها مطولًا، ونبش تفاصيلها من الجوانب كافة وبكثير من الدقة والعمق؛ لأهميتها في تقديم رؤى وتصورات دقيقة عن حيثيات هذه الجوانب في تردي أوضاع الطلبة أكاديميًا.

**ثالثًا: طبيعة وسائل النقل والمواصلات وأثرها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية**

يهدف هذا الجزء من الدراسة إلى معاينة وتقصي طبيعة وسائل النقل والمواصلات وأثرها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية، ومحاولة فهم هذه الجوانب سعيًا لتحقيق معرفة أكثر عمقًا وتفصيلًا لخصوصية آثارها وتفاصيلها من جوانب وأبعاد مختلفة، وفيما يأتي عرضٌ مفصلٌ لأهم هذه النتائج:

**جدول رقم (٩). التوزيعات التكرارية والنسبية لدور مشكلة المواصلات في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية.**

| مشكلة المواصلات ودورها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| نعم وبشكل كبير | ٢١٢ | ٣٤,٢٪ | ٠،٤١٧ | .٨١٢ |
| بعض الشيء | ٢٠٧ | ٣٣,٤٪ | | |

**تابع جدول رقم (٩).**

| مشكلة المواصلات ودورها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| لا لم يكن لها تأثير | ١٩٩ | ٣٢,١٪ | | |
| المفقودة | ١ | ٠.٢٪ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ١٠٠٪ | | |

أمَّا فيما يتعلق بمشكلة النقل والمواصلات ودورها في وقوع الطلبة تحت الملاحظة الأكاديمية، فقد عَدَّ نسبة واضحة من الطلبة قيد الدراسة من أبرز المشكلات التي تواجههم، والتي كان لها دور مهم في تردي أوضاعهم الأكاديمية؛ إذ أشار ما نسبته (٣٤,٢٪)، من هؤلاء الطلبة أنَّهم **يعانون فعلًا وبشكل كبير من هذه المشكلة ومن صعوبة الوصول إلى الجامعة**، كما أشار ما نسبته (٣٣,٤٪)، بأنَّهم يعانون بعض الشيء من هذه المشكلة، ممَّا يسهم في هدر كثير من جهدهم ووقتهم وعدم استغلاله بصورة أمثل في الدراسة بالمقابل أشار ثلث هؤلاء الطلبة، أيْ: ما نسبته (٣٢,١٪) إلى أنَّ مشكلة المواصلات والنقل لم يكن لها تأثير على تحصيلهم الأكاديمي (مع ملاحظة أنَّ نسبة مهمة من الطلبة الإناث اللاتي يقطن داخل الحرم الجامعي)، وتتفق نتائج هذه الدراسة مع ما خلصت إليه دراسة الحارثي وآخرون (الحارثي وآخرون، ٢٠١١م.) إذ أظهرت ارتفاع درجة معاناة طلبة جامعة السلطان قابوس من مشكلة النقل والمواصلات خصوصًا لدى الطلبة الذكور.

**جدول رقم (١٠). التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة حسب وسيلة النقل التي يستخدمها الطلاب.**

| وسيلة النقل | العدد Frequency | النسبة٪ percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| سيارتي الخاصة | ٢٠٨ | ٣٣,٦٪ | ٢٥٦ | .٠٠٠ |
| سيارة أحد الزملاء | ٤٦ | ٧,٤٪ | | |
| سيارة الأهل | ٤٤ | ٧,١٪ | | |

**تابع جدول (١٠) .**

| وسيلة النقل | العدد Frequency | النسبة٪ percent | مربع كاي $x^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| الحافلة الجامعية | ٩٥ | ٪١٥,٣ | | |
| سيارة أجرة | ١٧٦ | ٪٢٨,٤ | | |
| سيرًا على الأقدام | ٤٧ | ٪٧,٦ | | |
| المفقودة | ٣ | ٪.٥ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ٪١٠٠ | | |

وللولوج أكثر في حيثيات وتفاصيل مسألة النقل والمواصلات لدى الطلبة وأثرها في وقوعهم تحت الملاحظة الأكاديمية، فقد جرى معاينة نوعية وسائل النقل التي يستخدمونها للوصول إلى حرم الجامعة، إذ أشارت نسبة واضحة منهم إلى أنَّ لديهم سيارة خاصة تقلهم للجامعة وبنسبة بلغتْ (٣٣,٦٪)، في حين أشار (٢٨,٤٪) أنَّهم يستخدمون سيارة الأجرة، كما أشار (١٥,٣٪) منهم أنَّهم يستخدمون الحافلة الجامعية للوصول إلى الجامعة، وقد توزَّعت بقية النسب بين سيارة خاصة بأحد الزملاء، وسيارة الأهل، واستخدام وسائل نقل متنوعة للوصول للجامعة، كما توضح نتائج الدراسة أنَّ هناك نسبة واضحة من **الطلبة يصلون إلى الجامعة سيرًا على الأقدام** وبما نسبته (٧,٦٪)، وقد يعود ذلك بسبب قُرب منطقة سكنهم للجامعة، غير أنَّ هذه النتيجة تستدعي الانتباه وتستحق مزيدًا من التقصي والمعاينة، وتؤكِّد وجود معاناة حقيقة لدى شريحة مهمة من الطلبة من مشكلة المواصلات والنقل للوصول إلى الحرم الجامعي.

**جدول رقم (١١). التوزيعات التكرارية والنسبية للطلاب الواقعين تحت الملاحظة حسب المسافة التي يقطعونها يوميًا للوصول إلى الجامعة.**

| المسافة التي يقطعونها يوميًا | العدد Frequency | النسبة٪ Percent | مربع كاي $كا^2$ | الدلالة الإحصائية (sig) |
|---|---|---|---|---|
| بعيدة / وتتطلب جهدًا كبيرًا | ١٠١ | ١٦,٣٪ | ١٩٥ | .٠٠٠ |
| متوسطة البعد | ٣٠٥ | ٤٩,٣٪ | | |
| قريبة / ولا تتطلب جهدًا | ١٠٧ | ١٧,٣٪ | | |
| أسكن داخل حرم الجامعة | ١٠٥ | ١٦,٩٪ | | |
| المفقودة | ١ | ٢..٪ | | |
| المجموع | ٦١٩ | ١٠٠٪ | | |

وتتأكد حجم معاناة الطلبة عند معاينة مقدار حجم المسافة التي يقطعها الطلبة يوميًا للوصول إلى الجامعة (من وجهة نظر الطلبة أنفسهم)، إذ أكَّد (١٦,٥٪) من الطلبة قيد الدراسة أنَّ المسافة التي يقطعونها للوصول إلى الجامعة تعدُّ بعيدة ومتعبة، ممَّا قد يؤثر بصورة واضحة على تحصيلهم الأكاديمي، كما أشار (٤٩,٣٪) أنَّ هذه **المسافة تعدُّ بعيدة بعض الشيء**. بالمقابل أشار ما نسبته (١٧,٣٪) من الطلبة أنَّ المسافة المقطوعة للوصول إلى الجامعة قريبة ولا تتطلب جهدًا كبيرًا، كما بيَّن ما نسبته (١٦,٩٪) أنَّهم يسكنون داخل الحرم الجامعي وليسوا بحاجة لوسيلة نقل (وهم أصلًا من الطلبة الإناث)، وتجدر الإشارة بهذا السياق، إلى أنَّ الطلبة القاطنين في السكنات الداخلية للجامعة (هم من الإناث) اللاتي تتوافر لهن كثير من التسهيلات والخدمات سواء كانت أكاديمية أو اجتماعية أو ثقافية، بسبب قرب مناطق سكنهن من الخدمات التي توفرها الجامعة كالمكتبة ومصادر التعلم، والأنشطة الطلابية والأكاديمية التي تُعقد داخل الحرم الجامعي، كما تتوافر لهن تسهيلات معيشية، مثل: الوجبات الغذائية، والتسهيلات الأمنية والصحية، والواضح من الأدبيات السابقة أنَّ السكن داخل حرم الجامعة يجنب كثيرًا من الطلبة الإناث مشكلات معيشية مختلفة كمشكلة المواصلات، ويجنبهن كذلك مسألة هدر كثير من الوقت للوصول إلى حرم الجامعة، إضافة إلى توافر أماكن مثالية للدراسة، وفرص تكوين صداقات جديدة ما يسهم بالترويح عنهن نفسيًا واجتماعيًا (سليمان والمنيزل، ١٩٩٩م.).

ويبدو أنَّ طبيعة السكن ونمطه ومدى بُعده عن الجامعة، ونوعية وسائل النقل التي يقلها الطلبة للوصول إلى الجامعة، كلها عوامل قد تشكل عوائق

حقيقية تجاه تحصيل الطلبة الأكاديمي، لما يقترن بها من صعوبات بدنية واقتصادية ونفسية، ولما يصاحبها من تراكم لمعاناة الطلبة، الأمر الذي قد ينعكس سلبًا على تحصيلهم الأكاديمي.

وبهذا السياق تذهب نتائج بعض الدراسات السابقة لتفسير مثل هذه النتائج في ضوء **طبيعة السكن المستقل والبعد عن الأهل وما قد يحمل الطالب من مسؤوليات مادية ومعيشية وضغط نفسي**، الأمر الممكن أنْ يؤثر سلبًا على تحصليه الأكاديمي (الحارثي وآخرون، ٢٠١١م؛ المنيزل، ١٩٩٩م.)، وتتفق نتائج دراستنا هذه مع نتائج دراسة كارنز (Karns،2002 )، التي أكَّدتْ أنَّ الطلبة المقيمين داخل السكنات الجامعية عادة ما يكونون أقل تعرضًا للمشكلات الأكاديمية على عكس الطلبة الذين يقطنون خارج السكنات، حيث يتعرضون لجملة من المشكلات ذات الصيغ الاجتماعية والثقافية والمادية المتنوعة، إضافةً لمشكلات النقل والمواصلات، وتؤكِّد نتائج الدراسة نفسها بهذا الخصوص أنَّ الطلبة الذين يقطنون خارج الحرم الجامعي يعانون عادة من مشكلات عديدة، ومن صعوبات في التوافق الاجتماعي والنفسي، وهم عادة أقل إنجازًا في أدائهم الأكاديمي مقارنة بالطلبة القاطنين داخل حرم الجامعة، وتعدُّ هذه النتائج منسجمة أيضًا مع نتائج دراسة نيكبون (Nicpon، et. al،2007 ) التي أكَّدت أنَّ إقامة الطلبة خارج الحرم الجامعي شأنها أن تؤثر سلبًا على عملية تكيفهم الاجتماعي، وعلى أدائهم الأكاديمي، كما تتفق نتائج دراستنا مع ما ذهبت إليه دراسة (المنيزل، ١٩٩٨م.) التي أكَّدت أنَّ الطالبات الإناث في جامعة السلطان قابوس هن بالعادة أقل تعرضًا للوقوع تحت الملاحظة الأكاديمية، فمعظمهُنَّ يقضين جزءًا كبيرًا من وقتهن داخل الحرم الجامعي، وفي سكنات داخلية مجهزة بكافة وسائل الراحة، ويتوافر لهُنَّ عادة بيئة اجتماعية وثقافية مناسبة للإنجاز والمنافسة.

هذا وتؤكِّد نتائج "مربع كاي" أهمية أثر طبيعة وسائل النقل والمواصلات ومتلازماتها على واقع الطلبة قيد الملاحظة الأكاديمية، إذْ جاء معظم تأثير هذه المتغيرات ذو دلالة إحصائية معنوية ومهمة عند مستوى دلالة (٠,٠٥٪ فأقل).

## النتائج والتوصيات

هدفت هذه الدراسة وبصورة محددة للوقوف **على الظروف والملابسات ذات العلاقة بطبيعة ونوعية السكن والمواصلات للطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية** وتقصي ومعاينة هذه الجوانب بكثيرٍ من العمق والتفصيل في محاولة الخروج بمجموعة من التوصيات العملية، والتي يمكن أنْ تسهم في معالجة هذه الظاهرة أو الحدِّ منها، وقد استهدفت الدراسة جمع بيانات عن **الطلبة الذين وقعوا تحت الملاحظة**

**الأكاديمية** في جامعة السلطان قابوس، والذين حولوا نتيجة لذلك إلى لجان إدارية متخصصة لمتابعة أوضاعهم الأكاديمية في الجامعة، أو صدرت بحقهم عقوبات أكاديمية تراوحت بين (الملاحظة من الدرجة الأولى حتى السادسة). وقد بلغ حجم العينة التي أُجريتْ عليها الدراسة (٦١٩) طالبًا وطالبة من الواقعين حاليًا تحت الملاحظة الأكاديمية، كما جُمعت البيانات بواسطة استبانة إلكترونية خاصة أُعدِّتْ لهذه الغاية، وجرى الاستعانة بالمنهج الوصفي لتحليل الظاهرة ومعاينتها باستخدام عدة أساليب إحصائية مناسبة لمعالجة البيانات، كما توزّعت بين النماذج الإحصائية الوصفية البسيطة تمثَّلت في التوزيعات النسبية والتكرارية (Percentages)، والنماذج الإحصائية الوصفية الثنائية ممثلة بنموذج تحليل مربع كاي (Chi-Square)؛ لتحقيق أهداف دراستنا هذه، وكشف اتجاه تركز هذه الفروق النسبية، ولصالح من تتركز، وقد جرى الاستعانة بالبرنامج الإحصائي المعروف في العلوم الاجتماعية (SPSS)، لمعالجة البيانات وإجراء التحليلات الإحصائية المناسبة.

## أهم نتائج الدراسة

خلصت الدراسة التي كُرِّستْ لمعاينة أثر حوال السكن والمواصلات ودورهما في تراجع تحصيل الطلبة الدراسي ووقوعهم تحت الملاحظة الأكاديمية في جامعة السلطان قابوس لمجموعة من النتائج وهي:

١- أغلب الطلبة قيد الدراسة هم من محافظة شمال الباطنة ومن محافظة مسقط، ومن الذين يقطنون في سكن خاص في شقة مع زملائهم من الطلبة، ومن الذين يعتقدون أنَّ أحوال سكنهم غير مريحة والتي شكَّلت أهم أسباب تراجع مستواهم الأكاديمي، وهم غير راضين عن نوعية السكن الذي يقطنونه.

٢- هناك معاناة واضحة لدى الطلبة قيد الدراسة من عدم توافر وسائل للنقل إلى الجامعة؛ ما يُسهم في هدر جزء كبير من وقتهم وعدم استغلاله بصورة أمثل، وقد عبَّر جزء كبير من الطلبة في جامعة السلطان قابوس عن معاناتهم بسبب بعد المسافة التي يقطعونها يوميًا للوصول إلى الجامعة وعدَّوها (بعيدة أو بعيدة بعض الشيء ومتعبة).

٣- يبدو أنَّ طبيعة السكن ونمطه ومدى بعده عن الجامعة، ونوعية وسائل النقل التي يقلها الطلبة للوصول إلى الجامعة، كلها عوامل قد تشكل عوائق حقيقية إزاء تحصيل الطلبة الأكاديمي، لما يقترن بها من صعوبات بدنية واقتصادية ونفسية، ولما يصاحبها من تراكم لمعاناة الطلبة، الأمر الذي قد ينعكس سلبًا على تحصيلهم الأكاديمي.

**توصيات الدراسة**

١- تبقى مشكلة المواصلات وعدم توافر وسائل نقل إلى داخل الجامعة من أهم الصعوبات التي تواجه الطلبة، والتي تُسهم في هدر جزء كبير من وقتهم وعدم الاستفادة منه وعدم القدرة على تنظيمه، ما يؤكِّد أهمية السعي لمعالجة مثل هذه المشكلات والحدِّ من آثارها على الطلبة، مثل: القيام بتوفير مواصلات عامّة لطلاب السكنات الخارجية وعلى أزمنة مختلفة.

٢- كما تبقى أوضاع سكن الطلبة الذكور خارج حرم الجامعة وما يواجهونه من تحديات وعجز بعض الطلبة عن إبراز استجابات وتكيفات مناسبة، فهناك عوامل مهمة في تدني تحصيلهم الأكاديمي، الأمر الذي يتطلب مزيدًا من الجهود لمعالجة أو الحدّ من آثار هذه المشكلة.

٣- الحاجة لمزيد من الأبحاث والدراسات، تكرس لعقد مقارنات بين الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية للطلبة المتفوقين أكاديميًا والطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية، ما يشكل أرضية خصبة للبحث والدراسة وإثراء المعرفة للظاهرة قيد الدراسة من جوانبها كافة.

٤- أهمية الالتفاف إلى أوضاع السكن والمواصلات، كونها قد تشكل مداخل مهمة يمكن الرهان عليها؛ لتحقيق فهم أكثر عمقًا عن ظاهرة تردي أوضاع طلبة الجامعة ووقوعهم تحت الملاحظة الأكاديمية، بسبب طبيعة الإشكاليات والمصاعب التي يمكن أنْ تتخللها ولما تتضمنه من أسباب متداخلة وانعكاسات مهمة وعميقة على الطلبة.

ويبدو أنَّ كثيرًا من جوانب هذه الظاهرة بقي غامضًا، ويكتنفه التعقيد وعدم الوضوح الأمر الذي يتطلب مزيدًا من الجهود البحثية الشاملة والمعمقة لتقصي ومعاينتها بكثير من التفصيل خصوصًا أنَّ أغلب الجهود البحثية السابقة لم تتعرض لتفاصيل هذه الظاهرة وحيثياتها، ممَّا يُبقي المجال مفتوحًا لمزيد من الأبحاث والدراسات لإزالة حالة الإبهام والغموض الذي يلّف هذه الظاهرة ولكشف أسبابها.

## المراجـــع

**المراجع العربية:**

**البحراني، منى والخواجه عبدالفتاح** (٢٠٠٨م.)، *"مسح حاجات الإرشاد المهني لطلبة جامعة السلطان قابوس وعلاقتها ببعض المتغيرات"* مجلة الدراسات التربوية والنفسية، جامعة السلطان قابوس مجلد ٢ عدد(٢).

**الجابري، الرشيدي** (٢٠٠٩م.) *"محددات الأداء الأكاديمي لطلاب وطالبات جامعة طيبة في المملكة العربية السعودية"* . **رسالة الخليج العربي،** العدد ١١١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.

**الحارثي، حمود وكاظم علي، الهاشمي، سالم والبحراني، منى** (٢٠١١م.) "*التنبؤ بالصعوبات التي تواجه الطلاب القاطنين خارج الحرم الجامعي في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية*" مجلة بحوث التربية النوعية، جامعة المنصورة عدد(٢٢).

**الدمياطي، سلطانة** (٢٠٠٦م.) "*المشكلات الأكاديمية لطالبات جامعة طيبة وعلاقتها بمستوى الأداء*: دراسة ميدانية". (دراسة غير منشورة).

**الراشد، إبراهيم** (٢٠٠٣م.) "**العوامل المؤدية إلى انخفاض المعدل التراكمي للطلاب والدارسين الملتحقين بكليات المعلمين من وجهة نظرهم**". مجلة كليات المعلمين، ٣ (١)، ١٠٦-١٨٣.

**الزبيدي، عبد القوي؛ والضامن، منذر عبدالحميد؛ وإبراهيم، علي محمد؛ وكاظم، علي مهدي؛ والصارمي، عبدالله محمد** (٢٠٠٢م.) *الصعوبات التي تواجه طلاب جامعة السلطان قابوس القاطنين خارج السكن الجامعي*. (دراسة غير منشورة). مسقط: جامعة السلطان قابوس.

**المنيزل، عبدالله** (١٩٩٨م.) "*عادات الدراسة لدى الطلبة المتفوقين والطلبة الواقعين تحت الملاحظة الأكاديمية، بجامعة السلطان قابوس* "مجلة دراسات العلوم التربوية مجلد٢٥ عدد٢، الجامعة الأردنية.

**العرجان، جعفر؛ والعضايلة، عدنان** (٢٠١٠م.) "*المشكلات التي يعاني منها طلبة جامعة البلقاء التطبيقية من وجهة نظرهم" أبحاث اليرموك*: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٢٦(١) ١١٣-١٤٠.

**دائرة التخطيط والاحصاء** (٢٠١٣م.) "*كتاب الإحصاء السنوي* ٢٠١٢-٢٠١٣م. العدد ١٧، جامعة السلطان قابوس، عمان.

**الوريكات، رياض** (١٩٩٩م). *مشكلات طلبة جامعة مؤتة/ الجناح المدني وحاجاتهم الإرشادية*: دراسة مسحية. مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد ٢٦، العدد (٢)، ص ٣٩٧-٤١١.

**دائرة التخطيط والإحصاء** (٢٠١٣م.) "*كتاب الإحصاء السنوي*". جامعة السلطان قابوس، عدد (١٧).

**سليمان، سعاد، والمنيزل، عبدالله** (١٩٩٩م.) "*درجة التوافق لدى طلبة جامعة السلطان قابوس وعلاقتها بكل من متغيرات الجنس والفصل الدراسي والمعدل التحصيلي والموقع السكني*". مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد ٢٦، العدد (١)، ص ١- ١٦.

**كرادشة، منير** (٢٠١٣م.) "*موضوعات في الإحصاء الاجتماعي ومنهج البحث العلمي*". مركز أمية للتحليل الإحصائي. إربد الأردن.

**لطفي، طلعت** (٢٠٠١م.) *التنشئة الاجتماعية الأسرية والتحصيل الدراسي* (دراسة ميدانية لعينة من الطالبات المتفوقات وغير المتفوقات بجامعة الإمارات العربية المتحدة). مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (١)، مجلد (١٧)، ص٤٦- ٩١.

**محمد، شوقي** (٢٠١٣م.) *"تطوير برنامج قائم على الويب لتحسين مستوى الإرشاد الأكاديمي بجامعة السلطان قابوس"*. مجلة كلية التربية، الجزء الأول، جامعة المنصورة العدد(٨٢).

## المراجع الأجنبية:

**Albahrani, M**. (2004). *An investigation of the help seeking process among Omani students at Sultan Qaboos University*. Unpublished doctoral dissertation, Ohio University.

**Boute, V. Pancer. S, Pratt. M, Adams**. *G, Birimie-Lefcovitch. S, Polivy. J & Wintre.* M (2007). "The important of friends: Friendship and adjustment among 1st-Year university students ". Journal of Adlescent Research, Vol.22, No.6, p 665- 689.

**Crocker. J** (2014). *"Level of Self-Esteem and Contingencies of Social and Financial Problems in College Students* ". **SAGE**, University of Michigan.

**Ibrahim, A. M, Yahya & Al-Barwani,T. A** (1993). *"A study of Omani Secondary school Certificate Examination as a Predictor of Academic Performance of Sultan Qaboos University* ". **Research in college Teaching, Practicum Research in Sultan Qaboos University**, Vol.1, p 1-29.

**Jaggia. S & Kelly-Hawke, A** (1999)."*An analysis of factors that influence student performance*: A fresh approach to an old debate".**Contemporary Economic Policy**, vol. 17.

**Karns, D**. (2002). *The impact of residence halls on first year students' academic success, satisfaction, and behavior*. Unpublished doctoral dissertation, Clemson University.

**Mckenze.k, & Schwetzer. R**" (2001). "*Who succeed at university? Factors in first year Australian Unversity students*". Higher education research and development Vol(20) no(1)

**Nicpon, M., Megan, F., Huser, L., Blanks, E., Sollenberger**, **S., Befort, C., & Kurpius,** S. (2007). *The Relationship of Loneliness and social Support with College Freshmen's Academic Performance and Persistence*. Journal of College Student Retention: Research, Theory & Practice; 8 (3), 345-358.

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص ١٨٥-٢١٣، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# العوامل المحددة للوعي الاجتماعي الأمني ودوره في وقاية المراهقات من الجريمة

**سراء محمد حسن الشهري**

*أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإدارية والاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية*

(قدم للنشر في ٥/ ٧/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١/ ١/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية** : التوعية الأمنية، الوقاية مِنَ الجريمة، جريمة المراهقات، مؤسسات التنشئة.

**ملخص البحث:** هَدُفَ البحث للكشف عن العوامل الاجتماعية المؤثرة في تكوين الوعي الاجتماعي الأمني لدى المراهقات، ودور هذا الوعي في وقايتهن من الجريمة.

وتكوَّن مجتمع البحث من طالبات المرحلة الثانوية السعوديات في المدارس الحكومية بالنظام العام النهاري بمدينة الرياض للعام الدراسي (١٤٣٥-١٤٣٦ه.) هـو البالغ عددهن (٤٤٢٠٩طالبة)، وعينة حجمها (٣٨٢طالبة)، واستخدم البحث المنهج الوصفي المسحي بمقياسين ومجموعة من العبارات الموقفية.

أهم النتائج:

١-وجود وعي أمني بنسبة مرتفعة لدى المراهقة عن الأخطار المتعلقة بالدين والنفس والعرض، وبنسبة متوسطة عن الخطر المتعلق بالمال، والعقل، والخطر المتعدد.

٢-يتأثر الوعي الأمني للمراهقة بنسبة كبيرة بعاملي الأسرة والصديقات، وبنسبة متوسطة بعامل المدرسة والإعلام والإنترنت، والأنشطة والمهارات والهوايات.

٣-توجد علاقة عكسية تامة بين وعي المراهقة الأمني وكلٌّ من: الانخراط في علاقات عاطفية دون رابط شرعي، التعرض للابتزاز، الجناية على النفس أو الغير تجنبًا للفضيحة. وشبه تامة بين وعي المراهقة الأمني وبين كلٍّ من: التهاون بالذهاب مع الغرباء، الخروج مع شاب دون رابط شرعي، تعاطي المخدرات.

٤-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة مرتبطة بالعيش مع الوالدين، أو تعليم وعمل الوالد، أو أسبقية السفر لخارج المملكة. في حين وُجدت فروق في الوعي بالخطر المرتبط بالدين مرتبطة بتعليم الوالدة، وفروق في الوعي المرتبط بالنفس والعرض والمال والوعي الشامل مرتبطة بعمل الوالدة، وفروق في الوعي الشامل مرتبطة بدخل الأسرة.

# Specific social awareness of security factors and its role in the Prevention of teenage crime

**Sarraa Mohammed Hassan Alshehri**
*Academic Rank ,Assistant to Dr. Specialization, Sociology , Faculty, Administrative and Social Sciences, University: Naif Arab Academy for Security Sciences, Riyadh, Saudi Arabia*

(Received 5/7/1437H; Accepted for publication 1/1/1438H)

**Keywords:** : Security awareness, prevention of crime, teenage crime, upbringing institutions.

**Abstract:** The research aims to reveal the social factors affecting security in the formation of social awareness among the teenagers and the role of this awearness in protecting them from crime.The research targeted female students from the public governmental schools for the year1436 -1437 And their number is 44209, Sample size 382 student.

The research used the descriptive survey in two metrics and a set of attitudinal paragraphs

The results:

There is a high security awareness about the danger related to religion, oneself, and honor, and average awareness about the danger related to money, mind, and amultiple dangr

Teens' security awareness is largely influenced by family and girlfriends, and is, to some extent, influenced by school, media and the Internet, and activities, skills or hobbies

AComplete reverse a connection between security awareness and: Relations illegal, blackmailing, Suicide or crime on others.and Almost complete with all of the: Complacency out with strangers, going out with a guy without a legitimate relation, abuse drug

There are no differences in awareness associated with: Living with parents, or parent education level, jobs, Travel out before. While, there are differences associated with religion, mother' education level, jobs, and family income.

**المقدمة**

حين امتنَّ الله على عباده في كتابه العزيز ذكّرهم بعظيم ما رزقهم به من نعمتي الإطعام والأمن، وهذا العطف دليلٌ على التماثل في الأهمية، الأمر الذي يقرن الأمن بأهم الحاجات العضوية الأولية والتي هي الطعام، وحين دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه سأله الأمن للبلد الحرام، وضمنه لمن دخله بضمان خالقه عز وجل، وعدّه الله سبحانه وتعالى جزاءً لمن آمن ولم يُلبس إيمانه بظلم، ذلك أنَّ الحياة بدون الأمن لا يمكن أنْ تستقر، والإنسان بدون شعوره بالأمن لا يستطيع العيش فضلًا عن التمتع بمُتع الحياة الأخرى، فالأمن غاية يسعى لتحقيقها البشر منذ الأزل، وبلوغه المحرك لجهود البشرية، والحافز لتقدمها.

"والمتأمل للوعي في وطننا العربي يلمح فجوة تزداد اتساعًا يومًا بعد يوم بين الآمال والطموحات الاجتماعية المعلقة على النظام التعليمي المرتبط بالوعي الاجتماعي الأمني، وبين القدرات الحقيقية التي تترجم تلك الآمال والطموحات" (طنش،١٩٩٣م:ص١٣)، وتتمثل أولى خطوات المشاركة في المنظومة الأمنية في تنمية الوعي الأمني المتعدد، فالمواطن هو رجل الأمن الأول، به وعن طريقه ومن أجله توضع الخطط وتنفذ السياسات. ويعدُّ وعيه بالمخاطر المحيطة به حجر الأساس في اجتنابها، ولهذا كان حذيفة -رضي الله عنه- يسأل الرسول -صلى الله عليه وسلم -عن الشر بخلاف الصحابة؛ مخافة أنْ يقع فيه. ويشكل الجهل بعواقب الأفعال سببًا رئيسًا في التعرض لعقابها، كما يعدُّ الفهم القاصر لمستجدات الأمور ركنًا في سوء التفاعل معها، وحين يُذكر الجهل فإنَّنا بالتأكيد نعاني من خلل في عمليات التنشئة الاجتماعية، وهذا الخلل تنوء به عدة مؤسسات تقاسمت المسؤولية مع ربّتها سابقًا وهي الأسرة، بل وباتت تتفوق عليها في مواضع شتى.

وتعدُّ عملية إيجاد الوعي من العدم للفرد مهمة شاقة، تحتاج لأساليب متعددة وحديثة في تنفيذها، وتتطلب إستراتيجيات شاملة لتحقيقها، ما يجعلها أمرًا جوهريًا في سياسات الدول ومؤسساتها المختلفة، سعيًا لحماية الإنسان من الوقوع في المخاطر، وحماية للبلاد من تبعات انعدام الوعي لمواطنيها، وصيانة لمواردها ومقدراتها من الاستنزاف، الأمر الذي يستدعي جهودًا جبارة ومبكرة ومستمرة لضمان القيام به على أكمل وجه، وبالرغم من أهمية عملية إيجاد الوعي فإنَّه ونظرًا للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي طالت العالم بأسره، أصبحت عملية إعادة تشكيل الوعي لا تقلُّ عنها أهمية، ويأتي ذلك عند وجود انحراف أو تشويه في وعي الفرد يستوجب معه تصحيح الفكر، واجتثاثه من براثن التغرير والتزييف التي وقع بها نظرًا للإهمال، أو بفعل برامج الاستهداف الموجهة ضده.

**مشكلة البحث**

شهد المجتمع السعودي في العقود الأخيرة تغيرات كبيرة، شملت النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية ...الخ، وهذه التغيرات أدَّتْ بدورها إلى تغيرات أخرى في سبل العيش لأفرادها، وفي التفاعل مع البيئة البشرية والمادية المحيطة من جهة، ومع الأنظمة والقوانين من جهة أخرى، ومع العالم الخارجي بما يحمله من متغيرات من جهة ثالثة. وقد نتج عن هذه التغيرات اتجاهين متناقضين: أحدهما إيجابي نحو التنمية والرفاهية الاقتصادية، والآخر سلبي نحو الجريمة والانحراف.

ومع تنامي الجريمة في المجتمعات وتطور أساليبها وازدياد عدد ضحاياها وتعاظم آثارها، أصبح من الضروري تكاتف الجهود للسيطرة عليها وإبقاءها ضمن الحدود الطبيعية في ظهورها وتطورها، الأمر الذي يحتم النظر بعين ثاقبة لمكونات الفعل الإجرامي ومحاولة خلق جبهات مضادة تعمل كقوى دافعة لكل من الإرادة والفرصة والمقدرة الإجرامية. وتشمل سياسة التصدي للجريمة في المجتمع قطبين رئيسيين، هما: الجانب الوقائي والجانب العلاجي واللذان يمثلان عجلة السيطرة على الجريمة والحدّ من تناميها؛ لذا فمن الضروري إعطاء كلاهما حقّه من العناية والاهتمام بحثًا وتمحيصًا وتحكيمًا واستشرافًا، للارتقاء بالإستراتيجيات الموضوعة والخروج بنتائج متوافقة مع سرعة التغير في المجتمعات وتنامي مظاهر الانحراف بها.

وتُعدُّ مرحلة المراهقة من أخطر مراحل حياة الإنسان، حيث يكون فيها أكثر عرضة للانحراف سواء كان ذكرًا أو أنثى، ويرجع ذلك لتوسط هذه المرحلة بين مرحلتي الطفولة والرشد، وما يحدث بها من انعدام التوازن بين النمو الجسدي والنمو العقلي المعرفي للفرد، ما يجعله أكثر عرضة للخطر لوجوده بين مطرقة الاندفاع والرغبة في رؤية العالم من حوله وتجربته والتعرف عليه، وبين سندان الجهل وانعدام الخبرة بالمخاطر المحدقة به، إضافة لما يتمتع به من القوة البدنية واكتمال الحيوية والنشاط مع ما يسيطر عليه في هذه المرحلة من العواطف المتأججة والغرائز القوية، والتي قد تدفعه إلى القيام بأعمال لا يدرك عواقبها.

وتشير جداول الإحصاءات الرسمية التابعة لوزارة الداخلية إلى وجود عدد من الجرائم المرتكبة في المملكة العربية السعودية من قبل المواطنين من الجنسين، حيث بلغ عدد المسجونين من السعوديين (٢٥٤٢٨)، منهم (١٥٨) من الإناث، وكانت النسبة الأكبر منهُنَّ في منطقة الرياض والبالغ عددهن ٥٩ سجينة (الكتاب الاحصائي لوزارة الداخلية،١٤٣٤ه: ص١٤٨). وعن نوعية الجرائم المرتكبة على مستوى الإناث جاءت في المقدمة الجرائم الأخلاقية بواقع (٦٧) حالة، تلتها جرائم القتل والاعتداء على ما دون

النفس بواقع (٣٤) حالة، ثم جرائم المخدرات بواقع (٢٢) حالة، ثم باقي أنواع الجرائم بنسب متفاوتة (الكتاب الإحصائي لوزارة الداخلية،١٤٣٤ه: ص١٥٠).

وبالرغم من تزايد الاهتمام لدى الدول العربية بمجالات مكافحة الجريمة، إلَّا أنَّ هناك إهمال للجانب الوقائي، "فمن الملاحظ أنَّ مساحة العمل الأمني في مجال المكافحة يتقدم بشكل كبير على العمل الوقائي، وذلك من خلال ما تنفقه هذه الدول من أموال وما تقيمه من مؤسسات أمنية وما ترصده من إمكانيات بشرية لحصر الجريمة ومكافحة المجرمين، وهذا كله جاء على حساب العمل الوقائي الذي لم يحظَ حتى الآن بالاهتمام نفسه ولا بالسخاء نفسه، رغم أنَّ معظم الدراسات الاجتماعية والأمنية تؤكد أنَّ الوقاية هي الأصل والمكافحة هي الفرع، فضلًا أنَّ العمل الوقائي أقل كلفة وأكثر فاعلية. ومن هنا تأتي الدعوة إلى ضرورة التركيز على العمل الأمني الوقائي حلًّا لمشكلة الجريمة والانحراف في الوطن العربي" (حويتي، ١٩٩٦م:ص ٢٣٥).

وتتمثل أولى خطوات الوقاية في تنمية الوعي الأمني للإنسان وإكسابه مقومات المحافظة على حياته وحماية نفسه من الوقوع فريسة سهلة للجريمة، فاعلًا كان أو ضحية، حيث إنَّه وبتفشي وتنوع وتنظيم الجريمة في هذا العصر، أصبح إكساب النشء مهارات التعامل مع الأخطار وحماية أنفسهم من التعرض للانحراف والاستغلال ركيزة أساسية، لا تثمر سلام العيش وتقدم المجتمع فحسب، وإنَّما تتعدى ذلك لحماية الموارد المادية والبشرية وحفظ النوع واستمرارية الوجود.

وتختلف أهمية المؤسسات الفاعلة في تنمية الوعي باختلاف المجتمع، وفي المجتمع السعودي تختلف هذه المؤسسات باختلاف الجنس، فبالنسبة للإناث تعدُّ الأسرة والمدرسة والأقران ووسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية والجمعيات والهيئات الحكومية والأهلية المتخصصة أبرز المؤسسات المعنية بتنشئة الإناث، وقد أشارت بعض الأبحاث التي أُجريت محليًا إلى قصور في قيام تلك المؤسسات بدورها في التوعية، فعلى سبيل المثال أكَّد المشاركون في ندوة المجتمع والأمن في دورتها السادسة والمنعقدة في كلية الملك فهد الأمنية عام ١٤٣٢هـ. تحت عنوان: (التوعية الأمنية في مناهج التعليم العام)، على وجود ضعف في تطبيق التوعية الأمنية في المدارس وضرورة التكامل بين وزارتي التربية والتعليم والداخلية في وضع الخطط الإستراتيجية لضمان التوعية، وأوصت بإجراء المزيد من الدراسات للكشف عن أسباب هذا الضعف وضرورة التعاون المشترك والمستمر والتكاملي بين المؤسسات الرسمية وغير الرسمية في المجتمع لتطبيق التوعية الأمنية (موقع كلية الملك فهد الأمنية، http://www.kfsc.edu.sa/ResearchCenter/ExhibitionsSeminars/Seminars/SixthSymposium/Pages/default.aspx).

لذا فمن المهم تتبع الدور الذي تؤدِّيه هذه المؤسسات في إكساب الوعي، وتلمس انعكاساته على إدراك الشباب بسبل الوقاية من الانحراف، بوضوح الأهداف، ووسائل تحقيقها المشروعة، وقنوات التفاعل الآمنة، وآلية التعامل الصحيح مع المواقف والمشكلات الشخصية، والفهم العميق لدور الجهات الأمنية والحقوقية المخولة بحماية الأعراض والممتلكات، وطرق التواصل معها لضمان القدرة على مواجهة التهديدات الأمنية الشخصية ومحاولات الاستهواء أو الاستغلال التي قد يتعرضون إليها.

مما سبق يمكن تحديد مشكلة هذا البحث في التساؤل الرئيس الآتي: ما العوامل المحددة للوعي الاجتماعي الأمني وما دوره في وقاية المراهقات من الجريمة ؟

**تساؤلات البحث :**

يتفرع عن التساؤل الرئيس لهذا البحث مجموعة من التساؤلات الفرعية، تحاول الباحثة الإجابة عنها وهي:

١- ما واقع الوعي الاجتماعي الأمني لدى المراهقة في المرحلة الثانوية؟

٢- ما العوامل الاجتماعية المحددة للوعي الاجتماعي الأمني للمراهقة في المرحلة الثانوية؟

٣- ما علاقة الوعي الاجتماعي الأمني لدى المراهقة بوقايتها من التعرض للجريمة؟

٤- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي مرتبطة ببعض المتغيرات الديموغرافية للمراهقة؟

**أهداف البحث :**

سعت الباحثة بالإجابة عن تساؤلات البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١- التعرف على واقع الوعي الاجتماعي الأمني لدى المراهقة في المرحلة الثانوية.

ويتمثل هذا الهدف في الوعي بالخطر المرتبط بكل من الأبعاد الآتية: الدين، النفس، العقل، العرض، المال، والخطر المتعدد لهذه الأبعاد.

٢- قياس العوامل الاجتماعية المحددة للوعي الاجتماعي الأمني للمراهقة في المرحلة الثانوية.

ويتمثل هذا الهدف في الأبعاد الآتية: الأسرة، المدرسة، الصديقات، وسائل الإعلام والإنترنت، الأنشطة والهوايات والمهارات.

٣- التعرف على علاقة الوعي الاجتماعي الأمني لدى المراهقة بوقايتها من التعرض للجريمة.

ويتمثل هذا الهدف في الأبعاد الآتية: (الانخراط في علاقات عاطفية دون رابط شرعي، التهاون بالذهاب مع الغرباء، الخروج مع شاب بدون رابط شرعي، الانخراط في تعاطي المخدرات، الابتزاز، الجناية على النفس أو الغير تجنبًا للفضيحة).

٤- الكشف عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي مرتبطة ببعض المتغيرات لدى

المراهقة وهي: (العيش مع الوالدين، مستوى تعليم الوالدين، عمل الوالدين، دخل الأسرة، السفر لخارج المملكة).

## أهمية البحث

**الأهمية العلمية :**

١- أتى البحث استجابة لما ينادي به علماء الجريمة في الوقت الحاضر من ضرورة دراسة العوامل التي تساعد في الوقاية من الجريمة وتحييدها في المجتمع.

٢- قدم البحث وصفا للواقع الحالي واستشرافًا للمستقبل من حيث ما يمكن للوعي المكتسب لدى المراهقات القيام به لحمايتهن من الجريمة.

٣- تناول البحث شريحة مهمة وهي شريحة الإناث واللواتي، بلغت نسبتهن للعدد الكلي من المواطنين ٤٩,١٪ وفقا للتعداد السكاني عام ٢٠١٠م. (مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات)، ويعول عليهن بمشاركة فعَّالة للرجل في بناء وقيام المجتمع وتربية جيل جديد من أبناء هذا الوطن.

٤- ركز البحث على الإناث ممَّن هُنَّ في سن المراهقة تلك المرحلة التي تمثل أخطر مراحل العمر من حيث هي مرحلة تفجر الغرائز وغلبة العواطف وحبّ اكتشاف الجديد بكل محاذيره.

٥- يعدُّ هذا البحث إضافة علمية لما سبق وأن كُتب حول الوعي الأمني بمختلف صوره وأهميته في نشوء مجتمع يقاوم الجريمة بشتى صورها.

٦- من خلال تناول مجموعة من الأخطار التي تقع فيها كثير من المراهقات في المجتمع وإنْ لم يعلن ذلك، سعت الباحثة لفهم الواقع للتمكن من التشخيص السليم لمواطن الخلل الوظيفي الموجودة في المجتمع، ومن ثمَّ معالجتها.

**الأهمية التطبيقية:**

تزويد المهتمين في علم اجتماع الجريمة والوقاية منها، والمختصين في مجال التربية والتعليم، بمعلومات وتوصيات عن الدور الذي يجب أنْ تؤدِّيه مؤسسات التنشئة المجتمعية على اختلافها في تنمية الوعي الاجتماعي الأمني بالكيفية التي تحيله إلى حاجز لمقاومة الجريمة بصورها المختلفة حاضرًا ومستقبلًا. كما أكَّد البحث على تفرد الشريعة الإسلامية في الإحاطة بمكامن الخطر التي يمكن أنْ يتعرض لها الفرد من في بلورتها فيما عبرت عنه بالضرورات الخمس للإنسان.

## حدود البحث

**الحدود الموضوعية:**

اهتم البحث بالتعرف على العوامل الاجتماعية المحددة للوعي الاجتماعي الأمني، ودور هذا الوعي في الوقاية من الجريمة باستقصاء ردود الفعل عن مجموعة من المواقف التي تعبر عن أخطار موجودة في المجتمع قد تتعرض لها المراهقة.

**الحدود المكانية :**

مكان البحث في مدينة الرياض التابعة لمنطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

**الحدود الزمانية :**

أُجري البحث في العام الدراسي:١٤٣٥-١٤٣٦ه.

**الحدود البشرية :**

تمثل المجال البشري في طالبات المرحلة الثانوية السعوديات في مدارس التعليم العام الحكومي النهاري بمدينة الرياض للعام الدراسي ١٤٣٥-١٤٣٦هـ. والبالغ عددهن:( ٤٤٢٠٩ )طالبة.

**مفاهيم ومصطلحات البحث**

**المفهوم اللغوي**: العامل في اللغة: هو المؤثر في الشيء، والعامل الفعَّال هو الشيء الذي له فعالية. (قاموس المعاني الإلكتروني، http://www.almaany.com ).

**المفهوم الاصطلاحي**: يُعرَّف العامل بأنَّه "المجموعة التي يرتبط بعضها ببعض والتي تُنظم في نسق معين، حيث تؤدِّي في مجموعها إلى إحداث نتيجة" (الدوري، ١٩٨٤م: ص٦٠ موثق في المنشاوي، ١٤٢٤هـ.). وتُوجد أنوع متعددة من العوامل منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والبيئية ...إلخ، ويقصد بالعوامل الاجتماعية تحديدًا: "مجموعة من العوامل ذات الطابع الاجتماعي، مثل: البيئة والأصدقاء والمدرسة والحي، وكلها عوامل تسهم في تكوين الدافع والسلوك الإجرامي لدى أحد أفراد المجتمع" (أبو حميد، ١٤٢٣هـ: ص٦) كما تُعرَّف بأنَّـها: "مجموعة الظروف التي تتعلق بتكوين الجماعة وأنظمته، والتي تساهم في تكوين الفرد وتربيته، ويكون لها الأثر الواضح في سلوك الفرد ومجتمعه، وتشمل كل من: العامل الأسري، والعامل المدرسي، والعامل الاقتصادي، والرفاق". (الطخيس،١٩٩٤م: ص٢٢١)، ويُعرَّف الشبيب العوامل الاجتماعية بأنَّـها: "ما يسود المجتمع من قوى ومؤثرات معينة متعلقة بتنظيم المجتمع، وتكون هذه القوى والمؤثرات متفاعلة مع بعضها البعض مؤدية إلى نتائج تظهر في سلوك أفراد المجتمع الذي توجد فيه" (الشبيب، ١٤٢١هـ. ص١٩).

**المفهوم الإجرائي**: اقتصر البحث على العوامل الاجتماعية ويمكن تعريفها بأنَّها مجموعة القوى والظروف الفاعلة التي تؤثر في وعي المراهقة بصورة تراكمية، لتكسبها آليات التفاعل مع البيئتين المادية والبشرية. وهذه العوامل تمثلت في هذا البحث في كلٍّ من: الأسرة، المدرسة، الصديقات، وسائل الإعلام والإنترنت، الأنشطة والهوايات والمهارات.

**الوعي الاجتماعي الأمني:**

على الرغم من استخدام كلمة الوعي على لسان السّاسة والمعنيين والعامة بصورة دارجة واعتيادية، إلَّا أنَّ مفهومها يكتنفه بعض الغموض، ويرجع ذلك لتأثر ذلك بالمصالح والأيدلوجيات المتنوعة لمن يتناولها، ولذا تعددت مفاهيم الوعي ما بين اللغة والفلسفة وعلم النفس والعلوم الاجتماعية والقانونية والسياسية.

**المفهوم اللغوي:** في اللغة يعني الوعي الحفظ والإدراك (الفيروزبادي، ٢٠٠٨م: ص١٧٦٦) وقالت العرب وعى فلان الشيء بمعنى: جمعه وحواه وتدبره وحفظه (ابن منظور، د.ت: ص ٤٨٧٦).

**المفهوم الاصطلاحي:** يُعرَّف الوعي الأمني اصطلاحًا بأنَّه: "إدراك الفرد لذاته، وإدراكه للظروف الأمنية المحيطة به، وتكوين اتجاه عقلي إيجابي نحو الموضوعات الأمنية العامة للمجتمع "(العتيبي ٢٠١١م: ص١٢٣٠) كما يُعرَّف بأنَّه: "إدراك الأفراد لحقوقهم وواجباتهم ودورهم في التعاون مع الأجهزة الأمنية للوقاية من الجريمة قبل وقوعها ومكافحتها بعد وقوعها "(بدوي، ٢٠٠٣م : ص٩)، والوعي الأمني يعني إدراك وفهم كافة سبل الوقاية من الجريمة على مستوى الفرد والجماعة، في مجال الوقاية الذاتية، وإطار الحي والمنزل، أو المحيط السكني مع الجيران والمنظمات الأهلية، للوقاية من جميع ما يكدر صفو المجتمع.

وتشير تعريفات الوعي الاجتماعي إلى أنَّه "مفهوم مركب ذو مستويات ذاتية وموضوعية ونفسية وعلمية وأيدلوجية "(عبدالمعطي،١٩٨٣م: ص١٣)، وهو"قدرة غير ثابتة تخضع للتحولات الخارجية" (الخطيب، ١٩٨٥م: ص٩٣).

**المفهوم الإجرائي:** يُقصد بالوعي الاجتماعي الأمني في هذا البحث: إدراك المراهقة للأخطار التي تحيط بها على المستوى الشخصي، والتي يمكن أن تهدد الضرورات الخمس لحياتها، سواء كان ذلك من حيث: الدين أو النفس أو العقل أو العرض أو المال.

**الدور:**

**المفهوم اللغوي:** الدور في اللغة هو: "النوبة أو المناوبة التي يقوم بها الفرد "(ابن منظور، د.ت: ص١٤٥٠).

**المفهوم الاصطلاحي:** يُعرَّف في الاصطلاح بأنَّه: "مجموعة العلاقات والتفاعلات بين وظيفة العضو وبين مركزه من ناحية، وبين هذه الوظيفة والمركز، وبين وظائف ومراكز غيره من الأعضاء معه في ذات الوحدة أو الرابطة سواء كانت تلك الوحدة أسرة أو هيئة إدارية أو حزباً سياسياً أو دولة أو منطقة جغرافية وصولًا إلى الإطار الذي تعتبر الدول والمنظمات والمناطق الإقليمية أعضاءه الأساسيين "(جاد، ١٩٩٥م: ص١٢٤)، كما يُعرف بأنَّه: "الممارسة السلوكية لواجبات وحقوق الموقع الاجتماعي ولمعايير

المكانة الاجتماعية المتمثلة في رموزها وعلاماتها" (عمر، ١٩٩٩م: ص٧١).

**المفهوم الإجرائي**: نقصد هنا بالدور الوظيفة التي يقوم بها الوعي الاجتماعي الأمني للمراهقة لوقايتها من الجريمة، وبمعنى آخر: الكيفية التي يحمي بها وعي المراهقة حياتها من الوقوع فريسة للجريمة.

**الوقاية من الجريمة:**

يعدُّ مفهوم الوقاية من المفاهيم واسعة الانتشار والاستخدام، لكنَّها في الوقت نفسه من المفاهيم الغامضة، حيث يختلف المفهوم تبعًا للأيديولوجية وتبعًا للخطر القائم وتبعًا للإستراتيجيات المتبعة فيها.

**المفهوم اللغوي**: تُعرَّف الوقاية في اللغة بأنَّها الصيانة وفي لسان العرب: "وقاه الله وقيا ووقاية وواقية، أيْ: صانه، ووقيت الشيء أقيه إذا صنته وسترته عن الأذى، وتوقى واتقى بمعنى استبق نفسك ولا تعرضها للتلف، وتحرز من الآفات واتقها، والوقاية كل ما وقيت به شيئًا" (ابن منظور، د.ت: ص٤٩٠١).

**المفهوم الاصطلاحي**: يشير طالب(١٤٢٢هـ) إلى ما ذهب إليه ارفن ولر (Ervin Waller,1996) في تحديده لمفهوم الوقاية من الجريمة بأنَّه كل عمل يؤدِّي إلى التقليل أو التخفيض من معدلات الجريمة . فيما يراه هو تعبير عن مختلف الجهود والتدابير المجتمعية التي تهدف إلى الحيلولة أصلًا دون وجود عوامل وظروف الجريمة (ص ١٠)، ويشير أبو ساق إلى أنَّ الوقاية هي: "اتخاذ الوسائل والإجراءات التي تحول دون قيام الشخصية الإجرامية في المجتمع أو تمنع حدوث الجريمة ممَّن اتصف بالإجرام" (أبو ساق ١٤٢٣هـ، ص١١٢).

ويتوسع مفهوم الوقاية من الجريمة؛ ليصبح إجراء جميع الإصلاحات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والتربوية، والبحثية، والأمنية، والتشريعية، لتكون عاصمًا للأفراد من الانزلاق في مهاوي الجريمة، بواسطة جهود كبيرة لاستئصال شأفة الإجرام، أو على الأقل التخفيف من حدوثها، ووضع الحلول المناسبة لعلاجها والوقاية منها (الحيدر، ١٤٢٥ه:ص٦٠٦).

أمَّا الجريمة ففي اللغة هي: "من الجرم، والجرم التعدي والذنب" (ابن منظور، د.ت: ص٦٠٤). واصطلاحًا هي: "كل فعل يتنافى مع القيم السائدة في المجتمع، وهي خطيئة اجتماعية تعارض قيم وأخلاق المجتمع، وهي كل فعل أو امتناع يصدر عن إرادة مدركة تخرق أمن ومصالح وحقوق الأفراد والمجتمع، ويعاقب مرتكبها بعقوبة أو بتدبير احترازي" (نجم، ١٩٩٨م: ص٢٠)، كما يُعرِّفها طالب بأنَّها: "فعل إرادي يخالف به مرتكبه القانون المفروض عليه اتباعه" (طالب، ٢٠٠٢م: ص٢٤).

**المفهوم الإجرائي**: يمكن تعريف الوقاية من الجريمة بأنـَّها: مجمل التدابير والإستراتيجيات التي تهدف إلى تجنب الوقوع فريسة للجريمة، سواء كان ذلك بفعلها أو كضحية لها، نتيجة بعد الفرد عن مواطن الخطر، واتخاذ إجراءات الحيطة والحذر عند التفاعل مع البيئتين المادية والبشرية المحيطة به.

**المراهقة:**

**المفهوم اللغوي**: المراهقة لغة من"راهق الغلام، أيْ: بلغ الحلم وهي الفترة من بلوغ الحلم إلى سن الرشد" (قاموس المعاني الالكتروني، **http://www.almaany.com**) "،وراهق الغلام فهو مراهق: إذا قارب الاحتلام ويُقال: طلبت فلانًا حتى رهقته رهقًا أيْ: حتى دنوت منه، فربما أخذه وربما لم يأخذه، ورهق شخوص فلان: أيْ: دنا وأزف وأفِد" (الجوهري، ١٤٠٤هـ: ص٥٢).

**المفهوم الاصطلاحي**: تُعرف المراهقة اصطلاحًا بأنـَّها:"مرحلة من مراحل العمر التي ينتقل فيها الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة اكتمال الرجولة أو الأنوثة، فهي مرحلة نمو هرموني، وعضلي، وجسمي، وحركي، وعقلي، ومعرفي، ونمو مهارات لفظية وغير لفظية، ونمو انفعالي، واجتماعي، وهذه قوة تدفع المراهق إلى تكوين هوية مستقلة عن الوالدين، وإنشاء علاقات أقوى مع الأصدقاء، وقد حددها العلماء بالمراحل العمرية من عمر١٢سنة: ٢١سنة" (إبراهيم،٢٠٠١م:ص٦)، "وتبدأ المراهقة بظهور علامات النضج الجنسي، في جوانب النمو الجسمي والاجتماعي، وتنتهي عندما يقوم الفرد بتولي أدوار الكبار، وعندما يتقبله الكبار في أغلب الأحوال على أنَّه شخص بالغ" (منصور؛ وعبد السلام، ١٤١٠هـ: ص٤٥٣).

**المفهوم الإجرائي**: يمكن تعريف المراهقة بأنَّـها تلك المرحلة العمرية التي تلي مرحلة الطفولة والتي تتوسط بين الطفولة والنضج، وتقع غالبًا في مرحلة الدراسة المتوسطة والثانوية وأول الدراسة الجامعية وتحمل العديد من الخصائص الجسدية والفكرية والنفسية، التي تؤثر في تفاعل الفرد مع المحيط الخارجي وتوجهه نحو وجهة معينة، تبعًا لكم وكيف المؤثرات الداخلية والخارجية التي يتعرض لها في هذه المرحلة.

**الدراسات السابقة ذات العلاقة بمشكلة الدراسة**

**أولًا: الدراسات العربية:**

**١- دراسة الشهري (١٤٣٥هـ.) بعنوان (العوامل الاجتماعية المحددة لمفهوم الحرية لدى طلاب المرحلة الثانوية).**

هدفت الدراسة إلى التعرف على كيفية إدراك طلاب المرحلة الثانوية لمفهوم الحرية، والتعرف على دور المدرسة في تحديد مفهوم الحرية لدى طلاب

المرحلة الثانوية، والتعرف على دور الأسرة في تحديد مفهوم الحرية لدى طلاب المرحلة الثانوية، التعرف على ما إذا كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية لتحديد مفهوم الحرية لدى طلاب المرحلة الثانوية تُعزى إلى (المستوى التعليمي للوالدين، المستوى الاقتصادي للأسرة، ترتيب الطالب داخل أفراد الأسرة)، الثالث ثانوي في مدينه الرياض، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي المسحي بواسطة عينة من طلاب المرحلة الثانوية.

**٢- دراسة الربيعان (١٤٣٤هـ.) بعنوان (دور مديرات المدارس في تعزيز الوعي الأمني لدى الطالبات بالمرحلة الثانوية بمدينة الرياض).**

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور مديرة المدرسة الثانوية في تعزيز الوعي الأمني الفكري، والاجتماعي، والاقتصادي لطالبات المرحلة الثانوية بمدينة الرياض.

واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي على (٨١) مدرسة ثانوية في مدينة الرياض.

**٣- دراسة الثقفي (١٤٣٣هـ.) بعنوان (إسهام الإدارة المدرسية في تنمية القيم الأمنية لدى طلاب المدارس بالمرحلة الثانوية بمدينة الطائف).**

هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة إسهام الإدارة المدرسية في تنمية القيم الأمنية لدى طلاب المدارس بالمرحلة الثانوية بمدينة الطائف، والكشف عن أثر متغيرات نوع التخصص والمؤهل العلمي ومستوى الخبرة في تقديرات المعلمين لدرجة إسهام الإدارة المدرسية في تنمية القيم الأمنية لدى طلاب المدارس بالمرحلة الثانوي، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي وتكون مجتمع الدراسة من جميع مديري ومعلمي المدارس الثانوية بمدينة الطائف.

**٤- دراسة الفهيد (١٤٣٣هـ.) بعنوان (الوعي بالمسؤولية الأمنية لدي طلاب الجامعات السعودية).**

هدفت الدراسة إلى معرفة مدى وعي طلاب الجامعات السعودية بركائز المسؤولية الأمنية والتعرف على مدى وعي طلاب الجامعات السعودية بمجالات المسؤولية الأمنية. ومعرفة مدى وعي طلاب الجامعات السعودية بسبل تنمية المسؤولية الأمنية وتحديد مدى وعي طلاب الجامعات السعودية بالمعوقات التي تحول دون ممارستهم للمسؤولية الأمنية، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الوثائقي ومدخل المسح الاجتماعي بالعينة عن طريق طلاب أربع جامعات بمدينة الرياض هي: (جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، جامعة الأمير سلطان، وجامعةاليمامة).

**٥- دراسة الخزاعي (٢٠١٢م.) بعنوان "جرائم المراهقات في الأردن"**

هدفت الدراسة إلى معرفة الجرائم المرتكبة من قبل الفتيات المراهقات المحكومات في دار رعاية وتربية

وتأهيل الفتيات في الأردن، وتحديد أسباب جنوحهن، والخصائص الاقتصادية، والاجتماعية لهن، ولأسرهن، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بالمسح الاجتماعي المتعدد على الفتيات المحكومات في دار رعاية وتربية وتأهيل الفتيات التابعة لوزارة التنمية الاجتماعية، وبلغ عددهن (٥١) فتاة.

**٦- دراسة البقمي (٢٠١٢م.)بعنوان( دور الوعي الأمني في الوقاية من الجرائم الإرهابية).**

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الوعي الأمني لدى الشباب الجامعي نحو الجرائم الإرهابية، وكذلك التعرف على متطلبات ترسيخ الوعي الأمني اللازم لوقاية الشباب الجامعي من ارتكاب الجرائم الإرهابية. واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي المسحي عن طريق عينة من الطلاب الذكور بمرحلة البكالوريوس بجامعة الملك سعود بالرياض لعام ٢٠١٢م.

**٧- دراسة السراني (١٤٣٢هـ.) (دور الإعلام الأمني في الوقاية من الجريمة)**

هدفت الدراسة إلى التعرف على خصائص الإعلام الأمني، وأهمية الإعلام الأمني في الوقاية من الجريمة، و إستراتيجية الإعلام الأمني للوقاية من الجريمة بواسطة المنهج الوثائقي.

**٨- دراسة عبدالله (٢٠١١م.) بعنوان ( العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة )**

هدفت الدراسة إلى معرفة السلوك الإجرامي وأبعاده الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والشرعية والتعرف على العوامل الاجتماعية المؤدِّية إلى الجريمة ودور هذه العوامل في دفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة والعود إلى ارتكابها، وقد استخدمت الدراسة المنهج المقارن والمنهج الوصفي المسحي عن طريق الموقوفين في مديرية شرطة الأنبار والذين ارتكبوا جرائم.

**٩- دراسة محمود (٢٠١٠م.) بعنوان (دور الإذاعة في نشر التوعية الأمنية)**

هدفت الدراسة إلى :

١- دراسة وتحليل المادة الأمنية المقدمة بغية تطويرها وتقويمها.

٢- الوقوف على أنسب الأساليب التي يجب إتباعها في تقديم البرامج الأمنية.

٣- بيان الدور الذي يجب أنْ تضطلع به الإذاعة المسموعة في تقديم التوعية الأمنية .

٤- الخروج بتوصيات تساعد في معالجة أوجه القصور في تخطيط البرامج التي تتناول قضايا الأمن والتوعية .

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي المسحي على سكان ولاية الخرطوم.

**١٠-دراسة أمين (٢٠٠٩م.) (دور الإعلام في الوقاية من جرائم الاحتيال)**

هدفت الدراسة إلى بيان الدور الذي يؤدِّيه

التعريف الإعلامي بجريمة الاحتيال وكيفية الوقاية منها وذلك بتبني برنامج مقترح للتوعية الإعلامية عن جرائم الاحتيال، حيث استخدمت الدراسة المنهج التحليلي، وتوصلت لبناء إستراتيجية مقترحة متكاملة للتوعية الأمنية عن جرائم الاحتيال وكيفية الوقاية منها بواسطة الإعلام.

**١١- دراسة الرويلي (١٤٢٩هـ.)، (العوامل المؤثرة بوعي الشابة السعودية بحقوقها)**

هدفت الدراسة إلى التعرف على تأثير البعد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في درجة وعي الشابة السعودية بحقوقها، وقد طُبقت على طالبات جامعة الملك سعود، واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي.

**١٢- دراسة السلطان (٢٠٠٨م.)، (التربية الأمنية ودورها في تحقيق الأمن الوطني)**

هدفت الدراسة إلى التعرف على الأهداف التي تسعى التربية الأمنية لتحقيقها. وكذلك المعوقات التي قد تواجه تطبيق التربية الأمنية عن طريق المنهج الوصفي التحليلي الذي يعتمد على تحليل الوثائق.

**١٣- دراسة الشهري (١٤٢٧هـ.) (دور المدارس الثانوية في نشر الوعي الأمني)**

هدفت الدراسة إلى الكشف عن دور إدارات المدارس الثانوية، والمعلم والمرشد في نشر الوعي الأمني لدى طلابها بواسطة المنهج الوصفي التحليل المسحي على طلاب المرحلة الثانوية في مدينه أبها.

**١٤- دراسة سمية (٢٠٠٦م.) أثر العوامل الاجتماعية في جنوح الأحداث**

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن ظاهرة جنوح الأحداث في مدينة قسنطينة ومدى انتشارها، والتعرف على أهم العوامل المتصلة بذات الحدث (مثل: عمره ومستواه الدراسي) والتي أدَّتْ إلى ظهور هذا السلوك الجانح لديه، والتعرف على أثر العوامل البيئية المحيطة بالحدث (مثل: العامل الاقتصادي، وعامل المكان الذي نشأ به، والعامل الأسري)، وقد استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الأحداث في مركزي الأحداث في مدينتي قسنطينة وعين مليلة.

**١٥- دراسة القحاص (١٤٢٠هـ.) بعنوان: (إسهام الإدارة المدرسية في الحدِّ من جنوح الأحداث من وجهة نظر مديري ومعلمي ومرشدي طلاب المرحلة المتوسطة بمدينة الطائف).**

هدفتْ هذه الدراسة إلى التعرف على مدى إسهام الإدارة المدرسية في:

- تقوية العلاقة بين الإدارة والمنزل.
- تفعيل مشاركة المعلمين في إدارة المدرسة.
- ربط الطلاب بالبيئة المدرسية.
- تفعيل الأنشطة المدرسية.

واستخدم الباحث الاستبانات لجمع المعلومات من عينة الدراسة المكونة من مديري ومعلمي ومرشدي الطلاب في المرحلة المتوسطة، حيث بلغ

عددها: (٥١مدير مدرسة + ٢٦ مرشد طلابي + ٢٤ معلم صف).

**١٦- دراسة السيد (١٩٩٧م.) بعنوان: (دور التربية في وقاية طلاب المرحلة الثانوية من المخدرات).**

تهدف هذه الدراسة للتعرف على العوامل المهمة في تعاطي الطلاب للمواد المخدرة والتعرف على ما يقدّم للطلاب من تدابير وقائية تجاه مشكلات المخدرات، وقد استخدم الباحث لجمع المعلومات ثلاث استبانات للطلاب والمعلمين وأخصائي النشاط المدرسي، كما حصر الباحث عددًا من أساليب وقاية الطلاب من الوقوع في المخدرات وحظيت الأساليب الآتية بأعلى ترتيب وهي:

١- إقامة ندوات ومحاضرات لتوعية الطلاب بأخطار المخدرات.

٢- الاهتمام بمناهج التربية الدينية بمراحل التعليم المختلفة.

٣- تعاون الأسرة مع المدرسة في متابعة الطلاب علميًا وخلقيًا.

٤- تشجيع الطلاب على ممارسة الأنشطة المدرسية.

٥- تدريب المعلمين وإعدادهم في مجال وقاية الطلاب من المخدرات.

**١٧- دراسة آل ربحان (١٤١٧هـ) بعنوان: (دور الإدارة المدرسية في الأمن الوقائي)**

تهدف هذه الدراسة للتعرف على الدور الذي يقوم به مديرو المدارس الثانوية في تحقيق الأمن الوقائي، وكذلك الكشف عن الوسائل والإجراءات التي تتخذها الإدارة المدرسية لتحقيق الأمن الوقائي، وقد أعدَّ الباحث مقياس خاص بالمديرين وآخر بالمعلمين وثالث بالإداريين في المدارس الثانوية للبنين بالرياض، وكانت العينة تشكل( ٣٧٪ )من مجموع عدد المدارس البالغ عددها( ٤٦ مدرسة)، كما بلغ مجموع العينة ( ٣١٧ مديرًا ومعلمًا وموظفًا).

**١٨- دراسة سليم (١٤١١هـ) بعنوان: (دور الإدارة المدرسية في الوقاية من جنوح الأحداث)**

وهي دراسة ميدانية هدفت للوصول إلى الحلول التي من شأنها أنْ تزيد من الدور الوقائي للمدرسة في مجال الانحراف وعلاجه عند طلاب المرحلة المتوسطة، واستخدم الباحث مقياس لجمع المعلومات طبقها على عينة الدراسة المكونة من عدد مديري المدارس المتوسطة بالرياض وعددهم (١٠٠) مدير و(٢٣) وكيلًا.

**ثانيًا: الدراسات الأجنبية:**

**١- دراسة (Sawir, 2009)**

**بعنوان (الأمن الاجتماعي والاقتصادي للطلبة الأجانب)**

هدفت الدراسة إلى استقصاء معرفة ما إذا كان نظام الأمن الاجتماعي والاقتصادي للطلبة القادمين

إلى نيوزيلندا من الخارج يتضمن تشريعات رسمية تزودهم بالحقوق المتعددة للطلبة الأجانب، ومدى فاعلية الممارسات الخاصة بتطبيق الاتفاق شبه القانوني الذي قصد به توفير الحماية لهؤلاء الطلبة، واستخدمت الدراسة المنهج المقارن مع الطلبة الوافدين للدراسة في نيوزيلندا في جامعتين حكوميتين.

**٢- دراسة (Barberet & Fisher 2009،)**

**بعنوان ( الوعي والوقاية من الجريمة)**

هدفت الدراسة إلى قياس الوعي الأمني لطلبة الجامعة في بريطانيا بالمقارنة مع طلبة في الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة المنهج المقارن على طلاب الجامعة في إنجلترا وويلز.

**٣- دراسة (Uri Yanay 2006،)**

**بعنوان (الأمن الشخصي والحق في الحماية)**

هدفت الدراسة إلى الكشف عن دور منظمات الرفاه والخدمات الاجتماعية في توفير الأمن الشخصي والحماية للأفراد في المملكة المتحدة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليل على مجموعة من الأفراد في بريطانيا.

**٤- دراسة (Francis, 2002)**

**بعنوان (عوامل الخطر والوقاية لجنوح الأحداث وتأثير العصابة (المجموعات) بين طلاب مدارس ثانوية مختارة)**

تهدف هذه الدراسة بدرجة أساسية لتحديد الخطورة وعوامل الوقاية الفاعلة أو المانعة؛ لجنوح الأحداث وتأثير المجموعات بين طلاب مدارس مختارة، والغرض الثانوي من هذه الدراسة كان لتحديد أثر الاختلافات عند الفرد والأصدقاء والعائلة والمدرسة والمجتمع المبنية على أساس الجنس والمرحلة الدراسية.

وقد جرى مسح عيني وصفي ليؤكِّد بأنَّ هناك علاقة بين الفرد والأصدقاء والأسرة والمدرسة وعوامل الوقاية والمخاطرة وبين الانخراط في عصابة وجنوح الأحداث.

كما أظهرت تحاليل العلاقة المتبادلة أنَّ السلوك الاجتماعي للأصدقاء كان العامل الأكثر أهمية في الخطورة لجنوح الأحداث.

**٥- دراسة (Madeline, 2002)**

**بعنوان (المراهقون الضعفاء كضحايا، نتائجه والاتجاهات للوقاية والتدخل)**

هدفت هذه الدراسة لتناول سبل الوقاية والتدخل في حالات إيذاء المراهقين الذين هم عرضة للإيذاء في حياتهم بمعالجة الأبعاد الآتية:

- أهمية خلق بيئة آمنة في المنزل للمراهق، ووضع إستراتيجيات تهدف لتحسين الأوضاع داخل المدارس لحمايتهم.
- أهمية التثقيف الجنسي وحماية الفتيات من الاعتداءات الجنسية.

- الكشف عن مستويات متعددة من الإيذاء في الشارع.

واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

**٦- دراسة (marius 1997،)**

**بعنوان (قيمة الاستفادة من وقت الفراغ في حماية سلوك الجانحين والمنحرفين).**

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر بعض العوامل الاجتماعية في زيادة نسبة الجنوح المتزايد في جنوب أفريقيا ومن ذلك أثر الفراغ والأسرة والمدرسة والرفقاء، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للتوصل إلى نتائج الدراسة.

**النظريات المفسرة لموضوع البحث**

ينمو الوعي الاجتماعي الأمني- شأنه شأن أنواع الوعي الأمني الأخرى- فهو نتاج عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يكون تكوينه بفعل ذات الآليات التي يكتسب بها الأفراد إدراكهم لجميع الأمور من حولهم، وأيضًا يتطور هذا الوعي كما تتطور المعرفة العامة في الحياة بشتى الأمور، وتؤثر فيه الحوادث والتجارب كسائر الخبرات المكتسبة؛ لذلك فإنَّ الوعي الأمني يُعَدُّ أحد المجالات التي تضطلع مؤسسات التنشئة المختلفة ببنائها، وهذه المؤسسات يعول عليها القيام بدور فاعل في بلورته في أذهان النشء، والتأكد من نموه بالقدر المناسب لتسارع الحياة وتغير مجرياتها، وذلك من شأنه بناء حائط واقي يحول دون تمكن المهددات من الوصول للفرد والتأثير فيه.

وفي العصر الحاضر ونتاجًا للتطور توزَّعت مهام التنشئة بين العديد من المؤسسات بحيث أصبح لزامًا على جميع هذه المؤسسات التضافر في توعية الفرد وتزويده بالخبرات اللازمة لمواجهة الزخم الهائل من المهددات الأمنية حوله، ونظرًا لذلك فقد تجاوز التعويل على الأسرة في ذلك ليطال كل من المدرسة والأصدقاء والإعلام والشبكة العنكبوتية والمؤسسات المتخصصة في الأنشطة الأمنية.

وقد تبنى هذه البحث عدة نظريات هي: البنائية الوظيفية بصورة أساسية ومجموعة من النظريات الفرعية وهي: نظرية الدفاع الاجتماعي، ونظرية المخالطة الفارقة، ونظرية الدور، ونظرية التخلف الثقافي، "فعلماء البنائية الوظيفية يرون أنَّ المجتمع نسقٌ اجتماعي Social System مترابط الأجزاء، وأنَّ أيَّ تغير في جزء منه يصاحبه تغير في الأجزاء الأخرى، وكل جهاز له وظائف محددة، لكن جميعها تعمل على المحافظة على الكل، فلو حصل أيَّ تعطل أو تغير في أحد الأجهزة، فإنَّ ذلك سيكون له أثر على بقية الأجهزة الأخرى في جسم الكائن الحي، كما يؤكِّد تالكوت بارسونز Talcott Parsons على أنَّ المجتمع له أربع وظائف رئيسة لا يستطيع المجتمع البقاء والاستمرار بدونها وهي: التكيف، تحقيق الأهداف،

الكمون والصيانة، التكامل" (كتبخانه، ٢٠٠٦م: ص٢٠).

وتؤكِّد النظرية الوظيفية على أهمية قيام المؤسسات المختلفة بوظيفتها في التوعية، وما يمكن أنْ يؤدِّي إليه الخلل في هذه الوظيفة من نقص في المكتسبات، ومن ثمَّ قصور في مواجهة التحديات، حيث إنَّ الخلل في قيام النسق الاجتماعي بوظيفته يؤدِّي بالتأكيد لخلل في قيام الأنساق الأخرى بوظيفتها، وهذا ينطبق على موضوع الوعي والوقاية من الجريمة، فمؤسسات التنشئة الاجتماعية حين تعجز عن أداء دورها بالتزامن مع التغير الإجتماعي الذي يتعرض له المجتمع تظهر الاختلالات في الوعي، وتنشأ الثغرات التي لا تلبث أن تتّحد في خلق بيئة حاضنة نشطة ومتجددة لظهور الجريمة، نتيجة لذلك يمكننا القول بأنَّ القصور في تأدية مؤسسات التنشئة المختلفة لأداء وظيفتها في توعية المراهقة بالقدر اللازم عن الأخطار التي يمكن أنْ تتعرض لها يؤدِّي إلى وجود تخلف في وعي المراهقة، ومن ثمَّ تضعف قدرتها على مواكبة الواقع من حيث إدراك وتجنب الأخطار المتجددة على ساحته.

وقد قدمت هذه المدرسة عن طريق العالم ميرتون Robert K. Merton رؤية متفحصة للظواهر من التفرقة التي أقامها بين الوظائف الظاهرة والوظائف الكامنة، ففي حين تشير الأولى إلى النتائج الموضوعية التي يتوقعها الأفراد ويتوارثونها، تعبر الوظائف الكامنة عن نتائج غير مقصودة أو غير معلنة (شلبي، ٢٠١٢م: ص ١٢٣)، ووفقًا لهذه النظرية فإنَّ بعض الاستجابات والسلوكيات التي تقوم بها المراهقة تحمل وظيفتين: أحدهما معلومة ومعتادة ومتوقعة من قبل أفراد المجتمع، والأخرى غير ظاهرة تحقق أغراضًا خاصة لصاحبتها، وتجعلها متميزة في نظر من حولها.

ومن جهة أخرى نجد أنَّ أنصار مدرسة الدفاع الاجتماعي يحددون الوجهة التي تُسيطر على الجريمة، فهم يرون أنَّ للمجتمع دور أساس في بروز الشخصية الإجرامية، وأنَّ تحقيق الأمن يعتمد على مجموعة من التدابير المجتمعية الدفاعية التي تتخذها كل مؤسسات المجتمع، بهدف التقليل من العوالم والأوضاع التي تؤدِّي إلى وقوع الجريمة والإخلال بالأمن (طالب،١٤٢٢هـ: ص٤٧).

ومن ثمَّ فإنَّ الجريمة كظاهرة اجتماعية تتطلب حلًا اجتماعيًا يقتضي مشاركة المجتمع برمته فيه، عن طريق اجتثاث العوامل المسببة للجريمة أو السيطرة عليها وتحييدها في أضعف الاحتمالات، ويركز هذا الاتجاه على جانب تقوية الإرادة المضادة للجريمة بنشر الوعي بطرق تفادي التعرض للجريمة والثغرات التي من الممكن اختراقها من قبل الطرف الآخر، وكذلك إضعاف الوازع الإجرامي مهما توافرت الفرصة والمقدرة على ذلك، وتعدُّ عمليات التوعية الأمنية

الشخصية للمراهقات عن المخاطر المحتملة من كلا الجنسين، أو من قبل البيئة المادية المحيطة، وسبل التعامل معها وتخفيف وطأتها عند وقوعها من أهم طرق الوقاية الاجتماعية من الجريمة، ذلك أنَّه من الضروري البدء بتكوين الشخصية القوية المضادة للجريمة لدى المراهقات في وقت مبكر، وعدم الاعتماد على الصدفة أو الجهود الموقفية الأمنية التي قد تتوافر وقد لا تتوافر لاحقًا، الأمر الذي يحول دون وقوع المراهقة ضحية للاستغلال المادي أو الجنسي أو الفكري أو الجسدي من قبل الآخرين.

أمَّا نظرية المخالطة الفارقة لسذرلاند Sather Land فتنطلق من مبدأ "أنَّ الشباب يدفعون إلى الجريمة من خلال تعلم المهارات الجنائية من الأصدقاء المجرمين، وهناك أدلة قوية على أنَّ الشباب المجرمين يؤثرون في أصدقائهم غير المجرمين، ومن ثَمَّ يرتكبون بعض الجرائم ويحترفونها" (Brown, 1998: 289)، "وكما يجري تعلم مهارات الفعل الإجرامي، يجري أيضًا تعلم الضحيانية، حيث إنَّ كلاهما سلوكيات تعتمد على الاستحسان،حيث يكون امتثالها من منطلق تحبيذ السلوك أو نتائجه أو فاعله، وتأثير الأقران على الجنوح، يُعَدُّ عامل مهم في حدوث الجنوح، ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بقصور الوالدين في مسؤولياتهم؛ لأنَّ أهالي المراهقين الجانحين لا يمنحون وقتًا لأبنائهم للجلوس معهم، بخاصة في أوقات فراغهم، وأنَّهم أقل متابعةً وضبطًا لأسلوب أبنائهم في اختيار أصدقائهم" (Harris,1985: p630,638).

وبهذا فإنَّ عدم قيام الوالدين والمربين بمسؤولياتهم نحو توجيه الأبناء إمَّا بفعل الإهمال، أو بفعل الضغوط المادية والمعنوية يدفع بهم بعيدًا نحو جماعة الأقران، وإذا كانت هذه الجماعة جانحة فإنَّ حاجة الفرد لأن يكون مقبولًا من جماعة تتقبله وتمنحه الدعم، بل سوف تدفعه إلى أنْ يتوحد معها مشاركًا فيما تنتهجه لكي يصبح أحد أعضاء عصبة الجانحين، وهذا ما يحدث للمراهقة حين تنضم إلى مجموعة الصديقات بما يحملنه من أفكار في غالبها اندفاعية ومتمردة على الضوابط الاجتماعية، فالمراهقة نظرًا لبقائها ومخالطتها لمدة زمنية طويلة وبصورة شبه يومية لصديقاتها يمكن أنْ يجعلها تنتهج بعض السلوكيات الانحرافية، أو تتبنى صورة نمطية عن الذات وتنطلق منها في التفاعل مع الآخرين، وكلاهما يحصل بفعل التحبيذ والاستحسان.

أمَّا نظرية الدور الاجتماعي لجورج هربرت ميد G.H.Meed فتؤكِّد على قضية الاختلاف بين أدوار الذكور والإناث أو الأدوار المرتبطة بها بالجندر، إذْ الاختلاف في عملية التنشئة الاجتماعية له دور في تفسير الاختلاف في موقفهما من الجريمة، فتنشئة الفتاة على الخضوع والسلبية بواسطة الضبط الاجتماعي الصارم لها، مقابل منح الفتى الحرية الكاملة،

وتشجيعه على الجرأة، والرجولة ينعكس على طبيعة موقف كلّ منهما من العنف، فالفتاة تنفر من العنف، والعدوان، حتى إذا ارتكبت السلوك المنحرف فغالبًا يكون دورها ثانويًا، أو مساندًا للرجل فهي لا تقوم بارتكاب الجريمة إلَّا بمساعدة الرجل (هلال، ٢٠٠٢م: ص ٣٠٥).

ونتيجة لذلك فإنَّ آثار الدور الاجتماعي الذي تؤدِّيه التنشئة الاجتماعية في التوعية للمراهقات لا يقتصر على مسألة الخضوع والاستكانة، ولكنه يؤثر أيضًا في تنمية القدرة على المقاومة وقبل ذلك في النظرة للذات واعتبارها، وكذلك في القدرة على معالجة الإشكاليات التي قد تقع بها لاحقًا، واللجوء للوجهة الصحيحة لمساعدتها، وعدم السكوت أو معالجة الخطأ بخطأ أكبر، لا تجد عنده من يستطيع حمايتها.

وفي غياب مواكبة الوعي للخطر الانفتاحي تبرز نظرية وليام أوجبرن W. Ogbuen عن التخلف الثقافي والتي تفيد بأنَّ: "عناصر الثقافة تتغير بنسب متفاوتة، فالعناصر المادية في التراث الثقافي تتغير بسرعة أكبر من العناصر المعنوية، واعتبر (أجبرن) تلك العناصر المادية ( متغير مستقل )، بينما العناصر المعنوية ( متغير تابع)" (جلبي،٢٠٠١م: ص٣١٥).

ووفقًا لهذه النظرية؛ فالمراهقة تشارك أفراد المجتمع في تعرضها للفجوة العميقة بين التقدم المادي والتقدم المعنوي، فبالرغم من أنَّ التقدم التكنولوجي يهدف بصورة أساسية لرفاه الإنسان ورقيه وحمايته، إلَّا أنَّه ومع بطء التوافق الفكري والالتزام الأخلاقي أصبح العديد من الأفراد يستخدمون هذه التكنولوجيا للإضرار بالآخرين واستغلالهم، ومن هؤلاء فئة المراهقات، خصوصًا في غياب الفهم الوقائي والإجراءات الاحترازية من قبلهن، ووجود عوامل مشجعة على الاندفاع في التسليم والخضوع، والتفريط في أبسط قواعد الأمان، وهذا يعرضها للوقوع فريسة للاستغلال والابتزاز في غياب وعيها بالتدابير الوقائية اللازمة.

## منهجية البحث

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وتبيّن ذلك من المدخلين الرئيسيين وهما: المدخل الوصفي التحليلي الوثائقي: والذي يستند إلى تحليل أدبيات الفكر الاجتماعي والأمني والتي جرى اقتباسها من مراجع أساسية وثانوية، وذلك بهدف الوصول إلى تصور معرفي عن موضوع البحث وأبعاده، والنظريات الاجتماعية المفسرة له، والمدخل المسحي الاجتماعي نتيجة وضع عينة ممثلة طبقت عليها أداة البحث لتحديد واقع الوعي الاجتماعي الأمني، والعوامل المؤثرة في هذا الوعي، والدور الذي يؤدِّيه وعي المراهقة في وقايتها من الجريمة، وذلك باستعراض مجموعة من المواقف المفترضة وقياس ردة فعل المبحوثات تجاهها.

وتمثل مجتمع البحث في طالبات المرحلة الثانوية السعوديات في المدارس الحكومية بنظام التعليم العام النهاري بمدينة الرياض للعام الدراسي١٤٣٥-١٤٣٦هـ. والبالغ عددهن(٤٤٢٠٩ طالبة). وجرى تطبيق الأداة على عينة عنقودية قوامها( ٣٨٢طالبة) موزعة على مكاتب التعليم التابعة لمدينة الرياض بنسب متوافقة مع نسب أعداد الطالبات التابعات لكل مكتب.

واستخدمت الباحثة أداة مكونة من مقياسين: اختص المقياس الأول(٣٤) فقرة بالوعي الاجتماعي الأمني من حيث هو الوعي بالخطر المتعلق بالضرورات الخمس ملحقًا به مجموعة من الفقرات الواقعية وعددها (٦)، والتي تعبر عن مجموعة من الأخطار التي من الممكن أنْ تتعرض لها المراهقة في هذه المرحلة إضافة إلى البيانات الأولية للعينة، في حين اختص المقياس الآخر(٣٠) فقرة بالعوامل الاجتماعية المؤثرة في الوعي الاجتماعي الأمني، إضافة إلى البيانات الأولية للعينة.

**مراحل إعداد الأداة**

**أولًا: مقياس واقع الوعي الاجتماعي الأمني**

**المرحلة الأولى:**

قامت الباحثة بالاطلاع على التراث النظري المتعلق بمشكلة الدراسة والعديد من الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة موضوع الوعي الأمني، مثل: دراسة (الفهيد) ودراسة (البقمي) ودراسة (الخزاعي)، وكذلك الاطلاع على مؤشرات الوعي الأمني وأنواعه، ومن ثَمَّ بلورة مفهوم للوعي الاجتماعي الأمني إجرائيًا بأنَّه الوعي المرتبط بالضرورات الخمس، ومن ثمَّ أصبحت الأبعاد التي سيتناولها المقياس هي الوعي بالخطر المرتبط بكلٍّ من: الدين والنفس والعقل والعرض والمال والخطر المتعدد، كما جرى استقصاء أبرز مواطن الخطر التي يمكن أنْ تتعرض لها المراهقة في المجتمع السعودي بمراجعة التراث النظري وخصائص المرحلة العمرية.

**المرحلة الثانية:**

تمت ترجمة الوعي بالخطر المرتبط بكل بعد من هذه الأبعاد إلى مجموعة من الفقرات كما يأتي:

الخطر المرتبط بالدين: ٥ فقرات.

الخطر المرتبط بالنفس: ٦ فقرات.

الخطر المرتبط بالعقل: ٥ فقرات.

الخطر المرتبط بالعرض: ٦ فقرات.

الخطر المرتبط بالمال: ٥ فقرات.

الخطر المتعدد: ٧ فقرات.

وبذلك أصبحت فقرات المقياس (٣٤ فقرة)، (بعد التعديلات وفي صورتها النهائية)، ووُضِعتْ للمقياس إجابات خماسية موحدة تمثلتْ في: أوافق بشدة، أوافق، محايدة، أرفض، أرفض بشدة. تحمل القيم من (١: ٥)

على التوالي، بحيث تقوم المبحوثة بالاختيار من بينها بوضع إشارة / في المربع المقابل للفقرة والذي يمثل استجابتها.

كذلك جرى صياغة المخاطر التي يمكن أنْ تتعرض لها المراهقة في صورة (٦) مواقف افتراضية، وُضع لكلٍ منها أربع إجابات لتختار المبحوثة واحدة فقط منها تكون هي الأقرب إلى نفسها من بين الإجابات، حيث رُتِّبَتْ أبجديًا لتفادي الإيحاء بالإجابة.

**المرحلة الثالثة:**

تقدير المتوسط الحسابي الكلي لأبعاد المقياس كما في الجدول الآتي:

**جدول رقم (١). يوضح طريقة تقدير المتوسط الكلي لأبعاد مقياس الوعي الاجتماعي .**

| المتوسط | القيمة المقابلة | الدلالة |
|---|---|---|
| من ١ إلى أقل من ١,٨٠ | أرفض بشدة | وعي مرتفع جدًا |
| من ١,٨٠ إلى أقل من ٢,٦٠ | أرفض | وعي مرتفع |
| من٢,٦٠ إلى أقل من ٣,٤٠ | محايدة | وعي متوسط |
| من ٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠ | أوافق | وعي منخفض |
| من ٤,٢٠ وحتى ٥,٠٠ | أوافق بشدة | وعي منخفض جدًا |

**جدول رقم (٢). يوضح قيم استجابات أفراد العينة للفقرات الموقفية بعد ترتيبها أبجديًا**

| الموقف | الاختيار ١ | الاختيار ٢ | الاختيار ٣ | الاخ تيار ٤ |
|---|---|---|---|---|
| العلاقات العاطفية | ١ | ٤ | ٣ | ٢ |
| التهاون في الذهاب مع الغرباء | ٣ | ٢ | ٤ | ١ |
| الخروج مع شاب دون رابط | ١ | ٣ | ٢ | ٤ |
| تعاطي المخدرات | ١ | ٢ | ٤ | ٣ |
| الابتزاز | ١ | ٣ | ٤ | ٣ |
| الجناية تجنبًا للفضيحة | ٤ | ١ | ٢ | ٣ |

**المرحلة الرابعة:**

وفيها جرى تدقيق البنود لغويًا ونحويًا والتأكد من سلامة التراكيب، وبعد ذلك عُرض المقياس على عينة من المراهقات للتأكد من فهم فقراته وسهولة الإجابة عنها، وأخيرًا كان التأكد من صدق وثبات المقياس.

**ثانيًا : مقياس العوامل الاجتماعية المحددة للوعي الاجتماعي الأمني**

**المرحلة الأولى:**

بعد الاطلاع على التراث النظري لمشكلة الدراسة، وعلى العديد من الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة موضوع العوامل الاجتماعية: مثل، دراسة (الشهري) ودراسة (الرويلي)، قامت الباحثة بتحديد أبرز العوامل الاجتماعية المحددة للوعي وتمثلت في كلٍّ من: الأسرة، المدرسة، الصديقات، الإعلام والإنترنت، الأنشطة والمهارات والهوايات.

**المرحلة الثانية:**

وفيها جرى ترجمة دور كل عامل من هذه العوامل إلى مجموعة من الفقرات على النحو الآتي:

عامل الأسرة: ٧ فقرات.

عامل المدرسة: ٥ فقرات.

عامل الصديقات: ٦ فقرات.

عامل الإعلام والإنترنت: ٥ فقرات.

عامل الأنشطة والمهارات والهوايات: ٧ فقرات.

وبذلك أصبحت فقرات المقياس (٣٠ ) فقرة (بعد التعديلات وفي صورتها النهائية)، كما وضعت إجابات خماسية للفقرات تمثلتْ في:( دائمًا، غالبًا، أحيانًا، نادرًا، أبدًا)، إذ تحمل القيم من( ٥ : ١) على التوالي، كما تقوم المبحوثة بالاختيار من بينها بوضع إشارة / في المربع المقابل للفقرة والذي يمثل استجابتها.

**المرحلة الثالثة:**

وفيها تقدير المتوسط الحسابي الكلي لأبعاد المقياس كما في الجدول الآتي:

**جدول رقم (٣). يوضح طريقة تقدير المتوسط الكلي لأبعاد مقياس الوعي الاجتماعي .**

| المتوسط | القيمة المقابلة | الدلالة |
|---|---|---|
| من ١ إلى أقل من ١,٨٠ | أبدًا | تأثير العامل منخفض جدًا |
| من ١,٨٠ إلى أقل من ٢,٦٠ | نادرًا | تأثير العامل منخفض |
| من٢,٦٠ إلى أقل من ٣,٤٠ | أحيانًا | تأثير العامل متوسط |
| من ٣,٤٠ إلى أقل من ٤,٢٠ | غالبًا | تأثير العامل مرتفع |
| من ٤,٢٠ وحتى ٥,٠٠ | دائمًا | تأثير العامل مرتفع جدًا |

**المرحلة الرابعة:**

جرى تدقيق البنود لُغويًا ونحويًا والتأكد من سلامة التراكيب، وبعد ذلك جرى عرض المقياس على عينة من المراهقات للتأكد من فهم فقراته وسهولة الإجابة عليها، وأخيرًا كان التأكد من صدق وثبات المقياس.

وقد استخدمت الباحثة الإجراءات العلمية للتأكد من الصدق والثبات للأداة بواسطة العرض على مجموعة من المحكمين، ومن ثَمَّ تعديلها بما يتوافق مع توجيهاتهم، وفحص فقرات الأداة للكشف عن الاتساق الداخلي بينها بعد تطبيقها على عينة استطلاعية، كما جرى تطبيق اختبار (ألفا كرونباخ) للتحقق من ثبات الأداة، كما جرى حساب معامل (ارتباط بيرسون) بين درجة كل فقرة والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه، وذلك لتقدير الاتساق الداخلي لأداة الدراسة، كذلك جرى حساب معامل (ألفا كرونباخ) Cronpach alph لفقرات كل بعد لقياس ثبات أداة الدراسة.

أيضًا جرى استخدام بعض المقاييس الإحصائية تبعًا لما تقتضيه أهداف البحث وهذه المقاييس هي:

- التكرارات والنسب المئوية، وقد اُستخدمتْ لتحديد استجابات مجتمع البحث اتجاه فقرات الأداة ووصف خصائص مجتمع الدراسة.
- المتوسطات الحسابية الموزونة، والمتوسط الحسابي الموزون=مجموع تكرار كل فئة×وزنها مقسومًا على العدد الكلي.
- الانحرافات المعيارية، وُاستخدمت في هذا البحث لحساب القيمة التي يعطيها مجتمع البحث لكل فقرة على حدة، كما استخدمت لترتيب فقرات المقياس حسب أهمية كل فقرة أو مجال في حال تساوي الأهمية النسبية لها أو تساوي الوسط الحسابي الموزون.
- النسب المئوية والمتوسطات الحسابية لحساب مستوى الدلالة لكل بعد من أبعاد مقاييس الأداة.
- معامل الارتباط بيرسون بين مقياس الوعي بأبعاده المتعددة والفقرات الموقفية.
- تحليل التباين الأحادي (ONE WAY ANOVA)واختبار(ف) لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة وفق المتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة.
- اختبار(LSD) لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات استجابات أفراد العينة.

## نتائج البحث

١- يوجد وعي أمني بنسبة مرتفعة لدى المراهقة عن الأخطار المتعلقة بالضرورات الخمس في مجال الدين والنفس والعرض، وبنسبة متوسطة في مجال العقل والمال والمجال المتعدد.

٢- لعامل الأسرة وعامل الصديقات تأثير كبير على وعي المراهقة الأمني، في حين يعدُّ تأثير عامل المدرسة، وعامل الإعلام والإنترنت وعامل الأنشطة والمهارات والهوايات متوسطًا.

٣- توجد علاقة عكسية تامة بين وعي المراهقة الأمني والانخراط في علاقات عاطفية دون رابط شرعي.

٤- توجد علاقة عكسية شبه تامة بين وعي المراهقة الأمني والتهاون بالذهاب مع الغرباء.

٥- توجد علاقة عكسية شبه تامة بين وعي المراهقة الأمني والخروج مع شاب دون رابط شرعي.

٦- توجد علاقة عكسية شبه تامة بين وعي المراهقة الأمني وتعاطي المخدرات.

٧- توجد علاقة عكسية تامة بين وعي المراهقة الأمني والتعرض للابتزاز.

٨- توجد علاقة عكسية تامة بين وعي المراهقة الأمني والجناية على النفس أو الغير تجنبًا للفضيحة.

٩- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة مرتبطة بالعيش مع الوالدين.

١٠- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة مرتبطة بتعليم الوالد، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة مرتبطة بتعليم الوالدة باستثناء الوعي بالخطر المرتبط بالدين، حيث تبين تناسب هذا الوعي لدى المراهقة عكسيًا مع مستوى تعليم الوالدة.

١١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة مرتبطة بعمل الوالد، في حين وُجدتْ فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة، وعلى وجه التحديد الوعي بالخطر المرتبط بالنفس، والعرض، والمال، والوعي بعامة، مرتبطة بعمل الوالدة لصالح المشتغلات بأعمال حرة، وموظفات القطاع الأهلي، وربات البيوت، والمتقاعدات على التوالي.

١٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة ترتبط بدخل الأسرة، باستثناء الوعي بالخطر المتعدد، لصالح الأسر ذات الدخل المحدود.

١٣- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الوعي الأمني للمراهقة مرتبطة بأسبقية السفر إلى خارج المملكة.

**توصيات الدراسة**

- استحداث مقرر دراسي إلزامي، يهتم بتناول الجوانب الأمنية التي تهم الجنسين في مرحلة المراهقة وتساعد في وقايتهم من الجريمة.
- إقامة دورات متخصصة في سبل التعاون مع الجهات الأمنية في القبض على مروجي المخدرات من الإناث.
- التركيز على التوعية الأمنية بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي عن خطر العلاقات غير الشرعية وعواقبها.
- استثمار الفن المسرحي بصورة جيدة في مجال التوعية الأمنية لأفراد المجتمع، بما يتناسب مع خصائص المجتمع وحاجته، سواء كان ذلك مباشرة أو عن طريق الإعلام.

## المراجـــع

### أولًا : المراجع العربية


**إبراهيم، سهير**(٢٠٠١م.) *العلاقة بين شبكة الاتصال داخل الأسرة وبين اختيار المراهقين لجماعة الرفاق غير السوية*، مصر: جامعة عين شمس.

**ابن منظور، محمد بن مكرم** (د. ت). *لسان العرب*، نسخة إلكترونية، بيروت لبنان: دار المعارف.

**أبو حميد، سعد ناصر** (١٤٢٣هـ.) *العوامل الاجتماعية وعلاقاتها بالسلوك الإجرامي*، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية.

**أبو ساق، محمد مدني** (١٤٢٣هـ.) *اتجاهات السياسة الجنائية المعاصرة والشريعة الإسلامية*، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية .

**إدارة التخطيط والإحصاء** (١٤٣٤ه.) *الكتاب الإحصائي لوزارة الداخلية*.

**إدارة الجودة والاعتماد الأكاديمي** (٢٠١١م.) *دليل استرشادي لكتابة الرسائل العلمية وفق معايير الجودة والاعتماد الأكاديمي*، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

**آل ربحان، محمد سعيد** (١٤١٧هـ.) *دور الإدارة المدرسية في الأمن الوقائي*، دراسة ميدانية على المدارس الثانوية بمدينة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

**أمين، فريد علي** (٢٠٠٩م.) *دور الإعلام في الوقاية من جرائم الاحتيال*، مجلة الباحث الإعلام، كلية الآداب: الجامعة المستنصرية.

**بدوي، أحمد زكي** (١٤٠٧ه.) *معجم المصطلحات*، القوى العاملة الإسكندرية، مؤسسة بيت الشباب

البقمي، تركي بن عيد (١٤٣٣هـ.) *دور الوعي الأمني في الوقاية من الجرائم الإرهابية*، رسالة ماجستير، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

**الثقفي، فهد عايض** (١٤٣٣ه.) *إسهام الإدارة المدرسية في تنمية القيم الأمنية لدى طلاب المدارس بالمرحلة الثانوية بمدينة الطائف*، رسالة ماجستير، مكة المكرمة: جامعة أم القرى.

**جاد، عماد** (١٩٩٥م.) *معوقات الدور الإقليمي ومفاهيمه المتعددة*، القاهرة: مركز الأهرام للدراسات الإستراتيجية.

**جلبي، علي عبدالرازق؛ وآخرون** (٢٠٠١م.) *نظرية علم الاجتماع الاتجاهات الحديثة والمعاصرة*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

**الجوهري، إسماعيل بن حماد**(١٤٠٤هـ.) *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، ط٣، المجلد٤، تحميل من الإنترنت.

**حويتي، أحمد** (١٩٩٦م.) *دور الإذاعة والتلفزيون في نشر الوعي الأمني والوقاية من الجريمة والانحراف: نظرة عامة*، ندوة دور مؤسسات الإعلام والتنشئة في نشر الوعي الأمني ومحاصرة الجريمة: الإمارات العربية المتحدة.

**الحيدر، إبراهيم** (١٤٢٥هـ.) *الرؤية المستقبلية للدور الوقائي للمؤسسات المجتمعية عبر عرض التجربة الكندية في المنهج التكاملي للوقاية من الجريمة*، *ندوة المجتمع والأمن*، الدورة الثالثة، الرياض: كلية الملك فهد الأمنية.

**الخطيب، بادي** (١٩٨٥م.) *تدهور الوعي الجماهيري ومسئولية الإعلام العربي*، مجلة الوحدة العربية العدد ٥٤.

**الربيعان، دانة صلال** (١٤٣٤هـ.) *دور مديرات المدارس في تعزيز الوعي الأمني لدى الطالبات بالمرحلة الثانوية بمدينة الرياض*، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

**الرويلي، نورة مفلح** (١٤٢٩هـ.) *العوامل المؤثرة بوعي الشابة السعودية بحقوقها*، رسالة ماجستير، الرياض: جامعة الملك سعود.

**الزهراني، هاشم** (٢٠٠٤م.) *الأمن مسؤولية الجميع: رؤية مستقبلية*، مشاركة في ندوة المجتمع والأمن، الدورة الثالثة، الرياض، كلية الملك فهد الأمنية.

**السلطان، فهد بن سلطان** (٢٠٠٨م.) *التربية الأمنية ودورها في تحقيق الأمن الوطني*، ندوة الأمن مسؤولية الجميع، الرياض: جامعة الملك سعود.

**سليم، محمد بن مسفر** (١٤١١هـ.) *دور الإدارة المدرسية في الوقاية من جنوح الأحداث*، دراسة تطبيقية على المرحلة المتوسطة بمنطقة الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

**سمية، حومر** (٢٠٠٦م.) *أثر العوامل الاجتماعية في جنوح الأحداث*، رسالة ماجستير، الجزائر: جامعة منتوري قسنطينة.

**السيد، ماجد عبدالمتعال** (١٩٩٧م.) *دور التربية في وقاية طلاب المرحلة الثانوية من المخدرات*، رسالة ماجستير غير منشورة، الإسكندرية: كلية التربية.

**الشبيب، حصة** (١٤٢١هـ.) *العوامل الاجتماعية المؤثرة في أداء القيادات النسوية السعودية العاملة في قطاع التعليم العام في مدينة الرياض*، رسالة ماجستير، الرياض: جامعة الملك سعود.

**شلبي، عبدالله** (٢٠١٢م.) *علم الاجتماع النظرية والاستراتيجيات البحثية*، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

**الشهري، أحمد بن علي**(١٤٣٥هـ.) *العوامل الاجتماعية المحددة لمفهوم الحرية لدى طلاب المرحلة الثانوية*، رسالة ماجستير، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

**الشهري، فايز علي**(١٤٢٧ه.) *دور المدارس الثانوية في نشر الوعي الأمني*، دراسة ماجستير، الرياض: جامعة نايف العربية.

**طالب، أحسن** (١٤٢٢ه.) *الوقاية من الجريمة*، بيروت: دار الطليعة.

**طالب، أحسن** (٢٠٠٢م.) *سوسيولوجيا الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية*، بيروت: دار الطليعة.

**الطخيس، إبراهيم** (١٩٩٤م.) *دراسات في علم الاجتماع الجنائي*، ط٢، الرياض: دار العلوم.

**طنش، على السيد** (١٩٩٣م.) *محاضرات في المدخل إلى التربية*، القاهرة: كلية التربية النوعية بالدقي.

**عبد المعطي، عبد الباسط** (١٩٨٣م.) *الوعي التنموي العربي*، بيروت: معهد الإنماء العربي.

**عبدالله، نوري سعدون** (٢٠١١م.) العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة، العراق: جامعة الأنبار.

**العتيبي، تركي** (٢٠١١م.) *دور إدارة المدرسة في تعميق الوعي الأمني لدى الطلاب*، مشاركة في ندوة المجتمع والأمن، الدورة السادسة، الرياض، كلية الملك فهد الأمنية.

عمر، معن خليل(١٩٩٩م.) *البناء الاجتماعي، أساسه ونظمه*، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.

**الفهيد، عبدالله بن إبراهيم** (١٤٣٣ه.) *الوعي بالمسؤولية الأمنية لدي طلاب الجامعات السعودية*، رسالة دكتوراه، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

**الفيروزبادي، مجد الدين محمد** (٢٠٠٨م.) *القاموس المحيط* (نسخة منقحة وعليها تعليقات)، القاهرة، دار الحديث.

**القحاص، إبراهيم بن إبراهيم** (١٤٢٠ه.) *إسهام الإدارة المدرسية في الحدِّ من جنوح الأحداث من وجهة نظر مديري ومعلمي ومرشدي طلاب المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض*، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة: كلية التربية، جامعة أم القرى.

**كتبخانه، إسماعيل خليل** (٢٠٠٦م.) *أسس علم الاجتماع*. جدة: خوارزم العالمية للنشر والتوزيع.

**محمود، إيمان عبدالرحمن** (٢٠١٠م.) *دور الإذاعة في نشر التوعية الأمنية*، الإذاعة السودانية نموذجًا، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

**المنشاوي، محمد عبدالله** (١٤٢٤ه.) *جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي*، رسالة ماجستير غير منشورة، الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

**منصور، محمد؛ وعبدالسلام، فاروق (١٤١٠ه.)** *النمو من الطفولة إلى المراهقة*، ط٤، جدة: مكتبة تهامة.

**نجم، محمد صبحي (١٩٩٨م.)** *المدخل إلى علم الإجرام وعلم العقاب*، الرياض: مكتبة العبيكان.

**هلال، ناجي (٢٠٠٢م.)** *الاتجاهات النظرية والمنهجية المفسرة للانحراف الاجتماعي*، السعودية: المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، العدد(٣٣)، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.

## ثانيًا: المراجع الأجنبية

**Barbert,R.& B. S. Fisher**(2009). " *Can security Beget In Security and Crime Prevention Awareness and Fear of Burglary Among University students in The East Midlands*", Security Journal, Vol.(22), (1),PP.3-23.

**Brown, S(1998**). *Understanding Youth and Crime Listening to youth*?, Buckingham: Open University Press.p289.

**Harris, christen(1985***). Social and Emotional Development During Adolescence, Child Development*. Newyork, West publishing. company.pp630,638http://www.victimsofcrime.org /docs/Documents/teen_victim_report.pdf?sfvrsn=0

**Myburgh. Marius(1997**). *The value of Meaningful leisure Utilization in the prevention of deviant and delinquent Behavior*, University of Pretoria (south Africa).

**Pleban, Francis thaddeus(2002**) *Risk and protective factors for juvenile delinquency and gang involvement among selected high school students*, southern Illinois university at carbon dale.

**Sawir,E.et.al(2009**). *"The Social and Economic Security international Student A New Zealand Study* "Higher Education Policy, Vol.(22),461-482.

**Yanay, U( 2006**). *" Personal Security and The Right to Protection* ", Social Policy and Administrate, Vol. (40). No(5), PP.509-525.

## ثالثًا: المراجع الإلكترونية

١- قاموس المعاني الإلكتروني

**http://www.almaany.com**

٢- موقع مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات.

**http://www.cdsi.gov.sa/index.php**

٣- موقع كلية الملك فهد الأمنية.

**http://www.kfsc.edu.sa/ResearchCenter/ExhibitionsSeminars/Seminars/SixthSymposium/Pages/default.aspx**

مجلة الآداب، م٢٩، ع٣، ص ص ٢١٥-٢٥٠، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠١٧/ ١٤٣٨هـ)

# المشكلات التي تواجه المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية

**علي أحمد السالم**

*أستاذ مساعد في علم اجتماع الصحة، واستشاري اجتماعي في المدينة الطبية، بجامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية*

(قدم للنشر في ١٩/ ٧/ ١٤٣٧هـ، وقبل للنشر في ١/ ١/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية** : المشكلات، المرضى، الانتقال، المستشفيات الحكومية.

**ملخص البحث**: هدفت هذه الدراسة إلى محاولة تحديد حجم المشكلات التي تواجه المرضى السعوديين المنتقلين من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية إلى مدينة الرياض لتلقي العلاج في المستشفيات الحكومية، ومن ثَمَّ المقارنة بين نوع المنطقة التي ينتمي إليها المرضى والمشكلات التي تواجههم. وتُعَدُّ هذه الدراسة الأولى من نوعها في المجتمع السعودي حسب علم الباحث، ومن الدراسات الاستطلاعية مستخدمة منهج المسح الاجتماعي بالحصر الشامل.

وبينت نتائج الدراسة – بوجه عام – أنَّ هناك مشكلات تواجه هؤلاء المرضى تمثلت في المعاناة الإنسانية، حيث بلغت نسبتها (٤٩,٨٪) عند مستوى المعاناة المتوسطة، و(٣٠,١٪) عند مستوى المعاناة العالية، و(١٨,٧٪) عند مستوى المعاناة المنخفضة. أمَّا الخسائر الاقتصادية فقد بلغت نسبتها (٤٦,٤٪) عند مستوى الخسائر المتوسطة، و(٢٩,٩٪) عند مستوى الخسائر العالية، و(٢٢,٦٪) عند مستوى الخسائر المنخفضة. في حين بلغت نسبة المعوقات التنظيمية (٤٤,٤٪) عند مستوى المعوقات العالية، و(٣٧,٩٪) عند مستوى المعوقات المتوسطة، و(٢٢,٦٪) عند مستوى المعوقات المنخفضة. كما أنَّ هناك نسبة ضئيلة من المبحوثين لا تتجاوز (٤٪) لم تواجه أيّ مشكلات، وقد جاءت منطقة عسير كأعلى منطقة بين مناطق المملكة العربية السعودية يواجه مرضاها معاناة إنسانية. أمَّا الخسائر الاقتصادية فجاءت في منطقة الجوف، وفي المعوقات التنظيمية جاءت منطقة الباحة. وفيما يخصُّ الحلول والمقترحات فقد نال خيار وجود جمعية أو إدارة تهتم وترعى شؤون المرضى المرتبة الأولى من حيث الأهمية.

# Challenges facing Saudi patients who move from other regions of the Kingdom to Riyadh City for medical treatment at government hospitals

**Ali Ahmed Al Salem**
*PhD Sociology of Health and Social Consultant, the Medical City of King Saud University, Riyadh, Riyadh, Saudi Arabia*

(Received 5/7/1437H; Accepted for publication 1/1/1438H)

**Keywords:** Challenges, Patients, Moving in, Government Hospitals**.**

**Abstract:** This study aims at trying to determine the size of the challenges facing Saudi patients who are compelled move from different regions of Saudi Arabia to Riyadh for treatment at government hospitals, and then to investigate the link between the areas from which patients come and the type of challenges they face during their medical trip to Riyadh. To the knowledge of the researcher, this study is the first of its kind in Saudi society.

The results have revealed that that among the challenges these patients encounter is the human suffering: (49.8%) of respondents classify the level of this suffering as medium, (30.1%) as high, and (18.7%) as low. As for the economic losses, (46.4%) of the respondents classify them as medium level losses, (29.9%) as high level losses, and (22.6%) as low level losses. As for the organizational challenges, (44.4%) of respondents said they had faced high-level challenges, (37.9%) said that the challenges were medium, (22.6%) said they had faced low-level challenges and (4%) of the respondents had not faced any challenges. The data has revealed that the patients who endured most in terms of human suffering are those coming from the region of Asir. The patients from the Jouf region suffered most economic losses while Al Baha region patients suffered most is terms of organizational challenges. Regarding the solutions and recommendations, the overall majority of respondents suggested the founding of an association to manage the affairs and to take care of these patients when they move to Riyadh for medical treatments.

**تمهيد**

تمثل المستشفيات في الدولة الحديثة البيئة الطبيعية المناسبة لمعالجة الأمراض، وهي المعالجة التي تعتمد على تضافر عدة عناصر من بينها التقنية والمعالجة بالأدوية والجراحة. ولم تصل المستشفيات الحديثة إلى ما وصلت إليه إلَّا بتطورات تاريخية تعود جذورها إلى الحضارات القديمة التي جسدت محاولات الإنسان المستمرة، لتوفير أماكن لعلاج المرضى وإنقاذ المصابين.

وفي المملكة العربية السعودية اهتم النظام الصحي بضمان توفير الرعاية الصحية الشاملة والمتكاملة الوقائية والعلاجية والتأهيلية والتعزيزية لكافة أفراد المجتمع. كما أنَّ الخدمات العلاجية حظيت باهتمام كبير سواءً في القطاع الحكومي أو الخاص، ويبدو ذلك في المستشفيات الثانوية والتخصصية، والعمل على تطويرها كمًّا وكيفًا، ليرتفع معها مستوى الخدمات العلاجية، والهدف من هذا الاهتمام هو تلبية احتياجات المواطن من الرعاية الصحية في أرجاء المملكة كافة، وذلك بواسطة نشر مراكز الرعاية الصحية وسط التجمعات السكانية الكثيرة والمتناثرة، لتقديم الخدمات العلاجية الشاملة لجميع المواطنين، ونشر المستشفيات التخصصية في جميع المناطق (الحزام الصحي)، لتوفر على المواطنين عناء السفر لمراجعة المستشفيات الحكومية في المدن الرئيسة.

وبالرغم من تلك الجهود تواجه وزارة الصحة مشكلة زيادة الطلب على خدمات الرعاية الصحية بصورة مطردة في مناطق المملكة العربية السعودية كافة، وذلك لعدة عوامل ديموغرافية واجتماعية واقتصادية وجغرافية، ومن أبرزها زيادة حجم السكان بمعدلات مرتفعة، إذْ تشير التقديرات الإحصائية للسكان إلى أنَّه حتى عام ١٤٤٤/ ١٤٤٥هـ، (٢٠٢٤م)، سوف تستمر الزيادة السكانية بالمملكة بمعدل نمو مرتفع، وذلك بسبب ارتفاع معدل الخصوبة وانخفاض معدلات الوفيات، وستتطلب هذه الزيادة متطلبات إضافية من مرافق وقوى بشرية صحية تتواءم مع الاحتياجات السكانية، وبما يحافظ على معدلات الخدمة الصحية، كما أنَّ نسبة عدد السكان من الذين تزيد أعمارهم عن (٦٠) سنة سترتفع في إجمالي عدد السكان بحلول عام ١٤٤٠/ ١٤٤١هـ (٢٠٢٠م)، وأنَّ متوسط العمر المتوقع قد يرتفع (من ٩ , ٧١ إلى ٧٧ )، سنة بنهاية المدة نفسها، يضاف إلى ذلك أنَّ خريطة الحالة الصحية ومعدلات الإصابة بالأمراض تستمر في التغير بالمملكة العربية السعودية، مما أدَّى إلى تحسن مستمر في خفض معدلات الإصابة بالأمراض السارية نتيجة لبرامج الوقاية والتوعية الصحية التي جرى تنفيذها ضمن نشاطات الرعاية الصحية ، ومن ثَمَّ تتجه نسبتها في إجمالي عبء المراضة إلى الانخفاض.

أمَّا في مجال الأمراض غير السارية وإصابات الحوادث فإنَّ نسبتها في إجمالي عبء المراضة يتجه إلى الارتفاع بسبب ظهور أنماط جديدة من الأمراض والإصابات المصاحبة للنمو الحضري والتطور الصناعي مع زيادة الكثافة السكانية وتغير نمط الحياة، إذ سيؤدِّي ذلك إلى التطور في نوعية الاحتياجات من الخدمة الصحية التي تتطلبها هذه التغيرات، ومن ثَمَّ ضرورة التوسع في توفيرها لمقابلة الطلب المتزايد عليها (وزارة الاقتصاد والتخطيط، ٢٠٠٥م.).

**مشكلة الدراسة**

إنَّ تمركز المستشفيات الحكومية ذات التقنية العالية والكوادر الطبية والصحية والإدارية المتميزة في مدينة الرياض العاصمة شكَّل عبئًا على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، وذلك نتيجة الضغط المتزايد على تلك المستشفيات، وانتقال المرضى من محل إقامتهم وابتعادهم عن أسرهم وانقطاعهم عن أعمالهم وتحملهم مشقة السفر وتكاليف الإقامة والإعاشة والمواصلات، ففي آخر إحصائية لوزارة الصحة بلغ إجمالي عدد المحولين عام ٢٠١٤م (٥٨٥٤٥) حالة، كان نصيب مدينة الرياض (١١٨٠٤)حالة (وزارة الصحة، ٢٠١٤م.) لكن هناك أعدادًا من المرضى لم تشملهم الإحصائية، بسبب أنَّهم تلقوا علاجهم من غير تحويل (طريقة غير رسمية).

لا شك أنَّ انتقال المرضى من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية لتلقي العلاج في المستشفيات الكبرى والمتخصصة في مدينة الرياض صاحبه العديد من المشكلات، وعليه؛ فإنَّ مشكلة هذه الدراسة تسعى إلى تحقيق بعض الأهداف، والإجابة عن بعض التساؤلات.

**أهداف الدراسة**

١- التعرف على الخصائص السكانية للمرضى السعوديين المنتقلين من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية.

٢- تحديد حجم المشكلات التي تواجه المرضى السعوديين المنتقلين من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية إلى مدنية الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية، والمتمثلة في المعاناة الإنسانية والخسائر الاقتصادية والمعوقات التنظيمية.

٣- المقارنة بين نوع المنطقة التي ينتمي إليها المرضى والمشكلات التي تواجههم.

٤- تقديم بعض الحلول والتوصيات التي يمكن أنْ تسهم في معالجة تلك المشكلات.

**تساؤلات الدراسة:**

١- ما الخصائص السكانية للمرضى السعوديين المنتقلين من مختلف مناطق المملكة العربية السعودية إلى

مدنية الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية؟

٢- ما حجم المعاناة الإنسانية التي تواجه هؤلاء المرضى، وهل تختلف باختلاف نوع المنطقة؟

٣- ما حجم الخسائر الاقتصادية التي تواجه هؤلاء المرضى، وهل تختلف باختلاف نوع المنطقة؟

٤- ما حجم المعوقات التنظيمية التي تواجه هؤلاء المرضى، وهل تختلف باختلاف نوع المنطقة؟

٥- ما الحلول والاقتراحات والتوصيات التي يمكن أنْ تُقدَّم بين يدي صانعي السياسات الصحية في المملكة العربية السعودية؟

**مفاهيم الدراسة**

**١- مفهوم المشكلات لغةً واصطلاحًا:**

**المفهوم اللغوي**: ورد في معجم لسان العرب المشكلة بمعنى "العضل وأصل العضل المنع والشدة)، ويقال: أعضل بي الأمر، إذا ضاقت عليك فيه الحيل" (ابن منظور، ٢٠٠٤م. ص ١٨٦).

**المفهوم الاصطلاحي**: جاء مفهوم المشكلة في مصطلح العلوم الاجتماعية بأنَّها "ظاهرة تتكون من عدة أحداث أو وقائع متشابكة وممتزجة بعضها بالبعض لفترة من الوقت ويكتنفها الغموض واللبس تواجه الفرد أو الجماعة ويصعب حلها قبل معرفة أسبابها والظروف المحيطة بها وتحليلها للوصول إلى اتخاذ قرار بشأنها" (بدوي،١٩٨٦م: ٣٢٧). أمَّا منظمة الصحة العالمية فترى المشكلة على أنَّها اعتلال الصحة داخل المجتمع، لذلك تُعرَّف الصحة بأنَّها "حالة من المعافاة الكاملة جسميًا ونفسيًا واجتماعيًا، لا مجرد انتفاء المرض أو العجز" (منظمة الصحة العالمية، ٢٠١٥م.).

عمومًا اختلفت التعريفات السابقة في نقاط واتفقت في نقاط، وهذا يبدو أساسيًا في معالجة الظاهرة موضع الدراسة، فمن جهة الاختلاف فهناك من عدَّ المشكلة على أنَّها حالة من الشدة تواجه الفرد، ومنهم من عدَّها على أنَّها ظاهرة غير واضحة، ومنهم من عدَّها على أنَّها علة، أمَّا من جهة الاتفاق فإنَّ جميع التعريفات السابقة تتفق على أنَّ مفهوم المشكلة هو وضعٌ يحتاج إلى الإدراك والفهم والحل أو العلاج من أجل فائدة ورفاهية الإنسان.

**مفهوم المشكلات إجرائيًا**: يُقصد بالمشكلات في هذه الدراسة بأنَّها: مجموعة من المعاناة الإنسانية والخسائر الاقتصادية والمعوقات التنظيمية التي تواجه المريض السعودي المنتقل من محل إقامته بمنطقته إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية.

**٢- مفهوم الانتقال لغةً واصطلاحًا:**

**المفهوم اللغوي**: جاء في المعجم الوسيط مفهوم الانتقال بمعنى "هَجَرَ هَجرًا: تباعد، ويقال: هجر الفحلُ: ترك الضرابَ، والمريض: هَذَى، ويقال هجر في مرضه وفي نومه" (أنيس، وآخرون، ١٩٧٣م. ص

٩٧٢). وفي معجم العلوم الاجتماعية جاءت الهجرة على أنـَّها "ظاهرة رافقت البشرية منذُ نشأتها، وهي تعني انتقال فرد أو مجموعة بشرية معينة من إطار جغرافي إلى آخر" (معتوق، ٢٠٠١م. ص ٢٣٣).

**المفهوم الاصطلاحي**: تُعرِّف الأمم المتحدة الهجرة بأنـَّها "انتقال السكان من منطقة جغرافية إلى أخرى، وتكون عادة مصاحبة، تغير في محل الإقامة ولو لفترة محدودة" (ابراهيم، ٢٠٠٨م. ص ١٤٢).

عمومًا يمكن أن تُصنَّف التعريفات السابقة إلى:

أ. تفسير ذو بعدٍ عددي: وذلك بوصفه انتقال فردي يقوم به أفراد، أو انتقال جماعي ومن مكان لآخر. كما ورد في معجم العلوم الاجتماعية.

ب. تفسير ذو بعد زمني: وذلك بوصفه الانتقال وقتي؛ أي: لمدة محددة من الزمن أو انتقال دائم من منطقة لأخرى، كما جاء في مفهوم الأمم المتحدة.

ونلاحظ أَنَّ التعريفات السابقة اتفقت على أنَّ الانتقال اصطلاح للدلالة على التحركات الجغرافية، وأنَّ المنتقل هو الشخص الذي ينتقل ويقيم في محل غير إقامته.

**مفهوم الانتقال إجرائيًا**: يُقصد بالانتقال في هذه الدراسة بأنَّه: انتقال المريض السعودي داخل حدود المملكة السياسية من مكان إقامته، سواء كانت مدينة أو قرية أو هجرة أو بادية إلى مدينة الرياض والإقامة فيها لتلقي العلاج في المستشفيات الحكومية.

## ثانيًا: الإطار النظري

**تمهيد:**

تُعَدُّ النظرية محورًا أساسيًا لأي علمٍ من العلوم، وتتضح أهميتها في كونها على مستوى عالٍ من العمومية والتجريد للعديد من المبادئ والقوانين الخاصة والعامة التي تعدُّ بمنزلة تلخيص للوقائع والعلاقات بين الأشياء والظواهر المختلفة، إضافة إلى أنـَّها تُقدم إطارًا تصوريًا يسترشد به الباحثون عند جمع الحقائق وتحليلها، وتساعدهم في التنبؤ بما يمكن أنْ يحدث من ظواهر في المجتمع، وتحديد أوجه النقص في المعرفة الحالية وترشدهم في تطبيق هذه المعرفة تطبيقًا سليمًا (تيماشيف، ١٩٨٢م. ص ٣٦)، و من هذا المنطلق نلاحظ أنَّ هناك العديد من المداخل والاتجاهات النظرية التي يمكن أنْ تُسهمَ في تفسير مشكلة الدراسة الحاليةـ، و أبرزها ما يأتي:

**١- المدخل الاجتماعي**

ترى النظرية الوظيفية أنَّ المجتمع يعمل بطريقة سلسة اجتماعيًا، والمرض يُمثل نوعًا من الخلل الذي يؤدِّي إلى اضطراب انسياب هذه الحالة الاجتماعية الاعتيادية، والفرد في حالة مرضه لا يستطيع أنْ يؤدِّيَ أدواره المتُوقعة، أو لا يكون أداؤه على ما عُهد فيه من كفاءة. ونظرًا؛ لأنَّ المرضى لا يستطيعون القيام بأدوارهم المُعتادة، فإنَّ حياة من حولهم يعتريها الاضطراب والارتباك، فمُهمات العمل خارج البيت

تظل تبحث عمن يؤدِّيها والواجبات والمسؤوليات داخل المنزل تظل غير مكتملة، وقد طرح عالم الاجتماع الأمريكي (تالكوت بارسونز) فكرة (دور المريض) لتفسير أنماط السلوك التي يسلكها المريض لتخفيف الآثار الضارة المُربكة التي يُخلفها المرض، حيث يرى أنَّ الناس يتعلمون دور المريض في تنشئتهم الاجتماعية الأولى، ثم يمارسونه بمساعدة الآخرين عندما يُصيبهم المرض، وهناك ثلاثة عناصر أساسية لهذا الدور، وهي:

أ- إنَّ المريض ليس مسؤولًا بصفة شخصية عن حالة المرض التي يعانيها، فهو نتيجة لأسباب بدنية فوق طاقته، ولا علاقة بين بدايات المرض وسلوك الإنسان وأفعاله الشخصية.

ب- إنَّ للمريض حقوقًا وامتيازات معينة، منها التخلي عن مسؤولياته الاعتيادية، ومن ثمَّ يستحق الإعفاء من واجبات أو أدوار أو أنماط سلوك معينة.

ت- يعمل المريض على استعادة صحته باستشارة خبير طبي، وأنْ يُعطي مرضه طابع الشرعية بشهادة أو تقرير يُعطيه له خبير طبي مهني بعد الكشف عليه (غندنز، ٢٠٠٥م. ص. ٢٤١).

يمكن تفسير الظاهرة المدروسة من هذا المدخل الاجتماعي، إذْ الإصابة بالمرض تؤثر على دور المريض، حيث تتضاءل قدرته في الوفاء بواجباته والتزاماته الأسرية والمجتمعية، فعندما يصاب أحد أفراد الأسرة على سبيل المثال بمرض وينتقل من محل إقامته إلى منطقة أخرى للعلاج، فإنَّ دوره سوف يتعطل داخل الأسرة ومجتمعه المحلي، ويترك فراغًا للأدوار التي كان يقوم بها، فوظيفة الأسرة واتزانها تتوقف في البديل الذي يجب أنْ يؤدِّي الأدوار التي كان المريض يقوم بها، إضافة إلى أنَّ المرض يؤدِّي إلى مزيد من المال بسبب تكاليف العلاج والانتقال إلى المستشفى، وقد تكون هناك حاجة إلى مصروفات إضافية لإنفاقها على الأجهزة الطبية أو الأغذية الخاصة أو الملابس أو غيرها، لذا نجد أنَّ أكثر من يحس بالخسائر المادية الناتجة عن المرض هو المريض والقريبون منه اجتماعيًا، إلَّا أنَّ تأثيرها يصل إلى المجتمع ككل، حيث يفقد المجتمع عضوًا عاملًا منتجًا، والوظائف التي كان يقوم بها قد تحتاج على شخص آخر الأمر الذي قد يحتاج إلى ترتيبات خاصة.

**٢- المدخل الصحي**

تتضح أهمية المدخل الصحي في تحديد أولويات الاحتياجات والمطالب الصحية داخل المجتمع، فمعظم الناس قد لا يكونوا على دراية بالحاجة للخدمات الصحية، ولكنَّه يبدو للعيان متمثلًا في أعداد المراجعين للعيادات والأقسام الخارجية، إنَّ الاحتياجات الصحية لا تؤثر في الأشخاص المعنيين فقط، ولكنَّها تؤثر أيضًا في الذين يرتبطون بهم اجتماعيًا، فالمريض وعائلته والمجتمع والخدمات الصحية لابدَّ أنَّ يؤخذوا جميعًا في الحسبان عند دراسة

حجم الاحتياجات الصحية، ويمكن التعبير عن حجم الاحتياجات الصحية وفق النموذج الذي وضعه (شوراتز) (بينيت، ٢٠٠١م. ص ١٥٥) على شكل المعادلة الآتية: ح = ت × (ق س + ق ص).

(ح) حجم المشكلة -(ت) تكرار المشكلة -(ق س) القيمة الإنسانية - (ق ص) القيمة الاقتصادية.

يرى (شوراتز) أنَّ تكرار إصابة الأشخاص بالمرض والمدة التي يقضونها وهم مرضى، يبدو أنَّه أفضل مقياس لتكرار المشكلة، كما أنَّ القيمة الإنسانية تؤثر في الاحتياجات الصحية داخل المجتمع، وتكون على ثلاثة مستويات مختلفة هي: المريض، والأسرة، والمجتمع، ولهذا فإنَّه عند حساب القيمة الإنسانية، فلا بدَّ من اعتبار أربعة جوانب هي:

أ- المعاناة الجسمية (عدم الارتياح، الألم، والانزعاج والارتباك)، وتشمل المريض بمفرده.

ب- المعاناة النفسية (الخوف، القلق، الوصمة الاجتماعية)، وتشمل المريض والأسرة.

ت- خطر العجز الدائم ويشمل المريض والأسرة والمجتمع.

ث- التمزق الاجتماعي ويكون على مستوى (شخصي، أسري، مجتمعي).

هذه الجوانب الأربعة تقييم قوة كل ميزة على ثلاثة مستويات، بإعطاء ثلاث نقاط عندما نعدُّ المعاناة عالية، ونقطتان عندما تعَدُّ متوسطة، ونقطة واحدة عندما تعَدُّ منخفضة، وعندما لا تنطبق الميزة فإنَّها تُعطي صفرًا. فالقيمة الإنسانية تساوي مجموع نقاط (المعاناة الجسمية + المعاناة النفسية + العجز + التمزق الاجتماعي). أيضًا القيمة الاقتصادية فلها تأثير على الاحتياجات الصحية داخل المجتمع؛ لأنَّ الأمراض والعجز يؤدِّيان إلى مزيد من الحاجة للمال بسبب تكاليف العلاج والنقل للمستشفى، وقد تكون هناك حاجة إلى مصروفات إضافية لإنفاقها على الأغذية الخاصة أو الملابس أو المريض في المنزل، فالقيمة الاقتصادية للاحتياجات الصحية تعتمد على الخسائر التي ربما وازنتها المكاسب جزئيًا، وقد تخصُّ هذه الخسائر المريض وأسرته والمجتمع والخدمات الصحية، ولتقليل القيمة الاقتصادية، فإنَّ المكاسب والخسائر يمكن أنْ تقيَّم باستخدام نظام النقاط المبسط نفسه الذي استعمل للقيمة الإنسانية (بينيت، ٢٠٠١م.ص. ١٥٩).

يمكن النظر إلى المدخل الصحي عند تفسير الظاهرة المدروسة بأنَّ المشكلات التي تواجه المرضى المنتقلين من مناطقهم ومحل إقامتهم لتلقي العلاج في مدينة الرياض بواسطة عدة عوامل تؤثر في طلب الخدمة العلاجية، وتعتمد هذه المعلومات عمَّا يُقدَّم من خدمات وأين وكيف ومتى ومن الذي يقوم بتقديمها، وما تكلفتها؟ كما أنَّ طلب الخدمة لا يعتمد على معرفة المجتمع فقط، ولكنَّه يعتمد على آراء المجتمع وموقفهم

وتجاربهم السابقة، والمدخل الصحي يفسر حاجة المريض إلى الخدمات العلاجية في محل إقامته عن طريق المعاناة الإنسانية والخسائر الاقتصادية التي تواجهه في أثناء انتقاله لتلقي العلاج في المستشفيات الكبرى بمدنية الرياض.

**٣- المدخل الإداري**

يعتمد المنهج البيئي في دراسة الإدارة إلى أيِّ منظمة في أيِّ مجتمع، وعلى أنَّها جزء من ذلك المجتمع تتفاعل مع مكوناته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والجغرافية والمناخية والثقافية المحيطة بالمنظمة، بمعنى إنَّ المنهج البيئي ينطلق من قاع المجتمع إلى قمته من عناصر المناخ والموقع إلى الأفراد الذين يعيشون فيه من حيث حجم السكان وعلاقاتهم ومعلوماتهم وتوزيعهم الجغرافي وطرق التعامل الاجتماعي وأساليب حياتهم. وقد ذكر (فريد يجز) بعض الصفات التي يتصف بها النظام الإداري في المجتمعات النامية الانتقالية، ومنها:

أ- **المحسوبية**: إذ تؤثر صلة القرابة على القرارات الإدارية؛ وذلك عندما يقدم الموظف لقريبه مميزات لا يقدمها للشخص العادي، ويتجاوز الأنظمة واللوائح أو تكييفها لصالح قريبه، ويعطي أولوية في منح الخدمة التي يتولاها للمستفيدين؛ ممن يرتبط بهم بروابط أسرية أو روابط صداقة أو روابط جغرافية، و لهذه العلاقات أثر واضح في سير العمل الإداري وفي صنع القرارات واتخاذها وفي مستوى الخدمة المقدمة.

ب- **المركزية**: توجد مركزية إدارية شديدة في الدول النامية في الجهاز الإداري على اختلاف مستوياته وتنظيماته، وللنظام الاجتماعي والقبيلة والعائلة دور في ذلك، فتمركز الخدمات الصحية في المدن الرئيسة يشل قدرة المناطق النائية في تقديم الخدمات للأفراد ممَّا يجعلهم عاجزين في التعامل مع الحالات المرضية، وينتظرون موافقة من السلطات المركزية في نقل أو تحويل المرضى إلى تلك المدن، فكلَّما تجاهلت المنظمة العوامل البيئية؛ واجهت أزمات وصعوبات (ساعاتي، ٢٠٠٠م، ص ٣٨).

يمكن تفسير الظاهرة الحالية بواسطة المدخل الإداري إذا كان في العمل الإداري داخل المنظمات الصحية محسوبية (واسطة) في التعامل مع الحالات المرضية، وتقديم مريض على حساب مريض آخر في أمس الحاجة إلى الرعاية العلاجية أو التحويل إلى المستشفيات التخصصية، فإنَّ ذلك سوف يؤدِّي إلى تفاقم مشكلات المرضى أيضًا، كلَّما كان التنسيق فعَّالاً بين المرافق الصحية وإجراءات التحويل واضحة لدى المرضى؛ زادت انسيابية العمل داخل المستشفيات والمنظمات الصحية، أمَّا إذا اتسمت الإدارة الصحية بالمركزية الشديدة في اتخاذ قرارات تحويل المرضى من محل إقامتهم إلى مدينة الرياض فسيكون ذلك على حساب حالة الصحية لهم.

**الدراسات السابقة**

مشكلات المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية من المشكلات التي لم تلقَ اهتمام الباحثين في المجتمع السعودي، مع أنـَّها من الموضوعات البالغة الأهمية، ويتضح ذلك من عدم وجود دراسات سابقة لها في حدود علم الباحث.

من هذا المنطلق حاول الباحث استعراض بعض الدراسات المتاحة في العقدين الماضيين، وقد صنَّفها حسب محاور الدراسة الحالية، وفي نهاية عرض تلك الدراسات قدَّم الباحث تعقيبًا نقديًا لها لتوضيح جوانب القوة والضعف، وما يمكن أنْ تقدمه الدراسة الحالية من معالجة بعض القصور، وتسدُّ فجوة علمية قدر المستطاع في هذا الجانب وفيما يلي عرض لهذه الدراسات:

**١- الدراسات التي اهتمت بالخصائص السكانية للمرضى**

دراسة الخليفة وآخرون (١٩٩٣م.) إذ هدفت إلى تحديد العوامل الاجتماعية والشخصية المؤثرة للاستفادة من خدمات المؤسسات العلاجية الخاصة بالمقارنة بالمؤسسات العلاجية الحكومية في المملكة العربية السعودية، وقد اعتمدت على بيانات من عينة مسح للمرضى والمراجعين بالمستشفيات الحكومية والمستشفيات والمستوصفات الخاصة، ومسح مديري تلك المستشفيات والمستوصفات في ثمان عشرة مدينة، وعينة المسح الأسري لمدينة الرياض. وتوصلت نتائج الدراسة إلى أنَّ نسبة الذين يتجهون للعلاج في المستشفيات الحكومية تزداد مع انخفاض المستوى التعليمي للمبحوثين، والعكس صحيح لدى المستشفيات ومستوصفات القطاع الخاص، وأنَّ المبحوثين الذين يستفيدون من خدمات القطاع الصحي الحكومي ويعملون في المهن الزراعية تفوق نسبتهم من يعملون في قطاع الإنتاج والخدمات، وعلى العكس في القطاع الصحي الخاص، وكلَّما ارتفعت كمية الدخل الشهري للمبحوث ومتوسط الدخل الشهري لأفراد أسرته التي ينتمي إليها ،كان أكثر ميلًا لطلب الخدمة العلاجية في المستشفيات والمستوصفات الخاصة والعكس صحيح لدى القطاع الحكومي، وأشارت نتائج البحث إلى أنَّ المولودين في المناطق الأكثر تحضرًا كمنطقة الرياض والقصيم والشرقية والمدينة المنورة ومكة المكرمة وتبوك والقريات، والمولودين خارج المملكة أكثر استفادة من الخدمات العلاجية الخاصة، في حين المولودين في مناطق الجوف والحدود الشمالية والباحة ونجران وحائل وجيزان وعسير أكثر إقبالًا على العلاج في المستشفيات الحكومية، كما أظهرت النتائج أنَّ المستفيدين من الخدمات العلاجية الحكومية يأتون إليها في الغالب من مسافات بعيدة،

في حين تستقطب المستشفيات الخاصة المرضى والمراجعين من الأحياء المجاورة.

وفي دراسة (المهنا، ٢٠٠٥م.) التي استهدفت تقييم رضا المستفيدين عن برنامج الرعاية الصحية المنزلية المقدمة لكلٍّ من مستشفى الملك فيصل التخصصي ومستشفى الملك فهد للحرس الوطني بمدينة الرياض. فقد كان إجراء هذه الدراسة في منازل المرضى التابعين لكلا المستشفيين، وشملت العينة كل المستفيدين (المرضى وذويهم) من هذه الخدمة ممن تنطبق عليهم معايير الدراسة، وقد وصل عدد العينة إلى (٣٣٠) فردًا (٦٤) مريضًا و(٢٦٦) مقدم للرعاية من ذوي المرضى)، وتوصَّلت نتائج تلك الدراسة إلى خصائص المستفيدين، حيث إنَّ أكثر من نصف العينة (٥٧,٩٪) كانوا إناثًا. أمَّا بقية العينة (٤٣,١٪) فكانوا ذكورًا، وأكثر من ثلثي العينة (٦٥,٨٪) كانوا أُميين، في حين نجد أنَّ أكثر من ثلث العينة (٣٩,٤٪) كانوا متزوجين، واتضح أنَّ غالبية العينة (٩٦,١٪) لا يعملون، وأنَّ غالبية العينة ( ٨٥,٨٪) دخلها الشهري كافٍ ويغطي الاحتياجات الأساسية، وقد ساد نمط الأسرة الممتدة على أفراد العينة، حيث إنَّ أكثر من (٦٢,٧٪) كانوا من الأسر التي تراوح عدد أفرادها ما بين (٣) إلى (٦) أفراد.

وفي دراسة أبو زنط (١٩٩٦م.) عن العوامل الاجتماعية وتأثيرها على مرضى السرطان في المجتمع الفلسطيني، إذ اعتمدت على عينة عشوائية من مرضى السرطان شملت جميع فئات مرضى السرطان الذين ترددوا على المستشفى الوطني بمدينة نابلس، وهو المستشفى الوحيد في محافظة نابلس الذي يعالج مرض السرطان، كذلك شملت العينة بعض مرضى السرطان الواردين إلى مركز فحص الأنسجة التابع لجمعية تنظيم وحماية الأسرة الفلسطينية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى بعض الخصائص لمرضى السرطان، حيث إنَّه يصيب جميع الفئات، إلَّا أنَّه أكثر انتشارًا مع تقدم عمر الإنسان، حيث بلغت النسبة (٤٢,٤٪)، للمرضى التي تتراوح أعمارهم بين( ٤٠-٦٠سنة)، وتزداد الإصابة بالسرطان لدى الإناث، حيث بلغت النسبة ثلثي العينة (٦٢,٩٪) مقابل (٣٧,١٪) من المرضى الذكور، وأنَّ نسبة الإصابة تقلُّ تدريجيًا كلَّما ارتفع المستوى التعليمي للشخص، حيث يُوجد (٣٠,١٪) من مجموع العينة من المرضى الأميين، ثم تنخفض حتى تصل إلى (١,٥٪) من المرضى الجامعيين.

أمَّا دراسة الراوي (٢٠٠٢م) فبعنوان (المشكلات الديمغرافية في الوطن العربي)، حيث استعرض الواقع الصحي في الوطن العربي ومقدار ما تحقق من تقدّم ومقارنة ذلك بدول العالم الأخرى النامية والمتقدمة منها على السواء من في عرض إحصائي تحليلي، واعتمدت تلك الدراسة على بيانات المسح الدولي

والعربي، وكان من أهم نتائجها أنَّ أكثر من ثلث سكان الوطن العربي محرومون من الخدمات الصحية العامة، وأكثر من نصف سكان الوطن العربي هم من دون خدمات للصرف الصحي، وهي نسب تفوق السائد في عموم الدول النامية، كما أنَّ هناك تفاوتًا واتساعًا في الفجوة التنموية بين الأقطار العربية النفطية وغير النفطية وبين سكان الأرياف والمدن.

ومن الدراسات الأجنبية دراسة (براون وبوترل عام ١٩٩٩م.) عن نواحي اللامساواة الصحية في عدة مجتمعات، فقد توصلت نتائج تلك الدراسة إلى أنَّ العمال اليدويين غير المهرة في الفئات الاجتماعية المهنية الدنيا، وتكون نسبة الوفيات بينهم قبل سن التقاعد ضعفي النسبة لدى فئة المهنيين ذوي الياقات البيضاء في الطبقة المهنية الاجتماعية العليا، وكانت نسبة الأطفال الذين يولدون موتى أو في الأسبوع الأول من ولادتهم في العائلات التي تكون أرباب البيت فيها من العمال غير المهرة تعادل ضعف أمثالهم في عائلات كبار المهنيين، و عمر أبناء الطبقة الاجتماعية العُليا من المهنيين يزيد بمعدل سبع سنوات عن أمثالهم في الطبقة الدنيا من العمال اليدويين غير المهرة، كما يمثل نحو (٩٠٪) من الأسباب المؤدِّية إلى الموت كانت أكثر انتشارًا في الطبقة الاجتماعية الدنيا قياسًا على ما هي عليه في الطبقات الأخرى، وكان أفراد الطبقة العاملة يُراجعون الأطباء لمعالجة مجموعة من الأمراض أوسع بكثير مما يشكو منه أفراد الفئات المهنية العُليا؛ إضافة إلى أنَّ الأمراض المزمنة أو الطويل الأمد في الفئة الأولى تزيد (٥٠٪) عما هي في الثانية (غندنز، ٢٠٠٥م.)

**٢- الدراسات التي اهتمت بالعلاقة بين المرضى والمعاناة الإنسانية**

إنَّ المرض ليس مجرد إحساس فردي بالألم والخوف والنكد والحيرة والارتباك، بل إنَّه يؤثر في الآخرين حوله. كما أنَّ الناس الذين حول المريض أو يتعاملون معه يواجهون الحالة المرضية بالتعاطف أو بمد يد المساعدة أو تقديم الرعاية والمساندة، وهم يبذلون الجهد لفهم مشاعر المريض ويحاولون استيعاب هذه المشاعر وترتيب آثارها على حياتهم، كما أنَّ ردود الفعل التي تصدر تجاه المريض من الذين يتعاملون أو يتفاعلون معه تُسهم في التأثير على تصور الفرد لنفسه ولأهميته بالنسبة إلى الآخرين.

لقد أشارت دراسة البنيان (٢٠٠٠م.) بعنوان (المشكلات الاجتماعية لمريضات الصرع)، وهدفت إلى التعرف على المشكلات الأسرية والتعليمية والمهنية، وقد طُبقت الدراسة على جميع المريضات بالصرع العضوي المترددات على عيادات المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض، وقد بلغ عددهن ١٣٩ مبحوثة، فأهم المشكلات الأسرية هي خوف المريضة من رؤية أفراد الأسرة لها في أثناء النوبة الصرعية؛ وذلك لما تسببه النوبة من قلق وفزع أفراد العائلة؛ لذلك فالمريضة

ترغب أن تكون في مكان معزول إلى أن تنتهي النوبة، كما أنَّ غالبية المريضات يرفضن الخروج من المنزل خشية تكرار النوبة، وشعورهن بالذنب لأنَّهن يحملن أهلهُنَّ وذويهِنَّ مشاق المرض، والإحساس بالوصمة نتيجة المرض تجاه الأسر الأخرى بسبب أنَّ المجتمع يربط مرض الصرع بالمعتقدات والأفكار الخاطئة، ويعدُّون مريضة الصرع إنسانة غير عادية. كذلك من المشكلات الخوف من الطلاق لدى المتزوجات، أمَّا غير المتزوجات فإنَّهن يخفن من عدم الزواج عند معرفة الزوج بالمرض، والخوف من الإنجاب خشية أن يحمل الأبناء المرض نفسه. أمَّا المشكلات التعليمية فهي قلة تكوين الصداقات في المدرسة، وكثرة الغياب عن المدرسة، والإقلال من التحصيل العلمي، وفيما يخصُّ المشكلات المهنية الشعور بالألم والحسرة من نظرات الزميلات في العمل والحساسية الزائدة في تعاملها معهُنَّ، والتفكير في الانسحاب عن العمل.

وكشفت نتائج دراسة درويش (٢٠٠٣م.) عن المسنين ومشكلاتهم، وهي دراسة مسحية أُجريتْ على جميع المسنين المقيمين في دور الرعاية في دولة الإمارات العربية المتحدة (باستثناء ٦٦ حالة لم يكن بالإمكان مقابلتهم بسبب سوء حالتهم الصحية)، وهدفت إلى التعرف على الأسباب التي تؤدِّي إلى تحويل المسنين إلى دور الرعاية وعلى المشكلات التي يعانون منها من وجهة نظرهم، وقد صُمِّمتْ استبانة مكونة (٣٧) فقرة ومقياسين متدرجين، وتوصَّلتْ أنَّ عجز المسنين عن خدمة أنفسهم بأنفسهم وعزلتهم عن الآخرين هو من أقوى الأسباب المؤدِّية إلى تحويلهم إلى دور الرعاية، وأنَّ المشكلات النفسية والاجتماعية وخصوصًا شعور المسنين بالحزن والكآبة الناجم عن تفكيرهم بأحفادهم والاشتياق إليهم، وعن فقدانهم لمكانتهم في الأسرة والمجتمع من أشد المشكلات التي تبعث على الألم والمعاناة في دور الرعاية، تليها من حيث الأهمية المشكلات الصحية وخاصة الأمراض التي تصحب الشيخوخة.

وبينتْ نتائج دراسة بومدين (٢٠٠٥م.) بعنوان (التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر حالة مدينة سكيكدة). وقد استهدفت تحديد العلاقة بين ممارسات التراث الشعبي في مجال الصحة والمرض وبين البيانات الديموغرافية للمبحوثين، ومحاولة الكشف عن علاقة نظام القيم والتصورات والممارسات المتعلقة بالصحة والمرض في ضوء إدراك الأفراد ومواقفهم واستجابتهم في الحياة اليومية، وتوصَّلت إلى أنَّ نسبة (٤٦,٦٤٪) من أفراد العينة يرون أنَّ التعب النفسي والمعنوي أهم العلامات التي تشير أنَّ شخصًا ما مريض، كما عدَّوا الارتياح النفسي والجسدي أفضل تعريف للصحة وذلك بنسبة (٥٢,٢٣٪)، لذا نجد أنَّ أفضل طريقة للمحافظة على الصحة هي مراقبتها

باستمرار، حيث أقرَّ بذلك ما نسبته (٣٢,٦٨٪) من أفراد العينة.

ومن الدراسات الأجنبية دراسة (نيكي بريتن عام ١٩٩١م.) بعنوان (رؤية المرضى للاستشاريين)، حيثُ أُخذت الباحثة عينة من (٢٤) فردًا من استشاري المستشفى، كما أُجريتْ معهم مقابلات عن آرائهم في الطريقة المحتملة لدخول مرضاهم إلى المستشفى، وقد جرى تحليل بيانات هذه السجلات، وأُجريت مقابلات أخرى مع (٢٠) مريض لمعرفة آرائهم في هؤلاء الاستشاريين، وقد حُلِّلتْ بيانات تلك المقابلات، واستخلصت الباحثة أنَّ هناك نموذجين مختلفين لكلا الفريقين، فالاستشاريون ينظرون لمرضاهم عبر نموذج بيولوجي للاعتلال، والمرضى ينظرون للاستشاريين عبر نموذج اجتماعي نفسي للاعتلال، ويريدون منهم الامتثال لهم (عبدالعزير، ٢٠٠٩م.ص. ٤٣).

**٣- الدراسات التي اهتمت بالعلاقة بين المرضى والخسائر الاقتصادية**

تتوقف استجابة الفرد نحو المرض بدرجة كبيرة على مركزه المالي، فإنَّ قدرته على التخطيط لمواجهة المرض من الأمور العسيرة، ولا يوجد شخص يستطيع أنْ يتنبأ بموعد المرض، أو نوعه أو مدى استمراره أو نتائجه، كما أنَّ الخسائر الاقتصادية التي تنتج من المرض لا تلحق بالمريض وحده، بل تصل إلى الأسر ومجتمع ككل، وقد اهتمت بعض الدراسات ببحث العلاقة بين المريض والخسائر الاقتصادية.

ففي دراسة الدلقان (١٩٩٣م.) بعنوان (الأبعاد المكانية لخدمات مراكز الرعاية الصحية الأولية الحكومية في مدينة الرياض). بينت نتائج الدراسة أنَّ عامل الدخل الشهري له تأثير كبير على مدى تردد المستفيدين على مراكز الرعاية الصحية الأولية، حيث بلغت قيمة المتغير (- ٠,٩٧) وبمستوى دلالة (٠,٠١).

أمَّا دراسة استنبولي (١٩٩٥م.) بعنوان (تأثير المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في التوازن الأسري)، وهدفت إلى التعرف على تأثير غياب الأب وما يرتبط بذلك من انقطاع أو انخفاض الدخل، كذلك على أداء الأسرة لوظائفها المفترضة، ومدى معاناة هذه الأسر من الحاجة وطلبها للمساعدات من المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أنَّ الأسر التي يتغيب عنها الأب تعاني من اختلال التوازن أكثر من الأسر التي يتواجد فيها الأب، ومن صور اختلال التوازن الأسري البطالة والانحراف والتراكم للديون.

وأكدت نتائج دراسة أبو زنط (١٩٩٦م.) التي سبق الإشارة إليها بظهور مشكلات مادية بالغة الصعوبة تواجه مرضى السرطان، حيث إنَّ حوالي ثلثي العينة أشاروا أنـَّهم لا يستطيعون توفير مصاريف

العلاج كليًا أو حتى جزئيًا. إضافة إلى عدم القدرة على توفير مصاريف الأسرة وأشار إلى ذلك ما نسبته (٢٢,٢٪) من المرضى. أيضًا تكاليف السفر، حيث إنَّه لا يوجد في الضفة الغربية أو قطاع غزة أي مستشفى لإجراء عمليات دقيقة، لذلك يضطر المريض إلى السفر إمَّا إلى خارج الوطن أو إلى مستشفيات إسرائيل.

وفي دراسة أبو ليلي والعموش (٢٠٠٩م.) عن مظاهر السلوك الصحي في مجتمع الإمارات المتحدة، وذلك عبر محاولة رصد وتحليل مجموعة من المؤشرات الدالة، على مدى الإدراك والوعي الصحي المتجسدة في مجموعة من القضايا المتعلقة بالممارسات والإجراءات السلوكية الصحية وعلاقتها بمجموعة من المتغيرات السكانية وغيرها، حيث توصَّلتْ نتائج الدراسة إلى وجود علاقة بين الأزمة المالية التي عاشتها دولة الإمارات في إحداث المرض، حيث كان ذلك أكثر انتشارًا لدى فئات الدخل المنخفض ممـَّا هو لدى فئات الدخل المرتفع.

وفي بحث (فريجينا ولكوكس وجيفري روبن عام ١٩٩٤م.) بعنوان (التأمين الصحي لدى المسنين). الذي أوضحا فيه إنَّ برامج الرعاية الطبية في الولايات المتحدة تُقدِّم تأمينًا صحيًا أساسيًا يعطي ما نسبته (١٠٪) من جملة السكان، وتستهلك ما نسبته (٢٠٪) من جملة ما يُصرف على الصحة في الولايات المتحدة، في مقابل ذلك يدفع المستهلكون بعضًا من تكلفة هذه الخدمة، سواءً في شكل ضرائب أو في صورة أقساط شهرية أو سنوية، واستفادتهم منها رغم أنها ضعيفة، ولهذا رأى الباحثان ضرورة البحث في هذا النظام التأميني المدفوع الأجر، خصوصًا للفئات الاجتماعية التي لا تستطيع دفع أجور علاجها فيها، وكيفية اتخاذ القرار في الانتقال من الخدمة المجانية أو الزهيدة الأجر للخدمة المدفوعة الأجر، وقد استعانا بمتغيري المكانة الصحية والحدود الوظيفية، وبعض المتغيرات الأخرى كالعمر، والعرق، والدخل، والتعليم، وعدد أفراد الأسرة في توضيح كيفية اتخاذ قرار الاستعانة بالمستشفيات التأمينية (عبدالعزير، ٢٠٠٩م.)

**٤- الدراسات التي اهتمت بالعلاقة بين المرضى والمعوقات التنظيمية**

كشفت نتائج دراسة الخليفة وآخرون (١٩٩٣م.) التي سبق إشارة إليها أنَّ هناك معوقات تنظيمية للاستفادة من خدمات الصحية في المستشفيات الحكومية، حيث ظهر من مسح مديرو المستوصفات والمستشفيات؛ أنَّ مديري المستشفيات الخاصة أكثر اعتقادًا بتفشي مشكلة المحسوبية (الواسطة) في المستشفيات القطاع الصحي الحكومي، ومن جانب المبحوث إذ إنَّه كلَّما اعتقد أنَّ بعض المرضى والمراجعين يعاملون معاملة خاصة تحت تأثير المحسوبية (الواسطة) في المستشفيات الحكومية، كان أكثر ميلًا للعلاج في المستشفيات والمستوصفات الخاصة، في

حين يميل المبحوثون الذين يعرفون أحد العاملين من غير الأطباء في المستشفيات الحكومية إلى العلاج فيها ويقلُّ ميلهم للعلاج في المستشفيات والمستوصفات الخاصة، ومن المعوقات التنظيمية في المستشفيات الحكومية مقارنة بالمستشفيات الخاصة بعُد المسافة، وكثرة المراجعين، وطول مدة المواعيد، وعدم كفاءة الأطباء والجهاز الإداري، وتأخر تقديم الخدمة العلاجية، وكثرة المشكلات الإدارية والتنظيمية، وكثرة المشكلات مع المستفيدين.

وقدَّمت المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة عسير في المملكة العربية السعودية (دراسة عام ١٩٩٤م.)، عن المشكلات والمعوقات التي تواجه نظام الإحالة ووضع الحلول المناسبة لها، وكانت أبرز النتائج أنَّ متوسط الردود الراجعة من المستشفيات (١٧٪)، وتقارير الإحالة المكتملة والواضحة كانت (١٢٪)، إمَّا الإحالة بناءً على طلب المريض فكانت (١٦٪)، وتقارير المستشفيات غير المكتملة كانت (٤٪). أمَّا أبرز المشكلات في نظام الإحالة التي أظهرتها الدراسة فهي تأخير الردود من المستشفيات، وقلة اللقاءات والندوات لمناقشة برنامج الإحالة، وعدم معرفة أطباء المستشفيات ببرنامج الرعاية الصحية الأولية وأهدافه وأهمية نظام الإحالة، وعدم الثقة المتبادلة بين الأخصائيين في المستشفى وأطباء الرعاية الصحية في المراكز الصحية، وعدم تمكن المريض المحوَّل من مقابلة الاستشاري في المستشفى، وعدم توافر أيَّة معلومات للمركز الصحي عن المرضى الذين ينوَّمون بالمستشفى من المحوَّلين، وإصرار بعض المراجعين على الإحالة إلى المستشفى (وزارة الصحة، ٢٠٠٨م.).

وفي دراسة الخمشي (٢٠٠٣م.) عن فعالية خدمات الرعاية الصحية في القطاعين الحكومي والخاص، التي هدفت إلى تحديد مدى قدرة المستشفيات في القطاعين الحكومي والخاص على مواجهة احتياجات المستفيدين من الخدمات التي تقدمها هذه المستشفيات، ومدى توافق الخدمات التي تقدمها المستشفيات في القطاعين الحكومي والخاص مع توقعات المستفيدين من خدمات تلك المستشفيات، وقد طُبقت الدراسة على بعض المستشفيات الحكومية والخاصة بمدينة الرياض، وشملت عينة الدراسة على (٣٠٪) من المرضى المنوَّمين في تلك المستشفيات في أثناء جمع البيانات: رؤساء الأقسام في كل من المستشفيات الحكومية والخاصة، ومن أهم النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة وجود فروق ذات دلالات إحصائية بين متوسطي المرضى المنوَّمين بالمستشفيات الحكومية، والمرضى المنوَّمين بمستشفيات القطاع الخاص عن قدرة المستشفيات على مواجهة احتياجات المستفيدين من خدمات هذه المستشفيات، وذلك لصالح متوسط المرضى المنوَّمين بمستشفيات القطاع الخاص، كما تُوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي المرضى

المنوَّمين بالمستشفيات الحكومية، والمرضى المنوَّمين بمستشفيات القطاع الخاص عن مدى توافق الخدمات التي تقدمها المستشفيات مع توقعات المستفيدين من هذه الخدمات وذلك لصالح متوسط المرضى المنوَّمين بمستشفيات القطاع الخاص.

أمَّا دراسة الشريف (٢٠٠٨م.) بعنوان (مدى رضا المرضى عن الخدمات في المستشفيات الحكومية والخاصة بنابلس في فلسطين). فقد هدفتْ لقياس رضا المرضى عن الخدمات، وتحديد العوامل المؤثر فيه بما في ذلك خدمات غرف المرضى، والنواحي الفنية والمهارات الذاتية للقائمين على تقديم الخدمات الصحية، إضافة إلى مدى توافرها وسهولة تواجدها، وقد أجريتْ مقابلات مع (٣٦٥) مريضًا منومًا، جرى اختيارهم عشوائيًا بالعينة الطبقية العشوائية، حيث اُستخدمت استبانة شاملة لقياس مستوى الرضا المتعلق بالخدمات وفق تدريج (ليكرت الخماسي)، وتوصَّلت النتائج إلى أنَّ المرضى في المستشفيات غير الحكومية أكثر رضا منهم في المستشفيات الحكومية، حيث إنَّ (٩٠٪) من المرضى كانوا راضين عن الخدمات في المستشفيات غير الحكومية، في المقابل أنَّ (٧٠٪) من المرضى كانوا راضين عن الخدمات في المستشفيات الحكومية.

ومن الدراسات الأجنبية دراسة (لوسي جلسن عام ١٩٩٤م.) في منطقة (موروجو) في تنزانيا، حيث عدَّت التدرج الاجتماعي عنصرًا مهمًا لنوعية الرعاية الصحية المقدمة، فعادة ما يحدد حصول المريض على العلاج، وتؤثر على مدى فعالية الرعاية، إذْ ترى الباحثة أنَّ الدول النامية عادةً ما تأخذ القليل من دلالات التدرج الاجتماعي لمرضاها، وقد لا تهتم بذلك في التخطيط العلاجي والوقائي، وهذا ما ينتج عنه مجموعة مشكلات كالتي تنتج عن انخفاض جودة الرعاية الطبية المقدمة، وهذا يرجع لفشل التنظيم الطبي والعاملين فيه في فهم طبيعة المرضى الاجتماعية طبيعة الأدوية التي يجب أنَّ تصرف لهم، وترى (لوسي جلسن) أنَّ الرعاية الصحية التي تقدمها الكنائس عبر المراكز الصحية الملحقة بها أفضل من الرعاية الصحية الحكومية، والمراكز الصحية أفضل قليلًا عن المستوصفات الطبية، مع الوضع في الاعتبار الاختلاف في الأحكام المجتمعية والدلالات الواضحة للنوعية الفقيرة من الرعاية التي تقدمها هذه المراكز الصحية الملحقة بالكنائس، لهذا ترى الباحثة أنَّ استخدام كلمات القرويين ذاتهم، وخبراتهم سيضعنا إزاء بؤرة اهتمام بالمشكلات والخبرات المتصلة بالرعاية الصحية، ويحدد لنا الدروس التي يجب تعلمها والتخطيط في ضوئها لهذه المراكز (عبدالعزير، ٢٠٠٩م.).

### مناقشة الدراسات السابقة

اتفقت هذه الدراسات على التأثيرات المتبادلة بين المرضى والمشكلات التي تواجههم في أثناء تلقي

العلاج، غير أنَّ كل دراسة عالجت موضوعها بطريقة تخدم هدفها، واتفقت الدراسة الحالية مع تلك الدراسات في جوانب واختلفت في جوانب أخرى، يمكن أنْ نذكر منها ما يأتي:

١- معظم هذه الدراسات ركَّزت على طبيعة المشكلات والعوامل المؤثرة فيها.

٢- بعض الدراسات لم تربط الظاهرة المدروسة بسياقها الثقافي والاجتماعي في مجتمعات الدراسة.

٣- معظم الدراسات ركَّزت على دراسة مدينة بعينها، وعلى عينة من المجتمع المدروس، ومن ثمَّ فإنَّ محاولة قياس حجم المشكلات قد لا يعطي القدرة على تعميم نتائج البحث؛ ممَّا قد يقلل من أهمية النتائج التي توصَّلت إليها هذه الدراسات.

٤- دراسة الخليفة وآخرون أقرب الدراسات السابقة إلى الدراسة الحالية، إلَّا أنَّـها تختلف في نواحي كثيرة، فضلًا عن أنَّـها ركزت على المعوقات التنظيمية في الاستفادة من الخدمات الصحية دون النظر إلى المعاناة الإنسانية والخسائر الاقتصادية التي تواجه المرضى.

تحاول الدراسة الحالية الاستفادة من الدراسات السابقة في بعض جوانبها، ومعالجة بعض النقص والقصور في تلك الدراسات، فمن ناحية الموضوع لم تقتصر على التعرف بطبيعة المشكلات، بل امتدَّ إلى تحديد حجمها، والمقارنة بين هذه المشكلات ونوع المنطقة التي ينتمي إليها المرضى، أيضًا حاولت الدراسة ربط المداخل العلمية والدراسات السابقة بالظاهرة المدروسة، كذلك لم تقتصر على جزء من المجتمع أو المدينة، وإنَّـما على جميع المناطق المملكة العربية السعودية. إضافة إلى أنَّـها استخدمت الحصر الشامل في جمع البيانات من المجتمع المدروس.

## ثالثًا: الإطار المنهجي

### ١- نوع الدراسة

نوع الدراسة الحالية دراسة استطلاعية وصفية تحليلية تقوم على التكامل المنهجي مستفيدة من المعطيات والمعلومات كافة، التي جرى جمعها عن المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية.

### ٢- منهج الدراسة

نظرًا لطبيعة البحث في العلوم الاجتماعية التي تقتضي غالبًا استخدام أكثر من منهج واحد للبحث، ونظرًا لطبيعة وخصوصية مجتمع الدراسة، فقد قامت هذه الدراسة على المزاوجة بين المناهج الكيفية والكمية في تحديد حجم المشكلات التي تواجه المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية، والمقارنة بين المشكلات ونوع المنطقة التي ينتمي إليها المبحوثون، وقد تمثَّل الجانب الكيفي في تلك

المعلومات التي جرى جمعها من ملاحظات الباحث في عدة أزمنة، تمثَّلت أولها في الدراسة الاستطلاعية التي قام بها الباحث قبل عام ونصف، حيث رصد جملة من المشكلات الإنسانية والاقتصادية والتنظيمية وغيرها، أمَّا الجانب الكمي فقد قامت الدراسة على استخدام المنهج الوصفي بطريقة المسح الاجتماعي الشامل لجميع مفردات الدراسة، بهدف الوصول إلى تعميمات على الواقع المادي الملموس وهو أنسب المناهج لتحقيق الأهداف المنشودة للدراسة.

**٣- مجتمع الدراسة**

مجتمع الدراسة جميع المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة والمنومين للعلاج في المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض كما هو مبين في جدول رقم (١) وقد اعتمدت هذه الدراسة على الحصر الشامل لجميع المرضى في مدة جمع البيانات التي امتدت ثلاثة شهور، كعينة ممثلة لجميع المرضى في السنة، وقد أُستُبعِد مرضى الأمراض العقلية والنفسية ومرضى النساء والتوليد ومرضى العزل، واعتذر قسم الأطفال في مستشفى الملك فيصل التخصصي بسبب أوضاعهم الخاصة وصعوبة إجراء الدراسة معهم، ولقد أُختيرت المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض إطارًا لمجتمع الدراسة لعدة اعتبارات، منها: أنَّ مدينة الرياض هي العاصمة، ويُوجد بها مستشفيات حكومية ثانوية وتخصصية ذات تقنية عالية وبكوادر طبية وإدارية متميزة، وواحدة من أهم المدن الرئيسة التي يحول المرضى إليها من جميع مناطق المملكة العربية السعودية.

**جدول رقم (١) . مجتمع الدراسة حسب نوع المستشفى.**

| اسم المستشفى | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| مجمع الملك سعود الطبي | ٣٧ | ٩,٠ |
| الملك خالد التخصصي للعيون | ٤٣ | ١٠,٤ |
| قوى الأمن | ٢٦ | ٦,٣ |
| الملك فيصل التخصصي | ٦٦ | ١٦,٠ |
| مدينة الملك فهد الطبية | ٦٢ | ١٥,٠ |
| مدينة الملك عبدالعزيز الطبية | ٦٩ | ١٦,٧ |
| الملك خالد الجامعي | ٤٤ | ١٠,٧ |
| الملك عبدالعزيز الجامعي | ٢٣ | ٥,٦ |
| القوات المسلحة | ٤٢ | ١٠,٢ |
| المجموع | ٤١٢ | ١٠٠,٠ |

**٤- طريقة اختيار عينة الدراسة**

نظرًا لعدم وجود قوائم مخصّصة لدى جميع المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض تحصر هؤلاء

المرضى؛ ولأنَّ طريقة مراجعة هؤلاء المرضى لتلك المستشفيات تكون بصورة غير منتظمة؛ أيْ: حسب خطة العلاج، لذا اُعتمدتْ هذه الدراسة على الحصر الشامل لجميع المرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية في مدة جمع البيانات كعينة ممثلة لجميع المرضى في السنة، ونظرًا لتعدد التخصصات والأقسام داخل المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض، فقد اقتصر الباحث على المرضى المنوَّمينَ لسببين هما:

أ- المريض المنوم قد مرَّ بمراحل متعددة منذ انتقاله من منطقته إلى أنَّ نُوِّمَ، لذا فإنَّ الصورة لديه مكتملة وواضحة بجميع المشكلات التي واجهته.

ب- ضعف الإمكانات المادية والبشرية المتوافرة لدى الباحث.

**٥- أداة الدراسة**

من أجل تحقيق الهدف العام من الدراسة، فقد جرى قياس حجم المشكلات التي تواجه المرضى، وفقًا للمقياس الذي وضعه (شوراتز) وذلك بالنظر إلى الإطار النظري المدخل الصحي عند تحديد حجم الاحتياجات الصحية. إلَّا أنَّه حصل تطوير هذا المقياس ليتناسب مع طبيعة هذه الدراسة، وذلك بإضافة المعوقات التنظيمية إلى المعاناة الإنسانية والخسائر الاقتصادية، وبنفس حساب النقاط على أربعة مستويات، وهي:

أ- ثلاث نقاط عندما يكون مستوى حجم المشكلات عال، وتكون ما بين أكثر من (٢) إلى (٣).

ب- نقطتان عندما يكون مستوى حجم المشكلات متوسط، وتكون ما بين أكثر من (١) إلى (٢).

ت- نقطة واحدة عندما يكون مستوى حجم المشكلات منخفض، وتكون ما بين أكثر من (٠) إلى (١).

ث- صفرًا عندما يكون مستوى حجم المشكلات لا ينطبق (لا توجد مشكلات).

ج- وقد جرى اختيار ستة وثلاثينَ بُعدًا للمشكلات، وقام الباحث بإعادة صياغة بعضها، بما يتلاءم مع طبيعة مجتمع الدراسة، وكذلك ملاحظات المحكمين وجرى تجريب المقياس، وقد جرى توزيع (٤٥٧) استبانة،واُستبعد منها (٤٥) استبانة لعدم اكتمالها، وتبقى( ٤١٢) استبانة.

**٦- نتائج اختبار ثبات مقياس الدراسة (المشكلات).**

توضح بيانات جدول رقم (٢) نتائج اختبار ثبات مقياس المشكلات (المعاناة الإنسانية، والخسائر الاقتصادية، والمعوقات التنظيمية)، إذ جميع المتغيرات بصفة عامة قد حصلت على درجات عالية نسبيًا، حيث بلغت قيمة (معامل ألفا) للمعاناة الإنسانية ( ٠,٨٣٥) وللخسائر الاقتصادية ( ٠,٨١٣) وللمعوقات التنظيمية( ٠,٨٤٨ ) ويبدو من هذه

النتائج أنَّ درجة الثبات عالية لجميع متغيرات الدراسة.

**جدول رقم (٢). نتائج ثبات مقياس المشكلات.**

| المحور | درجة الثبات[1] |
|---|---|
| المعاناة الإنسانية | ٠,٨٣٥ |
| الخسائر الاقتصادية | ٠,٨١٣ |
| المعوقات التنظيمية | ٠,٨٤٨ |

**٧- التحليل الإحصائي**

أُستخدم برنامج الحُزَم الإحصائية للعلوم الاجتماعية SPSS، كما جرى استخدام الأساليب الإحصائية الوصفية لعرض خصائص مجتمع البحث باستخدام التكرارات والنسب المئوية، كما أُستخدم الوسط الحسابي لقياس متوسط إجابات أفراد مجتمع البحث، وغيرها من المقاييس الإحصائية.

**رابعًا: نتائج الدراسة ومناقشتها**

**١- نتائج التساؤل الأول: ما الخصائص السكانية للمرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة للعلاج في المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض؟**

**أ- الخصائص الاجتماعية:**

**الجنس**، أغلبية المبحوثين من الذكور وبلغت نسبتهم (٦٧,٥٪)، ونسبة الإناث بلغت (٣٢,٥٪)، ولعلَّ ذلك عائد لمقدرة الذكور على الانتقال من مكان إلى آخر بحثًا عن العلاج أكثر من الإناث. ويمكن تفسير هذه النتيجة بأنَّ الابتعاد عن الأسرة والإقامة في مدينة أخرى يصاحبه مشكلات أسرية، وخصوصًا إذا كان الشخص البعيد زوج أو زوجة ولديهما أبناء، إلَّا أنَّ غياب المرأة أكثر تأثيرًا على الأسرة من الرجل، كما أنَّ المرأة تحتاج إلى مرافق في السفر، وبدلًا من أن يكون الغياب لشخص واحد يكون لشخصين ممَّا يؤدِّي إلى اضطراب داخل الأسرة، وهذا ما أكَّدته نظرية دور المريض (لتالكوت بارسونز)، انظر إلى الإطار النظري المدخل الاجتماعي، بأنَّ المرضى لا يستطيعون القيام بأدوارهم المُعتادة، لذا نجد أنَّ حياة من حولهم من الناس يعتريها الاضطراب والارتباك: فأمهات العمل خارج البيت تظل تبحث عمَّنْ يؤدِّيها والواجبات والمسؤوليات داخل المنزل تظل ناقصة غير مكتملة، وقد أشارت دراسة (استنبولي ،١٩٩٥م.)، إلى تأثير غياب الأب في التوازن الأسري وما يرتبط بذلك من معاناة الأسرة.

**العمر**، أعلى نسبة حسب الفئات العمرية كبار السن ستين سنة فأكثر، وقد يُعزى ذلك لإصابتهم بأمراض الشيخوخة، حيث بلغتُ (٢٥,٧٪)، تليها من أعمارهم ما بين خمسة عشر سنة إلى أقل من ثلاثين سنة وهم الشباب، وقد يدل ذلك كثرة تعرض تلك الفئة للحوادث المرورية والأخطار، حيث بلغت النسبة

(١) درجة الثبات للمتغيرات، وهي ألفا بعد حذف العبارة.

(٨, ٢٤٪)، وكلا المرحلتين تحتاج إلى عناية ورعاية طبية، حيث إنَّ الشباب في مقتبل العمر وتعتمد الأمة على جيل الشباب، فكلَّما كان شباب المجتمع صحيحًا وقويًّا كان ذلك دافعًا قويًّا لبناء المجتمع، أمَّا مرحلة الشيخوخة فهي تحتاج إلى عناية طبية خصوصًا عرفانًا من المجتمع بدور الذي قاموا به اتجاه مجتمعهم، وهم في أمس الحاجة لتخفيف عليهم معاناة المرض فالسفر والانتقال من مكان إلى آخر بحثًا عن العلاج فيه مشقة بالغة عليهم في هذا السن، أيضًا بلغت نسبة من كان أعمارهم أقل ١٥سنة (٣, ١٤٪)، وهي الأقل بين جميع النسب، وقد يُعزى ذلك إلى أنَّ هذه الفئة أقل الفئات العمرية عرضة للأمراض، وقد يكون السبب اعتذار قسم الأطفال بمستشفى الملك فيصل التخصصي عندما أجرى الدراسة على تلك الفئة انظر إلى صفحة رقم ١٧.

**الحالة الاجتماعية،** نسبة المتزوجين بلغتْ (٦, ٥٣٪) وهي أعلى نسبة من بين المبحوثين، وهذا يشير إلى أنَّ المتزوجين غالبًا ما تكون مسؤوليات اتجاه أسرهم أكثر من الفئات الأخرى، وخصوصًا إذا كان لديهم أطفال، أمَّا الذين لم يسبق لهم الزواج فقد بلغت نسبتهم (٦, ٢٢٪). تليهم فئة الأرامل وبلغت نسبتهم (٨, ٥٪). ثم المطلقين وبلغت نسبتهم (٤, ٣٪) وهم في أمس الحاجة إلى المساعدة وتخفيف مشقة السفر والانتقال عليهم، وخاصة إذا كانوا نساء، أمَّا الذين لا ينطبق عليهم السؤال فقد بلغت نسبتهم (٦, ١٤٪)، وكانوا أطفالًا دون سن الزواج.

**عدد أفراد الأسرة،** عدد أفراد الأسرة الذين يقيمون مع المبحوث تراوح ما بين ستة إلى عشرة أفراد، وبلغت النسبة (١, ٤٥٪)، وهي أعلى من بين الفئات الأخرى، وهذا العدد كبير بنسبة للمجتمعات الأخرى، ولكن بنسبة للمجتمع السعودي فهو عدد طبيعي؛ لأَنَّ الأسر السعودية تتميز بأنَّها أسر ممتدة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (المهنا ،٢٠٠٥م.)،كذلك يمكن تفسير هذه النتيجة بأنَّ بُعد المرضى عن محل إقامتهم يشعرهم بالعزلة والوحدة والمعاناة الإنسانية، وخصوصًا إذا كانت عدد أفراد الأسرة كبير، هذا ما أشار إليه المدخل الصحي في الإطار النظري عند تحديد القيمة الإنسانية بحساب التمزق الاجتماعي كعامل أساسي في تحديد الاحتياجات الصحية، وما أكَّدته دراسة (درويش،٢٠٠٣م.) بأنَّ العزلة من أهم الأسباب المؤدِّية على سوء الحالة الصحية.

**الدخل الشهري،** أعلى نسبة دخل للمبحوثين بلغتْ (٤, ٢٧٪)، وقد تراوحت ما بين ألفين إلى أقل من أربعة آلاف، وهذا يعني ضعف الدخل الشهري للأسرة، ولا تستطيع تحمل أعباء السفر ومصاريف الإقامة والإعاشة في المدن الرئيسة من أجل تلقي العلاج، وقد أشارت دراسة (أبو زنط ،١٩٩٦م.)، إلى

عدم القدرة المالية للمرضى على تحمل مصاريف السفر للعلاج، في حين نجد أنَّ من كان دخل أسرته أقل من ستة آلاف بلغت نسبة (٥٩,٥٪)، ومن كان دخل أسرته أكثر من ست آلاف بلغت نسبة (٣١,٦٪). أيضًا هناك تقارب في النسب بين من دخل الأسرة أقل من ألفين بنسبة (١٤,٦٪)، ومن دخل الأسرة أكثر من عشرة آلاف وبنسبة (١٥,٨٪)، وقد يُعزى هذا إلى أنَّ مجتمع البحث قد شمل مختلف الطبقات الاجتماعية، كذلك من الملاحظ أنَّ مَنْ لم يجب على هذا السؤال بلغ سبعة وثلاثين مبحوثًا وهذا العدد كبير إلى حدٍّ ما، وقد يعود السبب إلى تحفظ بعض المبحوثين على ذكر الدخل الشهري للأسرة.

**ب- نوع منطقة الشؤون الصحية**

منطقة الرياض حصلت على أعلى نسبة ينتسب إليها المبحوثون، حيث بلغتْ (٢٧,٧٪)، وقد يُعزى ذلك إلى الكثافة السكانية وكثرة عدد المحافظات بمنطقة الرياض، وقد يكون السبب القُرب المكاني لمجتمع البحث، حيث إنَّ الدراسة طبقت بمدينة الرياض، في حين نجد أنَّ منطقة القصيم جاءت في المرتبة الثانية، وبلغت النسبة (٩,٢٪)، وقد يُعزى ذلك أيضًا للقرب المكاني بين منطقة القصيم ومنطقة الرياض، إلَّا أنَّنا نجد أنَّ نسبة منطقة عسير بلغتْ (٨,٠٪) ومنطقة جيزان، بلغتْ (٧,٥٪) ومنطقة نجران (٦,٣٪) هي بنسب مرتفعة إذا جمعت مقارنة بالمناطق الأخرى، وتقع جنوب المملكة وتبعد آلاف الكيلومترات عن مدينة الرياض، وهذا مؤشر خطير، حيث يوضح حاجة تلك المناطق إلى مستشفيات ومراكز متخصصة للتخفيف على المرضى الانتقال ومشقة السفر،كما تتفق هذه النتيجة مع دراسة (الخليفة وآخرون،١٩٩٣م.)، بأنَّ منطقة عسير ومنطقة جيزان ومنطقة نجران أكثر مناطق المملكة إقبالًا على العلاج في المستشفيات الحكومية، وأنَّهم يأتون من مسافات بعيدة، ومن الملاحظ أنَّ منطقة الشؤون الصحية بالقنفذة لم تدخل ضمن القائمة ويعود السبب إلى عدم وجود مبحوثين من هذه المنطقة في أثناء مدة جمع البيانات.

**ت- نوع المرض**

مرض الأورام بلغ نسبة (١٧,٧٪)، وجاء في المرتبة الأولى بين الأمراض أخرى، ويدل ذلك أنَّ مرض الأورام من الأمراض الحديثة والتي تحتاج إلى مستشفيات متخصصة التي تفتقر إليها مستشفيات المناطق النائية. أمَّا المرتبة الثانية فنجد نسبتين متقاربتين هما: الجراحة وبنسبة (١٤,٨٪) والعيون بنسبة (١٤,١٪)، وفي المرتبة الثالثة الباطنة وبنسبة (١٣,٦٪). في حين جاءت أمراض أخرى في المرتبة الرابعة، والتي تشمل عدة أمراض منها: الكبد والمخ والأعصاب والشلل وغيرها من الأمراض التي ذكرها المبحوثون وبنسبة (١٢,٦٪). والمرتبة الخامسة نجد

نسبتين متقاربتين أيضًا هما: القلب وبنسبة (٤, ١٠٪) والعظام وبنسبة (٢, ١٠٪)، وخيرًا مرض الكلى وبنسبة (٨, ٥٪) كأقل نسبة بين الأمراض. بصورة عامة نلاحظ تجانس بين مجتمع البحث في نوع المرض، ممَّا يعني أنَّ الأمراض التي يجري منها مراجعة المستشفيات الحكومية في مدينة الرياض من الأمراض، التي تحتاج إلى تقنية عالية وبكوادر طبية متميزة، كما نودُّ الإشارة هنا إلى أنَّ ذكر هذه الأمراض بعينها في استبانة البحث جاء برصد التقرير الصحي السنوي للأمراض التي تقوم الهيئات الطبية بتحويل المرضى للعلاج في المدن الرئيسة في العشرين سنة الماضية.

**ث- الحالة المرضية**

أكثر من النصف بقليل من المبحوثين كانتْ حالتهم المرضية طارئة وبنسبة (٦, ٥٦٪). في حين نجد أنَّ البقية كانت حالتهم المرضية غير طارئة (عادية) وبنسبة (٠, ٤٢٪)، وقد يعني ذلك أنَّ المرضى في المناطق النائية أوضاعهم الصحية سيئة، وينتظرون حتى تُحوَّل من مستشفيات مناطقهم إلى المدن الرئيسة لتلقي العلاج، أو أنَّهم ينتقلون بدون تحويل لتدارك حالتهم المرضية، وقد أشار المدخل الإداري لهذه الدراسة إلى وجود مركزية إدارية شديدة في الدول النامية. فتمركز الخدمات الصحية في المدن الرئيسة يشل قدرة المناطق النائية في تقديم الخدمات للأفراد ممَّا يجعلهم ينتظرون موافقة السلطات المركزية في نقل أو تحويل المرضى إلى تلك المدن. كما تتفق هذه النتيجة مع الدراسة التي قامت بها المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة عسير (١٩٩٤م.)، والتي أشارتْ إلى أنَّ أبرز مشكلات نظام الإحالة بين المرافق الصحية هي تأخير الردود من المستشفيات.

**التحويل من المستشفى أو الهيئة الطبية**

المرضى الذين جرى تحويلهم من مستشفى أو هيئة طبية من مناطقهم إلى مدنية الرياض لتلقي العلاج في المستشفيات الحكومية بلغتْ نسبتهم (٠, ٥٨٪)، أكثر من نصف بقليل، في حين الذين لم يجرِ تحويله بطريقة رسمية بلغتْ نسبتهم (٠, ٤٢٪) وهي نسبة عالية ومؤشر خطير، ويدل ذلك على أنَّ الإحصائية السنوية لوزارة الصحة لا تُمثل واقع المرضى المنتقلين من مناطق المملكة إلى المدن الرئيسة لتلقي العلاج في المستشفيات الحكومية. ممَّا يتطلب إعادة النظر في تلك الإحصائيات، وآلية التحويل بين المرافق الصحية.

**ج- مدى وجود مرافق مع المريض في أثناء التحويل**

الغالبية العظمى وبنسبة بلغت (٢, ٨٥٪)، من المبحوثين يوجد مرافق مع المريض في أثناء التحويل، في حين المبحوثين الذين لا يوجد معهم مرافق بلغت نسبتهم (٦, ١٤٪)، وهذا يدل على أنَّ وجود مرافق أو أكثر مع المريض لمساعدته وتسهيل شؤونه شيء مهم

ويرفع من الحالة المعنوية للمريض، إلَّا أنَّ ذلك قد يؤدِّي إلى خسائر اقتصادية على المريض والأسرة والمجتمع، فبدلًا من أنَّ يصرف ماليًا على شخص واحد سوف يصرف على شخصين أو أكثر، وبدلًا من أنَّ تفقد الأسرة والمجتمع شخصًا واحدًا سوف تفقد شخصين خصوصًا إذا كان المريض والمرافق بعيدين عن محل إقامتهما، كما تتفق هذه النتيجة مع نتيجة تحليل متغير الجنس.

**ح- نوع وسيلة النقل في أثناء التحويل**

نصف المبحوثين تقريبًا (٤٩,٠٪) استخدموا السيارة كوسيلة نقل للوصول إلى مدينة الرياض لتلقي العلاج في المستشفيات الحكومية، وقد يُعزى ذلك إلى صعوبة دفع قيمة أجرة الطائرة أو عدم وجود حجوزات على الطيران أو القرب المكاني من مدينة الرياض، حيث بلغت النسبة (٢٧,٧٪)، من المبحوثين من منطقة الرياض الأمر الذي دفعهم إلى استخدام السيارة، غير أنَّ مساحة المملكة شاسعة ومترامية الأطراف وتتباعد المدن والقرى آلاف الكيلومترات، واستخدام سيارة فيه مشقة على المريض والمرافقين، في حين نجد المبحوثين الذين استخدموا الطائرة بلغتْ نسبة (٣٤,٥٪) وجاءتْ في المرتبة الثانية، أمَّا المبحوثين الذين جرى نقلهم عن طريق الإخلاء الطبي سواء بالطائرة أو سيارة الإسعاف فقد بلغت النسبة (١٤,٣٪) وهي نسبة ضئيلة مقارنةً بنتيجة بنوع الحالة المرضية، وهذا مؤشر مهم يتطلب إعادة النظر في إجراءات تأمين وسيلة نقل الإخلاء الطبي. أمَّا من استخدم نقل الجماعي كوسيلة نقل فقد بلغتْ نسبة (١,٥٪)، وهي نسبة ضئيلة وقد يعود السبب في ذلك لوجود بدائل أخرى أسهل لدى المبحوثين.

**خ- مدى تأمين وسيلة النقل**

أكثر من النصف بقليل من مجتمع الدراسة وبنسبة بلغت (٥٩,٠٪)، لم تؤمَّن وسيلة النقل لهم، في حين الذين جرى تأمين وسيلة النقل لهم بلغت نسبتهم (٤٠,٥٪) وهي نسبة لا بأس بها، إذا أخذنا في الحسبان أنَّ عددًا من المبحوثين لم يجرِ تحويلهم عن طريق هيئة طبية أو مستشفى من مناطقهم، إلَّا أنَّ الفارق بين نسبة الذين حُوِّلوا وأُمِّنوا لهم وسيلة نقل ناقص (١٧,٥٪)، وهي نسبة تحتاج إلى إعادة النظر في آلية صرف التذاكر للمحولين من مناطقهم إلى المدن الرئيسة لتلقي العلاج في المستشفيات الحكومية عن طريق الهيئات الطبية.

**د- مدى صرف مساعدة مالية**

الغالبية العظمى من المبحوثين وبنسبة (٩١,٠٪)، لم يصرف لهم مساعدة مالية من قبل شؤون الصحية بمناطقهم، في حين نجد نسبة ضئيلة من المبحوثين (٨,٧٪) جرى صرف مساعدة مالية لهم، وهذا يعني أنَّ المبحوثين في أمس الحاجة للمساعدة المالية نظرًا

لبعدهم من أسرهم وأماكن إقامتهم وغلاء المعيشة في المدن الرئيسة وتدني مستوى دخل الأسرة، إلَّا أنَّه قد يُعزى عدم صرف المساعدة المالية بسبب أنَّ البحث طبق على المرضى (المنومين) في المستشفيات وليس هناك حاجة إلى المساعدة المالية أو أنَّ عدد من المرضى لم يجرِ تحويلهم بطريقة رسمية، وبصرف النظر عن السبب في عدم صرف المساعدة المالية فإنَّ نسبة من لم تصرف لهم مساعدة مالية عالية جدًا تحتاج إلى إعادة النظر في آلية صرف هذه المساعدة من قبل الهيئات الطبية.

**ذ- مراجعة مستشفى حكومي بمدنية الرياض**

إنَّ نحو (٥٧,٥٪) من المبحوثين لم يسبق لهم مراجعة مستشفى حكومي قبل هذه المرة، وهي نسبة أعلى من النصف بقليل، في حين الذين سبق لهم المراجعة بلغت النسبة (٤٢,٢٪)، وهي نسبة تقترب من النصف، ومؤشر مهم ويُعطي دلالات متعددة منها أنَّ كثرة المراجعة تتطلب مصاريف إضافية على المبحوث وأسرته هذا من جانب، وزيادة الضغط على المستشفيات في المدن الرئيسة من جانب آخر، وقد أشار المدخل الصحي في الإطار النظري لهذه الدراسة عند تحديد الحاجة للخدمات الصحية إلى أنَّ النَّاس قد لا يكون على دراية بالحاجة للخدمات الصحية، ولكنَّه يبدو للعيان متمثلًا في أعداد المراجعين للعيادات والأقسام الخارجية.

**ر- الاعتماد على الواسطة في أثناء عملية التحويل**

وفيه نسبة (٦٦,٧٪) من المبحوثين لم تعتمد على واسطة، وقد يُعْزَى ذلك إلى أنَّ أكثر من نصف المبحوثين بقليل كانت حالتهم طارئة ولا تستدعي التأخير أو إيجاد واسطة انظر إلى نتيجة جدول رقم (٧) في متغير الحالة المرضية، كما أنَّ البعض ربما أخفوا الإجابة الصحيحة عن السؤال ظنًّا منهم أنَّ ذلك قد يُؤثر على وضعهم في أهلية العلاج ومن ثمَّ حرمانهم من الخدمة؛ لأنَّـهم دخلوا بواسطة، أمَّا الذين أجابوا بأنَّـهم اعتمدوا على الواسطة لتلقي العلاج في المستشفى الحكومي فبلغت النسبة (٣٢,٥٪)، وهذا مؤشر خطير ورقم كبير، حيث إنَّ ثلث مجتمع الدراسة دخلوا بالواسطة، وتتفق هذه النتيجة مع المدخل الإداري في الإطار النظري لهذه الدراسة بأنَّ المجتمعات النامية تنتشر بها الواسطة وقائمة على علاقات القربى، كما تتفق هذه النتيجة مع دراسة الخليفة وآخرون (١٩٩٣م.) إشارة إلى تفشي الواسطة في المستشفيات الحكومية.

**٢- نتائج التساؤل الثاني: ما حجم المعاناة الإنسانية للمرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة للعلاج في المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض، وهل تختلف باختلاف نوع المنطقة؟**

**جدول رقم (٢). التوزيع المبحوثين حسب حجم المعاناة الإنسانية (التكرارات والنسب المئوية).**

| حجم المعاناة الإنسانية | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| لا تنطبق (المعاناة = صفر) | ٦ | ١,٥ |
| منخفض (أكثر من صفر إلى ١) | ٧٧ | ١٨,٧ |
| متوسط (أكثر من ١ إلى ٢) | ٢٠٥ | ٤٩,٨ |
| عالي (أكثر من ٢ إلى ٣) | ١٢٤ | ٣٠,١ |
| المجموع | ٤١٢ | ١٠٠,٠ |

توضح بيانات جدول رقم (٢) توزيع المبحوثين حسب حجم المعاناة الإنسانية، إذ الغالبية العظمى من المبحوثين تواجه معاناة إنسانية تتراوح ما بين متوسطة، وبلغتْ نسبة (٤٩,٨٪) قرابة نصف مجتمع البحث، ومعاناة عالية بلغتْ نسبة (٣٠,١٪)، ومنخفضة وبلغت نسبة (١٨,٧٪). أمَّا الذين لا تُوجد لديهم معاناة من المبحوثين، فقد بلغت النسبة (١,٥٪) وهي نسبة ضئيلة جدًا لا تكاد تذكر، وهذا مؤشر مهم إذ يوضح أنَّ المرض ليس معاناته جسدية بيولوجية على المريض فقط، بل إنَّ مداه يصل إلى نفسية المريض نتيجة القلق والملل والعزلة، كما يصيب الأسرة للارتباك والاضطراب الذي يحدث لها، بل إنَّ المجتمع بأكمله يصله أثر المرض، حيث يفقد عضو من أعضائه، وقد أشار المدخل الصحي والمدخل الاجتماعي في الإطار النظري لهذه الدراسة إلى التمزق الاجتماعي الذي يحصل عندما يحصل المرض، وأنَّ دور المريض يتعطل وتتضرر الأسرة، بل المجتمع بأكمله كما تتفق هذه النتيجة مع دراسة البنيان (٢٠٠٠م.) ودراسة أبو زنط (١٩٩٦م،) ودراسة درويش (٢٠٠٣م،) عن المعاناة الإنسانية التي تنتج عن المرض إلَّا أنَّ في هذه الدراسة تضاعفت المعاناة الإنسانية نتيجة البعد عن أفراد الأسرة ومحل الإقامة والتمزق الاجتماعي الذي يحدث على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع.

**جدول رقم (٣). المقارنة بين نوع المنطقة والمعاناة الإنسانية (المتوسطات والانحرافات المعيارية).**

| نوع المنطقة | التكرار | المتوسط | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| الرياض | ١١٤ | ١,٧٦٤٠ | ٠,٧٠٣٩٢ |
| مكة المكرمة | ١١ | ١,٧١٩٧ | ٠,٦٣٨٢٢ |
| جدة | ٧ | ٠,٩١٥٦ | ٠,٨٦١٨٩ |
| الطائف | ١٦ | ١,٤٤٣٢ | ٠,٩٠٤٣٨ |
| المدينة المنورة | ٢٠ | ١,٥٤١٧ | ٠,٥٣١٥٣ |
| القصيم | ٣٨ | ١,٤٥٤٣ | ٠,٦١٥٠٢ |
| الشرقية | ١٩ | ١,٤٤٣٠ | ٠,٧٩٤٠٠ |
| الأحساء | ٨ | ١,٧٥٦٦ | ٠,٦٠٠٧٧ |
| حفر الباطن | ٧ | ١,٤٥٧١ | ٠,٦٧٣٥٠ |
| عسير | ٣٣ | ١,٨١٧٠ | ٠,٥٩٤٦٥ |
| بيشة | ٨ | ١,٧٦٠٤ | ٠,٧٢٩٨٠ |

**تابع جدول رقم (٣).**

| نوع المنطقة | التكرار | المتوسط | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| تبوك | ١١ | ١,٧٣٠٠ | ٠,٣٦٥٧٠ |
| حائل | ٢٥ | ١,٦٥٠٠ | ٠,٦٧٤٠٩ |
| الحدود الشمالية | ١١ | ١,٦٤٣٩ | ٠,٦٣٨٠٢ |
| جازان | ٣١ | ١,٦٧٤٩ | ٠,٦٩٦٨٣ |
| نجران | ٢٦ | ١,٧٤٨٨ | ٠,٧٣٢٥٢ |
| الباحة | ٥ | ١,٤٥٠٠ | ٠,٩١٥٩١ |
| الجوف | ١٤ | ١,٧١٣١ | ٠,٧٨٨٧١ |
| القريات | ٦ | ١,٧٦١١ | ٠,٥٧٥١٠ |
| المجموع | ٤١٠ | ١,٦٥٥٨ | ٠,٦٩١٧٥ |

*لم يجب = ٢

تشير بيانات جدول رقم (٣) أنَّ أغلب متوسط إجابات المبحوثين على مختلف مناطق المملكة العربية السعودية تقع في المعاناة المتوسطة، ممَّا يدل على التجانس الواضح بين مختلف أفراد مجتمع البحث، وبالرغم ذلك يوجد اختلاف بين المناطق، حيث جاء متوسط الحسابي وقدره ( ١,٨٢ ) لإجابات المبحوثين بمنطقة عسير كأعلى منطقة تواجه معاناة إنسانية، تليها منطقة الرياض عند متوسط إجابات المبحوثين قدره (١,٧٦) ثم منطقة القريات عند متوسط إجابات المبحوثين قدره ( ١,٧٦)، تليها منطقة بيشة عند متوسط إجابات المبحوثين قدره( ١,٧٦)، ثم منطقة الأحساء عند متوسط إجابات المبحوثين قدره (١,٧٦) و قد يُعْزَى ذلك إلى كثرة محافظات ومراكز تلك المناطق، وقد يكون كبر حجم أفراد الأسر، حيث يغلب على تلك المناطق أهل القرى الذين يمتازون بالأسر الممتدة، أيضًا قد يكون سبب ذلك ضعف مستويات الرعاية الصحية في تلك المناطق.

**٣- نتائج التساؤل الثالث: ما حجم الخسائر الاقتصادية للمرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة للعلاج في المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض، وهل تختلف باختلاف نوع المنطقة؟**

**جدول رقم (٤). التوزيع المبحوثين حسب حجم الخسائر الاقتصادية (التكرارات والنسب المئوية).**

| حجم الخسائر الاقتصادية | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| لا تنطبق (الخسائر = صفر) | ٥ | ١,٢ |
| منخفض ( أكثر من صفر إلى ١) | ٩٣ | ٢٢,٦ |
| متوسط ( أكثر من ١ إلى ٢) | ١٩١ | ٤٦,٤ |
| عالي ( أكثر من ٢ إلى ٣) | ١٢٣ | ٢٩,٩ |
| المجموع | ٤١٢ | ١٠٠,٠ |

تُقدِّم بيانات جدول رقم (٤) توزيع المبحوثين حسب حجم الخسائر الاقتصادية، إذ الغالبية العظمى من المبحوثين واجهتهم خسائر اقتصادية وتتفاوت حجم هذه الخسائر ما بين متوسطة وقد

بلغت نسبة (٤٦,٤٪) وعالية وبلغت نسبة (٢٩,٩٪) ومنخفضة وبلغتْ نسبة (٢٢,٦٪)، في حين نجد نسبة قليلة جدًا (١,٥٪) تكاد تكون معدومة من المبحوثين لم يتعرضوا إلى خسائر اقتصادية، وهذا يعني أنَّ الخسائر تكون على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع، حيث إنَّ المريض قد يتحمل الدين من أجل السفر والانتقال للعلاج وقد يكون دخله ضعيفًا، ومن ثمَّ تتأثر ميزانية أسرته، كما أنَّ صرف المساعدات المالية من قبل وزارة الصحة لهؤلاء المرضى تُزيد من مصروفات الوزارة، وقد أشار المدخل الصحي لهذه الدراسة إلى ذلك، والنتائج التي توصَّلت إليها دراسة الدلقان (١٩٩٣م.) ودراسة استنبولي (١٩٩٦م.) ودراسة باقديم (٢٠٠٢م.) بتأثير العامل الاقتصادي على معاناة المرضى، إلَّا أنَّ هذه الدراسة تختلف من حيث أنَّ مدى الخسائر الاقتصادية يتضاعف نتيجة انتقال المريض من مكان إلى آخر بحثًا عن العلاج، وقد أشارت دراسة أبو زنط (١٩٩٦م.) إلى صعوبة السفر من أجل العلاج، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في السياسية الصحية عند توزيع الخدمات الصحية بين المناطق بدرجة متساوية هذا من جهة، وإعادة النظر في آلية صرف المساعدات المالية للمرضى في غير محل إقامتهم من جهة أخرى.

**جدول رقم (٥). المقارنة بين نوع المنطقة والخسائر الاقتصادية (المتوسطات والانحرافات المعيارية).**

| نوع المنطقة | التكرار | المتوسط | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| الرياض | ١١٤ | ١,٥٠١٢ | ٠,٧٨٣٤٥ |
| مكة المكرمة | ١١ | ١,٧٤٢٤ | ٠,٧٧٩٤٧ |
| جدة | ٧ | ١,٦٦٦٧ | ٠,٦٤٧٢٩ |
| الطائف | ١٦ | ١,٤٧١١ | ٠,٨٤٩١٢ |
| المدينة المنورة | ٢٠ | ١,٧٥٦١ | ٠,٥٥٦٩٨ |
| القصيم | ٣٨ | ١,٢٧٣٢ | ٠,٦٥٢٢٩ |
| الشرقية | ١٩ | ١,٠٧٤٦ | ٠,٦٢٣٥٤ |
| الأحساء | ٨ | ١,٧٧٠٨ | ٠,٥٦٦٥١ |
| حفر الباطن | ٧ | ١,٣٤٥٢ | ٠,٨٢٦٩٦ |
| عسير | ٣٣ | ١,٨٩٦٢ | ٠,٥٤١٩٥ |
| بيشة | ٨ | ١,٦٦٦٧ | ٠,٦٥٠٠٩ |
| تبوك | ١١ | ١,٨٣٣٧ | ٠,٦٤٩٦٠ |
| حائل | ٢٥ | ١,٦٤٧٣ | ٠,٦٨١٣٧ |
| الحدود الشمالية | ١١ | ١,٥٢٢٧ | ٠,٥١٩٢٠ |
| جازان | ٣١ | ١,٦٢٣٢ | ٠,٧٤٥٢٦ |
| نجران | ٢٦ | ١,٨٦٧٩ | ٠,٦١٤٥٨ |
| الباحة | ٥ | ١,٤٣٣٣ | ٠,٧٦٠١٢ |
| الجوف | ١٤ | ١,٩١٦٧ | ٠,٥٩١٩٧ |
| القريات | ٦ | ١,٦٣٠١ | ٠,٤٢٣٣٩ |
| المجموع | ٤١٠ | ١,٥٨٤٦ | ٠,٧١١٦٤ |

* لم يجب = ٢

يتضح من بيانات جدول رقم (٥) أنَّ أغلب متوسط إجابات المبحوثين على مختلف مناطق المملكة العربية السعودية تقع في الخسائر الاقتصادية المتوسطة. ممَّا يدل على التجانس الواضح بين مختلف أفراد مجتمع البحث، وبالرغم من ذلك يُوجد اختلاف بين المناطق، حيث جاءت منطقة الجوف كأعلى منطقة تواجه خسائر اقتصادية بمتوسط إجابات المبحوثين قدره ( ١,٩٢)، تليها منطقة عسير بمتوسط إجابات المبحوثين قدره (١,٩٠)، ثم منطقة نجران بمتوسط إجابات المبحوثين قدره ( ١,٨٧)، تليها منطقة تبوك بمتوسط إجابات المبحوثين قدره ( ١,٨٣)، ثم منطقة الأحساء بمتوسط إجابات المبحوثين قدره ( ١,٧٧.) ويُعزى ذلك إلى بُعد المسافة بين تلك المناطق ومدنية الرياض هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يكون قِلة دخل الأسرة أدَّى إلى زيادة حجم الخسائر الاقتصادية لتلك المناطق.

**٤- نتائج التساؤل الرابع: ما حجم المعوقات التنظيمية للمرضى السعوديين المنتقلين من مناطق المملكة للعلاج في المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض، وهل تختلف باختلاف نوع المنطقة؟**

**جدول رقم (٦). توزيع المبحوثين حسب حجم المعوقات التنظيمية (التكرارات والنسب المئوية).**

| حجم المعوقات التنظيمية | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| لا تنطبق (المعوقات = صفر) | ١ | ٠,٢ |
| منخفض ( أكثر من صفر إلى ١) | ٧٢ | ١٧,٥ |

**تابع جدول رقم (٦).**

| حجم المعوقات التنظيمية | التكرار | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| متوسط ( أكثر من ١ إلى ٢) | ١٥٦ | ٣٧,٩ |
| عالي ( أكثر من ٢ إلى ٣) | ١٨٣ | ٤٤,٤ |
| المجموع | ٤١٢ | ١٠٠,٠ |

يلاحظ من بيانات جدول رقم (٦) أنَّ غالبية مجتمع الدراسة يواجه معوقات تنظيمية بنسبة عالية، حيث بلغت نسبة حجم المعوقات التنظيمية عند مستوى عالي (٤٤,٤٪)، وبلغت النسبة عند مستوى متوسط (٣٧,٩٪)، وعند مستوى منخفض بلغتْ نسبة (١٧,٥٪)، في حين الذين لا توجد لديهم معوقات تنظيمية فهي نسبة تكاد تكون معدومة حيث بلغتْ (٠,٢٪)، ممَّا يشير إلى ضخامة حجم المعوقات التنظيمية التي تواجه المبحوثين، وقد يفسر ذلك إلى المركزية الشديدة وتفشي الواسطة داخل المستشفيات الحكومية، حيث أشار المدخل الإداري في الإطار النظري لهذه الدراسة بأنَّ المجتمعات النامية يُوجد بها مركزية إدارية شديدة في الجهاز الإداري على اختلاف مستوياته وتنظيماته، وقد يكون للنظام الاجتماعي وهيكل نظام القبيلة والعائلة وسلطة الرجل في الأسرة دور في ذلك، إضافة إلى أنَّ الصداقة والواسطة لهما أثر في سير العمل الإداري وفي صنع القرارات الإدارية، كما أنَّ نسبة الثلث من المبحوثين قد أجابوا بأنَّهم اعتمدوا على الواسطة لتلقي العلاج، وبالنظر إلى نتيجة

جدول رقم (١٠) في متغير وجود الواسطة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة الخليفة وآخرون (١٩٩٣م.) ودراسة لوسي جلسن (١٩٩٤م.) ودراسة المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة عسير (١٩٩٤م.) ودراسة الخمشي (٢٠٠٤م.) ودراسة الشريف (٢٠٠٨م.)، على وجود معوقات تنظيمية في المستشفيات الحكومية إلَّا أنَّها تختلف نسبة هذه المعوقات التنظيمية بأنَّها عالية جدًا، ممَّا تتطلب إعادة النظر في السياسة الصحية في المملكة.

**جدول رقم (٧). المقارنة بين نوع المنطقة والمعوقات التنظيمية (متوسطات وانحرافات معيارية).**

| نوع المنطقة | التكرار | المتوسط | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| الرياض | ١١٤ | ١,٩١٤١ | ٠,٧٥١٥٧ |
| مكة المكرمة | ١١ | ٢,٠٠٤٨ | ٠,٧٣٠٩٠ |
| جدة | ٧ | ١,٦٧٧٥ | ١,١٠٦٢٥ |
| الطائف | ١٦ | ١,٥٣٦٥ | ٠,٨٠٢١٨ |
| المدينة المنورة | ٢٠ | ١,٨٣١٧ | ٠,٦٦٢٦٨ |
| القصيم | ٣٨ | ١,٥٤٨١ | ٠,٧١٨٠٩ |
| الشرقية | ١٩ | ١,٦١٩٢ | ٠,٧٩٧٩٠ |
| الأحساء | ٨ | ١,٨٠٩٧ | ٠,٥٥٣٢٤ |
| حفر الباطن | ٧ | ١,٤٥٥٦ | ٠,٧٢٢٠٥ |
| عسير | ٣٣ | ٢,٠٧٥٠ | ٠,٦٩٦٥٥ |
| بيشة | ٨ | ١,٦٣٧٣ | ٠,٦٢٥٣٧ |
| تبوك | ١١ | ٢,٠٦٧٤ | ٠,٦١٨٠٤ |

**تابع جدول رقم (٧).**

| نوع المنطقة | التكرار | المتوسط | الانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| حائل | ٢٥ | ١,٨٩٢٧ | ٠,٨١٧٣٨ |
| الحدود الشمالية | ١١ | ١,٥٧٥٨ | ٠,٦٠٠٢٩ |
| جازان | ٣١ | ١,٨٥١٢ | ٠,٧٩١٤٦ |
| نجران | ٢٦ | ١,٨٩٧٣ | ٠,٦٦١٦٧ |
| الباحة | ٥ | ٢,١٥٠٠ | ٠,٣٠٢٧٧ |
| الجوف | ١٤ | ٢,١٠٧٥ | ٠,٧٤٣٤٦ |
| القريات | ٦ | ١,٨٥٣٥ | ٠,٦٧٦٥١ |
| المجموع | ٤١٠ | ١,٨٤٠٣ | ٠,٧٤٠٩٤ |

تكشف بيانات جدول رقم (٧) أنَّ أغلب متوسط إجابات المبحوثين على مختلف مناطق المملكة العربية السعودية تقع ما بين المعوقات المتوسطة، والمعوقات العالية، ممَّا يدل على التفاوت بين المناطق، حيث جاءتْ منطقة الباحة كأعلى منطقة تواجه معوقات تنظيمية بمتوسط إجابات المبحوثين قدره (٢,١٥) عند مستوى المعوقات العالية، تليها منطقة الجوف بمتوسط إجابات المبحوثين قدره (٢,١١) عند مستوى المعوقات العالية، ثم منطقة عسير بمتوسط إجابات المبحوثين قدره (٢,٠٧) عند مستوى المعوقات العالية، تليها منطقة تبوك بمتوسط إجابات المبحوثين قدره (٢,٠٦) عند مستوى المعوقات العالية، ثم منطقة مكة المكرمة بمتوسط إجابات

المبحوثين قدره (٢,٠٠) عند مستوى المعوقات العالية، وقد يُعزَى ذلك لقلة الكفاءات الإدارية المتميزة في تلك المناطق، وقد يكون للعلاقات القرابة سببًا في تلك المعوقات التنظيمية.

**٥- نتائج التساؤل الخامس: ما الحلول والاقتراحات والتوصيات التي يمكن أنْ تقدَّم بين يدي صانعي السياسات الصحية بالمملكة العربية السعودية؟**

أ- **الحلول والاقتراحات:** طلب من المبحوثين ترتيب الحلول والمقترحات التي يرون بأنَّها مناسبة لمعالجة المشكلات التي تواجههم عند الانتقال من محل إقامتهم إلى مدينة الرياض للعلاج في المستشفيات الحكومية، وقد طُلب منهم ترتيبها من رقم واحد إلى رقم ثمانية حسب الأهمية، فعند اختيار رقم واحد على أحد الحلول أو المقترحات فإنَّه لا يعني أنَّه أقل من رقم ثمانية على سبيل المثال، وإنَّما يمثِّل الخيار الأول المناسب له لمعالجة المشكلة التي تواجهه، فكلَّما صغر رقم المتوسط الحسابي كلَّما كان هو الخيار المناسب.

**جدول رقم (٨). توزيع إجابات المبحوثين حسب أهمية الحل أو المقترح أو التوصية (التكرارات والمتوسطات الحسابية).**

| الفقرة | التكرار | المتوسط | الترتيب |
|---|---|---|---|
| وجود جمعية أو إدارة تهتم وترعى شؤون المرضى المحولين أو المنتقلين إلى المدن الرئيسة. | ٢٩٣ | ٢,٨١ | ١ |

**تابع جدول رقم (٨).**

| الفقرة | التكرار | المتوسط | الترتيب |
|---|---|---|---|
| تأمين نقل مجاني تحت إشراف فريق علاجي لنقل المرضى إلى المستشفيات في المدن الرئيسة. | ٢٩٢ | ٣,٤٧ | ٢ |
| تخصيص عيادة استشارية متنقلة بين مدن وقرى وهجر مناطق المملكة. | ٢٨٠ | ٣,٥٠ | ٣ |
| تفعيل الوقف الصحي الإسلامي (بناء مساكن للمرضى المحولين للعلاج في المدن الرئيسة). | ٢٩٥ | ٣,٧١ | ٤ |
| التنسيق الجيد والفعَّال بين وزارة الصحة والخطوط الجوية في تسهيل حجوزات المرضى. | ٢٨٨ | ٤,١٠ | ٥ |
| دعم مشروعات بناء المستشفيات والمراكز المتخصصة عن طريق رجال الأعمال. | ٢٧٢ | ٤,٣٩ | ٦ |
| تشغيل المستشفيات العامة الحكومية تشغيل ذاتي (تحويل القطاع الحكومي إلى خاص). | ٢٥٤ | ٥,٩٤ | ٧ |
| التأمين الصحي التعاوني (أخذ رسوم من الناس من أجل تحسين الرعاية الصحية). | ٢٥٤ | ٦,٢٧ | ٨ |

تُشير بيانات جدول رقم (٨) إلى توزيع آراء المبحوثين حسب أهمية الحل أو المقترح أو التوصية، إلى أنَّ متوسط مجموع إجابات مجتمع البحث الذين يرون وجود جمعية أو إدارة بلغ ( ٢,٨١) وقد نال المرتبة الأولى، في حين نجد متوسط مجموع إجابات مجتمع البحث الذين يرون تأمين نقل مجاني بلغ ( ٣,٤٧) وجاء في المرتبة الثانية، وفيما يتعلق بتخصيص عيادة استشارية متنقلة فقد بلغ متوسط مجموع إجابات مجتمع البحث ( ٣,٥٠) وجاء في المرتبة الثالثة، وبنسبة أقل بقليل عن تأمين النقل المجاني، أمَّا ما يخص تفعيل الوقف الإسلامي فقد بلغ متوسط مجموع إجابات مجتمع البحث ( ٣,٧١)، ونال المرتبة الرابعة، ممَّا يدل على أنَّ الحلول والمقترحات التي نالت المرتبة الثانية والثالثة والرابعة تتوافق مع المدخل الإداري لهذه الدراسة، وفيما يتعلق بخيار التنسيق الجيد والفعال بين وزارة الصحة والخطوط الجوية فقد بلغ متوسط مجموع إجابات مجتمع البحث (٤,١٠)، وجاء في المرتبة الخامسة أمَّا خيار دعم مشروعات بناء المستشفيات والمركز المتخصصة فجاء قريب من الخيار الخامس، حيثُ بلغ مجموع متوسط إجابات مجتمع البحث ٤,٣٩ ونال المرتبة السادسة، ونلاحظ أيضًا من البيانات الواردة في الجدول رقم (٨) أنَّ مجتمع البحث لا يفضل خيار تحويل المستشفيات الحكومية إلى القطاع الخاص، وقد يُعزى ذلك لعدم ملاحظة تغير واضح في المستشفيات الحكومية التي جرى تشغيلها ذاتيًا، حيث بلغ مجموع متوسط إجابات مجتمع البحث (٥,٩٤) نال المرتبة السابعة، وأخيرًا جاء خيار التأمين الصحي في المرتبة الثامنة، حيثُ بلغ مجموع متوسط إجابات المبحوثين (٦,٢٧) ويدل ذلك على أنَّ مجتمع البحث قد تكون الرؤية غير واضحة لديه عن التأمين الصحي التعاوني أو قد يكون لعدم الرغبة في دفع الرسوم وزيادة الأعباء المالية عليهم بوجه عام، يغلب على أهمية تلك الحلول والمقترحات أنَّها تصبُّ في خانة الجانب الإداري والصحي والاجتماعي كوجود جمعية أو إدارة مستقلة ترعى وتهتم بمشكلاتهم، وتأمين النقل المجاني، وتخصيص عيادات استشارية متنقلة، وتفعيل الوقف الصحي، وهذا يعني أنَّها تتفق مع المداخل النظرية التي اعتمدت عليها الدراسة الحالية.

**ب- التوصيات:** في ضوء نتائج هذه الدراسة، وفي ضوء ما عُرض في الإطار النظري يمكن طرح بعض التوصيات التي تهدف بالدرجة الأولى إلى محاولة الاستفادة القصوى من هذه الدراسة، وفيما يأتي بعض هذه التوصيات:

- هناك حاجة علمية لإجراء مثل هذه الدراسة على عينة أكبر بحيث تشمل جميع مراكز ومحافظات ومدن المملكة العربية السعودية بواسطة مجهود بحثي جماعي مؤسسي.

- هناك حاجة علمية لإجراء دراسات تتبعية لمشكلة التنقل من أجل العلاج في المشتشفيات الكبرى والتخصصية لمعرفة مدى التغير الذي يطرأ عليها ضعفًا وقوة.
- كشفت نتائج هذه الدراسة أنَّ منطقة الشؤون الصحية بعسير أعلى مناطق المملكة يواجه مرضاها معاناة إنسانية، تلتها منطقة الرياض، ثم منطقة القريات، تلتهم منطقة بيشة، ثم منطقة الأحساء، الأمر الذي تطلب على جميع المستشفيات الحكومية بمدينة الرياض مراعاة تلك المناطق على وجه الخصوص عند الخطة العلاجية المقدمة لهم.
- أوضحت نتائج هذه الدراسة إلى أنَّ منطقة الجوف أعلى مناطق المملكة يواجه مرضاها خسائر اقتصادية، تلتها منطقة عسير، ثم منطقة نجران، تلتهم منطقة تبوك، ثم منطقة الأحساء، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في آلية صرف المساعدات المالية للمرضى في غير محل إقامتهم ومراعاة لأوضاع تلك المناطق على وجه التحديد.
- بيَّنت نتائج هذه الدراسة إلى أنَّ منطقة الباحة أعلى مناطق المملكة يواجه مرضاها معوقات تنظيمية، تلتها منطقة الجوف، ثم منطقة عسير، تلتهم منطقة تبوك، ثم منطقة مكة المكرمة، الأمر الذي يتطلب مراجعة الكفاءة الإدارية في تلك المناطق.
- إنشاء جمعية أو إدارة تهتم وترعى شؤون المرضى في المناطق النائية من المملكة العربية السعودية ترتبط بالوزير مباشرة أو بالجمعية الوطنية لحقوق الإنسان.
- تفعيل الوقف الصحي الإسلامي عن طريق المحسنين، وذلك ببناء مساكن وقفية للمرضى الذي يأتون من المناطق النائية لتلقي علاج في المستشفيات الحكومية بالمدن الرئيسة.

## المراجـــع

**المراجع العربية**

**إبراهيم، محمد.** *الهجرة غير الشرعية والمشكلات الاجتماعية*. الإسكندرية: المكتب العربي الحديث، ٢٠٠٨م.

**ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين،** *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، ٢٠٠٤م.

**أبو زنط، ماهر خالد.** *"العوامل الاجتماعية وتأثيرها على مرضى السرطان: دراسة ميدانية في المجتمع الفلسطيني"* . المؤتمر العالمي الأول حول مرض السرطان بين الحقيقة والوهم، الكويت، (١٩٩٦م.) ٥١٧ – ٥٤٤.

**أبو ليلى، يوسف والعموش، أحمد.** *"مظاهر السلوك الصحي في مجتمع الإمارات: دراسة ميدانية"* . مجلة شؤون اجتماعية، العدد (١٠٢)، (٢٠٠٩م.).

**استنبولي، ابتسام عبدالقادر**: *تأثير المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في التوازن الأسري*، رسالة ماجستير غير منشورة، السعودية، قسم الدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ١٩٩٥م.

**أنيس، إبراهيم، ومنتصر عبدالحليم، وعطية الصوالحي، ومحمد أحمد**. *المعجم الوسيط*. ط ٢. مصر: دار المعارف، ١٩٧٣م.

**بدوي، أحمد زكي**. *معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية*. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٦م.

**البنيان، أسماء محمد**: *المشكلات الاجتماعية لمريضات الصرع*، رسالة ماجستير غير منشورة، السعودية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ٢٠٠٠م.

**بومدين، سليمان**. *"التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر: حالة مدينة سكيكدة"*. مجلة شؤون اجتماعية، العدد (٨٨)، (٢٠٠٥م).

**الخليفة، عبدالله، وعبدالباري، إسماعيل، والزهراني، عبدالرزاق، والخلف، عبدالله، والوليعي، عبدالله**. *عوامل الاستفادة من خدمات المؤسسات العلاجية الخاصة: دراسة ميدانية*. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٣م.

**الخمشي، سارة صالح**: *فعالية خدمات الرعاية الصحية في القطاعين الحكومي والخاص*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية للبنات، الرياض، ٢٠٠٣م.

**الدلقان، عبدالعزيز عبدالله**: *الأبعاد المكانية لخدمات مراكز الرعاية الصحية الأولية الحكومية في مدينة الرياض*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٣م.

**الراوي، منصور**. *سكان الوطن العربي: دراسة تحليلية في المشكلات الديمغرافية*. بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٢م.

**زمزمي، ازدهار أحمد**: *العوامل الاجتماعية والاقتصادية وعلاقتها بقضايا الصحة والمرض في المجتمع السعودي: دراسة تطبيقية على حي قويزة بمدنية جدة*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبدالعزيز، ٢٠٠٠م.

**ساعاتي، عبدالإله**. *مبادئ إدارة المستشفيات وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية*. الرياض: غير موضح مكان النشر، ٢٠٠٠م.

**الشريف، بشائر**. *مدى رضا المرضى عن الخدمات في المشافي في منطقة نابلس*. المكتبة الإلكترونية، www.seminar.ps/library/view:6870 (٢٠٠٨م.).

**عبدالعزيز، عاطف.** *الاتجاهات الحديثة في دراسة التنظيمات الطبية*. ذكر في الجوهري، محمد (محرر): كتاب علم الاجتماع الطبي. (ص ٢٥-٦٩) عمان: دار المسيرة، ٢٠٠٩م.

**معتوق، فريد.** معجم *العلوم الاجتماعية*، بيروت: أكاديميا إنترناشيونال، ٢٠٠١م.

منظمة الصحة العالمية. **مفهوم الصحة**، موقع منظمة الصحة العالمية، http://www.who.int/suggestions/faq/ar/ (٢٠١٥م.).

**المهنا، اعتدال أحمد:** *تقييم رضا المستفيدين عن برنامج الرعاية الصحية المنزلية بمستشفيين في مدينة الرياض*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التمريض، جامعة الملك سعود، الرياض، ٢٠٠٥م.

وزارة الاقتصاد والتخطيط، ٢٠٠٥م: ***خطة التنمية الثامنة***، الرياض.

وزارة الصحة، ٢٠١٤م: ***الكتاب الإحصائي الصحي السنوي***، الرياض.

وزارة الصحة، ٢٠٠٨م: **دليل نظام الإحالة بين المرافق الصحية**، الرياض.

**المراجع المترجمة**

**براون وبوتول**، *نواحي اللامساواة الصحية*، ذكر في: غدنز، أنتوني (محرر): كتاب علم الاجتماع (ترجمة فايز الصباغ) ط٤ (ص ٢٢٧) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م.

**برتين، نيكي.** *رؤية المرضى للاستشاريين*. ذكر في: الجوهري، محمد (محرر): كتاب علم الاجتماع الطبي. (ص ٤٣). عمان، دار المسيرة، ٢٠٠٩م.

**بينيت، ف.** *التشخيص المجتمعي والعمل الصحي: دليل للمناطق المدارية والريفية*، ترجمة جمال الجار الله، الرياض، جامعة الملك سعود، ٢٠٠١م.

**تيماشيف، نيقولا.** *نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها*، ترجمة حمود عودة ومحمد الجوهري ومحمد محمد والسيد الحسيني، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢م.

**غدنز، أنتوني.** *علم الاجتماع*، ترجمة فايز الصباغ، ط٤، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥م.

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

## قسيمة اشتراك بمجلة جامعة الملك سعود

تاريخ تعبئة القسيمة (بالتاريخ الميلادي): / / ٢٠م

اسم المشترك (رباعي): .....

اسم الجهة/الشركة (للجهات الحكومية/الشركات): .....

العنوان: ..... صندوق بريد: ..... الرمز البريدي: .....

المدينة: ..... الدولة: ..... الهاتف: ..... الفاكس: .....

البريد الإلكتروني: .....

اسم المجلة المطلوب الاشتراك فيها:

☐ الآداب (٣ أعداد في السنة)
☐ العلوم التربوية (٣ أعداد في السنة)
☐ العلوم الهندسية (عددان في السنة)
☐ العلوم الزراعية (عددان في السنة)
☐ اللغات والترجمة (عددان في السنة)
☐ السياحة والآثار (عددان في السنة)
☐ علوم طب الأسنان (عددان في السنة)
☐ الدراسات الإسلامية (٣ أعداد في السنة)
☐ العلوم الإدارية (عددان في السنة)
☐ العلوم (عددان في السنة)
☐ العمارة والتخطيط (عددان في السنة)
☐ علوم الحاسب والمعلومات (عددان في السنة)
☐ الحقوق والعلوم السياسية (عددان في السنة)

عدد المجلات: ( )
عدد النسخ: ( )

مدة الاشتراك: ☐ سنة ☐ سنتان

نوع الاشتراك: ☐ فردي ☐ حكومي ☐ قطاع خاص

طريقة الدفع: ☐ نقداً ☐ شيك مصدق (مرفق) ☐ حوالة

تكلفة الشحن: ( )

إجمالي المبلغ: ..... التوقيع: .....

**قيمة الاشتراكات:** الاشتراك السنوي داخل المملكة العربية السعودية (١٥) ريالاً سعودياً لكل عدد أو ما يعادله بالعملة الأجنبية يضاف إليه أجور البريد.

**جميع مراسلات الاشتراك والتبادل على العنوان التالي**

دار جامعة الملك سعود للنشر – جامعة الملك سعود – ص. ب. ٦٨٩٥٣ الرياض ١١٥٣٧
هاتف ١١٤٦٧٢٨٧٠(٩٦٦+) فاكس ١١٤٦٧٢٨٩٤(٩٦٦+) البريد الإلكتروني ksupress@ksu.edu.sa
موقع الدار http://ksupress.ksu.edu.sa

دار جـــامـــعـــــة
الملك سـعـود للنشـر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

# Subscription Form for the Journal of King Saud University

Date: ……/……/20

Name: ……...
Company Name (Public/Private): ……
Address: …… P.O. Box: …… Zip Code: ……...
City: …… Country: …… Tel.: …… Fax: ……..
E-mail: ……..
Name of Branch of JKSU:

- ☐ Arts (3 issues a year)
- ☐ Educational Sciences (3 issues a year)
- ☐ Engineering Sciences (biannual)
- ☐ Agricultural Sciences (biannual)
- ☐ Languages and Translation (biannual)
- ☐ Tourism and Archaeology (biannual)
- ☐ Dental Sciences (biannual)
- ☐ Islamic Studies (3 issues a year)
- ☐ Administrative Sciences (biannual)
- ☐ Science (biannual)
- ☐ Architecture and Planning (biannual)
- ☐ Computer and Information Sciences (biannual)
- ☐ Law and Political Science (biannual)

No. of Issues: ( )
Length of Subscription: ☐ 1 Year ☐ 2 Years
Type of Subscription: ☐ Individual ☐ Governmental ☐ Private Sector
Method of Payment: ☐ Cash ☐ Cheque ☐ Bank Transaction
Shipping Cost: ( )
Total Cost: ……
No. of Copies: ( )
Signature: ……...

**Annual Subscription Rates:** Within the Kingdom SAR 15.00 for each issue or its equivalent in a foreign currency (excluding postage).

**All subscription and exchange correspondences should be addressed to:**

King Saud University Press, King Saud University, P.O. Box 68953, Riyadh 11537, Kingdom of Saudi Arabia
Tel.: +966 11 4672870 Fax: +966 11 4672894
E-mail: ksupress@ksu.edu.sa Website: http://ksupress.ksu.edu.sa

> need to have some certainty, so you can say, 'This is unalterable truth. If I can hang my hat on this, my life will make more sense.' But finally all these fundamentalist efforts are doomed to fail, because life is never that simple. Face it, life is inherently complex . (Otd. In Herman 2)

To conclude, each of the two works of art in question serves as a clear statement on the significance of the interrelatedness of human lives and the effect of the continuous struggle for freedom on human relationships. Although each writer has made the statement in a style that is wholly his own, the two plays are marked by a deep desire to reaffirm the common humanity in all of us. Both dramas assure the reality that human beings will go on striving for freedom, and that each quest for liberty may possess its own distinct features, due to cultural and historical variations, though the goal is the same. The essence of true freedom is the actual respect of human rights. The power of both plays lies in that they reflect the same aspiration, on the part of their authors, not to assert the importance of liberation as much as to question the means of attaining it. The different endings of the two plays cause us to ask almost the same questions about the costs and rewards of freedom, and about the best methods by which humanity at large can overcome such obstacles as violence, trickery, and rigidity in order to win genuine freedom.

## References


**Al-Hakim, Tawfiq.** *Al Sultan Al-ha'ir* (*The Sultan's Dilemma*),*The Essential Tawfiq Al-Hakim* ,ed. Denys Johnson-Davis. Cairo: The American University, 1973.

**Bryan, Willie V.** *In Search of Freedom: How Persons with Disabilities Have Been Disenfranchised from the Mainstream of American Society and How the search for freedom Continues*. Springfield: Charles C Thomas2005.

**Burrell, Tom.** *Brainwashed: Challenging the Myth of Black Inferiority*. New York: Hay House, 2010.

**Conway, David**. "The True Meaning of Liberty in a Free Society," *Liberty of Law and Liberty*. July 9 2012 < www.libertylawsite.org/.../the-true-meaning-of-liberty>.

**Dowden, Edward.** *Shakspere (sic); A Critical Study of His Mind and Art.* London: Routledge, 1967.

**Duthie, George Ian**. *Shakespeare*. London: Hutchinson, 1966.

**Eliot, T. S.** *The Complete Poems.* London: Faber, 1940.

**Fried, Charles.** "The Nature and Importance of Liberty," *Harvard Journal of Law & Public*

**Herman, Jan.** "Hwang : His 'Golden Child,' Coming to O.C., David Henry Hwang Has Had the Development Experience Playwrights Dream Of," |"*Los Angeles Times*. January 1997 <htt://www.fb10.uni-bremen.de/anglistik/kerkhoff/ContempDrama/Hwang.htm>

**Fried, Charles.** "The Nature and Importance of Liberty," *Harvard Journal of Law & Public*.

**Hopwood, Derek**. *Egypt: Politics and Society 1945-90*, 3rd. ed. London: Routledge, 1991, print.

**Hwang, David Henry.** *M Butterfly***.** New York: Plume Books, 1996.

**……..** *Golden Child.* New York: Theater Communications, 1998.

**……..** "It's OK to be Wrong and/or It's OK to be Hwang." "Henry David Hwang, Rev. Linda winter and Jan Herman 2007.

**Ibsen, Henrik.** *The Lady from the Sea.* Cairo: Ain Shams University, 1994.

**Markus, Hazel Rose and Barry Schwartz**. "Does Choice Mean Freedom and Well-Being?" *Journal of Consumer Research,* Vol. 37, No. 2 (August 2010):. 344- 355.

**Seragldin, Ismail.** *Inventing Our Future: Essays on Freedom, Governance and Reform in the Arab World.* Alexandria: Bibliotheca Alexandria, 2005, print.

**Shakespeare, William**. *The Merchant of Venice.* London: Longman, 1965. Print.

**……..***Love's Labour's Lost*. New York: American Library,1965, print.

**Shaw, George Bernard**. *Pygmalion: A Romance in Five Acts.* London: Longman, 1957, print.

**Sheridan, Richard Brinsley**. *The Rivals*. London: Longman, 1985, print.

**Smith, Anna Deavere**, *Twilight: Los Angeles,1992.* New York: Anchor Books, 1994. Print.

**Treder, Mike.** "The meaning of Freedom," *Ethical Technology.* Sep. 17, 2009, print.

**Wilson, William Julius**. *The Truly Disadvantaged: The Inner City, the Underclass, and Public Policy*, 2nd Edition. Chicago: The University of Chicago, 2012, print.

consequence of restricted opportunities and feelings of resignation resulting from bitter personal experiences, rather than anything else. The deeds of their husband are a clear example. Tieng-Bin ignores the feelings and whole being of one wife when he gets married to another. It is true that there is no argument on the part of the wives for freedom or such issues, yet their disapproval of their husband's treatment of them is hinted at on certain occasions such as the one of the gifts which he brings to them. Neither the first wife nor the second are really satisfied with their gifts despite the joy which they show, in the presence of their husband, on seeing them . While the second wife complains that her gift is but "a gift for the cooks," the first considers the "cuckoo clock" one of the gestures which reflect her husband's tendency to impose his choices on her: "I have got a bird that tells me the time whether I wish to know or not," said she. (*Golden Child* 21)

The first wife shows incredible control over her actions, throughout the whole play, till the moment in which she says, in her own way, enough. The bitterness with which she is filled appears in the form of nonchalant reaction to her husband's burst of anger on seeing the "opium pipe" in her room. "A husband is always the last to know, she says to him, "servants are always the first, by the way." Her response to his command that the members of his family should deal honestly with each other is but more ironical: "What is this mania for honesty?" (*Golden Child* 47). When his reaction, to the errors she has committed, makes it obvious that he understands nothing but that her wrong deeds are meant "to undermine his authority," she reminds him of his most important duty as the head of the family,

> Confucius said: "In order to rule the nation, a man must first rule himself." So rule yourself! Tell me you haven't seen or heard anything tonight which would soil the honor of our family—and then have the discipline to believe your own words. (*Golden Child* 47-8)

His decision that the lives of all the members of the family should change is but one of his ideas which he imposes on his family:

> I have made my decision. Or you have made it for me. I will be baptized. And all the family alters will come down at once.
>
> (pause) The servants will search for any more of the drug you may have hidden. Then—you'll start attending Pastor Baines's lessons. We all need a fresh start, to begin a new life (*Golden Child,* 49).

The method which Tieng-Bin has used to win freedom has caused his first wife, who symbolizes tradition, to put an end to her life. She commits suicide after he smashes the picture which she worships in order to force her to break with her beliefs. He is far from knowing what kind of agony she undergoes because of his deed. Yet, winning liberation in such a rigid way has a price which he, just like the other members of the family, should pay. He pays the price when he loses his beloved wife, the woman whom he has dreamt of living with as his only wife. He laments her death, asserting that his loss of her has put an end to his happy and hopeful life:

> Eling? Eling. . . .How can I make you understand that I did it all for you? You must take everything now—everything with you— all my ideals, my memories of the world…all rooms I've filled to bursting with empty words—words of change, of pro-progress— all the rooms where I had hidden our future. . . . Papa, Mama— this is how you punish a disobedient son? Take from me the Iwife love, even the wife I respect, leaving me with the one for whom I feel . . . nothing (*Golden Child, 58*-9).

These words uncover the real reason behind his striving for freedom. The welfare of the family is not his priority. What stimulates him to attain freedom is his dream of living happily with his beloved wife. His words imply a reference to the real element which has rendered his search for freedom a bitter experience. Like most freedom-seekers, he, in Eliot's words, "thinks of the key . . . in his prison." He causes the members of his family, including himself, to end up suffering for he is one of the people who cannot put anything above self-interest.

At all events, through the story of Tieng-Bin, Hwang makes it clear that rigidity is not an apt method to win true freedom. He emphasizes this view in his following statement about the necessity of avoiding all sorts of fundamentalism, because none of them can help human beings in their struggle against the hardships of life, none at all:

> We strive for order in our lives, for constancy, for something to believe in. …But human experience is contradictory. In fact our lives are a horrid tangle of ambivalences, self- delusions, accidents. In part that's what 'Golden Child' is about. The attraction of any sort of fundamentalist ideology, whether it's ethnic, political or religious, is this

The sultan succeeds in controlling his own self, and in going, by doing so, beyond the acceptance of the principle of freedom of speech. His actions and reactions plainly show that "Freedom stands for something greater than just the right to act however I choose—it also stands for securing to everyone an equal opportunity for life, liberty, and the pursuit of happiness" (Treder 1). Convinced that the woman has the right to defend herself against the chief justice, he does not only give her the freedom to talk freely with him and with the other authorities, but also he defends her right to do so. Their dialogue is a clear evidence that he is able to be tolerant with people with whom he disagrees. He tolerates the woman's behavior because he is fully aware, as he says to the chief justice, that such a behavior is determined by her "intelligence" and "skills" as an ordinary person not one who is supposed to be a model of self-control and honesty. He, as a ruler, is able to prevent the feeling of hatred to take possession of his subjects, mainly, because he willingly defends what he believes to be their rights. His awareness that the lady, as a powerless citizen, is at his mercy does not prevent him from submitting to her will, and defending her right to own him, as her slave, for one night. Thanks to his patience and merciful nature, rather than anything else, she realizes that the Sultan can by no means be hers alone as he does not belong to one person but to the people as a whole. Having given her the freedom of choice, he enables her to be released from the interests of the self. She now realizes that it is hard to decide the fate of people:

> LADY. It is painful to let you go, to lose you forever, but it is also painful to see you lose your throne, for our country has never had the good fortune to have a sultan with such courage and sense of justice. No, do not give up the rule, do not relinquish the throne! I want you to remain a sultan.
>
> SULTAN. And so?
>
> LADY. I shall sign the deed.
>
> SULTAN. the manumission deed?
>
> LADY. Yes. (*Al-Sultan,* 61-3)

At the end of the night, at midnight because of the chief justice's trickery, they both become free from their erroneous ideas of each other. He realizes that she, despite appearances and the impression she likes to give, is an honest woman who is trustworthy, and that the circumstances by which she has been surrounded have damaged her reputation. She, on the other hand, regrets her conduct before knowing what kind of man he is, her impudent way of dealing with such a modest and humane ruler. Her recognition of his noble nature causes her to admit:

> I was intentionally insolent to you, deliberately vulgar and impudent. Do you know why? Because I imagined you as being quite different. I imagined you as an arrogant sultan, . . . . Thus the picture in my mind was synonymous with haughtiness, harshness, and cruelty. But as soon as you talked to me so pleasantly and modestly I was overcome by a certain bewilderment and confusion. (*Al-Sultan,* 71)

The sultan has managed to find and use " the right remedy" with which Dr. Wangle has cured his wife in Ibsen's play, *The Lady from the Sea*. Al Hakim's hero succeeds in curing the lady by respecting her right to choose freely just like Wangle whose wife describes him, after being recovered, as " a good physician" for her (V. 165). Convinced that the Sultan deserves freedom, the woman willingly signs the manumission deed.

This is not the case in Hwang's *Golden Child*. Unlike the Sultan, Tieng-Bin proves to be unable to bridge the gap between his soul and those of his three wives. Consequently, the relation between him and each of them have been altogether void of mutual understanding and sympathy. When he discovers that his first wife is taking drugs, and that she has sent their daughter to spy on his lessons, his reaction shows no concern on his part with her feelings. He does not try to explore the psychological reasons which have caused her to behave in such a way. He is not aware that the real reason lies in the painful change which has been imposed on her life, as a woman and wife, after he has married his second wife. The following exchange takes place between the first wife and the second one when the latter 's jealousy shows itself as a result of their husband's preference of the third wife:

> SIU-YONG. When you first came to this house, I watched husband go to your bed and never complained.
>
> Why can't you do the same?
>
> LUAN. When he started coming to my room, you took up the pipe (*Golden Child*, 21).

Their words cause the readers to contemplate the actual cause of their actions and reactions. The incidents of *Golden Child* assure the view that "cultural values do not ultimately determine behavior . . .. Rather, cultural values emerge from specific social circumstances and life chances and reflect one's class and racial position" (Wilson, 2012, 14).

*Golden Child* makes it obvious that the three wives' limited aspirations for the future are the

by his yearn to freedom, Tieng- Bin does not consider the reality that his decision is very rigid. He does not consider the undesirable effects of his choice. The rigidity of his decision is emphasized by Hwang's own words:

> ". . . this is really something I've developed more in rewrites the story of Tieng-Bin is the story of somebody who's been raised in Confucian tradition, which is very rigid and fundamentalist itself. Freeing himself from that, he has to find a new big stick to beat down the old big stick. Fundamentalism begets fundamentalism. I'm trying to transcend the rigidity and creativeness that I needed, too, at a certain point in my life to become my own person" (Hwang, Authenticity, 53).

Tieng-Bin's struggle to change the harmful inherited cultural elements has led to undesirable results for the simple reason that he endeavors to reshape his family's life by force. His attempt and its consequences bring to our minds the scheme of the king of Navarre and his closest followers who fail to achieve their noble aim of turning their court into "a little academe" (Shakespeare, 1945, I. i. 47). Failure in both cases can but be attributed, as the two playwrights make it obvious, to rigidity. The incidents of both plays assure the reality that fundamentalism or strict rules can by no means be a suitable method of freeing the self from the prison of another rigidity, whether it is the rigidity of a dominant past or ignorance. Commenting on the reasons which lie behind the failure of the king's scheme in Shakespeare's play, Edward Dowden maintains that "human nature refuses to be dealt with in this fashion of arbitrary selection and rejection" (Dowden 63). Tieng-Bin attempts to achieve his goal by means of arbitrarily suppressing his wives' emotions. His experiment assures the validity of George Duthie's significant words: "A man's emotional being is an essential part of him and he cannot simply set it aside by force"( 67).

The dilemma of Tieng-Bin is an effective instrument by which Hwang communicates a significant message to humanity at large. Bin seems to be unaware of the reality that the value of change lies in its being a means of bringing mankind together, and creating better human communities in the future. His family's painful experience assures the necessity of understanding fully the world in which we are involved physically, intellectually and emotionally. Otherwise, we will neither be able to live in it peacefully or unbind ourselves from it safely. His attempt to escape from the past of his people and its consequences assures the significance of Lord Calverton's words, in Eliot's *The Elder Statesman*, "Those who flee from their past will always lose the race/I know this from experience" (Eliot 561). The moving tragic end of Bin's experience is mainly resultant from his lack of adequate knowledge of the world around him and the suitable way in which he should interact with it. Blinded by his strong desire to put an end to the dominating power of the ancestors, who rule the lives of his wives and children, he imposes incomprehensible change on his family. Ever since we meet him, he never shows the due respect one normally feels for the emotions and interests of the members of his own family.

When we compare the ending of *Al-Sultan Al-ha'r* with that of *Golden Child*, we come to the conclusion that the difference between the rewards and the costs of winning freedom in both plays is determined, in Hwang's previously quoted words, by the "stick" used by the protagonist "to beat down the old big one." To free themselves from slavery or rigidity, the protagonists of the two dramas use completely different methods; therefore, they reap the fruit of their decisions. The unwise actions of Tieng-Bin are the main cause of his wives' reactions. As human characters, the three wives react differently. The first wife, passively resisting, resorts to opium, the second strives to capture him by adopting western attitudes, and the third is torn between her deep love to him and the power of the ancestors. On the contrary, the sultan's handling of the crisis, in *Al-Sultan Al-ha'ir*, plainly shows his insight, tolerance and sympathetic awareness. He decides to bow to the law, and translates his following words into action: "I have chosen the law and I shall continue on that path whatever obstacles I may encounter" (*Al-Sultan*, 37). His wisdom is reflected in the respect he shows to his people's right to freedom. He is wise enough to realize that neither "the sword" nor "trickery" can be the suitable means by which he can get rid of slavery. He proves that he is able to build a democratic society distinguished by the ability of its members to interact with each other as well as with other peoples. The incidents of the play show that he is qualified to stimulate the growth of such interaction which requires, as Ismail Serageldin maintains, a great deal of tolerance:

> Our creative diversity —if it is to survive the growing inter- action between peoples—requires that tolerance become inbred, and further that it must be nurtured to go beyond acceptance of the principle of freedom of expression to the commitment to defend that right of all those with whom we disagree. (Serageldin xxi)

the world. It frightens and perplexes, in particular, those who have the power and are in a position to determine the fate of mankind." The person who has the power, and who is caught in a dilemma in ***Golden Child*** is a head of a family. Being in a position to determine the fate of his wives and children, Tieng-Bin must have endured severe conflict when he determines to break with his people's tradition, which is symbolized by the unbinding of his daughter's feet. Hwang comments on the perplexing problem and his great grandfather's suffering while attempting to cope with it as follows:

> As a child, such a courage on the part of my great grand-father seemed natural and uncomplicated. As an adult, however, I could not help but reflect upon the ambivalence he must have felt in breaking with tradition, knowing he was risking the future of his children, and would be criticized for his actions. (*Golden Child* viii)

Hwang has managed to rewrite the event of the past to meet his social aims. The way in which he has theatrically re-enacted the method chosen by his great grandfather has rendered the event an issue of universal appeal. *Golden Child* highlights the errors of the past and their unpleasant consequences. The play is based on the impact of an imposed change on the three wives' world which is seriously threatened when their husband returns home, after spending three years in the Philippines, affected by the modern world and Christianity. This change threatens to cause their loss of identity and dignity, by bringing about the end of their beliefs and status as wives. Such a loss means their defeat in their struggle, as humans, to gain their rightful position in the society to which they belong.

*Golden Child* is a play which deals with the conflict that arises as a result of coming into contact with a completely different culture. It revolves around the difficult situation in which the wives find themselves because of their husband's strong desire to break with the culture of his people. This drama aptly states that although facing a difficult choice is hard, nothing is more difficult, nor more unbearable, than the situation of one whose choices are made by others, and who can do nothing but submits. The three wives are not free human beings as "one cannot be free without choice" (Markus 352) . They do not possess the right of making a choice. Accepting their husband's choice is the only thing they can do. They are women whose role in life is but to love their husband. The three wives think and act like slaves mainly because they are not sure of their identities as free humans. The main cause of their self-defeating attitudes can be the same cause that Tom Burrell refers to while discussing the suffering of many of his contemporary black families:

> Our family crisis is inseparable from our black male and female identity crisis, and brainwashing has left a great many of us fear- full, confused about our identities, and hopelessly caught in a cycle of relationship underachievement. (32)

Each of the three wives in *Golden Child* yields to the authority of the ancestors which prevents her from free thinking. They more or less embody Galimard's stereotypical view of the Oriental woman in Hwang's *M. Butterfly*:

> I have a vision. Of the Orient. That, deep within almond eyes, there are still women.Women willing to sacrifice themselves for the love of a man. Even a man whose love is completely without worth. ( 92)

The three wives are Hwang's attempt to oppose the stigmatized distorted concept of the Oriental woman. This concept is challenged through the portrayal of the wives who are not passive humans even though they are denied the right to express themselves freely or practice free acts of choice. Like Ahn, the three wives have paid the high cost of being bound to tradition, and, then, of the painful transition. Their husband has won the battle at a great cost in their lives. The fix in which they find themselves brings to our minds the significant words uttered by the first wife, showing her disapproval of unbinding her daughter's feet: "you do not know what a terrible gift is freedom" (*Golden Child*, 30). Yet, the reality that they are victimized by certain circumstances imposed on them should not lead us to think that their tale is one of the stories or works of art that deal with passive victims.

Hwang transmits twofold message through the story of Tieng-Bin's three wives. First, it is of utmost importance to understand any culture before judging it. Through the actions and reactions of the three women, Hwang asserts his point of view that writers and people in general should not reinforce stereotypes such as the stereotype of "submissive Asian women." On the contrary, as he elucidates, they should go on searching for what they "yearn for, absolutes, certain objective realities that we can anchor our lives on" (Hwang, Authenticity, 22). Second, attaining genuine freedom essentially requires an awareness of the human nature. It is necessary, in the first place, to understand that human life cannot be arranged according to personal opinions and impulses. Blinded

Similarly, the search for freedom is at the center of David Henry Hwang's family drama *Golden Child***.** In the interview entitled "It's OK to be Wrong and/or it's OK to be Hwang," he asserts that human rights, particularly the right of enjoying liberty, are part and parcel of his main concerns as a writer. "I guess at heart," he says, "I'm basically liberal humanist" (Hwang, 2007, ); these words are embodied in his play under discussion. The play is a literary rewriting of Hwang's family history. It is a fictional work based on the childhood stories[45] that Hwang's grandmother told him in Southern California, especially the story of his great grandfather's break with the Confucian tradition by his conversion to Christianity, and the effect of this decision on his family. The historical lesson which this play gives is a moral one that is addressed to humanity at large. This lesson is simply that it is the right as well as the duty of every human being to strive hard to attain freedom by liberating himself from all the unreasonable fetters of the past that stand in the way of his progress and happiness. But the freedom that is worth striving for must be "authentic" freedom; i.e., genuine freedom that allows a person to take his own choices and to determine his own life without violating the freedom of others or their basic right to make their own choices. It is because of this that the protagonist fails to gain "authentic" freedom, because the freedom he gains is at the expense of that of his three wives.

*Golden Child* reflects the interest of its author, as a "liberal humanist," in "authenticity," which he has been searching for throughout his work. He asserts that he is a seeker of authenticity; that is, he, like so many other people, aspires to reach a definition of "objective truth" or "a universal standard of excellence as he elucidates in his interview entitled "It's OK to be Wrong." His main concerns as an Asian American writer, including his search for authenticity, become obvious when one examines carefully the way in which he handles the mixed influences of Christianity and western culture on the traditional wealthy family (in the China of 1918) in *Golden Child*. In the preface to the play, he emphasizes that his aspiration to depict the Chinese history truthfully and objectively caused him great anxiety during the entire time he was working on the play. He demonstrated that he kept on questioning himself whether he, "an American, could authentically recreate the world of Old China" (viii).

Freedom and the high price for winning it are what *Golden Child* is all about. The unbinding of Ahn's feet denotes the unbinding of Tieng Bin's family from tradition as a result of the impact of the moral artistic and economic values of the western culture on him. As a daughter of a wealthy family, Ahn, the golden child, has been forced to undergo the brutal ritual of foot-binding. She has also paid the high price of enjoying freedom. The unbearable agony she undergoes when her father unbinds her feet is by no means less, if not more, than the agony of the binding. The severe pain which she experiences symbolizes the price which the members of the family have paid.

The message that is conveyed through the family's story of pain can be summarized by Hwang's own words : "conflicts . . . arise in any culture when one tries to impose change, however necessary or progressive these advances may be." However, these words should not lead us to think that he is against change. *Golden Child* itself, as he continues, "explains why change is necessary, even when it faces powerful opposition" (Hwang, It's OK to be Wrong, 3).That he advocates change, is emphasized by the comments he makes on the difficult decision, taken by the father, to unbind the child's feet. Discussing the way in which he modified the play before being presented by South Coast Repertory, he explains that the moments of taking the decision were the moments of the utmost importance, the ones chosen by him to replace "historical explanation with dramatic action:"

> In search of these moments, I returned to my original text and came upon a scene involving my great-grandfather's decision to unbind my grandmother's feet, reversing a centuries-old tradition which had turned women into cripples in the name of feminine beauty. *(Golden Child* vii-viii)

What Hwang opposes, as his play under discussion shows, is the very deed of arbitrary imposing change on mankind. This deed is represented by Tieng-Bin's insistence on changing his family's life radically. *Golden Child,* like *Al-Sultan Al-ha'ir*, revolves around a community in crisis. Yet, the idea is reduced in Hwang's drama to a suffering family. The difficult situation in which the members of this family find themselves brings to our minds the previously quoted statement which Al Hakim has made, that "the problem of choice puzzles

4 Hwang's concern, as a ten-year old boy, with his maternal grandmother's stories about the family is the first obvious sign of his interest, as an Asian-American writer, in his family in particular and the Chinese experience in general. For further information, see the studies entitled "Welcome Home David Henry Hwang," and "David Henry Hwang's Obi-winning play '*Golden Child'* Comes to Manila" in which Gibbs Cadiz has investigated in detail Hwang's concern with his family as one of the familiar elements of his literary works.

he can be effectively used as an instrument of advertising:

> … sit him down in front of the door of the shop in a comfort- able chair, … put a new pair of shoes on his feet and a placard above his head reading: "Sultan Shoes Sold Here," and the next day you'd see how the people of the city would flock to your shop and demand your wares (*Al-Sultan,* 40).

What prevents both of them, fortunately, from buying the sultan together, and making him their "joint property" is that they lack the demanded amount of money. The sultan can be a great benefit in both shops; he can be made use of day and night as the wine merchant says to the shoemaker, "I'd release him to you during the day and you could give him to me for the evening." As a slave, or a" property," the sultan does not possess, in their view, any human right. He is lucky because they cannot carry out their intrigue; all they own, both, "isn't enough to buy one of his fingers" (*Al-Sultan,* 40).

However, Al-Hakim's play does not portray all mankind as selfish conscienceless exploiters of their fellow men. There is a better side of human nature, a brilliant side that illumines the darker corners of the world and gives hope of a better future for humanity. There is the character of the lady who denotes human beings who achieve a kind of inner freedom in their lives mainly because of their ability to think of people other than themselves. She fights against oppression in defense of what she believes to be her rights and the rights of the innocent around her. It is true that she commits the error of breaking the law, but her deed is but a natural response to total unfairness, and it is, indeed against error, specially that her final aim is the welfare of others. Thanks to her contrivance, both the sultan and the condemned man are rescued, the former from slavery and the latter from death. Her skillful way of using the chief justice's own weapon in fighting him is reminiscent of Portia's carefully worked-out plan by means of which she has managed to rescue Antonio and to defeat Shylock. The weapon used in both cases is the law which, to quote the chief Justice's words again, "quiver many tricks" (*Al-Sultan*, 81). Portia decides to beat the Jew by playing his own game. She skillfully drives him to the trap which he has unwittingly prepared for himself when he has harshly responded for her plea for mercy refusing to acknowledge the idea that the spirit of law should outweigh the letter. With the revelation that the law allows "no jot of blood" to be spilt (Shakespeare, IV, I, 302). and the further charges consequent on shedding any, Shylock is completely defeated. Similarly, in *Al-Sultan Al-ha'ir*, the lady twists the chief justice's demand for justice to bring about his own defeat, and she ingeniously turns the tables on him. It is the right of "the state" to take the price, "the sacks of gold," and give the lady "the goods," namely the sultan, she has bought. The lady proves that she is more than a match to the chief justice in arguing logically and using the law to achieve her own ends. Her following words are just one example:

> . . . . I am paying in order to buy and I buy in order to possess. The law gives me this right. A sale is a sale. Possession is possession. Take your due and hand me over what is mine. (56)

The sultan's significant words at the end sum up the central idea of the play, that is, those who have authority over people or are in a position of taking action should be models of observing and obeying the law. They should be fully aware that the law must be a means of regulating their own behavior not merely that of the ordinary members of the community, and that it is an instrument of preserving freedom not of enslaving people. Unlike the lady, the chief justice's inability to realize the worth of the law can by no means be excused. It is his duty to teach people, by making himself a model of honesty, that the rules of a religion or law are not mere sentences or words. Hence, the sultan's following poignant address impressively discloses how the law in the hands of dishonest men of authority can be stripped of its spiritual sanctity and rendered a mere specious means to attain their vile ends. To the Chief justice he says:

> No, you have no right at all to do this. You have no such right. Maybe it was the right of this woman to indulge in trickery- she cannot be blamed if she did so; maybe she should be the object of indulgence because of her skill and intelligence. As for the Chief Cadi, the representative of justice, the defender of the sanctity of the law; the upright servant of the canonical law, it is one of his most bounden duties to preserve the law's purity, integrity and majesty. It was you yourself who first showed me the virtue of the law, and the respect it must be shown, who told me that it was the supreme power before which I myself must bow. And I have bowed down right to the end in all humility. But did it ever at I would see you yourself eventually regarding the law in this manner; stripping it of its robe of sanctity so that it becomes in your hands no more than wiles, clauses, words-a mere plaything? (*Al-Sultan* 84)

To solve the problem, and lessen the bad effects of his fault, he resorts to the only method he trusts, violence. The exchange that takes place when the Sultan discovers the whole truth uncovers the real cause of the minister's strong desire to cut off the condemned man's head. His following words assure that he believes in the worth of power, symbolized by the sword, solely: "If this man's head were cut off and hung up in the square before the people, no tongue would thenceforth dare to utter"( 28).

This "unjust system," which Anna Deavere Smith regards "our enemy" (*Twilight,* 32), is not confined to one area or to a particular people. Injustice is one of the layers of evil which continuously and varyingly, regardless of time and place, assures its existence in the human community. Just like the minister in *Al-Sultan Al-ha'ir* , the policemen in Smith's *Twilight*, for instance, resort to violence to solve their problems, the cause of which is their own faults. The condemned man in Smith's play is the black people, who suffer because of "the unjust" way in which the policemen treat them. Dewayne, for instance, "was sentenced for a crime he did not do," and Tiny was killed, by the policemen, because of the color of their skin. The sultan's rebuking words: "so bury your fault by burying the man himself" (28) are but Dewayne's mother's argument, in *Twilight*, which aptly show her awareness of the police's real reason for killing the black youth. They do so, as she elucidates,

to stop us, to stop
the demonstration
to stop
us from protestin' against them,
to stop the world from knowing
that they are corrupt. (38)

In *Al-Sultan Al-ha'ir* the chief justice represents a type of people which is not better, if not worse, than the type represented by the chief minister. The chief justice has managed to present his opinion very plausibly by making his adherence to "the civil and religious law" clear. He asserts that he can accept nothing but "the legal and legitimate solution," and plainly shows that he is willing to sacrifice his life "for the sake of truth and principles"(34). It is ironic that he rejects the very law when it is used, by the lady, as a weapon against his plan. Her "way" is considered by him as "nothing but trickery, deceit, and double dealing" (55) though it is the same way which he has used; i.e. making use of the law in order to attain one's own purpose. He willingly breaks the law in order to achieve his goals. The general message of the play, in Hopwood's words, is that "those who at one time uphold the law can also break it when it suits their convenience" (Hopwood, 149). The chief justice refuses to participate in what he calls "a conspiracy against the law" (29). He, however, conspires against it when it involves the failure of his plan. The following are his words:

> Tonight I set about considering every aspect of the matter. I no longer regard myself as having been defeated. I still have in my quiver--or, to be more exact, in the law's quiver– many tricks. (*Al-Sultan*, 81)

The chief justice, just like the chief minister, represents people who care for nothing except the attainment of their own purposes. Their actions are a clear evidence that they have contributed to the spiritual deterioration of their world, a pathetic world in which even ordinary people, not only the authorities, are willing to exploit their fellow human beings. In this world nothing is worthy except money, and everything revolves around its power. It is an excellent opportunity for both the wine merchant and the shoemaker that the sultan is still a slave, who can only be freed, according to the law, by an owner after being publicly auctioned. The great hardship which the sultan endures encourages their high hope of heavy gains. "It seems you don't understand what's extraordinary about this happening," the wine merchant says, "don't realize that it's unique. Do you find a sultan being put up for sale every day?" (*Al-Sultan*, 39). They symbolize the soulless modern technological organizations, one of the main pillars of which is the belief that one man's loss is another man's gain. Both men are too soulless to sympathize with the Sultan or even understand what humiliation and suffering he undergoes, and they are so mindless that the fate of the country as a whole means nothing to them. What concerns them, is that the presence of the sultan in the shop of any one of them will certainly publicize their goods as the wine merchant asserts while counting the things which he can do in case of buying the sultan,

> Many things, very many things, my friend. His mere presence in my shop would be enough to bring along the whole city. It would be enough to ask him to recount to my customers every evening the stories of his battles against the Mongols, the strange things that have happened to him, his voyages and adventures, the countries he has seen, the places he's been to, the deserts he's-crossed wouldn't all that be valuable and enjoyable? (*Al-Sultan*, 40).

The shoemaker, on the other hand, appreciates the wine merchant's "great idea" concerning the best way of making use of the sultan; like women nowadays,

*Sultan Al ha'ir* is forced to "show admiration and appreciation" after listening to, not merely hearing, the executioner's song (15). Similarly, the hero of *The Rivals*, Jack Absolute, must not only accept the bride chosen for him but also show that he is very fond of her. In both plays, there is a reference to the same reason for conflict between people everywhere, i.e. the power which one attempts to exercise over others, even if it is done with the best intentions, in order to force them to comply with his wishes.

*Al-Sultan Al-ha'ir* is a clear demonstration of its author's concern with the problems of mankind, not merely those of his contemporary society, such as the issue of slavery with which he has dealt adroitly. He handles the complex layers of slavery in a particular way, showing that only a few people are truly free. The executioner, for instance, who apparently deprives others from freedom, is not himself free. He represents a type of people for whom the value of real freedom means nothing. Such people are pathetic not because they are prisoners as much as because they are unaware of being so. The very words with which the executioner repeatedly threatens the condemned man point out that he is in a situation which is not better than that of the latter; just like the sword with which he cuts off heads, he has no will of his own. He does not possess the right of thinking as his role is just to act blindly. Mainly because of his inability to think for himself, he is easily made fool of by the lady. Her plan, the aim of which is to rescue the condemned man, succeeds mainly because the executioner is but an automaton. He stupidly sticks to the very wording of orders. What concerns him, is "the call to the dawn prayer" not the exact time of dawn, as he has had his orders to cut off the head of the man " when the call to dawn prayers is given (18). When the lady attempts to direct his attention, before recognizing his robotic nature, to the reality that "dawn's almost breaking," and to the necessity of looking up at the sky to know the truth, he replies as follows: "It's not the sky, my dear lady that will decide the moment of fate for this condemned man but the minaret of this mosque. I am waiting for Muezzin" (18).

The dilemma in which the sultan is caught reveals the extent to which both he and his people are in need for genuine freedom. He is placed in a situation where he has to rely on one of two methods in order to attain his legal freedom. The prime minister advises him to resort to the sword as it is "able to cut off tongues." Yet, this is not the opinion of the chief justice, who upholds the law, as he believes that "the sword certainly does away with heads and tongues; it does not, however, do away with difficulties and problems" (28). In a sitting drawn from the middle ages, the issue of freedom of choice is humorously handled and the message is clearly transmitted. Al-Hakim himself maintains that choosing the best methods to solve the problems of the world is at the center of the drama in question:

> The play was inspired by the question that now puzzles theworld: is the solution to its problems to be sought . . by resorting to force or by upholding principles? Those who have the power and are in a position to determine the fate of mankind . . . are frightened and perplexed, not knowing what to do . . .The author has put this problem of choice and the present attitude to it in a historical oriental setting. Qtd. in Hopwood 149)

Hence, the author has used the sultan's problem of choice, together with the different attitudes to it, to display deep human problems. The protagonist represents all "those who have the power and are in a position to determine the fate of mankind," namely, rulers, parents, guardians, and teachers. According to Derek Hopwood, *Al-Sultan Al-ha'ir* reflects its author's clear concern with the politics of Egypt at his contemporary age as well as with what lies "beneath the politics," that is, with "morality in society." Hopwood demonstrates that the play is an embodiment of Al-Hakim's interest in a "human problem" deeper than the politics ; it is "problem of putting honesty, love, and justice above self-interest" (148-9).

Through the problem of choice, Al-Hakim elucidates that only human beings who are truly free can put love and justice above self-interest. Judged by this principle, the sultan is a free person. He shows great reverence to justice and human love when he realizes the truth of the situation as a whole. On the contrary, the behavior of most of the other characters is that of people who can put nothing above their own interests, who show no human fellow feelings, and who care little for justice. The attitude of the chief minister has nothing to do with tolerance, human brotherhood or even justice, the achievement of which is his responsibility because of being the sultan's minister. He is well aware that he is responsible for the fix into which the sultan has found himself as he admits:

> I deserve death . . . . The late Sultan could not think of every- thing or remember everything . . . . It was certainly my duty to put before him the matter of manumission, . . . and to do the necessary legal formalities. (28)

question is "To what extent each of them is aware, like Doolittle, that he is not "happy" because of being "tied neck and heels" (Shaw, V, 87). To answer this question, one needs to examine closely the behavior of the characters in order to decide whether they are aware of the rights they possess by virtue of being humans. In other words, their awareness of the loss of freedom can but emerge from their recognition that life, according to free human beings, means more than being materialistically or financially successful. In other words, "what makes us moral human beings, is our individual capacities to think, reason, choose, and value" (Fried 3).

In ***Al-Sultan Al-ha'ir,*** Al-Hakim makes it obvious that freedom of speech should not be curtailed; otherwise, civic, religious, and cultural freedoms of any kind are not possible. The play begins with the issue of liberty of expression. The condemned man is in shackles, denied human beings' right of giving their opinions about the world around them. He is sentenced to death, though not given a trial, because of his so-called crime. Ironically, he is accused of committing the crime of talking freely about the enslavement of the sultan. "Quiet! Quiet! Shut your mouth,' the executioner says to the condemned man, "I have been ordered to cut off your head right away if you utter a word about your crime" (6). The chief minister has unfairly judged the man to be guilty of the crime without giving him the chance to defend himself; then, he unhesitatingly announces his harsh sentence.

The prisoner, who symbolizes the oppressed humans, cannot think or speak freely, and, thus, he is unable to freely exercise choices. Through the comic exchange between the condemned man and the executioner, which is amusing and skillfully handled by Al- Hakim, the play exposes the deeds of those who endeavor to prevent mankind from breathing the air of freedom. The play effectively displays people who minimize the domain of choices for their fellow humans, conveying the message that the scope for freedom of choice should be expanded as this freedom is fundamental to human well-being. Discussing the intricate issue of freedom, Willie Bryan contributes to our understanding of the desirable impact of liberty on society as a whole, and the crucial role of citizens in this respect:

> Freedom, to an extent, is reliant upon its citizens having the independence to build better lives for themselves and in the process of accomplishing their dreams, they lift freedom and democracy to new levels. (42)

The relationships between the characters in *Al-Sultan Al-ha'ir* assure the reality that individuals do possess basic set of rights, but while achieving their aims and dreams, the society to which they belong should be taken into consideration. In this connection, commenting on the goal of independent living centers, G. Laurie makes the following statement:

> Independent living is freedom of choice, to live where and how one chooses and can afford. It is living aloneor with a roommate of one's choice. It is deciding one's own pattern of life: scheduling food, entertaining, vices, virtues, leisure and friends. It is freedom to take risks and freedom to make mistakes. (Qtd. in Bryan 55)

It is true that individuals possess the right to live freely, but this freedom, as shown clearly in *Al-Sultan Al-ha'ir*, should not be at the expense of society. *"True liberty consists in the security of persons and property" (Qtd. in* Conway 1). The sultan's chief minister, who represents the oppressor in human communities, has made a grave error by resorting to violence in order to keep the people silent. It is his right to find a suitable solution to the sultan's problem, which threatens his own social rank, using an apt method. His solution is but a crass attempt to suppress people's freedom of thought and expression. To do so, he gives orders to the executioner, without informing the sultan, to cut off the head of the condemned man and not to give him the opportunity to defend himself or even utter one word about the matter.

Slavery is announced from the start of the play; the condemned man is treated as a slave not a prisoner. Fettered with chains, and threatened with the executioner's sword, he can but submissively accept the cruel words, and sudden whims of the man who can put him to death at any time and by any method. The way in which the executioner deals with the condemned man, particularly the joy he displays in imposing his will on him, opens up human relations to questioning. The behavior of the executioner in this comic and ironic scene is reminiscent of the behavior of the crusty, conservative baronet, Sir Anthony Absolute, in Richard Sheridan's *The Rivals*. They both behave in a tyrannical manner, trying to exert their own wills on others. Threatening to disown and disinherit his son if he does not agree to everything he chooses, Sir Anthony denies his son the opportunity to express himself freely and the right to have any opinion different from his own. "I won't hear a word- not a word! Not one word! so give me your promise by a nod," said Sir Anthony (37). The prisoner, in *Al*

## Introduction

The idea that human beings are imprisoned in, if not enslaved by, the interests of their own selves has been effectively dramatized by Egypt's best known playwright, Tawfiq Al-Hakim (1898-1987), in his *Al-Sultan Al-ha'ir* (translated as *The Sultan's Dilemma*). Human beings' continuous search for the "key"[1] or for freedom is also the subject of the play written by the brilliant American writer, David Henry Hwang (b. 1957), namely, *Golden Child* (1999), in which he explores his family root in a serious way.[2] This concise paper focuses on the thematic significance of both dramas which aptly reflect the interests of their authors as dramatists as well as social critics, particularly their peculiar concepts of true freedom, and the ultimate purpose of attaining such freedom which is to free, not to enslave, mankind.

At first glance, it might seem incongruous to compare Al-Hakim's peculiar version of slavery and freedom with Hwang's. For one thing, the two writers belong to completely different cultures, and their dramas, investigated in this study, are concerned with local and national issues. Consequently, the contexts of their works seem to be far removed from each other. Nevertheless, it is the aim of this paper to show that, even considering the fact that the two dramas reflect different artistic cultures of different societies, times, and places, both center on one appealing question, how to attain true freedom? While both plays are chiefly based on the issue of freedom, each goes beyond this very theme and concentrates on the importance of making the apt choice in order to attain true freedom. Although the two plays in question work on many levels, and as a result, many interpretations of them hold true, one thing is for certain. Their authors did not intend for them to be seen as simple statements on the question of freedom. The emphasis in this study is laid on the distinguished way in which each playwright has dramatized both the pain and humor of freedom-seekers' experiences, mainly, to assert the absolute necessity of regarding the means, not merely the end, if genuine freedom is targeted.

The dramas written by Tawfiq Al-Hakim, though full of imagination that extends to countless kaleidoscopes, are concerned with issues deeply ingrained in the Egyptian society. His *Al-Sultan A-ha'ir* is a remarkable mixture of sturdy realism and evocative imagination. The way in which he handles the issue of freedom in the play assures the known boldness with which he tackles the struggle against the hardships of life in his literary works. Through a series of humorous intrigues, different aspects of slavery are exposed. The imaginative[3] story of the catastrophe which befalls the Sultan (the discovery that he is legally still a slave), together with the methods used to overcome it, is an effective vehicle to comment on freedom as a means of social integrity. The play shows that most people, to different degrees, are unable to enjoy liberation. The country delineated by Al-Hakim brings to our minds Eliot's wasteland, the inhabitants of which are spiritually dead or at least on the danger list. The characters of *Al Sultan Al-ha'ir* denote people who do not seriously endeavor to break the shackles and set themselves free from self-jail; the reasons for such inability can be safely summed up by the word which Bernard Shaw puts in the mouth of Alfred Doolittle, in his *Pygmalion*: "intimidation." Doolittle's following words are a great help to explain the cause of the characters' actions and reactions in Al-Hakim's play in question: "That's the tragedy of it, . . . .We're all intimidated. Intimidated . . . that what we are" (V, 88).

Just like Doolittle, people in *Al-Sultan Al-ha'ir* are "intimidated;" therefore, they submissively accept the loss of their freedom. The chief minister, the chief justice, and the executioner are not free; they represent people, of different social ranks, who are ready to keep their positions in the society to which they belong at any expense. A relevant and fair

1 The word, from T. S. Eliot's "The Waste Land", refers to the act by means of which humans can achieve genuine freedom. As Eliot illustrates, human beings' search for true freedom is useless as long as each of them is imprisoned by the interests of his own self . See *The Waste Land and Other Poems* (London: Faber, 1940).

2 In *Golden Child*, Hwang seriously handles issues deeply ingrained in the Chinese culture, particularly the conflict between tradition and change. In other words, the play is one of his dramas which show that he has been inspired by the Chinese culture to delineate some of its features, and that he has visualized such features on the stage in an attempt to bring forth a considerable change concerning China traditional cultural legacy.

3 The word "imaginative" here refers to the very idea on which the play centers (a sultan discovers by chance that he is still slave); this, however, does not deny that the play has a theme which is relevant to its author's contemporary Egypt and at the same time of universal appeal. In Addition, the character of the sultan as a "Mamluk" is drawn from a stage of Egypt's history, several centuries earlier." More details are given in Denys Johnson-Davis's "introduction," *The Essential Tawfiq Al-Hakim (*2-4). See also Derek Hopwood's Egypt: *Politics and society* 1945-90 where al- Hakim's interests as a social commentator, the seriousness of the theme of the play in question and its relevance to its contemporary society are discussed in detail.

# السعي من أجل الحرية في مسرحية توفيق الحكيم (السلطان الحائر) ومسرحية هنري هوانق (طفل ذهبي)

**مها صديق عقيل موسى**

*أستاذ مساعد، قسم اللغات والترجمة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية*

(قدم للنشر في ٢٨/ ٢/ ١٤٣٧هـ؛ وقبل في ١٩/ ٥/ ١٤٣٨هـ)

**الكلمات المفتاحية:** الحرية، المساواة، العدل، الحقوق، السعادة.

**ملخص البحث:** تهدف الدراسة إلى إيضاح الوسائل الفنية التي استخدمها كلٌّ من توفيق الحكيم وديفيد هنري هوانق لتقديم موضوع الحرية بواسطة مسرحيتيهما موضوع الدراسة: (السلطان الحاير) و(الطفل الذهبي).

يلقي البحث الضوء على براعة الكاتبيْن في استخدام الفن المسرحي كوسيلة فاعلة للتحدث عن أهمية الحرية ودورها في تحقيق مبدأ العدل والتسامح بين الناس. وتركز الباحثة على الأسلوب الفني المميز الذي أُستخدم في كلٍّ من المسرحيتين لإظهار جوانب النقص في بعض الوسائل التي يستخدمها الناس لنيل حريتهم. فالمسرحيتان تقدمان موضوع الحرية بطريقة تدفع القارئ إلى التفكير مليًا في الآثار السلبية والعواقب الوخيمة للفهم الخاطئ لمعنى الحرية وكيفية نيلها.

*Journal of Arts,* Vol. 29, Issue No. (3), pp1-13 , king Saud Univ., Riyadh (2017 /1438H.)

# The Quest for freedom In Tawfiq Al-Hakim's Al-Sultan Al-ha'ir (The Sultan Dilemma) and David Henry Hwang's Golden Child

**Maha Siddiq Aqeel Mousa**

*Assistant Professor, Department of Languages and Translation Faculty of Arts and Humaities, Taiba, University Medinah, Saud Arabia*

(Received 28/2/1437H; Accepted for publication 19/5/1438H)

**Keywords**: freedom, equality, justice, rights happiness

**Abstract:** The aim of the study is to discuss Tawfiq Al-Hakim's and David Henry Hwang's peculiar approaches to the issue of freedom, a theme on which both Al-Sultan Al-Ha'ir and Golden Child center. The paper focuses on the two writers' distinguished use of the theater to communicate significant messages concerning the importance of authentic freedom as a means of drawing souls together, and setting them on equal footing. Emphasis is laid on the interesting ways of handling freedom-seekers' experiences in both plays in question with the target of showing how aptly the two playwrights expose the failings and inadequacies of certain methods which people use to attain freedom. The provocative treatment of the complicated issue of freedom in the two plays makes one think about the destructive impact of enslaving people long after reading the play.

- **Challenges facing Saudi patients who move from other regions of the Kingdom to Riyadh City for medical treatment at government hospitals**

  *Ali Ahmed AlSalem..... 216*


## English Section

### Articles:


- **The Quest for freedom In Tawfiq Al-Hakim's Al-Sultan Al-haȝir (The Sultan Dilemma) and David Henry Hwang's Golden Child**

  *Maha Siddiq Aqeel Mousa..... 1-13*

# Contents

## Arabic Section

**Articles**:


- **Semantics dimensions at al-Ghazali, Through the book: «standard science»**

  *Kamel Anwer Said Mohamed*.....4

- **What is the Role of the Question in Developing the Writing Skills of Students in the Higher Stages? Academic Discourse from a New Perspective**

  *Htem Abid* ..... 20

- **Critical Study For selected Writings In Morphology**

  *Faten Khalil Mhjazi*.....54

- **The Poetics of Taiyya Ibn Al-Farid**

  *Fadhel Ammar Alammari* .....76

- **Violence in the discourse Communicative & semiolinguistic approach**

  *Aida Haouchi* .....108

- **The Arab Cultural Criticism: A Reading in the Mauritanian Achievements**

  *Ould Moutaly Lemrabott Ahmed Mohamedou*.....140

- **The impact of housing and transportation conditions on the occurrence of Sultan Qaboos University students under academic probation: «an empirical study»**

  *Rahma Mahrouqi & Moner Karadshaa*..... 158

- **Specific social awareness of security factors and its role in the Prevention of teenage crime**

  *Sarraa Mohammed Hassan Alshehri* ..... 186

d. Footnotes are exclusively used for explanatory comments. They must be referred to through upper case serially ordered numbers inside the text. References in footnotes, whenever necessary, must be mentioned in the same way as in the text, i.e. through the author's surname followed by the date of publication. Footnotes must be inserted under a line at the bottom of every page.

8. It is the Authors' duty to ensure that papers are written in good style before submission, with no typos or grammatical mistakes.
9. Material Published in the Journal do not necessarily express King Saud University's policy.
10. Authors are provided with 25 free copies of their published papers.

## Publication Procedures:

- Papers are electronically submitted through the Journal's website, under the icon "request for publication", by filling the requested forms according to the given steps. Papers submitted in a printed form or through e-mail are not accepted.
- Submission of the paper through the Journal's website is an automatic pledge by the author/authors that the paper has not been, is not, and will not be submitted for publication in any other journal until completion of the present refereeing procedures.
- The Journal's Editorial Committee reserves the complete right for a preliminary reviewing of articles submitted, before deciding if they are suitable for refereeing or be rejected.
- All papers accepted by the Journal's Editorial Committee are subject to confidential scientific refereeing.
- Papers are submitted for refereeing by two experts in the field. If the latter's ruling is different, papers will be sent to a third referee whose decision is final.
- Papers for which amendments are required by the referees are sent back to authors for changes.
- Once a paper is accepted, it must be published in no other journal, whether electronically or in paper form, without a written permission by the Journal's Editor in Chief.
- Authors of papers rejected are informed of the decision without explaining the reasons thereof.

4. No mention of the Author›s (or Authors›) name or any references thereto are accepted inside the paper or any of its footnotes or list of references. The term Author (or Authors) may be used instead.

5. Each paper must include a list of Keywords (six at most) defining its subject and major issues. This list must follow the Author›s CV and precede the Arabic and English abstracts.

6. Norms of the World List of Scientific Periodicals must be used for abbreviations related to the names of periodicals and to international unit systems (e.g. cm, mm, m, km, cm2, ml, mg, kg, etc.)

7. References must be cited not through footnotes but within the text through (authors› names and date of publication). Each paper must be followed by an alphabetical list of references, with Arabic and non-Arabic sources listed separately. Bibliographical data must be mentioned as follows:

   a. the author›s name and date of publication, between brackets, inside the text; and the author›s surname followed by his first and other (fully or abbreviated) names written in black characters, in the reference list, followed by the book title in italics, the edition, place and date of publication (e.g. Al Misri, Wahid Atia. *Introduction to Bio-Operation Engineering*. Riyadh: King Saud University, 1425 AH).

   b. Papers are cited through the author's name and date of publication, between brackets, inside the text; and the author's surname followed by his first and other (fully or abbreviated) names written in black characters, in the reference list, followed by the full paper title between quotation marks, the name of the periodical, abridged and in italics, the volume number, the issue number (between brackets), and the year of publication (also between brackets).(e.g. Faqiha, Anis Ibn Hamza. "The modeling of a highly volatile compound". *King Saud University Journal (Engineering Sciences),* vol. 15, no (1), (2003), 13-27.

   c. If the reference is an unpublished thesis, it must be included in the list of references under the Author's surname followed by his first and other names, the thesis title, degree for which it was submitted, the country, department, college, university and year of submission. (e.g. Al-Kinani, Dhafer Mushabib: The self in ancient Arabic Literary Criticism, a PhD thesis, Saudi Arabia, Department of Arabic, College of Arts, King Saud University, 1430 AH).

# Publication Regulations

The Journal of Arts accepts previously unpublished papers, written in both English and Arabic, in the fields of arts and humanities, namely in: communication studies, history, geography, social studies, Arabic language and literature, English language and literature, library and information sciences.

Material received is published under the following sections:

- **Research papers:** this section includes original papers prepared in specialized academic subjects related to the Journal's fields of interest and must represent an addition to the field.
- **Interventions:** this section consists of brief scientific essays written in specific subjects predetermined by the Journal and published under the rubric "Topic of the Issue".
- **Critical reviews:** this includes a number of critical synopses of books, papers, and scientific articles.
- **Reports:** this section includes reports on conferences, symposia and similar academic events related to the Journal's fields of interest.
- **Theses abstracts:** under this section, the Journal publishes abstracts of Master and PhD theses related to its fields of interest and which have a special methodological and practical value as to their approach and results.

## Instructions to authors:

1. Papers submitted must not exceed (10 thousand) words, including both the Arabic and English abstracts, as well as the list of references. Interventions, reviews, reports, synopses, and theses abstracts must not exceed (6 thousand) words.
2. Every material submitted for publication must include an Arabic and English abstract not exceeding (200 words) each.
3. Details of the author›s CV (name, position, department, college, university, as well as the title of the paper) must be included in both Arabic and English, on a separate sheet, introducing the paper.

## Correspondence

Journal of Arts - College of Arts
P.O. Box 2456, Riyadh 11451
Kingdom of Saudi Arabia
Tel. : 011-4675408, Fax. : 011-4675402

E-mail: arts-mag@ksu.edu.sa

Website: http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts

## Subscription and exchange

King Saud University Press, King Saud University, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

P.O. Box: 68953, Postal Code: 11537

Price per issue: 15 SAR or its equivalent (excluding postage).

# Journal of Arts

The Journal of Arts is a refereed periodical journal, published by King Saud University; three times a year in January, May and September.

It Publishes manuscripts, in both Arabic and English languages, that have not been previously published. Those include Researches, Reviews, scientific conferences and symposia reports, and theses abstracts, in the fields of: media, history, geography, social studies, Arabic language and literature, English language and literature, Library and Information Science.

The first volume was published under the title "Journal of the Faculty of Arts" in the year 1390 AH/1970. It continued annually until turned into a half-yearly since Volume XI In 1409 AH/1989, and the title was changed to "Journal of King Saud University: Arts".

Since Jumada 2$^{th}$ 1434H (May 2013), the journal publishing frequency has increased to become thrice a year.

## Vision

To be a leading journal that is classified among the most famous international databases specialized in publishing refereed research in Arts and Humanities.

## Mission

Publishing refereed researches in accordance with distinguished professional international standards in Arts and Humanities.

## Objectives

1- To be an academic reference for researchers in Arts and Humanities.

2- Meeting the needs of researchers at the local, regional and international levels for publishing in Arts and Humanities.

3- Contributing to building the knowledge-based society through publishing high quality research of Arts and Humanities that would contribute to the development and progress of the society.

# Journal of Arts

Refereed Scientific Periodical, published by King Saud University


## Advisory Board

**Prof. Bassiouni Hamada**
Cairo University

**Prof. Houcine Abdel-Aziz Loued**
Tunis University

**Prof. Suleiman bin Abdul-Rahman Althi`eib**
Ksu University

**Prof. Abdullah Aloeinah**
Mohammed V University

**Prof. Fawzia bint Abdullah AbuKhaled**
Ksu University

**Prof. Mary Layoun**
University of Wisconsin, Madison

## Editor-in-Chief

**Prof. Abdullah Ahmmad Al-Taher**

## Editorial Manager

**Prof. Khaled Abdullkareem Basandi**

## Editorial Board

**Prof. Ibrahim Saleh AlFallay**

**Prof. Abdullah Saad Hamad Aljasir**

**Prof. Maha Saleh Abdurrhman Al- Mayman**

**Prof. AAbdulwahab Muhammad Abalkhail**

**Prof. Abdullah Muhammad Almutawa**

**Prof. Nayef Thinyyan Alsaud**

## Secretay

**Hamoud M.alsuhaimi** **Habeeb Hussain Ali** **Mukhtar Jawad AL saleh**

## Secretary & Production

**Dr. Majed Mohammed Albahr** **Abdullah Kamil Rabab'ah**



© 2017 (1438H.) King Saud University

All publishing rights are reserved. No part of the journal may be republished or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording, or via any storage or retrieval system, without written permission form King Saud University Press.



دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS

# Journal of Arts

**Refereed Scientific Periodical**

**Published by**
**King Saud University**

**Volume 29, Issue No.3**
**September 2017 \ Duu Al-Hijjah, 1438H**

http://arts.ksu.edu.sa/journal-faculty-arts
arts-mag@ksu.edu.sa

دار جامعة الملك سعود للنشر
KING SAUD UNIVERSITY PRESS
ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ المملكة العربية السعودية

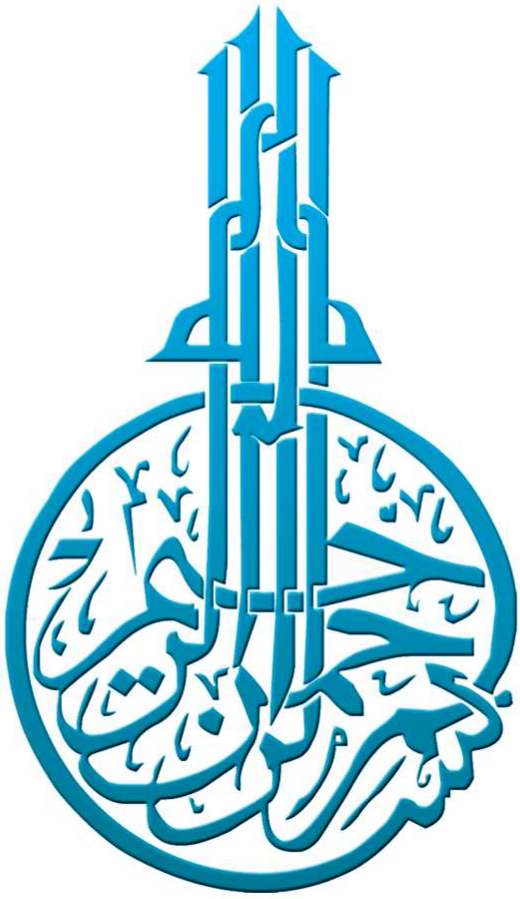

IN THE NAME OF ALLAH,
MOST GRACIOUS, MOST MERCIFUL